

ههه والنمهى كئب

قنص الظلال

”قراءات في نماذج كتابية حول ثورة أيلول الكوردية 1961“

إنسكلوبيديا الحزب الديمقراطي الكوردستاني



مركز بيشكجي للدراسات الانسانية



مركز دراسات الابداء الجماعية



سلسلة كتب الذكرى الـ(٦٠) لثورة أيلول (١٩٦١-١٩٧٥)

(3)



المؤتمر العلمي الدولي

«ثورة أيلول منعطف في التاريخ السياسي الكوردي»

١٩٧٥/٣/٦ - ١٩٦١/٩/١١

قنص الظلال

“قراءات في نماذج كتابية حول ثورة أيلول الكوردية 1961”

هذه النامه كتيب





إعداد و ترجمة:

ابراهيم محمود

دهوك - 2021

-
- عنوان الكتاب: قنص الظلال «قراءات في نماذج كتابية حول ثورة أيلول الكوردية ١٩٦١»
 - أعداد و ترجمة: ابراهيم محمود
 - المراجعة اللغوية: د. ازاد سالم محمد
 - التصميم الفني: خالد توفيق آميدي
 - تصميم الغلاف: ناصر منبري
 - من اصدارات: إنسكلوبيديا الحزب الديمقراطي الكوردستاني و جامعة دهوك
 - رقم الايداع: في مكتبة البدرخانين (D/٢٤٣١/٢١-) في ٢٠٢١/٦/٢٨

حقوق الطبع © والنشر محفوظة لجامعة دهوك و إنسكلوبيديا الحزب الديمقراطي الكوردستاني

-  uod.ac/besikci-center
-  besikci.center.uod.ac
-  Besikci center for humanities studies BCHS
-  +964 750 736 27 97

● مركز بيشكجي للدراسات الإنسانية / جامعة دهوك - مجمع الجامعة - شارع زاخو 

٣٨- بناية المكتبة المركزية - الطابق الثالث

الفهرست

| | |
|-----|---|
| ٧ | القسم الأول |
| ٧ | في مفاتحة منعطف التاريخ : |
| ٧ | ظل الاسم القائم |
| ١١ | ظل كُرة التاريخ |
| ١٤ | ظل الحدود الملتهب |
| ٢٠ | ظل الكرة العراقية |
| ٢٤ | ظل لأكثر من معنى في أكثر من قول |
| ٣٧ | ظل الحدود خارجاً |
| ٤٦ | ظلال الثورة |
| ٧٥ | القسم الثاني |
| ٧٥ | تحت ظلال النصوص وتباينات الظلال فيها: |
| ٦٧ | ظلال الثورة الكوردية في مرآة لازاريف |
| ٩٣ | أصليخان يلدرم: الظلال المقاومة حدودياً |
| ٧٩ | ظلال ثورة أيلول الكوردية ومرآة عدنان جليك في الجهة المجاورة لها |
| ١٢١ | ظلال الثورة الكوردية في مرآة اسماعيل بيشكجي |
| ١٣٥ | ظافر يلدرم: عن ظلال الحركة الكوردية القومية الطابع |
| ١٣٩ | عن طلاب الحرية والاستقلال وتهمة اللصومية "وقفه تنويرية مع هوبزباوم" |
| ١٤٢ | محمود درويش وظلال قصيدته "كوردستان" في واجهة الحدث الأيلولي الكوردي |
| ١٤٦ | إريك رولو: المشكلة الكوردية مصدر صراع |
| ١٤٨ | جمهورية الجنرال قاسم (١٩٥٨-١٩٦٣) |
| ١٥٣ | ظلال الثورة الكوردية في مرآة ديفيد أدامسن |
| ١٧٥ | جوناثان راندل: والظلال الكثيفة والرطوبة للكورد |
| ١٦٠ | الآخر ليس هو: الثورة الكوردية في مرآة محمد جمال باروت |
| ١٦٩ | روهات ألكوم: صورة ملا مصطفى البارزاني في الصحافة السويدية |
| ١٦٧ | صورة وجدانية ملا مصطفى البارزاني في مرآة أجنبي |
| ١٧٨ | الثورة الكوردية في مرآة محمد حسنين هيكل عبر لقاء لافت |

- ١٨٥ صورة وجدانية لمأم جلال في مرآة أجنبي
- ١٨٩ حميد بوزأرسلان: كوردستان العراق في ظلالها الجيوستراتيجية
- ٢٠٠ استمرار للظلال وحركتها كوردياً
- ٢٠٧ مع جيرار شاليان "مقابلة": "المطالبة بالحكم الذاتي الكوردي تأجلت متأخراً"
- ٢١٠ بيريفان أدليج: كوردستان العراق
- ٢٢٥ جولي جوتيه: سوريا: العامل الكوردي
- ٢٢٩ بيير جين لويارد: الديمقراطية غير المحتملة في العراق: فخ الدولة القومية
- ٢٦٦ فرانسواز بري: العراق: في أرض المرحّلين
- ٢٧٩ محمد صلاح هلاي: القضية الكوردية أمام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان
- ٢٩٢ مشهد سريع وبطيء معاً
- ٢٩٣ الطيف عبد السلام عمارة: المسألة الكوردية وسياسة الدول العربية
- ٣١٢ زكريا طه: المعارضة الكوردية ونظام البعث في سوريا: بين ديناميكيات الهوية واستراتيجيات التعاون
- ٣١٢ جان دينيس موتون: المطلب القومي الكوردي ومبدأ تقرير المصير، في مجلة مواطن أوربا
- ٣١٧ سيرة ذاتية للمؤلف

القسم الأول

في مفاتحة منعطف التاريخ

"واليوم، مع أن النزاع بين الكورد والعرب هو أشد حدة ومرارة من أي وقت مضى. فما زال بالإمكان إجراء المفاوضة للتوصل إلى اتفاق يترك الإطار الاقتصادي العراقي على حاله ويبقي الكورد شركاء راغبين مسلمين للدولة. وإذا كان العرب يفكرون خلاف ذلك، فإنهم يفعلون حسناً لو تذكروا الجزائر ولاحظوا أن في أمثال هذه الحروب لن يكون الزمن ولا الله إلى جانب الكتائب العسكرية الكبيرة".

ديفيد أدامسن: الحرب الكوردية وانشقاق ١٩٦٤، ص ٣١٤.

ظل الاسم القائم:

كوردٌ يسمونها ثورة، طالما أنها تستجيب لوعي قومي، هذا الذي لطالما جرى قمعه بالمقابل، لحرية هي الأخرى، لطالما ووجهت بالمرصاد، لأرض لها حدود تعرف بهم، كغيرهما، لطالما، بدورها، وإلى يومنا هذا، يجري التصدي لها، ليس من قبل الذين تقاسموها "كوردستان"، وإنما الذين شكّلوا عرابي التقسيم من القوى الكبرى في العالم، ووجدوا في الذين تقاسموها حلفاء لهم، أي وقد قدّمت لهم لإبقائهم تابعين لهم، وليكون لهم حضور سياسي واستراتيجي في المنطقة. ومن المؤكد أن السياسة في أعلى مستوى لها هنا، تفرز ثقافتها التي تحمل بصمتها في القوة الموجهة، وفي إيديولوجية السيطرة المعبرة عنها، وذلك عبر وسائل الإعلام السمعية والبصرية، المأخوذة بهذه القوة، والثقافة التي يتم إيجادها، من خلال أهل القلم، وبصيغ شتى.

يسمّيها أعداء الكورد تأمرًا على الوطن، وعمالة لقوى الاستعمار بالتتابع، طالما أنهم في مسعاهم يخرجون عن جادة الصواب المرسومة لهم سلطويًا، ومقاييس قائمة، وما في ذلك من فرض الأمر الواقع: سادةً وما دونهم على الأقل، في المكانة والاعتبار وتمثيل الذات، حيث تتنادى أصوات في هذا السبيل والتضييق عليهم.

يسمّيها آخرون حرباً بالوكالة من قبل الكورد، وهو تخريج آخر، لمن يعرفون بأنفسهم موضوعين، وهم من ناحية التعبير السلطوي، يقفون حيث يقف الواقفون لهم بالمرصاد ظاهراً وخفياً، وما في تعبير "حرب بالوكالة" التليد، وهي بسوء صيتها، وعراقتها التاريخية عملياً، مع تغير المرادفات، تستهدف حشر الكورد في قمقم الجني، بعامله المغلق والمبوء داخلياً، ورميه في ظلمات بحر التاريخ الغائر العمق المعتم والشديد البرودة، انطلاقاً من القوة المشهورة السافرة طبعاً!

هنا، نكون إزاء ما سمّيته بـ"قنص الظلال"، أي كيف يمكن التسديد، بمختلف قوى الكبح والمنع أو العنف، على الظلال تلك، باعتبارها ظلال الذين يمثلون تلك الثورة، ومن يتحالفون معهم في عموم جهات أرضهم المجزأة كوردياً، بظلال مستعارة.

وهنا، نكون في مواجهة لعبة الظلال بالذات، حيث تتداخل، أو تتواجه أو تتشابك، أو تدخل في تنافس على المكان، حيث إن الظل يحيل إلى المكان بالمحقق، والمكان مأخوذ كما أنه معروف بعيانيته، كمساحة أرضية، ولهذه معنى واعتبار، بالنسبة لمن يقيمون فيها، أو له صلات معها، حين يؤكدون انتماءهم إليها بصورة خاصة.

وفي الحديث عن الظلال، ما يبقينا ويجذّرنا في الجغرافيا عينها. والجغرافيا، كما يعلم بأمرها مختصوها، أو دارسوها، أو المعنيون بها بسبب ما، أو حتى من لديهم فكرة معينة عنها، إنها من حيث التوصيف أرض وما يعلوها. إنها التضاريس، بكل مكوناتها الطبيعية، وما يكون في الداخل، وما يصعد بنظر المرء إلى الأعلى، حيث يكون الفضاء، أو السماء والمناخ، والجهات الجغرافية، وأدوار الكائنات فيها. في الوسط الجغرافي الذي يرى بالعين المجردة، يمكن حساب قيمة الظل، إذ لكل رقعة صغيرة، لكل كائن في هذه الرقعة، واسم كل كائن هنا، ثمة ظل ما، يمثل قيمة معينة له، ربما نوع من بطاقة تعريف ملصقة به، أو ترشد المهتم بأمره إليه، ومن هنا، يكتسب الظل، كمفهوم مكاني نشأة أساساً، كل ما يحفز في المتابع إرادة النظر والمكاشفة، والرغبة الملحاحة في كيفية الإحاطة بحقيقة هذا الظل، ومرادفاته، أو كل الصيغ التي تشير إليه، أو ما يفيد به هذا الظل الباحث في أمره، خصوصاً حين يكون هو نفسه الداخل في لعبة الظل، مأهولاً به، كلسان حال ما، وبالتزام معين.

هنا، وبكل استراتيجيته المكانية تماماً، يتربع المعنى الأول بالظل، حارسه، حامله، ذاكرته الزمانية-المكانية، حافظته الروحية بالتوازي: الإنسان، حين يحيل إلي الظلال كاملة، ويكون هو لسان حال المكان والزمان، معزّزاً بالقيمة الرمزية للظل.

هنا، كان الرهان على الظل، ورصد الظل، أو التربص به، وكيفية احتوائه. إن تجريد أي كان من ظله، يعني إقراراً نفسياً بموته، أو تحويله إلى مجرد هيكل دون جدوى، وفي ضوء ذلك، يمكن للظل أن يمد بالكثير من العلاقات التي تكون لها أبعاد اجتماعية، سياسية، اقتصادية، نفسية، وثقافية، حيث إن حركة الظل هي البارومتر الذي يعطينا فكرة مغروسة في الزمن، عن الوضع الذي يكون فيه الظل.

وأن أسمي هذا البحث الطويل بمورده التاريخي - الجغرافي، وما بين الاثنين من علاقات، من صلات قربي، ومسارد علاقات في الاتجاهات، ومن أخذ ورد مستمرين، بما هو ظلي النسب، فهو الإخلاص لهذا التمثيل المكاني الذي يوفّر لمن يحيط به علماً الكثير من فضيلة التحري عن المغيب فيه، وأبعد، داخلاً وخارجاً.

ولأن الذي يَرى في هذا التنقيب الثقافي تحديداً، ما يضيف على كل مشهد يجري رسمه وتسميته، قيمة العداد الدقيق الذي لا يكف عن عكس أي تأثر خارجاً، بالأرقام أو الخطوط البيانية أو إشارات معينة.

وفي الوقت نفسه، فإن الرهان على طريقة كتابة كهذه، يتجاوب مع حيوية الموضوع - البحث، حيث إنه أبعد ما يكون عن أن يكون مستهلكاً، لأن "دعواه" كتاريخ، وجغرافية، هما توأم وجود شعب، ومن ثم كينونته الهويةية: القومية المعتبرة، لثم تحافظ بعد على جدتها، بالعكس، بل ازدادت عنفوان أثر، عند النظر في اللائحة المختلفة من الموضوعات وتنوعاتها ذات الصلة بها. إنها، جهة التوصيف، تمتلك تلك المقدره على طرح نفسها، ما بقيت حقيقتها حية، وربما متجددة، في طور دون آخر لها، في وجدانات الذين يحملونها داخلهم: كوردياً.

وفي الكتابات التي تصلنا ببعضها بعضاً، ولكل منها سلعتها، وقوامها، وسوقها، ومزكوها، ما يعزز مثل هذا المضي قدماً إليها، وفي جهات تصريحها: من بدء حملتها الفكرية، إلى مآل عقيدتها، والسعي إلى القبض على الأداة التي تبقّيها هكذا، وكذلك تسمية خميرة عجنتها الثقافية ومغزاها ومرماها.

وما أكثر ما يمكن إيجاده من هذه الكتابات التي تنتعش بحماية القوى المجتمعة والموجهة ضد ثورة مفصلية كهذه في الزمان والمكان. طبعاً، وكما تقول تجربة كل من هذين: ليس المهم أن تكتب عن الحقيقة بوصفها حقيقة، إنما ما يتجاوب مع سياسة تلك القوى، وتشويه تلك الحقيقة بمختلف الطرق، لتجد مواقع استتار لها، وهي سلطوية بجلاء، وهي تجمع في متنها بين الأسلوب الصحافي، اليومي، والأسلوب البحثي، والسجالي، في دول الجوار وأبعد طبعاً، ليكون لدينا قاسم مشترك، يعرف بالمحتوى الإيديولوجي أو "الخدمي" وحتى الاسترلامي جرّاء ذلك.

وبالمقابل، ثمة من حاول، ويحاول، وإلى يومنا هذا، الإخلاص لحقيقة ما كان، وبمستويات مختلفة، تعبيراً عن حق مهضوم، مستباح، مختزل، ومجبر، قومياً، وإنسانياً. عبر قاسم مشترك نقيض، ولو أقل حضوراً، ولكنه يلهم.

في وضع كهذا، يمكن التأكيد على مدى انتشار ثورة كهذه، ثورة وجدت صدى لها في الأجزاء الكوردستانية الأربعة، كما لو أن الكورد، في أسلوب تلاحمهم، رغم أن ثورة أيلول ١٩٦١، وجدت مسرحاً جغرافياً لها في النطاق الجغرافي الموسوم بـ"إقليم كوردستان العراق" عبّروا عن أن انطلاقة ثورية كهذه، وفي موجهة مستبديهم هناك، كانوا يرون النسخة ذاتها في الجهات الأخرى، كما شهدت الثورة تلك تحالف متقاسمي كوردستان، والذين كانوا سبباً لهذا التقسيم، وهم يسعون، وبكل السبل، إلى إطفاء جذوتها، أو الطمس عليها.

لتكون هذه الثورة بصداها خارج حدودها، يكتب عنها، من زوايا شتى، فكأنها مستمرة، بأكثر من معنى، ومن هنا تتأتى أهميتها، على الصعيد الكوردستاني، المحلي، الإقليمي، والدولي.

طبعاً، ليس للثورات منطق واحد، وإلا لصار في مقدور أي كان توقع نتيجة أي منها، في ضوء التي سبقتها، ولبطلت أن تكون الثورة ثورة في الأساس، بما أنها تقوم على أرضية متحركة، يصعب، لا بل يستحيل التنبؤ بالنتائج. فكل ثورة تنهض على تقديرات معينة، تمثل القوة المعدة لها، سوى أن الجهات التي يعينها أمرها، وفي ضوء الجهة التمثيلية للثورة، لا يحاط بها بسهولة، ومن هنا، نجد الاختلاف، لا بل وحتى الخلاف بين ثورة وأخرى، أو بين ثورة وبقية الثورات ماضياً وحاضراً، من خلال طابعها، أو خاصيتها المتجذرة في زمان الاسم وطريقة ظهوره اسماً، ومكانه، ومن هم حملته أيضاً.

سوى أن الحديث عن الثورة، وبوصفها ثورة، يمكن ربطها، جهة النهايات، بالتالي:

قد يكون ختامها انتصاراً القائمين بها.

قد تكون كارثية للذين قاموا بها، وعلى المدى البعيد أحياناً.

قد تخفق في تحقيق أهدافها المرسومة، سوى أنها، ومن خلال محتواها، وجانب الدعم النفسي فيها، تشكل مصدر إثراء للذين يعرفون بها، ولتردد صداها خارجاً، الأثر الاعتباري والتاريخي، فهي، وإن تردت إلى لحظة تاريخية، لكنها، تشكل بطاقة تعريف، تتجدد قوة، كلما جرى النظر فيها، واعتني بها. والحالة الثالثة، كما يفترض، تعني كل الشعوب التي لا تتوقف عن المطالبة بحقوقها القومية والإنسانية معاً، طالما أنها الأسلوب الأمثل لبقائها في التاريخ، وهي محاربة جغرافياً باسمها.

ومن هنا تكون ظلال الثورة هذه، وواجديها، ممتدة بمعانيها ودلالاتها، وكأن ما كان، يعاش اليوم. ومن هنا كانت هذه القراءة، وهي أكثر من مجرد قراءة عابرة، ميكانيكية، كونها نافذة بمادتها، فما مضى يمضي إلينا، ودون ذلك، لما كانت كتابة كهذه ! وأن أكتب عن هذه الثورة، أو من خلالها، أو باسمها، مهما كانت مسافة القرب أو البعد منها أو عنها، فلأن ثمة ما ينبغي النظر فيه: واجباً معرفياً، تاريخياً، اجتماعياً وفكرياً، يحفز داخلي مثل هذا الاهتمام. كونها تعينني في الصميم، تعني تاريخاً، لا يمكن، ولا بأي شكل غض النظر عنه، إن حسبته صاحب تاريخ، وإن اعتبرته أهلاً لتاريخ يُعرف بي، كما أعرف به، وإن قدرته إنساناً لأنه موصول بتاريخ، وفي الحالات كافة، يكون هناك هذا اللقاء المصري، لقاء مقيم في التاريخ الذي يجعل ما كان أكثر وضوحاً، أكثر إمكانية تفاعل معه، أكثر تفعيلاً في أثره، طالما أنني، ومن موقعي البحثي، الفكري، النقدي والإنساني، أعتبر الإنسان تاريخه، دون أن أدخل في أي مساءلة عمّن أفضل أو أفصل في اسمه، وموقعه خارج ما يعزز هذه المكانة وصفة الاسم، كما يستحق، فثمة تاريخ مجتمع، بشر لهم محل إقامة فيه !

ولهذا كان هذا التوجه المتعدد القوى بحثياً، ومحاولة حوار، واستنطاق المغيب ما أمكن في صدارة الكتاب، ليلى ما تقدّم ذلك القسم الأكبر من الكتاب، والذي تشغله مختارات من ثقافات مختلفة، ومقامات فكرية وإيقاعات نفسية متميزة، غنية بالتنوع في الموضوعات أحجاماً وزوايا رؤية، لافتة

بتراتبياتها الاعتبارية، وتفاوتات دلالاتها الاجتماعية حيث إنها من جهة المكانة المعطاة لكل منها، شهود عيان من نوع آخر على حيوية الموضوع هذا أو ذاك، إلى جانب أن قارئ الكتاب في عمومها، يمكنه أن يتلمس رحابة وعمقاً وخصوبة معنى فيه.

إنه التاريخ الذي لا يمضي إلينا فقط، إنما نمضي إليه، ليكون في ضوئه نسج تاريخ يكسبه حضوراً أكثر رحابة في أبعاده، وأظن أن في ذلك صواب الفكرة، ومصادقية الكتابة المشغولة بتاريخ شائك.

ظل كُرّة التاريخ:

نحن الآن مع كُرّة البحث، وهي متحركة، دائرة، ولا بد من إمعان النظر في حركتها، وتعقّب ظلها.

كيف؟

سأنطلق بداية من مقولة تغدق ببدعة تكوينها وثراء المعطى الدلالي فيها، وهي فيما كتب الفيلسوف كيركغارد في يومياته (إن الحياة ينبغي أن تُفهم بالرجوع إلى الخلف وأن تعاش بالاتجاه إلى الأمام)^(١).

هذه المقولة ترينا نوعية العلاقة الأكثر كثافة تعبير، بين ماضٍ، يمتلك القابلية المستمرة للفت أنظارنا، ويشغلنا في قوانا النفسية، نظراً لموقعه اعتباري له، وما هو كائن أو حاضر، كما لو أن هناك سداد دين يتوجب على دارسه معرفته، ومن ثم تدبير أمره معه. ولهذا يكون التفهم هو الدخول في محتواه العميق، والإصغاء إلى صمته التاريخي، بحثاً عن أثر ما، عن حركة ما، عما هو خفي، ليكون معزّزاً على معرفة الأبعد، من ناحية، وليكون الذي ننشغل به أهلاً لأن يقيم معه جسور تواصل وتفاعل، أو حوار يكون على مستوى الرهان عليه، كما لو أن "رشدًا مضافاً إلى الآتي، يكون بمكاشفة قوة هناك.

تلك هي اللحظة الأكثر خطورة وحساسية، وأهمية في العلاقة بما هو تاريخي، أكثر من كونه مجرد تاريخ، ودون ذلك، من المستحيل التحضير له، ومن ثم عقد آمال شديدة الخصوصية عليه، بما أنه ذو مفهوم: إشعاعي، أو استلهامي طبعاً.

وهي الخطوة الرئيسة في التعامل مع كُرّة التاريخ هذه، ورؤيتها وهي تكبر، لتبرز جوانب المبحوث فيه بدقة أكثر.

سنتحدث هنا عن خصوصية هذه الكرة التي لا تستقر في نقطة واحدة، رغم أنها لصيقة جغرافياً وتاريخ معلومين، بالنسبة إلى الكورد "أهلها" وجرت بعثرة المكان والزمان وأهل المكان، كما لو أن جعل الكل أجزاء، استحالة النظر في الكل، إنما الإبقاء على كل جزء، من خلال المكان وزمانه اللذين بات الجزء

(١) نقلاً عن محمد الحداد: مواقف من أجل التنوير، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٢٠٥.

المكتسب تسمية أخرى، ورمز اعتبار مغاير للحالة الأولى، تبعاً للقيم على المكان والزمان، ليكون الكل "الكورد - كوردستان" خبر "كان" ليس إلا.

ولكن حركة الكرة، رغم المعوقات، والجاذبية السياسية الاحتوائية المضادة للمكان تؤكد ما يعاكس ذلك، وهذا ما يعهد به، جهة التاريخ المعاند لاسمه وفعله، تاريخ يريد الاستمرار رغم ضراوة التاريخ "الرسمي"، ودليله الوحيد والبلخ، هو أنه رغم وهنه، رغم التعتيم عليه، رغم إزاحته المستمرة جانباً، يظهر مدى تأثيره في مدى توازن الرسمي في الدول التي تقاسمت حدوده، أو جغرافيته بتاريخها معاً. يقول المؤرخ والباحث في التاريخ حميد بوز أرسلان ما يدعم هذا التوجه بمساره النقدي الدقيق (لعبت المسألة الكوردية دوراً مهماً في العراق منذ تشكيل هذه الدولة في أوائل العشرينات، ومنذ ذلك التاريخ وحتى منتصف الأربعينيات، ظلت البلاد مسرحاً للاحتجاج المسلح من قبل الكورد، واندلاع الاحتجاجات، وغالباً ما كان ذلك سيئاً منظم. وانتهت "فترة الصمت" التي أعقبت ذلك، والتي استمرت حتى نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، بـ "ثورة البارزاني" جديدة، استمرت تقريباً دون انقطاع من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٧٥. - حملة الأنفال (١٩٨٨-١٩٨٩)، استخدمت خلالها الحكومة العراقية بكثافة الأسلحة الكيماوية ضد السكان المدنيين الكورد. أعقب حرب الخليج عام ١٩٩١ انتفاضة جماهيرية في البلدات الكوردية، والتي تم قمعها بوحشية، مما تسبب في فرار حوالي مليوني كوردي إلى إيران وتركيا. ثم قرر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، بموجب القرار (٦٨٨)، إنشاء منطقة حظر الطيران تضم معظم كوردستان العراق: وكان هذا إنشاء حكم ذاتي بحكم الواقع في المنطقة)^(١).

ثمة ما يفيدنا به هذا القول كثير بما لا يقاس، لأنه يتماشى مع طبيعة الجغرافية العراقية، وكيفية تشكيلها، وداخلها "البركان السياسي" المتشكل بميسمه الكوردي، والذي ينفجر بين الحين والآخر، مهدداً ليس "حدود" العراق وحدها، إنما "شركاؤه" في "إثم" التقسيم والتقسام، بمقدار ما يكون عامل استفزاز وإثارة أعصاب، وإعادة إنتاج مخاوف نفسية مما يجري ويمكن أن يجري دائماً، وهو المزيد من التنازع والتعادي وسفك الدماء، طالما أن المشكلة تستمر تحت رعاية عنف قاسم رسمياً، وهو بركان تنشطه تربته السياسية، والعناصر الضاغطة عليه.

إنما في الوقت نفسه، يسمح لنا قول كهذا، وكمتابع أثري لحدث انفجاري واستثنائي، إن جاز التعبير، بمقاربة متعددة الجوانب، لهذا التاريخ المستحدث لجغرافية مستحدثة بالتوازي، تجاوباً مع خلطة مصالح بالغة التأثير في المدى المستقبلي العميق، وقبل كل شيء، في وجدانات المكونات الاجتماعية، وهي في تنوعها المذهبي والديني، لأن هناك استمراراً لآلام "نخر أسنان" هذه المجتمعات

(١)Bozarslan, Hamit: Les Kurdes d'Irak: un conflit en recomposition,Dans Outre-Terre 2006/1 (no 14)

بوزأرسلان، حميد: كورد العراق: صراع في إعادة التشكيل، مجلة "ما وراء الأرض"، ٢٠٠٦-٢، العدد ١٤، مستل انترنتي.

دون إمكانية للخلع أو القلع والمعالجة، طالما أنه أريد لها تصميم من هذا القبيل، وهو ما يبقى الدول التي كانت عرابة التقسيم، ومدبرة الخطط والإشراف والمتابعة إلى هذه اللحظة، بممارسة التحكم في حركية الخلطة هنا وهناك.

وإن ما يجب النظر فيه، في ضوء هذه الشحنة من المتفجرات، والتي تمثل الطريقة التي قدمت بها المنطقة، وكان للكورد النصيب الأوفر من تبعات هذه اللعبة الطويلة الأمد، بتحويلهم إلى "أقليات: تبعاً لبلدانهم المتقاسمة لهم كرهاً طبعاً" وحتى عدم تسمية الأقلية إلا بالطريقة التي تسمح بالنظر إليها من زاوية العطف أو الشفقة، أو المنّة السلطوية، حتى في مثال العراق الذي يشار إليه ببنان تاريخي استثنائي، مقارنة بـ"الأجزاء الأخرى"، هو ضمان معيشة التوترات، والنظر مجدداً، وعلى مدار الساعة، في نسبة من يموتون ضحايا عنف مفعّل سلطوياً، أو يصابون إصابات مختلفة: عضوية ونفسية، وتجذير الكراهيات وتقويتها.

والقانون الوحيد الذي يرقق بها، هو ذلك الذي يغض الطرف عنها، في حالة تعرضها لأي عنف تصفوي، والاكتفاء بعد ذلك ببعض الكلمات المؤسفة وهي متبلة بتعابير تعاطف خلبية، تسخن سريعاً وتعود إلى وضعها الطبيعي سريعاً.

هذا يدفع بنا إلى تأكيد حيوية قول كهذا، وتفعيل أثره في الشفافية اللادعة للنتيجة، وهو (إن وضع الأقلية حرج دائماً بصرف النظر عن الضمانات المستمدة من القانون أو من القوة التي تتمتع بها الأقلية)^(١).

يتأتى هذا القلق من البنية التركيبية للأقلية، في كونها صيرت أقلية، وهي ليست كذلك. لقد هجرت من اسمها، وأحيل بينها جغرافياً، ديموغرافياً، تاريخياً، وبين الأصل الذي هو رحم جبلتها الهويتية المتكاملة العناصر، بمقدار ما جرى تحويلها إلى تأثيم لها من خلال وضعيتها الجديدة، لتكون تحت المراقبة. إن الفضيلة الوحيدة لها، هي أن تلتزم الصمت، أو تخنع عند اللزوم، وتلتزم ولاء طاعة المقسم لها والمتحكّم بها، دون ذلك لا فضيلة للأقلية، بما أن دفعة الاجتثاث كانت معرّزة لهذا المصير المأساوي الجديد، وربما المؤبد، طالما أن الوضع ملزم بتجميده وفق قانون المسيطر أو السلطوي، وهذا من جهته يثير كوامن في بنية الأقلية، كونها مصدر تهديد، وهو ما نتلمسه في نطاق كل أقلية ومن يسوسها ويعنفها.

لهذا، لا بد من المضي بمفهوم الأقلية، وكيف يجري اتخاذها ذريعة للنيل منها، أو القصاص المستمر منها، كما لو أنها ذاكرة الخطيئة المستمرة، كلما رأت السلطة القائمة في نفسها ضعفاً، أو رغبت في ضبط

(١) هوفر، إيريك: المؤمن الصادق "أفكار حول طبيعة الحركات الجماهيرية"، ترجمة: د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي، منشورات كلمة، أبو ظبي، ط ١، ٢٠١٠، ص ٩٥.

الوضع لصالحها، عبر تركيز الأنظار إليها، وتحريكها، ما أمكن، بالصورة التي توجه المشاعر السلبية في محيطها إليها، بوصفها المسئولة عن ذلك، أي لتكون مزكاة الضحية التي يمثّل فيها بين الحين والآخر، تجاوباً مع جهنمية السلطة القائمة وعنف الإداري المتفعل فيها.

إنها السلطة التي تمارس مهامها، كما هي موضوعة، مركّبة، أو موجّهة، وضمن أزمنة وأمكنة معلومة في مكاتب الجهات ذات العلاقة، بالتشارك، أو على انفراد، وعبر عمليات تنسيقية، وعلى قدر الخطورة المقدّرة، أو الأهداف المرسومة.

وهذا يعني إمكان الحديث عن الحدود في مثل هذه الحالة، وكونها اصطناعية بشكل مضاعف: حدود عائدة إلى الذين استقروا فيها بداية، وشكّلوا جماعة اثنية، لها مقوماتها الثقافية والاثنية المميزة لها عن غيرها، وحدود مستقدمة، ومن ثم مفروضة بالقوة على هذه الجماعة بحدودها المرسومة والتي كانت تمثّل ما يشبه "غلاف" كتابها الجغرافي الطبيعي، أو أطلس هويتها في المكان، وفي الحال، وتبعاً للمتوخى السياسي منها، تجبّ ما بعدها من حدود، ويجري إشهار الجديدة، ومن ثم إقرارها بالقوة، واعتبارها لحظة ولادة تاريخ للمكان، وتفكيك لكل قواه السابقة، وإحاقها بمقطورة النظام الذي جرى "تعميده" استيطانياً، استعمارياً، في المكان المعلوم. فالحدود تترافق مع القوة ظهوراً وغياباً.

يا لها من خطورة مهددة بطابعها التوسلومي، هذه الحدود غير المستقر، لمن يعيش على جانبيها، ولا تكف عن إبقاء المنتشرين، حتى على مسافات بعيدة عنها، أي في الداخل، في وضعية توتر وخوف. إنها داخل طنجة بخارية.

ظل الحدود الملتهب:

ربما هوذا ما يمكن النظر فيه، في الخطوة الأخرى التي تلي ما تقدّم؟ أي ظل يعايش هنا، ونحن نميط اللثام أكثر فأكثر عما هو حدودي، طالما أن إمعان النظر فيه، يفضي بنا إلى معرفة الكثير مما ينتظرنا عن الكورد في ثورتهم المعلن عنها آنفاً؟

ثمة ثلاث نقاط يحددها أحد المعنيين بالحدود، وفي عالم اليوم، أكثر من ذي قبل: (الوظيفة الفعلية للحدود أنها تعين الحيز المكاني لممارسة سيادة الدولة. كما تحدد فيها ممارسات موظفيها الذين كلفتهم باحترام سيادتها السياسية والاقتصادية: العسكر والشرطة "شرطة الحدود" ورجال الجمارك. - كذلك تطورت الحدود تبعاً لتغيرات نسب القوة.

- وفي الواقع، لا تظهر الحدود الطبيعية إلا عندما تقترب التسوية الإقليمية لنزاع تمت إجراءاتها سلمياً وبالتراضي، أو تتطابق مع عائق يعتبر من قبل الأطراف المعنية بالأمر مفيداً للتناوب في حراستها للحدود^(١).

ذلك ما ينير معلّم سكنة الجغرافية. لا حدود دون ترسيم أو وضع نقاط تكون مرئية، وهي مرفقة بالحراسة، وفي الحالة المذكورة، تجلب القوة أجهزتها الإيديولوجية: عناصرها الخاصة لجعل الأمن حاملاً هويتها السياسية، وكل ما يعبر عن طابعها الرمزي المادي والمعنوي: جهة من يتولون باسمها توزيع نقاط رصد وحراسة، ورفع علمها عليها.

وبالتأكيد، فإن الحديث عن الدولة، بمفهومها الاجتماعي، لا يأتي عرضاً، لا يكون حيادياً. إنها دولة تتكلم بلسان أشخاص معينين، لهم اعتبارهم على مستوى القوة المسماة تلك، وضمن علاقات قانونية ودستورية موضوعة لهذا الغرض، أي لا تكون دولة واحدة هنا، وهي تحيل حدوداً كهذه إليها، بمقدار ما يكون هناك اتفاق مؤرخ له حول ذلك، وهو الاتفاق الزماني - المكاني، والذي يسهل إدخال مختلف المصالح الأجنبية، وتضم هدر حقوق للأمم وجماعات وتغيبها داخلها.

وبالتالي (تمثل سياسة القوة للوهلة الأولى حالة استثنائية في العلاقات بين الدول على الصعيدين الإقليمي والدولي ولكنها في الواقع ليست كذلك.. القوة هي التي توجه السياسة نحو أهدافها أو تحدد آلياتها أيضاً^(٢)). في الحالة الكوردية، وكما هو الأثر الذي نحاول تعقبه في تداعياته، والتي يعيشها الكورد منذ قرون طويلة، وفي العصر الحديث بصورة أكثر كثافة وانفجاراً بالدلالات وحي الإيحاءات، وأكثر ضغوطاً، وشعوراً بالحرمان الجغرافي من التعايش بسكينة واطمئنان مع أرض الآباء والأجداد المعتبرة، لحساب البقاء رهن العنف الماسح للمكان هذا، والكاسح لسكانه الأصليين "الكورد، كنموذج دائماً هنا"، يكون للاستثناء الذي أشير إليه مقام قاعدة القوة الصلبة والخاصة جداً، للقيام بالتفافات، وتمرير مؤامرات، وشرعنتها، وإجراء عمليات دورية، وعقد مناسبات دورية، وإطلاق أفكار ذات نسب حدودي، لجعل الواقع المستحدث من صلب هذه القوة الناطقة بلسان حال فاضيتها، ووصفها بالقانونية، وكل ذلك ضمن ما يسمى بـ"الأصول البروتوكولية"، وهي لا تعدو أن تكون صفقات لا أكثر، وممارسات جانبية، أو تعهدات دولية الطبع، لجعل المعلن واقعة "طبيعية".

ما أكثر ما عاشه ويعيشه الكورد من معاناة جراء هذه الممارسات العنيفة والسلطوية الماحقة ؟

(١) دوفاي، ألكسندر: الجغرافيا السياسية "جيوبوليتيك"، تعريب: حسين حيدر، عويدات، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص١٠٦-١١٤-١١٥.
(٢) سعيد، د. ابراهيم أحمد: ما بين الجغرافية السياسية ومخاطر الجيوبوليتيك والعولمة، دار الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠٦، ص١٩٠.

(عندما ننظر بصورة عامة في وضع الحدود بين الدول، يتبين لنا كيف أنها تتضح بجلاء، وهي مع الزمن تزداد تثبيتاً، من خلال الجبال والأحجار، وحتى النقاط المتناهية الصغر والواقعة على الحدود، وقد أصبحت محمية في المائة سنة الأخيرة ومراقبة أكثر فأكثر.

من جانب آخر، نجد كيف أن حدود الدول والامبراطوريات، تمتد حتى النقاط التي تمكّنها قوتها من بلوغها. وفي الأزمنة والعهود السالفة، وانطلاقاً من الغزوات المعتمّدة، كانت الحدود تتعرض للتغيير في أوقات قصيرة ومتقاربة.

وكانت الارتباطات تزداد أكثر مع الجغرافيا، تجاوباً مع عدد السكان والقوة المتزايدتين، ولهذا فإنه انطلاقاً من حماية الجغرافيا حيث عاش فيها، هذا الشعب آلاف السنين، أو من خلال الهدف الممتلك للجغرافيا الجديدة هذه، كانت الحروب التي تشتعل بالنيابة عنه طاحنة، وتلك الأشكال من الكفاح الذي كان يتم باسم جغرافيا مسمّاة علناً، كانت تضيء على المكان والسكن مع الزمن قيمة محسوبة، تجاوباً مع قيم تاريخية تعني الجغرافيا، لتتضح مع الزمن حدود الأمم والشعوب وتخوماتها، بإحداثياتها الأرضية تدريجياً^(١).

وتأكيداً على المقام العالي والمنتفخ للحدود، وفي العصر الحديث، حيث حصلت أكبر تقسيم جغرافي، وإداري، واثني، وثقافي حدودياً، على مستوى العالم، وفي الشرق الأوسط بصورة خاصة، وعلى الصعيد الكوردي، بمثابة ورقة النعي لأملهم في بناء كيان سياسي يحمل اسمهم كوردستانياً، وعلى خلفية من الحرب العالمية الأولى، التي جاءت "شقيقتها" الثانية تفعيلاً لأثرها، وتعميقاً لمأثرة القوة الدولية، و"عولمتها" إيديولوجياً وقتذاك. نلاحظ مدى الاهتمام بما هو حدودي، ليس من باب الفضول المعرفي، وإنما لتجلي الأدوار الحدودية، وتداخلها بما هو سياسي واستراتيجي.

من ذلك، ما أسهم فيه الدكتور نجاة عبدالله، في عمل جغرافي - تاريخي، ومن منطلق حدودي، وهو يسلط الضوء على الحدود تاريخياً وصولاً إلى اللحظة التاريخية التي فعلت الحدود السياسية فعلها في تمزيق الكورد مع إطلالة عام ١٩٣٢: (يوضح ترسيم أية حدود، الحدود المحيطة بمنطقة معينة من الأرض، وغالباً ما تكون تلك الحدود خطأً مرسوماً، يصبح واقعاً بعد التوقيع على معاهدة ما، ويتم الاعتراف بها دولياً. وتفرّق الحدود دولتين ذاتي سيادة على الأرض التي تحتويانها، وتقييمان عليها كلّ على حدة. ويقدم المفهوم كما تقدّم المفردة ماذا تعني الحدود بين دولتين..)^(٢).

(١) يلدرم، أصليخان: كوردستان والحدود في القرن العشرين، ترجمة وتقديم وتعليق: ابراهيم محمود، مراجعة وتدقيق الدكتور عبدالفتاح علي البوتاني، منشورات الأكاديمية الكوردية، أربيل، ١، ٢٠١٦، ص ٢٥. الطبعة الكوردية، منشورات آزاد، لندن، ١، ٢٠١٣.

(٢) عبدالله، د. نجاة: الإمبراطوريات، الحدود والقبائل الكوردية: كوردستان ونزاع الحدود التركي - الإيراني ١٨٤٣-١٩٣٢، ترجمة: د. سعاد محمد خضر، تقديم: إبراهيم محمود، منشورات بنكةي زين، السليمانية، ٢٠٢٠، ص ٢٤٥.

لتكون الحرب العالمية ولادة الحدود "المصطنعة" الكبرى وبالأعلى الكورد وجغرافيتهم، صعوداً إلى تثبيتها: (وجاءت الحرب العالمية الأولى لتكون مبدأً أساسياً في ذلك التغيير الكبير في جغرافية المنطقة وخرائطها. كما كان الخط الحدودي التركي - الإيراني وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى الخط الحدودي الوحيد بين الدولتين الموجودتين في الشرق الأوسط...

والنزاع التركي - العراقي الذي يتحمل الانكليز مسئوليته لم يكن سوى قضية إلحاق كورد ولاية الموصل بالدولة العراقية الجديدة. وبعد أن نجحت الدبلوماسية الانكليزية بإلحاق الكورد بالعراق (١٩٢٦) تم تثبيت الحدود التركية العراقية، وظلت حتى اليوم بدون أي تغيير...

وفيما بعد، وبعد سنوات من المفاوضات، توقفت تركيا وإيران عن استخدام "الورقة الكوردية"، وقررتا التعاون العسكري لأن الدولتين المعنيتين كانتا تعيشان الكابوس نفسه، أي وجود الكورد على أراضيها، واخيراً تم تثبيت الحدود التركية - السورية في ١٩٣٠، والحدود التركية - الإيرانية في ١٩٣٢، وبشكل نهائي. ومنذ ذلك التاريخ تم تقسيم كردستان، وأصبح كورد تركيا يدعون (أتراك الجبل) وفي إيران بقوا كما في السابق إيرانيين، وفي سوريا (بعضهم سوريين بلدون جنسية)، وفي العراق (سكان شمال العراق). هكذا قطعت ووزعت أشلاء شعب كبير وأصيل وهو الشعب الكوردي الذي يعدُّ أحد الشعوب الأربعة الكبيرة التي استوطنت الشرق الأوسط منذ أزمنة سحيقة^(١).

يتعقب عبدالله منطلق السائد والمتحول حدودياً تاريخياً، وفي العصر الحديث، بامتياز، نظراً لطبيعة التموضعات الجغرافية المسيسة، ومتوارثاتها الرمزية، بالنسبة للدول ذات النفوذ العالمي، ولعبة التقسيمات الجغرافية، وممارسة الخطط الهادفة إلى تحقيق الحد الأقصى من ديمومة قواها الجهوية، إلى جانب استمرارية مديونية الدول التي لها عليها فضل تاريخي، سياسي، مستقبلي بعيد المدى، كأعطيات مدفوعة بالمقابل طبعاً، كما في الحالة الكوردية، وتبعاً للرهان المعقود.

فلا تعود الحدود مجرد خطوط مرئية، وبطريقة معينة على الأرض، وإنما شبكة علاقات، تحمل دلالات وتمرر إشارات خارجاً وداخلاً، بمقدار ما تمثل الخطاب المكاني النافذ الأثر سلباً وإيجاباً في ذاكرات المقيمين في المكان، وما يترتب على كل ذلك من تلوينات مشاعر، وتوجيه أفكار، وتنشيط مخيلات على تماس مباشر بهذا المستجد البغيض أو المفروض.

إنها السياسة الأحدث التي أفرزتها سياسة أقدم استعمارية كانت، لتكون هناك ما وراء استعمارية ومصطلحتها، وعن بعد.

الحدود، بالطريقة المرسومة، لا تتوقف عن إرسال تلك الإشارات ذات الطبيعة اللوجستية الممررة، والتي تكون من ناحية: إنذارية، وعلى قدر وطأتها، إلى الذين يرفضون واقعاً استبدادياً واحتوائياً من

(١) نجاة عبدالله (الدكتور)، المصدر السابق، ص ٥٨٦.

هذا القبيل، ومن ناحية أخرى: افتخارية، حين تعبر عن جانب الهيبة والاقترار والتمايز، وحتى القدسية المعطاة للمكان، بجعله أرض آباء من تمكنوا من حيازتها بالقوة، أرض أجدادهم، اعتماداً على نصوص مؤلفة من جهتها، لتطويب المكان ونفيه عن أهله حال من تقاسموا كوردستان.

والمدقق في الخريطة السياسية لحدود كهذه، ومن هم الذين أسهموا في اقتسام غنائمهم حقيقةً، يتلمس في الحال مثل هذه المخاوف التي تتناسب طردافاً مع نوعية القوة الممارسة، وشعوراً بأن هناك ما لم يكن "طبيعياً".

نلاحظ، مثلاً، وتبعاً للجهة الكوردستانية، كيف تدار القوة، وتتم المتابعة، والاهتمام بأي مستجد في الجهات الأخرى، وهي علامة فارقة، ومفارقة كبرى في الآن عينه، على أن الأقلية التي يشار إليها، وهي "الكوردية" لا تنفصل، كعضو بيو - جغرافي، عن الجسد التضاريسي العام، الجسد الجغرافي الفعلي، لما هو كوردي.

وثمة درس بليغ في الحالة التركية، وعمق مخاوفها في هذا الصدد، وتجاه مستجدات الوضع في العراق.

بالتوازي مع ما تقدم، ألم يقل مهندس مستقبل تركيا أحمد داود أوغلو، الأكاديمي، فالدبلوماسي، ورئيس حزب لاحقاً، ما يشدد على هذه النقطة، ما يبقي العراق بالصورة التي تبقي تركيا كما هي: (يحكم علاقات تركيا مع العراق حالياً أساساً هامان: الأول، أن بقاء العراق كمصدر للإرهاب تجاه تركيا أمر لا يمكن تقبله... أما الثاني، فيتمثل في وجوب حماية الديموغرافيا السياسية في العراق)^(١)؟

نفي للمكان اعتراف به، تخييب لأهل المكان إحضارهم لهم، على خلفية مباشرة بأساليب القوة التي يسهل تبينها بصورة يومية، وبشكل مكشوف، لا بل وفاضح، كما سنرى لاحقاً، من "شيم" الدول التي أحالت الكورد إلى أقليات، ووطنهم إلى صكوك ملكية طبيعية عائدة إلى "شعوبها" وما فيها وبها لها من إيديولوجيات لا تخفي تعاليها الاثني. بالعكس، ذلك لا يتطلب عملية بحث عن أدلة، أو أنظمة علامائية مؤكدة لذلك، بما أن ممارساتها اليومية، وسلوكياتها على مستوى سلطوي، وفي الدوائر ذات العلاقة "الأمنية - القضائية" هي التي تعري حقيقتها هذه ذاتياً.

ليس هناك من خيار لإبقاء الوضع على ما هو عليه، انطلاقاً من تقديرات قائمة، وتحت وطأة يقين أن التلويح بالقوة خير ضمان لإضعاف ذاكرة المكان، وتشتيت قوى المكان، بمفهومها الكوردي، وإضعاف عزيمتهم وصلتهم بمطالبهم.

(١) أوغلو، أحمد داود: العمق الاستراتيجي "موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل - مراجعة: بشير نافع وبرهان كوروغلو، الدار العربية للعلوم، مركز الجزيرة للدراسات، بيروت- الدوحة، ط١، ٢٠١٠، ص٦٢١. الطبعة التركية، ٢٠٠١.

ثمة ما يستحق التوقف عنده، ولأهميته الأيولوجية، إن جاز التوصيف، ولو لبعض الوقت، ومن قبل باحث في هذا المقام المضطرب: (كانت تركيا تعيش بين مد وجزر في علاقاتها مع العراق وكورد العراق: العلاقة والتخوف من التقسيم....

تبعاً لمحمد علي بيراند كما كتب أوائل ٢٠٠٢: إن تركيا كانت لتلعب دوراً أكثر فاعلية لو فتحت ذراعيها للكورد العراقيين ليندمجوا مع مواطنينا من الكورد بدلاً من خلق هاجس الخوف منهم، وكان بإمكان تركيا المساعدة في تأسيس كوردستان مستقلة في "شمال العراق" وكان من شأن الخطوة هذه أن يجذب الكورد إلى تركيا أكثر من التهديد بالسلح^(٢).

قول هو قولان، في ثنائيته المضمرة، وهما وجهان لعملة واحدة، لتبيان "مأثرة" نظام لا يكف عن إبراز مخاوفه، وهو يبثها في الذين يكون على "قناعة" داخلية، أنه استبد بهم، وأنه لا يستطيع غض النظر عن مقاومته الدورية لاستبداده به: في القول الأول، ما يمتد محيطياً، على جانبي الحدود. حدود واحدة، وحدود ثنائية، بالصورة المفصح عنها. إنها شراكة لصوعية تاريخية واستعمارية، تخص رأسماً لا يحول بقيمته الرمزية لصالح هذا النظام أو مقابله، عندما تتصرف تركيا، وكما هو عائدها النفسي المستدام، بإبقاء حالة التلويح بالقوة الضاربة مسعاها اليتيم، ضد أي تحرك "أقروي" كوردي على حدودها المزعومة، وفي أي جهة تعتبرها تهديداً لتلك الحدود، والعراق عقدة مخاوفها المعلومة.

في القول الثاني، بمقدار ما يمكن تثمين عملية الممارسة السياسية المنفتحة، والتي تتم فيها انعطافة تاريخية معكوسة، تشكل وضعية "برء" تاريخية نفسية، لهذه الدولة من عقدها الأتاتوركية - العثمانية أساساً، ورفع سقف العلاقة الأكثر سوية مع ما هو كوردي داخلها وخارجها. إن الدماء المراقبة، وكلف الضحايا، والخسائر المستمرة في هذا المضمار، أكثر من شهود عيان على أن فهم التاريخ، ومفاجآت التاريخ، وحتى الجغرافية كمفهوم حي، مغيب في الحافظة التركية.

بالأسلوب هذا، ومكاشفة لحقيقة أمره، لا تكف القوة الاستعراضية، وهي القائمة على "كبسولة" مخاوف مغروسة في اللاوعي السياسي لهذا النظام الانضباطي الصارم، عن كونها قوة، إلا متى تم التخلي عن النظر إلى الضعف المرسوم، بوصفه ضعفاً: ضعف الكوردي مقابل قوة المستبد به، أو مقسمه. إنها علاقة جدلية تبلبل الزمان والمكان نفسيهما.

وإذا أريد لهذه الجدلية أن تزداد تنويراً، ففي محاولة تفكيك سريعة لمكوّنها الرئيس، إنه المكون الذي يعبر عن نفسه من خلال من دشّنه وأعلنه، بوضعية سيادية محكومة بالإغلاق على الذات، والدخول في حساب جارٍ لتاريخ، بمقدار ما يجري تدوينه، أو يلي من شأنه كتابة وسماً: في الإعلام، ومختلف أروقة هذا

(٢) بتروسيان، وهرام: سياسة تركيا تجاه كوردستان العراق وأمريكا ١٩٩١-٢٠٠٣، ترجمه عن الفارسية نزار أيوب كولي، مركز الدراسات الكوردية وحفظ الوثائق، جامعة دهوك، ط ١، ٢٠٠٨، ص ١٣-٧١.

النظام أو نظيره طبعاً، حيث إن طبيعة التفاعل بين طرفي العلاقة هذه من النوعية التصادية لا التلاحمية، التنافرية لا التضافية، لأن الأول، والذي فُجّر علاقة كهذه، يستهدف الآخر، كامتياز طبيعي، وربما "إلهي" له، في التصرف به جسداً وروحاً، كما يقول إعلامه، وكما يقول جل خبرائه الأكاديميين أو المعتبرين مفكره المتقدمين في المجتمع. وجمهرة مستشاريه العسكريين، بينما الآخر، ليس كما يظن، وكما هو المرئي واقعاً، إنه التمثيل القائم والمستمر في الوجود، لشعب "أقلوي" قسراً، وهو كامل واقعاً.

ظل الكرة العراقية:

يا لها من كرة كبيرة، سريعة، ساخنة، متحركة على مدار الساعة. إنها من حيث التقدير والتوصيف الفعلين، ساعة "بيك بينغ" والتي تسمى كل لحظة ومجريات الواقع فيها. والعراق منذ نشأته المعلن عنها حديثاً قبل قرن من الزمان، شاهد ذلك.

إن الكم الهائل من الكتابات، وبتنوع درجاتها أو علاماتها بالمقابل، وجهاتها التي تقف وراءها، أو تروج لها بلغات شتى، هو الذي يوطد في أذهاننا هذا اليقين الخبري الموصول بالواقع الأم، والذي يبقى الكوردي أكثر من "فاعل مرفوع" تاريخياً، إن جاز توصيف كهذا، وفي تجليات أساليب السلطة في العراق، وبمداها التاريخي الطويل صواب ذلك.

يقول أحد المهتمين المتميزين بشأن العراق المدرك في تعضلات العضوية والسياسية: العراق كدولة، والعراق كثقافة، والعراق كإيديولوجية، ومن زاوية ثقافية ذات مسحة صحافية لافتة، ما يشبه الخلاصة لتاريخ مديد، محتقن قيمياً، وملغوم، وماض من هاوية إلى أخرى (والحال أن العراق، منذ قيامه في ١٩٢٠-١٩٢١، فشل في أن يكون وطناً للكورد.... من خلال التآمر على الكورد في اتفاقية الجزائر في ٦ آذار ١٩٧٥: راح الحبل يقترب من عنق الكورد، في الاتفاقية التي ارتكبتها مجرمون كثرون: بدءاً من الرئيس المصري حتى المنفذين المباشرين شاه إيران وصادم حسين، والمشارك في رسمها كيسنجر)^(١).

(١) صاغية، حازم: بعث العراق "سلطة صدام قياماً وحطاماً"، دار الساقى، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص٩٣-٩٩. للمزيد، ينظر فيما أثاره سمير الخيل، في كتابه الصادم بحقائقه: جمهورية الخوف، ترجمة: أحمد رائف، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ط٢.

كما في عن حرب الإبادة ضد الأكراد. ص٦٨.

وبنية مقولة: كل إنسان في العراق تحت المراقبة. ص١٢٢

وهذه الشهادة الميدانية: إن صور الزعماء هي المؤشر للسلطة في منطقة الشرق الأوسط، لكن في العراق البعثي فإن الصور يتم استخدامها بطريقة متباينة تماماً، فهناك رسم ملون كبير لصادم حسين يطل على مدخل كل قرية عراقية، وغالباً ما ينبعث من الصورة ضوء النيون القوي خلال الليل، ويمكن رؤية نموذج لذلك يبلغ ارتفاعه ثلاثين قدماً قرب مركز أو وسط مدينة بغداد، والصور الفوتوغرافية لصادم حسين تزيّف وتزخرف كل حانوت ومدرسة ومركز شرطة وثكنة عسكرية ومبنى عام... ص١٨١.

وصلة السلطة بالأخلاق: تلجأ الحكومات الدكتاتورية والفرديّة إلى العنف عندما تكون سلطتها في موقف يخشى عليها. غير أنه في حالة البعث، فإن العنف لم يعد مجرد عقوبة نهائية تستخدم من وقت لآخر ضد كل معارضة حقيقية. فالبعثيون يخترعون

نلاحظ هنا، أن هذه "الطبخة" السياسية، ولا بد أنها مسمومها في طعامها ومقامها، شركة غير مغفلة من الاسم، طبخة تشهر ما هو إيديولوجي سلطوي، يكون العراق هو "المطبخ" الجغرافي المتهالك والمأخوذ بهوس السلطة، وثمة خارج هو داخل، بذراع عروبوية، أو تأكيد نفوذ شعبي، كما في الجانب المصري، أو الجزائري.

يعني ذلك أن ظل الكوردي لا يمتد على مستوى جغرافيته، فحسب، وأن صوته لا يتمازج مع امتداد هذا الظل التاريخي، ويحاسب كثافة، وتأرجحاً، أو توصيفاً، فقط في نطاق الجغرافية المسيرة والمحورة باسمه، إنما إلى مسافات قصية، أبعد من المرئي نفسه، حين تتم ترجمة حقيقة هذا الظل، وتقييم أو تفسر، أو يجري تداولها، عبر وصلات دعائية، واستخباراتية رفعاً للصيد الشخصي لممثل هذا النظام أو ذاك، وتحت مسمى عروبي ما، والتلويح بـ"إيقونة الوحدة العربية" وأبدية مفهوم "الوطن العربي". دون ذلك ما صلة الرئيس المصري بمستجدات العراق، أو الجزائري بما جرى، إلى كتعبير صارخ عما أشير إليه ؟

نعم، في التاريخ ما يبعث على الأسى، وعند تلقي الدرس الحكيم، وليس المرير وحده منه، وهو في استمراره مدونة تمثيل سلطوية، ومتبوعاتها من أشكال العنف وتداعياته، إنما ثمة ما يبعث على السخرية، لأن هناك متحولاً في التاريخ، كما في الدرس العراقي المتخصص فيما هو كوردي، وإلى هذه اللحظة. فحلق العراق، كنظام قائم، يعيش غصة تاريخ مزمنة !

لنأخذ هذا المثال المرگب، وهو يستدعي ما هو عروبي موجه لصالح نظام غارق في الديماغوجية: (كان الثمن الإنساني لإبقاء الكورد في الدولة العراقية رهيباً... المكاسب التي حصل عليها (٣) ملايين من الفلسطينيين أكبر بكثير من تلك التي حصل عليها (٣٠) مليوناً من الكورد)^(١).

ربما نتلمس في الجانب الأول من الكلام، ذلك التوصيف الموجز، والذي يكشف عن الصورة المأساوية للكورد في العراق، وما عاناه مديداً، جراء استغفالهم أو "استهبالهم" أو اختزالهم، ومن ثم: الاستمرار في الالتفاف عليهم، وبمسوغات كثيرة، تبرع فيها الأنظمة المستبدة. ولا بد أن مثال الفلسطينيين، في الجانب الآخر، وهو لافت طبعاً، ما يمضي بنا هذه المرة إلى خارج "حدود" العراق، واستشراف تلك الذاكرة المعبة بما هو إيديولوجي لدى الفلسطينيين الذين رأوا في حامل النظام العراقي "صدام حسين هنا" القدوة في القومية العربية. لقد شكلوا له "كوبونة" تأمين على الحياة لاحقاً، كما هو

أعداءهم، كما أن العنف وليس التهديد به أصبح من مؤسساتهم ويثير إلى الأبد كل أنواع أجواء الاتهامات والخوف والمشاركة في الجريمة التي هي أهم خصائص دولتهم.. ص ٢٠٧..... الخ
(١) أندرسن، ليام- ستانسفيلد، غاريت: عراق المستقبل "دكتاتورية ديمقراطية أم تقسيم" ؟ مراجعة وتقديم وتعليق: ماجد شبر، دار الوراق، لندن، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٢٩٨-٣٠٦.

الممكن النظر فيه، سوى أن الجاري، كان وخيماً في الحالتين، والمؤسف أن هذا التوقير الاسمي لا زال يمارس صلاحيته هنا وهناك، جهة تسمية "فارس الأمة العربية"، تعبيراً عن وضعية تدجين لما هو نفسي. ها الموقف مما هو كوردي وعراقي، يضيء ما يحيط به، من خلال الحمولة النضالية، كما يظهر، واستمرارية الحركة النابذة لما هو متمركز سلطوياً، حيث الكوردية، كقضية لا تكف عن تحدي النافي لحقيقتها هنا وهناك (وتشكل المسألة الكوردية عنصر توازن إقليمي بين عدد من الدول "وخاصة تركيا وإيران وسورية" المعنية بمعنى التجربة الكوردية ومآلها في العراق، وتدايعات الصراع في تركيا، وكذلك التأثيرات الجانبية لأحوال الكورد في إيران وسوريا والشتات)^(٢).

طبعاً، ومن باب توسيع النطاق الدلالي لقول كهذا، ومن باحث عربي متابع لموضوع معقد كهذا بالتالي، وعبر مركز بحثي له باع طويل في إصدارات كم هائل من الكتب ذات الصلة بما هو قومي عربي، ثمة ما يتوجب قوله، وهو أن تعبيراً كهذا، في رسالة، أو ما يشبه الرسالة إلى الذين يسخرون طامل طاقتهم، أو يشددون في قواهم على ما هو كوردي، وهم في وضعية التقليل، وحتى الاستخفاف لما يصلهم بالكوردي على مستوى الموقع ومن ثم النفوذ في الحراك اليومي السياسي.

ربما يكفي التشديد على عبارة "عنصر التوازن الإقليمي" والوارد في مستهل الاقتباس، ومفخخة المعطى في السجال التاريخي، لتكون إزاء جغرافية علاقات تمد بمؤثراتها في الجهات كافة، أي، ومجدداً، ما يبقى "الأقلية" تاريخاً عائماً، والكورد كشعب حقيقة قائمة في المخيال السياسي الثلاثي لدى دول الجوار: المخيال العربي- الفارسي- والتركي، وهو مخيال مكلف كثيراً لها مادياً ومعنوياً.

نعم، يمكن الحديث عن "سلبيات" الكورد، إن من جهة التنظيم، أو جهة المكون الاثني، أو الفاعل الثقافي، أو طبيعة الأداء السياسية لديهم، أو تقسيماتهم العشائرية ومضاربات القيم ومحسوبياتها لديهم بالترادف، والتمزق الوجداني، ومن ثم العامل اللغوي... الخ، لكن ذلك لا يحول إطلاقاً عن النظر إلى واقعة فارضة نفسها كوردياً، واقعة توجه إصبع الإتهام إلى تركيبة الأنظمة المتقاسمة لهم، قبل غيرها، واعتبارها ذات مسئولية تاريخية وأخلاقية عن نسبة مهمة من هاتيك "السلبيات".

هناك تاريخ طويل يعمق أثر هذه العلاقة المكانية: انتشار الكورد بنضالاتهم المختلفة، وبآلامهم المختلفة. والزمانية: ظهور الكورد في هذا الطرف الجغرافي أو ذاك، أو بالتقابل، أو بنسب معينة من التفاعل وتفعيل الكينونة القومية، من خلال حركة، انتفاضة، أو ثورة تصل ما هو كائن بما كان، بمقدار ما يكشف ذلك عما هو معمول سياسياً بهذا الشأن.

(٢) محفوض، د. عقل سعيد: سوريا وتركيا : الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص٤٠٩.

إنه التاريخ الذي ينفرش بزواية كاملة هنا، ويقرأ كأرشيف بارز للعيان، تحت وطأة سياسات ضالعة في التقسيم.

ثمة تاريخ ماراتوني لملاح، تاريخ صارخ في أصل انبثاقه المتدامي عملياً، يسجل هذا الدفق الاعتباري الجغرافي والسياسي منطقياً؛ (في البنية المتعددة الإثنيات للإمبراطورية العثمانية لم تكن هناك "مشكلة كوردية"، ومع تصميم الجمهورية التركية الوطنية الجديدة على خلق فئة اثنية واحدة "للأتراك"، برزت المشكلة الكوردية... بعد الحرب العالمية الأولى، وبعد أن سيطر البريطانيون على العراق، رأت أنقرة في الكورد أداة للخطط الامبريالية البريطانية... إن وجود ولاءات قبلية وسياسية كوردية عبر الحدود التركية - الإيرانية - العراقية يؤدي إلى خلق مزيد من المشكلات. فالكورد القبليون الناطقون باللهجة الكرمانجية والقاطنون في أقصى الشمال، تحت سيطرة الحزب الديمقراطية الكوردستاني، هم أقرب جغرافياً وثقافياً إلى تركيا منهم إلى إيران)^(١).

من الوارد بمكان قول كهذا، عند تسمية الامبراطورية العثمانية، وضمن مساحة جغرافية واسعة، حيث كان يمكن العثور على أكثر من متنفس اثني معتبر، سوى أن تحويلاً نوعياً، وبعلامة طورانية، يضيق الخناق على المكان والزمان، ولا يعود المتنفس الموسوم قائماً، وهو ما يشكل رد فعل، تأكيداً على استماتة "العضوية" في الدفاع عن نفسها كوردياً.

وفي الجانب الآخر، فإن نقلة مغايرة في التاريخ، تعني نقلة مغايرة في التعامل، والنظرة التبادلية، ومشهدية القوة التي يجري اعتمادها سلطوياً، ولهذا كان هناك ولادة تاريخ من نوع آخر، وهو الذي نتحرك إليه، في مربضه الكوردي.

يعني ذلك أننا في الوضعية هذه، نجد أنفسنا في محيط تاريخي متلاطم الأمواج، وثمره الكثير مما يتردد قوله وسماعه، ثمة الكثير من اللغظ المتوقع في وضع كهذا، ثمة الحديث المعسول عن القيم الإنسانية، إنما هناك التقابل بين حرية مجازة، ومختومة نظامياً، بوصفها الوفرة الروحية الموهوبة للمحرّمين من تهجئة اسمهم في المكان والزمان، وحق لا يقر له قرار، جرّاء التناوب على استخدامه، وعلى أعلى مستوى، بوصفه شهادة حسن سلوك هذا النظام، من هنا كانت اللعبة، أو مفارقات اللعبة في تركيبات قيمة كهذه، أي (الحرية هي الحق في خيارات متناقضة في آن واحد أخيراً)^(١).

وصف، تعبير، تأكيد على براعة التزييف في الممارسة السياسية، وخاصيتها الديماغوجية، هو المائل في الواجهة !

(١) فولر، جراهام "أميري": الجمهورية التركية الجديدة "تركيا كدولة محورية في العالم الإسلامي"، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١٢٣-١٣٧-١٥٧.

(١) أتالي، جاك: معجم القرن الحادي والعشرين، تعريب: يوسف ضومط، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٨٢.

ظل لأكثر من معنى في أكثر من قول:

سنكون هنا في نطاق قائمة مما تردد ويتردد من أقوال حول ما هو كوردي، ويقربنا أكثر مما يشغلنا بحثياً: ذلك أن ما حدث في مطلع ١٩٦١ بالتوقيت العراقي، والتقدير الكوردي: الكوردستاني تصويماً، ومن خلال تشعبات أثر ما حدث على الأرض، وفي الفضاء السياسي العراقي كدولة، وتجاوز الصدى الحدود المرسومة، لم يرتبط بما هو آني، فثمة ما يستمر في التاريخ، ويعزز في سيرورة التاريخ، كما الحال، مع شعوب، جماعات، وأمم كثيرة، وفي وضع كهذا.

وفي صعود إلى التاريخ، أو في الزمن، ثمة ما هو مختلف، يتبلور، وتتم تسميته، حصيلة لأهمية الحدث ذلك.

نحن هنا، إزاء تعبير الفرنسي "الأمد الطويل" والمتعلق بدوام تأثير حدث ماض، لكنه محتفظ بوهج حضوره، كأنها صفة الحضور فيه لا تعرف التوقف، جراء الحمولة الاعتبارية للحدث المرسوم، أي ما يخرج الحدث نفسه من زمانه ومكانه المعلومين، ويوسع في الدائر، ومدى تحركه إلى الأمام (حول مفهوم "الأمد الطويل": فالتاريخ يمر سريعاً، ولكن القوى العميقة التي تصنع التاريخ لا يمكن استكشافها واستكشاف تأثيرها إلا عبر الزمن الطويل)^(٢).

ذلك مهم، قبل كل شيء، للشعوب التي تعيش ندرة حضور فعلية لها في التاريخ، ليكون حدث كهذا، قفزة لها إلى داخله.

أي ما يمنح هذا الشعب أو ذلك، وهو في وضعية من التجزؤ والتمزق، من أي يتحرك بتأثير حي من فعالية الحدث ذلك.

يكتب الإعلامي والباحث المصري محمود زايد، حول هذه الواقعة، ويقدم لنا مادة حية عن رأسمالها القيمي في وسطه، جهة ردود الأفعال، أي بوصف الحادث "ثورة كوردية": (في إحدى الندوات - عندما أخذني الحديث عن ثورة أيلول (سبتمبر) - سألتني عروبي ممتعضاً متهكماً مستخدماً لهجتي المصرية: "إيه ثورة أيلول دي"؟

ثم قرر: "مفيش حاجة اسمها ثورة أيلول".

ثم سأل وهو لا يزال على امتعاضه: "إنت مابتقولش سبتمبر ليه"؟

ثم حكم: "إن ما حدث عبارة عن عمليات إرهابية قام بها انفصاليون تمكن الجيش العراقي من القضاء عليهم وإعادة الأمن والاستتباب للبلاد".

وعندما هممت أن أجيب على أسئلته صاح: "لا تطول شي. ما فيه تفسير غير ما ذكرت".

(٢) التاريخ الجديد "إشراف جاك غودي"، ترجمة وتقديم: د. محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص١١٢.

من جانبي: شكرتُ الحضور في القاعة الذين ردوا على صياحه قائلين له: "لقد قلت ما عندك ولم يقاطعك أحد. دعه يقول ما عنده، فربما يكون لديه ما يقنعنا به ويقنعك".
مع ذلك لم ينته المشهد إلى كل ما كنتُ أتوق إليه؛ إذ لم تكن النهاية على ما يرام عند صاحبنا، الذي تملكه الضجر، وخرج مبرطماً بكلام اعتراضى عندما ضجت القاعة بالتصفيق بعد انتهائي من الإجابة والتوضيح^(١).

هناك أكثر من شارة تاريخية وفكرية في مثل هذه الحالة:

أولاً: هناك ما يضاد هذا الحدث في اسمه وتوصيفه تاريخياً، لحظة تحرّي التاريخ العقائدي الذي بُتَّ في نفوس الذين تفاعلوا مع مجريات الأحداث في المنطقة، ووفي ركاب شعارات عروبية، ومن مصر بالذات.

ثانياً: هناك تأكيد على مدى ترسيخ الحدث المضاد للحدث الكوردي، جهة النظر إلى الآخر، عندما كانت كانت إيديولوجيا العروبة، وعبر مهاميز حزبوية، وعقائدية هدارة في حشد الضمائر والمشاعر ضد أي رأي مغاير.

ثالثاً: وهناك ما يعزز مقولة حالة التأسر بفكرة ثبتت، وأريد لها ثباتاً، ونفي ما عداها، والإيهام بأن استمرارها في ثباتها، هو الضامن الوحيد لأن يكون حاملها محل اعتبار، أي التنفس في قمقم التاريخ المركب لذهن المعاكس ونظيره.

بالطريقة تلك، وإشارة إلى لزوم قول "سبتمبر" بدلاً من قول "أيلول" بتصريفه كوردياً، يكون للثاني طعم الماضي الشاهد على اسم محرر، كما هو مقدّر، في أين تكوينه كوردياً، وتأييد لذاكرة مكانية، بكل احتفائيتها النفسية، كما لو أن الشهر ذاته، وباسمه ذاك، قد تأمّم لحساب المشدّد عليه، رغم أن المقابل الكوردي أساساً، وهو "شورةش Şoreş" هو الذي يمضي بناطقه إلى عالم الكوردي ولغته !

سوى أن ذلك لا يمثّل القاعدة، إذ لا بد من رؤية ما ليس يثبت دائماً، ومن خلال الحدث المأخوذ بعلامته الفارقة عروبياً، وبصورة تدريجية، هنا وهناك، عند انقشاع الوهم. إذ لكم كلّفت عقائديات مسورة ومحمية من خسائر وهزائم في الداخل؟

على خلفية من واقعة الحادث عشر من أيلول ٢٠٠١، حيث ضرب برج التجارة العالميان في نيويورك، تشكلت انعطافة تاريخية في جهات الأرض الأربع، رغم تنامي الأصولية "الإسلامية" بشكل نوعي، قبل ذلك، إنما في عين الوسط ذي الطابع الديني الإسلامي، تنبّهت أصوات إلى خلل كان قائماً في ذهنية المتلقي للحقيقة، يخص وهن العلاقة بالجاري، ليكون هناك سعي حثيث إلى سلوك مغاير لما

(١) زايد، د. محمود: ثورة أيلول في إقليم كردستان العراق في عيون الصحافة المصرية "كتاب جديد عنها في ذكراها الـ(٥٩)",
<https://xeber24.org> ، والمقال منشور بتاريخ ٢٠٢٠/٩/١١.

كان، واستنطاق ما هو رئيس في الواقع، بصدد القضايا المصرية الكبرى، دون إغفال أي حقيقة جانبية، تعبيراً عن فوات أوان كثيراً، كما في مساءلة باحث ومترجم معروف، وهو يقول (لماذا هذا الهوس بالحفر، بالتعرية، بالفضيحة؟ لأن الأرض العربية الإسلامية عطشى للحقيقة)^(١).

ما الذي يتحرك بين هذا الـ "أيلول" الأميركي "حدث ما وراء البحار وذاك الـ"أيلول" الكوردي؟ حدث ما قبل البحار، على صعيد مساءلة الحقيقة وإبرازها؟

ربما يستخف أحدهم، بعملية وصل أو ربط أو تقابل كهذا، سوى أن استنطاقاً لبنية العلاقة، يفصح عن جواز ذلك، ولو بنسبة ما. لقد كان هناك حدث يعبر عن تطلعات شعب كامل، عن صوت مطارد، وعنف معمد، دوري، يقتص منه لبواعث ذاتية وسلطوية، ولتظهر أصوات بلزوم معاينة الحدث كما هو، وليس انطلاقاً من أوهام "كهف" التاريخ، والانسياق إلى مشاعر جانبية، حال حدث "سبتمبر" الأميركي الذي أخرج العام من تصور إلى آخر مغاير له، في نطاق ما هو إرهابي.

وبالتوازي مع مقولة الباحث صالح الداعي إلى البحث عن الحقيقة، هناك من أثر البحث عن الحقيقة خارج أي خانة احتكارية لها.

ذلك يرجعنا إلى مقال زايد واستعراضه لفكرة الكتاب المتعلقة بكيفية تناول ثورة أيلول الكوردية في ١٩٦١ في عيون الصحافة المصرية، ولا بد أنها على غاية من التنوع، نظراً للقاعدة الثقافية الواسعة لها، وتأكيداً على ضرورة تناول الموضوع بترو وتعمق، لأن هناك ما يستأهل ذلك، وكون الموضوع يطرح نفسه مع الزمن باضطراد، بعد مضي عدة عقود على اندلاعها، كما لو أن هناك رغبة في كيفية التعويض، إلى جانب الاعتراف الضمني بوقوع خطأ تاريخي لا بد من التذكير به، لهذا السبب (وبعد الدراسة لحظت في تناول الصحافة المصرية لأحداث ثورة أيلول - منذ اندلاعها وحتى توقفها بعد الغدر الدولي بها سنة ١٩٧٥م - تنوع أساليبها، وتباين صياغاتها مع كل نظام مع الأنظمة العراقية الأربعة (قاسم/العارفان/البكر)، وهذا كان له تفسيره؛ إذ كان مرتبطاً بالمواقف والعلاقات السياسية بين النظامين المصري والعراقي التي لم تقف على حال؛ إذ كانت بين متذبذبة و متنافرة أحياناً، وبين ثابتة ومتعاونة أحياناً أخرى. ومن هنا فإن الوقوف أمام ثورة أيلول من هذه الزاوية بحاجة إلى عدة دراسات أكاديمية لمعالجتها في مراحلها المتعاقبة).

إنه الواجب المعرفي الأول للباحث الذي ينشد الحقيقة، وهو على دراية بصعوبة المهمة، وسط حقل من الأشواك، والتي تعني هنا في الحال، تلك الاعتراضات المتمثلة في استمرارية نسبة لافتة من المواقف لا تزال محافظة على تخندقها.

(١) هاشم صالح: الانسداد التاريخي: لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي؟ دار الساقي، رابطة العقلايين العرب، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص١٣.

وكُلِّي يقين هنا، أن هناك تراكمات هائلة من المملّفات ذات الصلة بمثل هذا الموضوع، تخص مختلف القضايا المحورية التي تكون على تماس مباشر بمفهوم: الوطن، المواطنة، الدولة، السلطة، القانون، الدين، الآخر، الحياة والموت... الخ.

تُرى، في ضوء سلسلة من المفارقات المحسوبة على المعتقد القومي، مكاشفة الوضع الكوردي في العراق، وما كان عليه الحدث الأيلولي حينذاك، من الزاوية التاريخية والاجتماعية والسياسية، وليس من زاوية العقيدة الاختزالية؟

حين يسطر ضابط ذو ذهنية استخباراتية عشرات الصفحات عن المعتبرة حقيقة البارزاني، تجاوباً مع ما كان يطلب منه، وأدمنه من أفكار ملقمة إياه، لحظة الحديث عن انطلاقة البارزاني في أربعينيات القرن الماضي، من نوع (حديث لا يخلو إطلاقاً من سخرية وتهكم وتقزيم أحداث وزعاماتها الكوردية، والبارزاني في الواجهة، ومن خلال استعراض عدة كتب، ص ١٩٠ مثلاً، كما في الحركة البارزانية الثالثة سنة ١٩٤٥: كما رأينا في تاريخه لم يكن يهتم إلا بما يظنه عمل من أعمال البطولة.. ولعل هذا ما دفعه إلى استعراض عضلاته ضد مخافر الشرطة تارة، وضد بعض العشائر تارة أخرى. إلى أن كان ما كان من فرض شخصيته على الحكومة... واعترافها به... وإرسالها أحد وزرائها مفاوضته... الخ)^(١).

ومع ما تفتقت عنه قريحة ضابط استخباراتي، وكاتب سلطوي، وهو هنا فاضل البراك، وهو ينشر كتاباً كاملاً عن البارزاني، مثقلاً بكل ما يخرج عن كونه هو نفسه، ولو بنسبة ضئيلة جداً، في الحسب والنسب والدين والمسلك، ومن خلاله، أو انطلاقاً منه، ليمارس ذلك التزييف بما هو كوردي. أليس لأن هناك توجهاً سلطوياً يعزز فيه بذلك؟ أو هو نفسه من خلال طقوس التلقي المستدامة يعيش نفاذ الرغبة الضاربة في روحه، مأهولاً بسطوته، وقد وجّهت إلى الخارج، رغم أنه من جهة التحصيل العلمي، أكاديمي، ومتخرج في "الاتحاد السوفيتي"^(١).

(١) الغمراوي، عقيد أ. ح أمين سامي: قصة الكورد في شمال العراق، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١، نيسان ١٩٦٧، ص ٢١٢، ويقرأ، الباب الثاني: البارزانيون على المسرح، ص ١٨٧، وما بعد.

(١) ينظر، د. فاضل البراك: مصطفى البارزاني: الأسطورة والحقيقة، بغداد، ١٩٨٩. وحديثه المزعوم، عن لزوم التقيد بالأمانة العلمية... وجوانب من شخصية البارزاني وسيرته، بدءاً من عام ١٩٤٣: ص ٩٦-٦١ - وثنائه على قيادته البعثية ص ١٨٥. أنوّه بالمقابل، ومن باب المكاشفة لما كان يجري في "مجتمع" البراك، ما ذهبت إليه الباحثة علياء الجبوري، في مقالها: صدام حسين: دكتاتورية عراقية، تاريخ ٣٥ عاماً من "الدكتاتورية على الطريقة العراقية"، وهي تتحدث في صلب مقالها هذا عن "أدوات الدكتاتورية"، كما في (اعتمد الدكتاتور العراقي بشكل كبير على النماذج السوفيتية والنازية للحفاظ على السيطرة على العراق... والدعاية هي بالطبع أداة للسيطرة على السكان ، فهي تستخدمها من خلال الأفلام في مجدها وإنما أيضاً المسرحيات. يستخدم جميع وسائل الإعلام ويراقب الصحافة. ويفضل نظام الرعب الأعمى يحافظ على جو من الشك والخوف يشل الخصوم. وليس النظام رسمياً هو الذي يلجأ إلى استخدام العنف ، إنما حزب البعث هو الذي يمارس دوراً نشطاً للغاية بفضل التشكيلات شبه العسكرية الموالية تماماً لسلطة صدام حسين هذه. ينظر في أصل المقال بالفرنسية:

-Alia Al Jiboury: Saddam Hussein: une Dictature à l'irakienne, www.irenees.net

وما يمكن أن يقال، ويتأكد عنصر المفارقة بسمائها الذهنية المائزة، في شخصية فكرية فلسفية معتبرة حديثاً، وكيفية تجاهل الكورد كشعب، وكقومية، أي ميثم الجنابي، وهو مؤلف أعمال بحثية وفلسفية لافتة بموضوعاتها. ما المستجد هنا ؟

أي ما يحيل بالفكر الرصين تسمية، إلى مسقط الفكر المهين مهبطاً، جراء الترجمة الواضحة السمات لتلك الروح المعززة بفوييا الآخر: الكورد وكابوس المسمى في الواقع، فلا يعرف لهذا الفكر المزكي فلسفياً، إلا ما يثير غرابة في بنيته حضوراً.

ينظر في هذين المقتبسين مثلاً: (لقد كان "انتخاب" الطالباني تكريساً للطائفية السياسية... وإن الحركات القومية الكوردية بشقيها الطالبانية والبارزانية هي حركات مستعدة لقبول أردأ أصناف الانحطاط بما في ذلك الانحطاط الطائفي)^(٢).

وما يخص هذا المقتبس الوارد في مؤلف آخر، وقد نشر بعد سالفه، وهو عبارة عن حوارات معه: (أما الكورد، فإنهم "الأقلية" الوحيدة في العراق. حديثة التكون بمعايير الدولة والقومية، وضعيفة من حيث مكوناتها التاريخية والثقافية... و: حالة الكورد أنهم معشر وليس قومياً ولا شعباً ولا قومية ولا أمة.. بسبب توزعهم)^(٣).

ثمّة عدو مضخم وموّلّف في الخارج، بالمفهوم الطردي للاسم المستفز: الكوردي ! لهذا ربما كان السؤال الأكثر جدارة بالطرح في المثال الأول، هو: تبعاً لأي تصور، أطلق للسان قوله العنان، وما ورد في مختتم الشق الثاني، بخصوص الموقف من الطالبانية والبارزانية، ودلالة التوصيف المتأدلجة هذه ؟

إنه النظر إلى الآخر، وهو أكثر من كونه ابن البلد، وباني البلد، هو ابن المكان، وسليل تاريخه الخاص واقعاً، على أنه الغريب المشكوك في أمره، أو المعرض للشبهة، كما لو أن الذي أورثه عراق المتفلسف من طائفيات متناحرة ومنتقاتلة ومكفّرة لبعضها بعضاً، معهود به إلى "الثنائي الكوردي. أم تراها عقدة العاجز عن رؤية الخلل البنيوي، وما يدفع بالمفكر تقديراً، لأن يكون في أصالة تفكيره المرئية امتداداً لما هو ميليشياوي، ونافذ الأثر في القرطاس الفكري بالطريقة هذه ؟

ليس لدى الجنابي، وهو المتربص بممثل الطائفية، على حد تعبيره، ما يقطع شك الجاري، وهو في تداعيه، بيقين مؤهل لأن يصغى إليه، من خلال أطروحة فكرية مأخوذة من الواقع العراقي، وبعيداً عن فوييا الكوردية في مخياله البحثي.

(٢) الجنابي، ميثم: أشجان وأوزان الهوية العراقية، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٧١-٧٢.
(٣) الجنابي، ميثم: العراق حوار البدائل، حاوره وقدم له: مازن لطيف، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٠٠.

كما لو أن الماضي الكوردي القريب، في لحظته الأيلولية المتولدة تاريخياً، لازال يثير فيه تلك المشاعر المثقلة بالهاجسية والطنية، وكأن العراق في مبتداه ما كان له أن ينتهي إلى ما انتهى إليه، لولا هذا الكوردي "الطاريء" في تاريخه.

الأمر الذي يبرر له بالمعطى النفسي، أن ينزع عن الكوردي كل ما يبقيه جديراً بالاعتراف به، وليكون تحت مراقبته !

لعل تفكيراً كهذا، يعزز موقعه البداوتي، بصورة لافتة، على وفُع هذا التعبير الطارد، وما في ذلك، جهة السلوك الاندفاعي من صلف وعجرفة وتفاخر، وبذلك يكون السوسولوجي العراقي الكبير علي الوردي محقاً في هذا المقام، وبعد متابعة متأنية لطبيعة المجتمع العراقي، ولا بد أن اكتشاه كان مبعث خوف لديه نظراً لجسامة المكتشف (...الواقع أن "المد البدوي" طالما راود المجتمع العراقي - مرة بعد مرة - خلال عصور التاريخ، فهو يأتيه تارة وينزاح عنه تارة أخرى ويرجع السبب في ذلك على الأكثر إلى كون الصحراء التي تتاخم العراق هي من أعظم منابع البداوة في العالم - إن لم تكن أعظمها على الإطلاق)^(١).

المفهوم البدوي، كما هو مقدّم هنا، في توصيف الفكر، يخرج عن نطاقه البيئي، ويصبح في عملية استدعائه علامة فارعة، وفارقة، تميز من هو في داخله يتشكل نفسانياً بالطريقة هذه، وليس لأن الناطق بطريقة كهذه، هو امتداد لذلك البدوي في الصحراء، إنما يعيش البدوي الذي يلقي تبعات تيهه على مجهول ما، أو أي كان، لأنه لا يفلح في الاهتداء إلى الخارج.

تُرى، بالتوازي مع الجنائي وسابقه، كيف يمكن تصنيف رجل بحث وسياسة معاً هو حسن العلوي، حين يقول (لما كان العرب والكورد شركاء في هذا الوطن يتقاسمون غرمه وغنمه، فإننا نرى أن لإخواننا الكورد حقاً في التمتع بحقوقهم المشروعة وذلك عملاً بالإدارة اللامركزية ضمن الوحدة العراقية)^(٢).

ليس المقصد هنا الدخول في أي عملية سجال، وإنما محاول تبيين بنية التفكير الذي يتكون داخل هذا الباحث أو خلفه، وكيف تكون صورة الخريطة السياسية للعراق، وما هي إحداثياتها، وما هم الذين في مقدورهم تمثيلها وكيف ؟
طبعاً، لأن سخونة الساحة هذه، هي التي تتطلب تروياً، ورباطة جأش، لمعرفة الحقيقة، بعيداً عن أي اتهام يزيد الطين بلة.

(١) الوردي، د. علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٥، ص١٩.

(٢) العلوي، حسن: الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، دار الثقافة، قم، إيران. د.ت، ص٣٥٧.

أم ترى ما يجري، يمتلك الكثير من عناصر الغواية في ميسمها النفسي العميق والجارف، ويمتلك القوة الجارفة التي لا يعود المسكون بها قادراً على معاينة هذه الغواية ومقتلها، إن من جهة المكون الثقافي، أو من جهة السلوك المتداخل معه؟

لنقف لبعض الوقت، وضمن مساحة ورقية أكثر عند نموذج بحثي، وهو عراقي، يتعرض للمسألة الكوردية، في نطاقها الزمني الأكثر ضراماً، وقد نشر كتابه قبل أكثر من ثلاثة عقود زمنية، أي كتاب الأكاديمي سعد ناجي جواد، وهو يضع مراحل لـ"الثورة الكوردية"، حيث وضعها داخل مزدوجتين من لدنه، وهو يسلسل رؤيته التاريخية للحدث ذاك^(١): ما يستهل به كلامه هنا، منوهاً إلى عثرة التاريخ السياسي، أو حتى سقطته، أو ما يمكن أن يكون مضروب السلطة بالذات، على صعيد إدارة المجتمع بالطريقة التي تسهم في بنائه، واستمراريته دون تلكؤ بالمقابل. إذ إن السؤال المطروح هنا، هو: لماذا برزت هذه الحالة التي سنأتي على ذكرها، وهي باعثة على التفاؤل، لتصبح باعثاً على التشاؤم والإحباط كذلك؟

(إن الحالة الديمقراطية النسبية التي سادت في العراق خلال العام الأول من الثورة (حكومة عسكرية مع حرية في التعليقات العلنية) بدأت تتحول بالتدريج إلى دكتاتورية عسكرية. ص ٥١).

أليس هذا التعبير، وهو أكثر من كونه وصفيًا، إنه تشخيص مخبري، يعني أن الحاصل بسلبيته دشّن للتالي وهو يزداد سوءاً؟

هل تراه الكاتب يمارس تمثيلاً جانبياً للذين يعتبرهم الجنائي، وخلافه، أقلية، أو من معيقي بناء مجتمعه العراقي؟

ربما أمكن القول هنا، أنه من منظور تثبيت فكرة الأقلية وتهويلها، يصبح الآخر مضحى به، على وُقع الصورة المتعاضمة للذات القائمة، ليتحول الفكر الناظر، في السياق العلائقي إلى مستفزع أمر نفسه، دون أن يكون لديه المجال الحي لكي يتبصر وهم ما تخيله أو تعامل معه، لنكون إزاء فعل تضخيم وتقزيم في آن.

كيف يمرحل الباحث "الثورة الكوردية"؟

أختصر هذه النقطة: (كان للحرب في كوردستان العراق أسباب مختلفة. فبعد أن بدأت كقتال بين عشائر متخاصمة، مرت بعدد من المراحل قبل أن تصل إلى مستوى "ثورة" ضمت كل عناصر الحركة القومية الكوردية. وهكذا كانت النتيجة خليطاً مرتبكاً وغريباً من الفئات العشائرية، والعقائدية وعناصر أخرى تحوم بين هذه الفئة وتلك. كما ذكر سابقاً أنه في عام ١٩٦٠ أصبح نظام قاسم يمثل

(١) جواد، د. سعد ناجي: العراق والمسألة الكوردية ١٩٥٨-١٩٧٠، دار اللام، لندن، ١٩٩٠، حيث إن أرقام الصفحات وردت في المتن من باب الإيجاز طبعاً.

تهديداً لكل الجماعات الكوردية، فقد كان الملاكون مهددين بفقدان أراضيهم بسبب تطبيق قانون الإصلاح الزراعي والبارزانيون وزعيمهم فقدوا حظوتهم لدى قاسم في حين أن المطاردة أصبحت مصير أعضاء الحزب الديمقراطي الكوردستاني. (ص ٥٨).

هنا لا نجد كيل مديح، كما هو مقروء القول، إنما هو المضي إلى داخل المجتمع، وتسمية ما هو اقتصادي واجتماعي وسياسي في آن.

وثمة: أهداف "الثورة الكوردية": (بوجه عام، كانت أهداف الكورد تتراوح من الحكم الذاتي إلى ضمان الاعتراف بحقهم في كيان قومي منفصل وبدون إخفاء حقهم النهائي في تحقيق الاستقلال التام. إن الرغبة في شكل ما من الحكم الذاتي هي ذات جذور عميقة جداً في التاريخ الكوردي، وتعود إلى ما قبل القرن بزمان طويل جداً. ص ٦٦).

رجل البحث والمعرفة لا يعتمد على أي توصيف استفزازي، أو محاولة سخرية من الآخر، أو تقليل من فعالية الذات الناضجة إلى الموضوع، إنما هو استشراق لتاريخ، لا أظنه بمغيب، لمن لديه إرادة النظر في مكونه.

وما نراه في "الفصل التاسع"، والمعنون بـ"المجتمع الدولي والحركة القومية الكوردية": (بشكل عام، كانت المشكلة الكوردية والفشل في إيجاد حل سلمي ودائم لها مصدراً لضعف الحكومات العراقية المتعاقبة، وفضلاً عن ذلك، فإن الجهات المعادية للعراق وجدت فرصة مناسبة في استغلال هذه المشكلة المزمنة من أجل الضغوط على العراق أو من أجل إبقاء قدراته ضعيفة مشتتة. ص ١٧٢).

تلك نقطة أخرى تضاف إلى سلسلة النقاط التي تعزز من مكان البحث في تاريخ كان، ويمتد إلينا بالمقابل، وما فيه من اختلال توازن.

وما هو فارض نفسه، جهة "موقف تركيا وإيران": (نظراً لأن كل من تركيا وإيران تتقاسمان كل بقية (كوردستان الكبرى) تقريباً، وتحتويان مع العراق، على الأغلبية العظمى من السكان الكورد، فإنهما كانتا الدولتين المعنيتين بشكل أكثر مباشرة بالمسألة الكوردية. وكانت الدولتان قد شعرتا أيضاً بتأثير الحركات القومية الكوردية، وأدركتا أن تمرداً من قبل الكورد في أي بلد منهما من شأنه تحفيز الحركة بين نظرائهم في القطرين الآخرين. ص ١٧٨).

بعيداً عن أعمال فكرة دسيسة، أو الارتكاز إلى صيغة تأمرية وسواها، يمارس تقييماً لمكانة الدولتين، ودورهما في كل حدث يجري في العراق، وهو كوردي، وردود أفعالهما، كونهما معنيتين بالجاري، دون أي حمولة إيديولوجية مباشرة.

وما يصل الباحث بالخاتمة، وهو بيت القصيد بأكثر من معنى: (الكورد هم شعب أصيل ومتميز سكن المنطقة منذ آلاف السنين، وقد جزئوا وأعيدت تجزئتهم خلافاً لإرادتهم عدة مرات في تاريخهم. ص ١٩٩).

ولا بد أن تسمية الكورد بـ"الشعب الأصيل" ليس هبة كراماتية من دون مقابل، أو أعطية تاريخ، أو تزلفاً، إنما معاشية جغرافية قائمة، ورؤية الديموغرافي فيها، وبالطريقة هذه، فإن مسيرة معرفة التاريخ نفسها تغدو أكثر استقامة.

وما نوه إليه، يقبل الدخول في حوار على مستوى العراق بكل مكوناته ودون أي تشنج جانبي: (وإذا نظرنا إلى الحركة الكوردية المسلحة في إطارها الدولي فيمكن الاستنتاج بأنه فيما عدا الدعاية الكبيرة التي قدمت للقضية خارج العراق، فإن الحركة المسلحة أدت إلى جعل القومية الكوردية فريسة للتدخل الأجنبي، كما أدت إلى التدخل الأجنبي في شؤون العراق الداخلية، ولم يقدم هذا التدخل أي شيء إيجابي لمساعدة الكورد على تحقيق أهدافهم القومية. نظراً لأن معظم الدول والأطراف الأجنبية لم تكن مدفوعة إلا بعداؤها للعراق. ولذلك فإنه يبقى من الواضح أنه في ظل الوضع الدولي الراهن تبقى المصالح القومية للكورد العراقيين مرتبطة بالدرجة الرئيسية، في التعاون مع مختلف العناصر التقدمية في البلاد من أجل تحقيق الأهداف الوطنية المشتركة. ص ٢٠٧).

ما الذي يميز أكاديمينا هنا، عن أكاديمينا السالف: الجناي والذي قبله، والذي يفكر بما هو كوردي وفي العراق مثله؟ أي مسلكية أكاديمية أجيّز لها لكتابة كهذه؟ إنه الفارق الكبير بين كون الكوردي من أهل المكان، وأصليه، واعتباره خارجاً وغريباً على المكان، وفي هذه النقطة الخلافية، يمكن الوقوف على الحقيقة المتفجرة والتي تصل بين مختلف شرائح المجتمع العراقي وتوتراتها البينية أيضاً.

ولا بد أن المتعلق بالدستور العراقي الموضوع بعد سقوط نظام صدام، ما يضيء ساحة الحدث هنا: يرى أحد المشاركين في مناقشة الدستور وبنيته الفكرية، وهو ناثن براون، على أن (العراق يمر اليوم بتجربة دستورية غير مسبوقة، نظرياً، في العالم العربي.. ص ٢٩).
طبعاً، لأن مجرد الانكباب على كتابة دستور بطريقة جماعية، يعني إمكان رؤية الآتي بطريقة أسلم^(١).

ولعل الذي أسهب في شرحه ووصفه وتقييمه، وهو المفكر الاجتماعي الراحل فالح عبدالجبار، ما يستوجب التفكير فيه بالمقابل، انطلاقاً من تجربته البحثية والأكاديمية، وقدرته الفذة على التقاط خفايا مجتمعه في مختلف جوانبها، وبصورة خاصة، بالنسبة إلى المقومات الدينية التي تلعب دوراً كبيراً في توجيه مصائر المجتمع هذا^(١).

(١) مآزق الدستور "نقد وتحليل" مجموعة كتاب، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد- بيروت، ط ١، ٢٠٠٦، وقد وردت أرقام صفحات الكتاب في المتن، من باب الإيجاز كذلك.

(١) أشير إلى أهم كتابين له، في هذا المضمار: العمامة والأفندي "سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني"، ترجمة: أمجد حسين، منشورات الجمل، بغداد- بيروت، ٢٠١٠، في قرابة (٦٠٠) صفحة من القطع الكبير.

كيف يتعرض عبدالجبار لفكرة الدستور، وينقّب في جسده الاجتماعي من الداخل متحريراً مدى
سويته ؟

هناك عدة نقاط، يمكن سَلَسَلتها في الداخل: (الانشغال بالدستور في عالم لا دستوري هو واحدة
من مفارقات كثيرة، تتحول إلى برزخ يتسع بين العراق ومحيطه. ص ١٠٧... ثم قلق في العالم العربي حول
عروبة العراق، ولهذا أبعاد شتى، منها ما هو وجيه، وما هو ملتبس، ومنها ما هو
مغرض.. ص ١١٧... داخل العراق: اعتزازنا بوجودنا كأمة لا يجيز لنا أن نلغي حق الأمم الأخرى، خصوصاً
أقرب الأمم إلينا، أعني الأمة الكوردية، في أن تتمتع بحق مماثل. وأجد حرجاً كبيراً في الذود عن حق
الأمة الكوردية في الوحدة، دون احترام حق الغير في وحدة مماثلة.. ص ١٢٠).

على طريقة القائل: أول الغيث القطر، نتلمس المفارقة الصادمة، بشأن الدستور، وكيف يحتضر
وهو لما يزل حبراً على ورق: ما يشغل البال دستورياً، ويثقل على الروح في الواقع لادستورياً. أي كيفية
منادمة ما ليس دستورياً، والكتابة باسمه في الوقت نفسه !

إنها المقاربة الأكثر حدة وتعبيراً عما هو كارثي في البنيان المجتمعي العراقي، وهي الدالة بالتوازي
مع هذا التوصيف، على مقدار الاستخفاف بالدستور كمفهوم، أي ما يجعل له مقام، ليكون هناك تفرد
آخر بالمجتمع ذاته، حيث إن المُعاني من المأزق الوجداني، السياسي، الاجتماعي، والقانوني، هو نفسه
هنا، من ترك بصمة نافرة على واجهة الدستور !

لا سبيل إلى الخروج من النفق المظلم، طالما أن المشتى تنويرياً، هو الاستغراق في التعمية،
والتمهيد مجدداً، للدخول في لعبة الاستهواءات، والتجاذبات المذهبية، والفنوية، و"مَيْلَشَة" كل شيء:
من الفكرة البسيطة إلى أصغر ساحة عراقياً !

وما يضاعف من قيمة السخرية في مجتمع يسخر بعضه من بعض أشد السخرية، وينال بعضه
من بعض قدر ما يستطيع كثيراً، ويمارس بعضه في البعض الآخر أشكالاً شتى من التصفيات والتسفيات
المتبادلة والإيغال في العنف، هو الذي يشكل مبعث الخوف الكبير تجاه الدائر إلى هذه اللحظة. كما لو
أن ما كان، وهو في وضعية تمزق، اكتسب قوة مضاعفة، لجعل التمزق التالي أكثر إيلاماً، ومن ثم الموجة
الثالثة من التمزق الذي يزداد عصفاً وقصفاً في بنية المجتمع.

وفي الديباجة المكتوبة وفيها افتخار بالرافدين، أي ما يصل ما بين الماضي الغابر، والحاضر القائم، وما
يشكل توثيقاً لعلاقات القرى بين مكونات المجتمع، ما يستدعي التدقيق، ومقابلتها بما تقدّم، وتبيين المفارقة
الكبيرة في هذا التقابل: (نحن أبناء وادي الرافدين موطن الأنبياء ومثوى الأئمة الطهار ورواد الحضارة وصناع

كتاب الدولة "اللويثان الجديد"، نقله إلى العربية: فريق ترجمة، منشورات الجمل، بغداد- بيروت، ٢٠١٧، في (٤٣٢) صفحة من
القطع الكبير.

الكتابة ومهد الترقيم، على أرضنا سن أول قانون وضعه الإنسان، وفي وطننا خُط أعرق عهد عادل لسياسة الأوطان، وفوق ترابنا صلى الصحابة الأولياء، ونظّر الفلاسفة والعلماء، وأبدع الأدباء والشعراء.. ووسط مؤازرة عالمية من محبيننا، زحفنا لأول مرة في تاريخنا لصناديق الاقتراع بالملايين، رجالاً ونساءً وشباباً في ٣٠ كانون الثاني سنة ٢٠٠٥، مستذكّرين مواجع القمع الطائفي من قبل الطغمة المستبدة ضد الإلبيّة، ومستلهمين فجائع شهداء العراق شيعة وسنة، عرباً وكورداً، وتركماناً، ومعهم بقية أخوانهم من المكونات جميعها... الخ. ص ٢٩٧).

وفي السياق نفسه، ما يشار به إلى حقوق الإقليم الكوردي، حيث (الاعتراف به وبحقه في وضع دستور له.. ص ٣٨٣).

ذلك يطريّ الروح المعذّبة بالمكان وامتداداته الحيوية، سوى أن ذلك بمثابة الدخول في مصيدة اللعبة التي لا تعدّ أحداً بما هو مستقرّ، في ضوء المعاش.

فكيف يمكن تقدير مثل هذه الإشارات، والتي تكونها قائمة الأمثلة التي تقاسمت فترات زمنية متسلسلة من الحدث الأيلولي الكوردي إلى هذه اللحظة التي تمضي بنا صوب أيلول ٢٠٢١؟ ما المستجد ليستعدّ له، على أنه جدير بأن يطرب له المواطن العراقي، وليس الكوردي وحده، أو يخرج إلى صداته الكوردي مرحباً به، مديراً ظهره إلى ماض كان، ليتهاً لمعانقة زمن آخر، يكون حدثه الأيلولي تأريخاً مسنداً إلى أرشيف يحتفظ به للدرس، وليس زوادة عقائدية متجددة ؟

أي ضمان، يمكن له أن يمنح روح الكوردي هنا نفساً جديداً، ويخفف عنه أوزار تاريخه، وهو يجالس عراقيه بأمان ؟

يقول أحد الباحثين في الشأن الاجتماعي ونظيره: السياسي، ما يدعو إلى انعطافة جغرافية-تأريخية، وإلى ساعة ترقّب ولادة زمن من نوع آخر عراقياً (مما هو مطلوب في نطاق التضامن مع الشعب العراقي: لأجل دعم الشعب الكوردي في نضاله للتحرر القومي ولأجل حقه في تقرير المصير، بما في ذلك حق الانفصال لإقامة دولته الخاصة به)^(١).

في قول واضح الأبعاد كهذا، ثمة مكاشفة للحدث العراقي المستدام بأوجاعه، وتبين آفاته الكبرى، ولا بد أن في تسمية الكورد، ليس من موقع الفضل أو الاعتداد، ما يشدّد به على صواب الخطوة الموزونة هي، وهي النظر إلى الكوردي على أنه نقطة استناد تأريخية وسياسية واجتماعية يستحيل التقليل من قيمتها، على الأقل، من التقليل من ضغوط المغيرات، وأنه بمقدار ما ينظر إليه على أنه الأقلوي، طالما ينظر في عضويته، على أنها ناقصة، أي في حالة عجز عن تمثيل الذات، أي ليكون في مكانة ذوي الاحتياجات الخاصة، بمقدار ما يختل التوازن المكاني- الزماني، كما هو المنظور إليه، في الجهات الأربع التي تمثّلها الدولة التي

(١) الأشقر، جيلبر: الشرق الملتهب "الشرق الأوسط في المنظور الماركسي"، ترجمة: سعيد العظم، دار الساقى، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٢٧١.

تقاسمته أرضياً وفضائياً، مادياً وروحياً، غير أن هذا التقسيم، رغم عنف المدبر فيه، لم يكن يعني التباعد العضوي بين أوصال الجسد الواحد، كما هي شهادة الحدث الأيلولي، وأكثر من ذلك، وكما تم التأكيد على هذه النقطة في نقاط سالفه، ما يجري التعويل على خطورة هذا الجسد الجغرافي وامتداده الحي في الزمان، ومن ثم سهولة الشعور بديمومته، بغض النظر عن وهن الحضور، أو ضعف التجسيد الحي لتاريخ شخصي، إنما همو الذين تقاسموه، أنفسهم، من يستمرون إلى إبقاء هذه الفكرة المحورية موزعة فيما بينهم وتوحدهم: كيفية ترويض الجسد هذا في أي جهة كانت، أي النظر إليه واحداً، وهو مجزأ، لتكون إزاء ما يخالف منطق الجسد المبتور الأعضاء، على صعيد جغرافي.

دون ذلك، هل يمكننا تقبل هذا الرهان ومغزاه وهو في تجذره المجتمعي وتسيّسه القيمي كذلك، بالنسبة لأيلول الكوردي، كحدث استثنائي في التاريخ ؟

أليس ما أفصح عنه أحد الصحفيين الفرنسيين قبل أكثر من عقد من الزمن، يعزز هذه المكانة، وهو التعزيز الذي سوف نتعرف على الكثير مثله في ثنايا البحث والنصوص المختارة واختلافات وجهات النظر فيها: (كانت حدود المنطقة، المرسومة في بداية القرن العشرين، قد حكمت عليهم بالبقاء بلا مأوى لأكثر من ثلاثين مليون شخص، منقسمين بين إيران والعراق وتركيا وسوريا. وعلى رأس كوردستان العراق منذ عام ١٩٩١، ربما طوى الكورد صفحة في تاريخهم.

أعلن في إيران في نهاية الحرب العالمية الثانية، جمهورية مهاباد - الدولة الكوردية الوحيدة في التاريخ، جزئية ومؤقتة - كانت موجودة فقط لمدة عشرة أشهر. وتم سحقها عام ١٩٤٦ وشنق قادتها. ولجأ الجنرال مصطفى البارزاني، وزير الدفاع، إلى الاتحاد السوفيتي مع مقاتليه.

وبالعودة إلى العراق عام ١٩٥٦، استأنف عام ١٩٧٠ النضال من أجل الحكم الذاتي الكوردي ضد بغداد، بدعم من إيران والولايات المتحدة، قبل أن يتخلى عنه حلفاؤه بعد الاتفاق المبرم عام ١٩٧٥ في الجزائر العاصمة بين طهران وبغداد، بموافقة واشنطن. وخلال العقود الثلاثة المقبلة، لن يتوقف كورد العراق وإيران وتركيا عن القتال سياسياً وعسكرياً من أجل الاعتراف بحقوقهم. وستسمح حرب الخليج (١٩٩١) أخيراً بإنشاء منطقة حكم ذاتي حقيقية في كوردستان العراق.

ومن المؤكد أن الأسوأ ممكن دائماً: "في العراق، يعاني الشيعة من صدمات نفسية من ماضيهم، والسنة بمستقبلهم والكورد على حد سواء"، بتعبير مسعود البارزاني (العربية، ٦ نيسان ٢٠٠٧). لكن عودة المنطقة الكوردية إلى المربع الأول، تحت سيطرة بغداد، أمر غير مرجح.

ويصوت البرلمان الكوردي في أربيل الآن على قوانينه الخاصة. وتشهد المنطقة تطوراً منفصلاً عن بقية العراق، "رأسمالية توربينية" مزينة ببقايا اقتصاد مدار، يستفيد منها في المقام الأول الأغنياء، وعائلات أعضاء الحزبين الكورديين المهيمنين، الحزب الديمقراطي الكوردستاني (PDK) للزعيم البارزاني في أربيل، والاتحاد الوطني الكوردستاني (PUK) بزعامة جلال طالباني في السليمانية.

يعيش الكورد في البلدان المجاورة جزئياً تجربة كورد العراق مثلهم ، وتجد حركات التمرد الكوردية التركية ملاذاً في كوردستان العراق بموافقة حكومة أربيل.

من جانبها، تخشى تركيا وسوريا وإيران من أن يؤدي استقرار المنطقة المتمتعة بالحكم الذاتي إلى إلهام الكورد الذين يعيشون داخل حدودهم. لكن مستقبله يشكل تحدياً للطرفين الرئيسيين في العراق. لا يزال الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني يتميزان بتجربتهما في حرب العصابات. حيث يعتمد إطارهما شبه الحكومي على شبكات من العائلات والعشائر التي لا تفعل شيئاً يذكر لتجديد كوادرها ودفن بعض الأجيال الشابة إلى المنفى أو المعارضة.

بحثاً عن حلول في بيئة إقليمية معادية، يدعى الكورد بانتظام لتهدئة مطالبهم فيما يتعلق بالسيطرة على ثروة أرضهم، والتقسام النسبي لدخل العراق، والتخلي عن ارتباط كركوك، المدينة ذات الماضي الكوردي، بمنطقتهم. ..ومع ذلك، فإن خصومهم المفترضين من العرب والشيعة والسنة يواجهون انقساماتهم الخاصة في البداية. لقد تجاوز الكورد هذه المرحلة في أعقاب الحرب بين الكورد ١٩٩٤-١٩٩٧ ويمكنهم لعب دور عازل بين المجتمعات والأحزاب العراقية^(١).

Verrier, Michel : Turquie, Irak, Iran et Syrie redoutent le rêve kurde, 2009, www.monde-diplomatique.fr (١)

فيرير، ميشيل: تركيا والعراق وإيران وسوريا تخشى الحلم الكوردي.

وللمزيد، ينظر حول ذلك، ما ما ورد في مقال دينيرا لونا: تركيا: من إبادة الأكراد إلى تطهير المثقفين

DAENERA LUNA: Turquie : du génocide kurde à la purge des intellectuels, 26-3-2019, comptoir.org

ومن ذلك، ما يضيء المنشور في المتن: في كانون الثاني ٢٠١٦، وقع أساتذة جامعيون وباحثون أتراك من (٨٩) جامعة عبر دولة البوسفور "لن نكون طرفاً في هذه الجريمة"، وهي دعوة للسلام كتبها أكاديميون من أجل السلام ضد تطهير الأكراد عرقياً، والتي تذكر الأنفال، الإبادة الجماعية عام ١٩٨٨ في العراق لصدام حسين. وتركيا نفسها ليست على وشك الإبادة الجماعية. بعد مائة عام، حيث تكون ذكرى إبادة جماعية؟ لقد تم دعم هذه المبادرة بشكل خاص من قبل نعوم تشومسكي وجوديث بتلر ومثقفين دوليين آخرين متضامنين معترف بهم ولكنهم محميون من الأعمال الانتقامية في بلدانهم. إذ احتجاجاً على الحرمان والتعذيب والمجازر التي يتعرض لها سكان صور وسيلفان ونصيبين وجزيرة وسيلوي ومدن أخرى في المحافظات الكوردية، تجرأ (١١٢٨) أكاديمياً تركيا على المطالبة بوقف عمليات الترحيل والقتل أيضاً. و٥٠٠ تصريح مراقبين محليين ودوليين مستقلين للوصول إلى هذه المناطق - يعرضون الذهاب إلى هناك بأنفسهم إذا لزم الأمر ومنذ ذلك الحين تم تعليقهم وسجنهم.

وكذلك ما يعمق أثر الدائر في بطانة السياسة التركية: يستغل أردوغان (عضو في حزب العدالة والتنمية والحزب الحاكم لمدة ١٥ عاماً في تركيا) الانقلاب العسكري الفاشل في ١٦ تموز ٢٠١٦ بضربة مفاجئة. في ١٩ تموز ٢٠١٦، وصلت هذه الحملة بالفعل إلى أكثر من (٤٠) ألف شخص في الجيش والشرطة والعدالة والتعليم: (١٥٢٠٠) تعليق لمدرسين، للاشتباه في دعمهم لحركة محمد فتح الله غولن. في نفس اليوم، سحب المجلس الأعلى للسمعيات والمرئيات تراخيص العديد من وسائل الإعلام: Samanyolu (التلفزيون والراديو)، Yumurcak (التلفزيون)، KanalTürk (التلفزيون والراديو)، Mehtap (التلفزيون والراديو). وغني عن القول أن حرية التعبير ليست حقاً محترماً في تركيا، كما هو الحال في أي دولة استبدادية، بحكم التعريف. يستمر التاريخ في تكرار نفسه، لأن هذه الاستبدادية تغذي منطقاً كراهية المثقفين الغربيين والديمقراطيين والديمقراطيين تقليدياً بين الناس، وبالتالي فهي تهدد جوهرياً الأيديولوجية المهيمنة.

وهذا المقطع الكاسح بدلالته: إن تركيا السنية المحافظة هي ضحية لسياسة إرهابية حقيقية وانقسام مدني. ونتيجة لذلك، نؤمها أردوغان مغناطيسياً hypnotisée، وترى دفاع المثقفين عن القضية الكوردية خيانة ثقافية ودينية وسياسية في الوقت

إنها رؤية أخرى لما هم عليه الكورد من حضور، داخل العراق وخارجه، وفي الاعتبار الدولية كذلك، تقديراً!

ظل الحدود خارجاً:

ليس من حدود مسماة حدودياً، إلا ويكون لها وجهان، جانبان، أو طرفان: من الداخل والخارج. وطرفا الحدود هما، بالمفهوم العضوي حاملاه الحيويان والفاعلان في تكوينه. تلك هي النظرة الجسدية المعبرة عن هذه الوضعية الجغرافية. طرفا الجسد اللذان يمثّلانه، كما يرتبطان به، كما ينقلان مؤثرات كثيرة من العالم الخارجي، لا يتوقفان عن إظهار ردود أفعال معينة، وتبعاً للحالة العضوية، من إرسال مؤشرات، بمثابة علاقات، ومستجدات من داخل الجسد الحي هذا.

في المقابل الحدودي. أي خزّان معلوماتي لدينا، يمكّننا من اعتراف ما يعنينا في ذلك: إضاءة طرفي الحدود، النظرة في مسار هذه الإضاءة، أين تتوقف وكيف؟ كيف تكون المناخات المصاحبة، والعلاقات الحياتية على الجانبين؟

إنها قسيمة الجغرافية السياسية، كوبونتها التي تنتظر تدوين المعلومات اللازمة، والمناسبة لأي تحرك، أو حدث حدودي.

الحدود، وقبل مكاشفة ما نحن فيه وعليه، ليست واحدة، مساحة، هيئة، توضع نقاط وعلامات فارقة.

لكل حدود سيرة ذاتية، بالمعنى الطبيعي والمتداخل مع المعنى الديموغرافي. لدينا حافز الآن للتوقف والمباشرة.

الحدود الكوردية التي لم تعد حدوداً، إلا في واعية الكوردي، في ذاكرته الجمعية، في وجدانه القومي، في أدبياته الحزبية ومن ثم الثقافية، وآثاره الفنية: من رسم ونحت وغناء وقصص وحكايات أو مرويات يتردد صداها هنا وهناك. لأنها على صعيد المعيشة اليومية، تمتد أمامه، كما أنها تمثّل أمامه حيثما كان، طالما أنه يعيشها من الداخل، ويتابعها عن كثب، من خلال ما ينشر باسمها، أو يفترض أن المنشور يسمّيها، ولو بلغة أخرى، وفي مسرد قيمي، وسياسي فارض سلطته، كما هي خاصيته الكوردية، أي قسمته الجغرافية المهذورة، وكما هو نفسه الملحق بفعل التقسيم هذا.

نفسه. ولا يعرف هؤلاء الناس فقط كيف يفعلون أي شيء بأيديهم، وإنما عليهم أيضاً إهانة الهوية الوطنية. وبعد أن أصابهم الخزي بالعار، يتم تكميم الأكاديميين الأتراك المدركين للجدل الديني والسياسي الكامن وراء الصراع الكوردي ووتعذيبهم وتحطيمهم من الداخل في سجونهم. ومنذ الإعلان عن انسحاب القوات الأمريكية من سوريا في كانون الأول الماضي، ممن إذا استطعنا التنديد بتدخلهم، قاموا فعليا بحماية الميليشيات الكوردية من خلال عزل تركيا، فإن أردوغان له مطلق الحرية في قصف معسكراتهم في شمال البلاد - وهو أمر سارع إليه. للقيام به في كانون الثاني. في الشهر نفسه، علق رئيس الدولة التركية (١٥٠٠٠) موظف مدني آخر.

إنها الحدود التي تعني أنظمة متجاورة، دولاً أريد لها أن تبقى وفيما بينها هذه المساحة الجغرافية.

وكما رأينا، فإن الحدود، وإن نظر إليها، بوصفها واجهة تضاريسية، إحدائيات منظور فيها في موضعها الطبيعي، تبقى هكذا بالنسبة إلى التعامل معها، حيث سرعان ما تتلبس بألوان رغبات، ودفق مشاعر، وتطلعات، وتجسيد أفكار وغيرها.

نعم، ليس من حدود كوردستان، بصفتها الرسمية، سوى أن الوقائع على الأرض، تجعل هذه الحدود، وكونها غياباً، في مقام الحضور، قوة أو ضعفاً، شدة أو توتراً، إيلاماً أو تنشيط قوى، انطلاقاً من أي حدث يذكّر بحقيقة "نسبها".

ربما بالطريقة هذه، يسهل علينا مكاشفة هذه الظلال التي ترتسم، تتأرجح، تعيش مدأً وجزراً على الجانبين، أبعد من النقاط الموضوعية التي تعنيها مباشرة، وإنما تخضع الحركة الحاصلة أو الحادثة، أبعد مسافة حدودية، حتى بالنسبة للدولة التي تعرف بها، في الجهة الأخرى تحت تأثير الجاري في النطاق المرسوم كوردياً، كما هي شهادة انتفاضات الكورد، تحركاتهم على الأرض على جانبي الحدود، أنشطتهم السياسية التي تستعين بالخرائط، والوثائق، والبيانات، ومن ثم القرارات ذات الصلة دولياً، مناسباتهم القومية، الندوات المقامة هنا وهناك، وثوراتهم المعروفة... كلها، تبقى الحدود التي سلبت منهم، وسلبوا هم أنفسهم، من خلالها من صفتهم كورداً، ولكن السلب المرگب هذا، لم يصل إلى حد إمحاء الكوردي عينه، أو القضاء على فعل الذاكرة المكانية- الزمانية لديه. فثمة مقاومة ضارية، مسرحه حيث يعيش ويتكلم.

وفي الحدث الأيلولي، ما يعرف بالحراك اللافت محلياً وإقليمياً ودولياً لظلال الحدود الكوردستانية، وليس الحدود الكوردية في حيزها العراقي، استناداً إلى الوحدة المقدرة لكلية الحدود، حين يسارع أي كوردي إلى إبداء موقف، ومن ثم التعبير عما يجري، والقيام بسلوك معين، لحظة حدوث أي مستجد في أي رقعة كوردستانية، حال كوردستان-العراق.

وكما رأينا سابقاً، فإن سيرورة الذاكرة الكوردية الجمعية، مهما يعزى إليها من أمراض، ومن توترات، أو ضغوط، لخلعها عن نفسها، أو إفراغها من حقيقة كونها ذاكرة كوردستانية، تحت تأثير عوامل مختلفة، تكتسب فضيلة الديمومة، بصورة غير مباشرة طبعاً، من أعدائها الذين لا يدخرون جهداً في النيل منها عبر ما هو حدودي، عند انشغال الجميع بالحدث المتفجر، بوصفه المخاطب الجغرافي، وبلسانه السياسي، أضف إلى ذلك القومي، لمن يريد لهم زوالاً.

من بين الأمثلة ذات العلاقة بما نحن عليه، ما هو مدون في خانة هذا التقرير: (تمت كتابة تقارير مختلفة حول حل المشكلة بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٦١ ومن أواخر الثمانينيات حتى الوقت الحاضر. يمكن سرد أهمها على النحو التالي:

تقرير ٢٧ أيار ١٩٦١

يمكن القول أن من أكثر الأحكام لفتاً للنظر في التقرير، الذي كتب تحت تأثير انقلاب عام ١٩٦٠ والذي كان له أكثر الآراء حدة في تلك الفترة، جملة "لا توجد قضية كردية". وينظر التقرير إلى مشكلة الشرق على أنها "قضية الأتراك الذين يعتقدون أنهم كورد".

التقرير، الذي كتب في عام ١٩٦١، يدعو إلى سياسة إسكان أكثر صرامة من سابقتها. ويرى التقرير، الذي أشار إلى ضرورة تسريع سياسة الاستيعاب في المنطقة، أنه من الضروري توطئ الأتراك في الشرق والكورد في الغرب. وفي إشارة إلى أهمية قطع علاقات الإقليم مع كورد العراق، دعا التقرير إلى التعزيز الاقتصادي للمنطقة من خلال إنشاء المصانع.

وجاء في التقرير، الذي يدافع عن الحاجة إلى إنشاء مدارس داخلية في المنطقة، أنه يجب تحسين المنطقة من حيث النقل من أجل ضمان السلامة. يلفت الانتباه إلى قسم "الشئون الأكاديمية" في التقرير والذي يختلف عن سابقاته. يدعم هذا العنوان إعطاء الأولوية للدراسات التي "تثبت أن الكورد أتراك"^(١).

طبعاً، التقرير تركي، والمحتوى ذو علاقة بما هو سلطوي، ولكنه يفصح في تاريخه المذكور عما كان يتحرك حدودياً، أي تسمية الظلال التي تعرف بما يجري كوردياً، حيث نعيش هنا سياقاً خطائياً وسياسياً يتعدى النطاق الحدودي، رغم وطأة مأساة الكوردي، ولأن الحدود مقتسمة، نجد بالمقابل اقتساماً في مهام المقتسم، حين يضاعف قواه الفارضة، أو يظهر هو نفسه انقسامياً، بالأبقي نظره حصراً على ما هو حدودي عائد إليه، إنما النظر في البعيد البعيد، حيث يعيش الكوردي، ومتابعة كل شاردة وواردة تعنيانه، في حياته اليومية، أو قيامه بأي نشاط. إنها مكرمة جغرافية، من حيث لا يدري بها.

في مسار هذا القول، يمكن التوقف عند باحث أكاديمي عن (موقف جريدة ميلليت التركية من الحركة الكوردية وثورة إيلول في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣)^(٢).

جريدة "ميلليت" ذات مكانة في تركيا، وهي رسمية، حيث تأسست سنة ١٩٥٠، ولديها جمهور عريض، كما يذكر الباحث، وهذا يعني أن الذي تنشره الجريدة هذه، تكون قريبة من الخطاب الرسمي للدولة.

(١) Cumhuriyet tarihi Kürt raporları, www.aljazeera.com.tr تقارير كردية عن تاريخ الجمهورية
(٢) بابلا، د. دلشاد م. صالح: موقف جريدة ميلليت التركية من الحركة الكوردية وثورة إيلول في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣. مستل
انترنتي . www.academia.edu

بعيداً عن استعراض المعلومات الواردة. ما يهم في البحث لدينا، هو أن فعل الخطاب السياسي التركي، وعلى صدر الجريدة الرسمية التي تعنيها مباشرة، يتلون، بالتوازي مع الحركة الدائرة على الأرض. فالتربق قائم هنا.

مثلاً، حين نقرأ هذه العبارة ذات الصلة بجانب من الحدث الأيلولي الصاعد (وكانت معركة زاويته التي منيت فيها القوات العراقية بالهزيمة على مشارف مدينة دهوك في ١٢-١٢ ١٩٦١، إحدى المعارك الفاصلة التي تثبتت من دعائم الثورة وقوت عزيمة الثوار في توسيع رقعة المناطق المحررة لتشمل هذه المرة منطقة بادينان بأسرها ما عدا مراكز الأقضية وبعض النواحي فيها).

خبر كهذا لا يفوت، لأنه يمثّل صعود قوة، وهذه القوة لها اسمها، ولها فعلها في تلوين الخطاب السياسي القائم.

نلاحظ ذلك، تأكيد هذه العلاقة السلبية طبعاً، تجاوباً مع الموقف الرسمي مما هو كوردي، من خلال تغطية وموقف الجريدة المذكورة، وكما يذكر الباحث، للثورة الكوردية في ١٩٦١. طبعاً هي ثورة بمسماها الكوردي، وليست كذلك في نظر متقاسمي الكورد ووطنهم.

ما الذي يقرأ هنا، عبر التغطية السالفة الذكر؟ أشير إلى بعض النقاط الواردة: (لم تكن مهنية ومحيدة للأحداث المتعلقة بالكورد وثورتهم في العراق. وكانت متأثرة آنذاك بسياسة الحكومة التركية، وسياسة الدولة.

كانت الجريدة منحازة تماماً في تغطيتها للاضطرابات الأمنية في كركوك عام ١٩٥٩. وفي تركيزها على القضايا أعلاه، بالغت في تشويه الصورة العامة للكورد وثورتهم في أيلول، إضافة إلى قائد الثورة ملا مصطفى البارزاني، مما يعكس السياسة العامة للدولة التركية تجاه الكورد آنذاك).

تلك حقيقة واقعة. إنما الجدير بالذكر، هو إمكان الذهاب بالقول إلى أعلى مستوى يقربنا من بنية الخطاب الإيديولوجي التركي. ويعني ذلك، أن الحديث عن محتوى "ميليت" لا ينبغي أن يقوم على عامل الدهشة، أو اللاتوقع، بحيث يكون منطوقها الخبري متجاوباً مع الحركة الحادثة على الأرض، وتشخيصها كما هي. وهذا غير قائم إطلاقاً، أولاً في دولة، اعتبرت "الكورد": أترك الجبل، وسعت جاهدة إلى تعميق أثر هذا النسب القسري والعنفي، وثانياً، لأن هذه السياسة المحورية للدولة التركية، فهي تفرض سلطتها بعائدها الإيديولوجي على كل محافل الحياة فيها. ويكون الإعلام المنبر الأول الذي يفصح عن حقيقة المطلوب أو المنشود. إنها الذهنية الأحادية التي تختزل الجهات في جهة اعتبارية واحدة.

يعني ذلك، أن الحديث عما ليس مهنيّاً وحياديّاً، ربما يدفع بقارىء البحث إلى المساءلة عما كان هناك توقع في أن يكون الموقف على غير "عادة" السياسة التركية وطاقتها الإعلامي، ورقابته على كل ما ينشر ويصدر بهذا الشأن!

أليست تركيا، وإلى اللحظة، تنظر إلى أي حدث عراقي، وضمناً كوردستاني، انطلاقاً مما يُسمى لديها بالعمق الاستراتيجي الذي ألمح إليه أحمد داود أوغلو، ويشدد عليه راهناً جل ساسة الأتراك، وأكاديميهم، وفنانيهم، بدفع ملزم مما هو سياسي؟ وليس من استغراب تجاه المتردد في الحالة هذه، بخصوص "كركوك" التي تعتبرها تركيا قضيتها، لأكثر من سبب.

وبعيداً عن الغوص في التفاصيل، وكما رأينا أيضاً في نقاط سابقة، وكما سنرى في أمثلة أخرى، وضمن فقرات مختارة تضيء هذا الجانب الحدودي، فإن متابعة ما هو إعلامي أو ثقافي تركي، تبقى دائرة إجمالاً في هذا التوجه المشار إليه.

بالعكس من ذلك، يمكن للباحث، أي باحث، أو الإعلامي الباحث عن الحقيقة المتشكلة على الأرض، أن يتلمس مثل هذا التخوف القائم في واعية التركي، والتشهير به، لإبقاء ذاكرة المكان التركي، بخاصيتها الطورانية في وضعية تأهب، وذلك يسمح لنا، بأن الجاري في كوردستان- العراق، يظل في مفهومه الحيوي شأناً تركيا، كما أنه شأن إيراني وعربي، طالما أن هناك تقاسماً للجغرافية الكوردية، ليكون هناك انشغال بتبعات هذا التقاسم بالمقابل.

إنما، نظراً للموقع التركي جغرافياً، وإملاءاته الجيوسياسية واستعراض قواه بين الفينة والأخرى، وتلك التقديرات الخاصة التي لا تكف الجهات التركية ذات العلاقة المباشرة بموقع كهذا، موقع ينفذ إلى الخارج عميقاً، استناداً إلى نظرة تاريخية إمبراطورية. العلامة، يمكن أخذها بعين الاعتبار، وكلما أتى على ذكر أي أثر كوردي، كائناً حياً، حجراً، أي جسم كان يتموضع في نطاق ما هو كوردستاني، يتم التعامل معه في شكله ولونه وطعمه ودلالته، بالطريقة التي تم تععيد تلك التقديرات.

لنقرأ هذه الفقرة ذات التاريخ المديد واللافت بمحتواه، والمتضمن للكثير مما أفصحنا عنه (شهدت المسائل الكوردية التركية والعراقية من جهتها تطورات معقدة خلال النصف الثاني من القرن العشرين. استقل العراق رسمياً منذ عام ١٩٣٢، وشهد نقطة تحول حقيقية في عام ١٩٥٨ مع انقلاب الجنرال قاسم. وهذه هي اللحظة التي اختارها مصطفى البارزاني للعودة إلى العراق: لقد قاد هذا الشخصية الرمزية عدة تمردات ضد بغداد قبل الحرب، وكان وزيراً للدفاع في جمهورية مهاباد، وبعد ذلك اضطر إلى الذهاب إلى المنفى في الاتحاد السوفيتي هرباً من القمع. ولدى عودته، أسس الحزب الديمقراطي الكوردستاني (PDK)، الذي شكّل معارضة صريحة لنظام بغداد خلال "ثورة أيلول" (١٩٦١). وبدأت

حرب أهلية دامية إلى أن قامت إيران، بمبادرة من العراق ، وقلق واشنطن من تنامي النفوذ السوفييتي في بغداد ، بسحب دعمهما لحزب PDK في عام ١٩٧٥ ، عندها قرر مصطفى البارزاني وقف القتال^(١). في هذا المقطع ما ينم عن هذه العلاقة، حيث البدء لافت بدوره، ببنية الاهتمام التركي بما هو عراقي، وكوردي ضمناً، ولا يتوقف الاهتمام تالياً، بالعكس، إنه في وضعية تنام، وتشعب، لأن المستجد اختلف، والتالي عليه يعاين بعمق أكثر نظراً لأهميته.

في بحث حديث نسبياً للباحث في التأريخ حميد بوزأرسلان، هناك أكثر من إشارة حول هذه العلاقة، ورغم أن المقتبس طويل نسبياً، ولكنه في تضاعيفه يصل بين أمس الأمل ليمتد إلى التالي على الغد، تقديراً لمقول المحتوى: (في حين انفصل القادة الكورد عن تفوق إيران في الوقت المناسب، وأقاموا علاقات دبلوماسية مع العواصم الغربية ، فإن عفوية وعزل الثورة في الجنوب لم يتركاً للشيعنة الوقت للتطور مشروع ضد صدام، ناهيك عن إقناع الغرب. على عكس الشيعة، وكذلك بالنسبة لمسلمي البوسنة، يمكن وصف الكورد بأنهم "مسلمون طيبون bons musulmans"، معتدلون وعلمانيون. وقد تمكن الكورد العراقيون من الاستفادة من كل هذه الأصول. وأثبت اعتدال مطالبهم وشرعيتهم بأنفسهم ككورد وعراقيين في الوقت نفسه، ووساطتهم وجهودهم الحثيثة خارج كوردستان العراق "١٩"، أنه مفيد للغاية ورفعهم إلى مرتبة محاور موثوق. وهكذا، على عكس الحالات "الإنسانية" الأخرى، استفادت كوردستان العراق من سلسلة من الظروف المواتية ومن المساعي الرئيسة. لكن كل هذه الأصول مجتمعة لم تكن كافية. ففي الواقع، إذا كانت هذه التجربة يمكن اعتبارها تجربة خاصة، فذلك يرجع إلى أنها مدرجة بالكامل في لعبة الجغرافيا السياسية الإقليمية، فيما نسميه "الدبلوماسية الموازية". من بين العوامل التي سمحت لها أن تستمر، لا يمكن للمرء أن يغفل الدور الذي تلعبه تركيا. في الواقع، كانت أنقرة، التي تحملت وطأة تدفقات الهجرة الكوردية العراقية في أعقاب عمليات الانفال في عام ١٩٨٨ وبطريقة أكثر ضخامة بعد حرب الخليج في عام ١٩٩١، أول عاصمة تطلب تدخل الأمم المتحدة وإنشاء مناطق استبعاد في كوردستان العراق. ومن الصعب أن يشبهه بتركيا مدفوعة بمشاعر مؤيدة للكورد، ومن الواضح أنه منذ البداية، على الرغم من العبء الثقيل للغاية لهؤلاء اللاجئين، فإن المشكلة الكوردية العراقية لم تكن لهذا البلد قضية إنسانية فقط أساساً. لقد كانت ولا تزال، على العكس من ذلك، جزءاً لا يتجزأ من الصعوبة الداخلية والخارجية الرئيسة التي استمرت قرابة (٧٠) عاماً. وتثير المشكلة الكوردية، في أذهان العديد من الزعماء الأتراك، رؤية كابوس: تمزيق الأراضي، بما في ذلك معاهدة سيفر، المنصوص عليها في إنشاء أرمينيا وكوردستان. كيف يمكن تفسير هذا

أي وجهات www.areion24.news Jean-Baptiste Bégat:Quelles perspectives pour les questions kurdes ? (١) نظر للمسألة الكوردية ؟

التغيير وخاصة مفارقة تطبيق سياسة داخلية صارمة للغاية تجاه كوردها خلال عام ١٩٩٢ وسياسة "الحماية" ضد كورد البلاد. للبعض الآخر؟ كانت تركيا، لأسباب واضحة، حساسة دائماً لما كان يحدث بين "الكورد الآخرين". إذ منذ ظهورها في العشرينيات من القرن الماضي، أصبحت المشكلة الكوردية مشكلة عابرة للحدود، مما أعاق أكثر من تجربة دولة واحدة في الشرق الأوسط.

بمعنى آخر، يمكن للحركة الكوردية "المحلية" أن تساعد بسهولة في التأثير على الوضع في البلدان الأخرى. فقد كان للثورات الكوردية للعصر الكمالي في تركيا (١٩٢٥-١٩٣٨) تأثير مباشر على الكورد في العراق وإيران. وبعد ذلك، ولأسباب مختلفة، لعبت كوردستان العراق دوراً حيوياً في تطور الكورد في تركيا وإيران. وكانت جمهورية مهاباد (إيران، ١٩٤٦) ممكنة بفضل تدخل الكورد من العراق؛ حيث كان لثورة مصطفى البارزاني في عام ١٩٦١ تأثير حشد فوري على كورد سوريا وإيران، وإمّا بشكل خاص على أولئك الأتراك وتركهم حيث لم يقتصر التأثير فقط على القبائل الحدودية، ولكن أيضاً على المثقفين، مما يمثل عاملاً حقيقياً في إحياء القومية الكوردية التي يُعتقد أنها انتهت منذ عام ١٩٣٨. وفي الآونة الأخيرة، أثار وصول أكثر من (١٠٠٠٠٠) كوردي من بهدينان في عام ١٩٨٨ تعبئة كبيرة في تركيا. وإن المؤتمر الدولي في باريس، الذي نظمه المعهد الكوردي لباريس عام ١٩٨٩، للتنديد، من بين أمور أخرى، باستخدام الأسلحة الكيميائية في كوردستان العراق أسفر أيضاً عن حشد هائل في تركيا وتسبب في تقسيم تشكيل الديمقراطية الاجتماعية الرئيسة S.H.P، وهذه الأحداث وحالة التطرف التي أعقبت ذلك، دمرت فكرة الحدود في ذهنية تركيا الكوردية. أخيراً وليس آخراً، لم يؤد وجود الكورد الأتراك في العراق والعلاقات التقليدية بين كورد العراق وتلك الموجودة في المنطقة الحدودية إلى فشل صدمة أنقرة. وتوضح هذه النظرة التاريخية بجلاء لماذا لا يمكن لمشكلة أنقرة الشمالية، بالنسبة لأنقرة، كما وصفها السياسيون الأتراك بخجل، أن تكون ذات طبيعة إنسانية فقط. لم تستطع أنقرة أن تتخذ هذا الموقف "الإنساني"، للأسباب نفسها مثل بريطانيا العظمى أو فرنسا، على سبيل المثال، حتى لو لم يكن هناك شك في وجود حجج غير إنسانية في حالتهم. ومن المتوقع أن تكرر تركيا في عامي ١٩٨٨ و ١٩٩١ السيناريو نفسه كما في عام ١٩٧٥ وتقرر إغلاق حدودها أمام الكورد العراقيين. يمكن للمرء أن يعتقد أيضاً أنها ستقدم الدعم مرة أخرى، إن لم تكن صريحة، على الأقل لبغداد. ومع ذلك، فإنه قبل إنشاء المناطق الأمنية وخاصة بعدها، كان الموقف التركي مفاجئاً على أقل تقدير، خاصة وأن أنقرة حذرت بغداد من مزيد من الهجمات على الكورد، وكانت قد نظرت علناً في الأمر، جهة إمكانية وجود اتحاد كوردي عربي على حدوده الجنوبية^(١).

(١) Bozarslan, Hamit : De la géopolitique à l'humanitaire : le cas du Kurdistan d'Irak (١) من الجغرافيا السياسية إلى المساعدات الإنسانية: حالة كوردستان العراق

التاريخ يفتح على طرفي الحدود، لا الحدود المرسومة سياسياً وعبر اتفاقيات جانبية، فحسب، وإنما الحدود التي يشار إليها دائماً في الظل، وهي لا تظهر حقيقة ظلية، في ضوء هذه التحركات، والشاهد هو ما تقدّم، وما سبقه من أمثلة تشدد على عمق الروابط اللاودية بين أهل الحدث الأيلولي والذين يخشون من كل حركة تنزع عن الحدود تلك أمانها المزعوم.

ليس في التاريخ التركي، إلا ما يتقدم في الواجهة، حيث الآخر جار إلحاقه بمنظومة معتقداتية ماضوية، تترجم كيفية تدوين التاريخ هذا، بصورة أكثر دراماتيكية، من أي تاريخ مجاور، على وقّع هذه الأسطورة الماضوية وتداعياتها.

لنتوقف عند نموذج بحثي آخر، مغاير، في خطاب قوله، عما هو تركي، وهو للأكاديمي المصري أحمد سعيد السيد زيدان، وعنوانه (ثورة أيلول في الصحافة الأمريكية: ١٩٦١-١٩٦٣: منشورات صحيفة Middle East Journal، نموذجاً^(١)).

من المؤكد أن الانطباع يكون مختلفاً هنا، لأن الجهة الجغرافية مخلفة، والثقافة الفاعلة فيها مختلفة.

يأتي تعريف الصحيفة بداية، بأنها إحدى الصحف الأكاديمية التي تصدر بشكل دوري ربع سنوي، وهي بذلك تختلف عن صحافة الخبر في رصد الأخبار، بشكل يومي عن طريق المراسلين. وتعود أهمية هذه الدوريات إلى كونها تعطي انطباعاً عاماً من وجهة النظر الأمريكية في الأحداث.

ما يرد في الخاتمة يعيننا هنا، وبعد تعقب مجموعة اقتباسات تمت بها تغطية الأحداث في النطاق التاريخي الموسوم: صارت الثورة الكوردية التي سميت بثورة أيلول مثار اهتمام الصحافة الأجنبية بشكل عام، والأمريكية بشكل خاص.

نهجت جانب الحياد.

الملاحظة المهمة التي رصدتها هي أنها اعتقدت أن للثورة الكوردية ميولاً شيوعية- سوفيتية، لكن بعد تطورات الثورة، تبين بأن الملا مصطفى البارزاني الذي قضى نحو ١١ سنة في الاتحاد السوفيتي عندما كان منفياً، لم يتأثر قط بهذه الفكرة رغم الدعم السوفيتي له عند اندلاع ثورة أيلول .

ثمة تعزيز لهذه المقولة، والتي تقيم فاصلاً سياسياً كبيراً بين النموذج التركي والنموذج الأمريكي، رغم أن الذي تنشره المجلة يبقى محل اهتمام الجهات المختصة بالمنطقة، إنما من الزاوية الأبعد لتوجهات السياسة الأمريكية الرسمية، على صعيد دبلوماسي رسمي، حيث الاستفادة مما هو منشور، أو

(١) زيدان، أحمد سعيد السيد: ثورة أيلول في الصحافة الأمريكية: ١٩٦١-١٩٦٣: منشورات صحيفة Middle East Journal، نموذجاً) مجلة العلوم الإنسانية، جامعة زاخو، المجلد ٤، العدد ٣، ٢٠١٦. مستل انترنتي.

جارِ النظر فيه بحثاً ودراسة، واعتماد مسلك سياسي معين، مع أي حدث في الخارج، على خلفية من هذا المنشور، أو الجاري التكليف به للنشر.

طبعاً، وهنا ينبغي النظر، والتعمق في الخلفية المعتمدة لهذه السياسة. فما تمارسه أميركا خارجاً على صعيد تقدير الأحداث، وكيفية تقويمها، واعتماد أي إجراء، كورد فعل، ليس ما هو مبثوث في نص دراسة أو بحث مباشرة، وإنما ما يصل ما بين مجموعة آراء ومواقف، ذات صلة بمراكز بحثية شديدة التخصصية، ليكون الإقرار السياسي الخارجي الأميركي نابعاً مما يُسمى دولياً بـ"المصلحة الأمريكية" في الخارج، وهنا، قد تتعرض جماعات، أو شعوب بالكامل لمأس، على وقع مثل هذه المصلحة، يضحى بها، أو يجرى تهميشها، أو التلاعب بها، أو عدم إيلائها ذلك الاهتمام المطلوب، وكما تستحق طبعاً.

ذلك ينطبق على الحالة الكوردية، وكما هو ممكن تبيّنه في أدبيات السياسة الخارجية الأمريكية، وكما سنرى لاحقاً، وتحديدًا في الكم الوافر من شكاوى ساسة الكورد، وبدءاً من الراحل البارزاني، من "خيانة" الأميركيان لهم. والواقع هو أن لا خيانة في الممارسات السياسية الدبلوماسية دولياً، إنما هي علاقات لا يمكن الوقوف عليها بميزان أخلاقي محدد.

والمسافة الزمنية في الحالة هذه لا تقاس بعدد السنين التي تمثّلها، وإنما بالأثر النافذ في السنين التي تصل ما بين أمس الحدث الأيلولي الماضي إلى غده كوردياً استدعاءً أو استقصاءً واستبقاءً، بوصفه ثورة معتبرة، أو حدثاً انعطافياً، من الزاوية الأخرى، لحظة التدقيق في بنية الصائر، وما بين حاضر يعاش راهناً، والماضي بالأثر، كمأثرة تأريخ، وفي لحظة معينة، إلى أجل مسمى وأبعد في الآتي .

إنها السياسة المأهولة باليقين المعرفي والنفسي من لدن الذين يرون في واقعة كهذه، ما يبيحهم على تواصل مباشر بما كانوا عليه، وما يمكن أن ينتقلوا إليه، لتكون هناك قراءة تعقبها أخرى، والحدث يخضع للتفسير والتأويل والمساءلة طبعاً .

هنا، ينبغي الحذر من توصيفات تحول دون رؤية الحدث الاستثنائي، أو أي حلقة من سلسلته الطويلة، وضمن مسافات متباعدة في مضمار الستين عاماً إلى الآن، كما هو، تحت وازع رغبة نفسية. كما في حال "الخيانة" المكررة.

وكما في هذا القول، وهو مضمونه التوكيدي الواضح للعيان: (القصة تكرر نفسها. منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، استخدمت العديد من القوى الكورد، في كل مرة لإطلاق سراحهم في اللحظة الأخيرة. تستحق حلقة السبعينات في العراق العودة. اتخذ البعث فقط السلطة في بغداد والزعيم التاريخي للكورد العراق، مصطفى البارزاني-والد مسعود البارزاني، الزعيم الحالي للحزب الديمقراطي

الكوردستاني(الحزب الديمقراطي الكوردستاني)-رفع المطالبة الكوردية. نحن بعد ذلك في الحرب الباردة الكاملة والمصالحة بين بغداد والاتحاد السوفياتي وقلق هنري كيسنجر والولايات المتحدة).^(١)

ربما كان في ذلك ما يفترض أخذ المفهوم في نطاق التأريخ، وإنما بين قوسين أو أكثر، حتى لا يكون لذلك، جانب التردد الذي يحبط قوى نفسية، أو يسيء إلى العلاقة مع الذات والآخر، والعالم الخارجي، طالما أن القوى التي تتفاعل مع بعضها بعضاً من الجهة السياسية، وبوساعتها الكوكبية، ذات مسافات متباعدة، وسباقات ماراتونية، وطرق تخفّ كذلك، كما هو المفهوم الفضائي للتاريخ بالذات، وهو أكثر من كونه تسطيحاً لعبارة، أو ملئاً لفراغ، أو عنوان كتاب هو مجلد وأكثر، فثمة دائماً ما يفيض عن قبض اليد، ويخرج عن السطر، أو يبقى خارج هامش الكتاب، وهو الذي يغذي الكثير من ملكة التفكير كثيراً، إلى جانب أنه يمتلك المقدرة على إنعاش روح مصدومة أو مهمومة، أو عزيمة واهنة، وهو ما يحصل لأهل السياسة قبل سواهم، للقادة في المعارك، ومن يعملون تحت إمرتهم، وحتى واضعي الخطط الحربية وخلافها. حيث يتم وضع ما ينبغي التفكير فيه خارجاً، وخارجه بما هو تضاريسي، إذ لا يمكن لا رؤية كل شيء طبيعياً، نظراً لتفاوت البنية الجغرافية في مكوناتها الطبيعية: وديان، جبال، منعطفات، غابات، صحارى، تلال، صدوع، أغوار، منحدرات، نتوءات.. إلخ، إنها من ناحية التسميات، يسهل لها أن تتبوأ مكانة حية وفعالة في أساس المعطى الفكري، سعياً إلى مكاشفة اللامرئي، أو ما هو مغيب في هذا المشكل أو ذاك، وأعتقد أن للحدث الأيلولي المحتفى به، طابعاً تركيبياً ومكثفاً من هذا النوع .

ذلك ما يبعدهنا عن تبسيط الأمور، وييقينا في أصل الحدث وليس في ركابه، وأحياناً قبل ولادته، وأحياناً بتعقب خطوطه !

هنا يتم الإصغاء إلى الآخر، باعتباره أكثر كونه الآخر الذي يجري إهماله، أو إزاحته كلياً، وكأنه غير موجود، طالما أن ليس في قوله أو مسلكه ما يتناغم مع ما هو مفكر فيه، أو معمول به بالمقابل. وفي سياق هذه المتابعة التاريخية، وهي في خلطتها الاجتماعية- السياسية- الثقافية والأمنية في الآن عينه، يمكن التعرض لمثال موسّع، واسه المساحة جهة العناصر التي تشكل المدماك الحركي للتأريخ الكوردي، وبنية السياسات القائمة، والتي تخص أنظمة المنطقة في التعامل مع الكورد، وقضيتهم، أبعد من الجوار الجغرافي، على خلفية التقسيم السياسي للجغرافية والهوية والعنوان والمقومات الثقافية، حيث يتشكل دين موجّه مصيراً من قبل الكورد لممثليهم/ مجزئهم .

ملف، خيانة الكورد في كثير من Les Kurdes tant de fois trahis, www.monde-diplomatique.fr, Avril 2003 (١)
الأحيان

أعني بذلك ما قدّمته الباحثة المصرية زينب ماهر السيد مرسي، بهذا الصدد من موضوع يصل ما بين حدودين سياسيتين مرسوميتين باسم دولتين تقاسمتا الكورد وجغرافيتهم (العلاقات التركية - العراقية : دراسة "لحالة الكورد")^(١).

وتاريخ كتابة الأطروحة وتقديمها، كما يظهر، ليس ببعيد، أي منذ عدة سنوات، وهذا يضيف عليها قيمة اعتبارية أخرى، جهة جدة الحدث "حدث الموضوع" وملابسات الكتابة، وطريقة التعامل مع محتوى البحث بالذات، وفي فسحة زمانية، شهدت انفراجاً ملموساً في الانفتاح على الكورد، وجرّاء تدفق معلوماتي متعدد الصيغ، لإضاءة هذا الجانب، وما يقربنا من الشخصية البحثية، وإرادة الإقتدار البحثية في الاستئثار بالموضوع، وتنويره، دون مقاربة جانبية أو اختزالية له.

يعني ذلك، وفي الأوساط العربية بميزتها الجامعية بالذات، وفي دولة مشهود لها بالسعة المعلوماتية، كمصر، يكون لأي موضوع علامة فارقة تعرفه في مكانه وزمانه، في بيئته ومجتمعها، وظل ثقافته، وبالتالي، فإن وقع الحقيقة، وأسلوب التقديم لها، إلى جانب البعد التاريخي المطلوب، يسمي هذه الشخصية، ومدى انخراطها في لعبة البحث الخاصة بها !

كوردستان بين دولتين في التسمية: العراق حيث يشتعل الحدث الراهن، إنما دون إغفال صلة النسب بما كان، أي ما يرتد به إلى بنية تشكل الدولة العراقية، وموقع الكورد فيها، وصفتهم الجغرافية بالمقابل، وكيف يتم التعاطي مع متغيراتهم، وتركيا طبعاً، الدولة الأكثر حضوراً بتجاذباتها الدولية، الإقليمية والمحلية، وتلك الطرق المبتدعة من قبلها، لمتابعة كل مستجد، والحرص على عدم إبرازه بما يتهدد والبعد الأمني "المقدس" المعطى لخريطتها السياسية، وأبعد من ذلك سيادياً.

يتقدم الخيار السياسي السائد على ما عداه كثيراً، في أصل المثار طي البحث، حيث إن التسمية الجغرافية المعتمدة هي التي سجّلت في الدوائر السياسية للدول التي تقاسمتها. لهذا تتكرر عبارة "شمال العراق" من ألف المكتوب إلى يائه.

(١) مرسي، زينب ماهر السيد: دراسة خاصة في "المركز الديمقراطي العربي" العلاقات التركية العراقية "دراسة لحالة الكورد"، المركز الديمقراطي العربي. في ١٤ آب ٢٠١٥.

بالتوافق مع قراءة ما هو مسطور في أصل الأطروحة الجامعية، ومشابهاتها من أطاريح أخرى، والصمت المقدّر والمعتمد في خطاب أطروحة كهذه، يمكن الاستفادة مما كتبه كنعان مكية في كتابه: القسوة والصمت "الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي"، منشورات الجمل، كولونيا- ألمانيا ٢٠٠٥، دار الساقى، لندن، كما في: الصمت لا يولد من الخوف، بل من فقر الأفكار وضحالتها. لقد ظهر أن خواءنا روحي، ولكنه ليس من النوع الذي يعوضه الإيمان الديني. ص ٣٢١. الصمت هو لغة النزجسية الداخلية، الساعية على الدوام إلى اختصار العالم وإحاطته إلى تأملات ذاتية، وهو، في العالم العربي، الصمت عن القسوة...٢٢٢...الخ.

كلام يختصر الكثير من الكلام، مما نقرأه هنا وهناك، بنوع من التقية، أو الورع المسيحي للأمور الأكثر خطورة في واقعنا طبعاً، وما في ذلك من مكاشفة معكوسة لرصيد الذات الثقافي الشديد الضحالة.

إن ما يأتي في المقدمة، يفصح عن تنظير يتماشى ووجهة النظر الإيديولوجية هذه، وبحذر مقدر: (إن العلاقات بين الفاعلين الدوليين المتمثلة في الدولة المستقلة تحكمه عوامل ومتغيرات متعددة، وتختلف فاعلية متغير عن متغير آخر من فترة لآخرى، وذلك بناء على مدى اهتمام هذه الدول بها، عليه فإن العلاقات التركية العراقية كبلدين جارين لهما حدود مشتركة، قد مرت بمد وجزر عبر التاريخ، وتأثيرات تلك العلاقة بعوامل مختلفة منها العوامل التاريخية والجغرافية والديموغرافية المتمثلة في الأثنية والدينية والمذهبية، ومنها أيضا عوامل موضوعية خارج إرادة البلدين مثل التوازنات الدولية والنظام الإقليمي ووجود مصالح القومي الدولية العظمى في المنطقة وتأثيرها على نمط العلاقة بين البلدين”).

ليس في ممارسة ذهنية كهذا ما يقرب صورة الحقيقة الفاعلة من بنيانها القاعدي، وكيف تأتي لها أن تكون مقبولة على "قفاها" تاريخياً، بمقدار ما يبقياها، وكأنها هي الوجه الفعلي للحقيقة، مذ كانت هذه الأرض المنتحة خارج لولها الأثني.

هناك إلقاء التبعات في التغيير على قوى خارجية، إنما ليبقى الكورد في نطاق المساءلة وحتى التخريم: (وقد احتلت القضية الكوردية في منطقة الشرق الأوسط مكانة كبيرة حيث أن لها جذور تاريخية تتمثل في حق الشعب الكوردي في العيش على وطنه أماناً كقومية متميزة الملامح والخصائص واللغة إلا أنها كقضية سياسية فإن لها أبعاد إقليمية داخل أكثر من دولة وظهرت تلك الأبعاد نتيجة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) بعد سقوط الخلافة العثمانية وتفكيك دولة الخلافة إلى دول قومية يفصلها حدود دولية مصطنعة، فنتيجة لذلك حرم الكورد من بناء دولتهم الخاصة بهم (..).

وهذا الذي سطرته الباحثة، بأسلوب يدفع بها إلى أن تكون الناطقة بلسان حال جهة مؤسساتية تركية رسمية تماماً: (وبالنظر إلى العلاقة بين تركيا والعراق بشأن القضية الكوردية وخصوصاً بعد حرب الخليج الثانية، نجد أن تركيا لها مصالح وثوابت في شمال العراق، تتمثل في الحيلولة دون انفصال شمال العراق، وتكوين دولة كوردية مستقلة، والحيلولة دون سيطرة كورد العراق على مدينة كركوك النفطية، وعدم المساس بالأقلية التركمانية في شمال العراق، وكذلك محاربة حزب العمال الكوردستاني (..).

مكاشفة لما هو قائم على الأرض، والتي جرى ضبطها، ومن ثم تقسيمها استجابة لسياسة القوى المتنفة، ودون أي انشغال مطلوب، بالكورد بوصفهم شعباً، أثنية، أو قومية، ولهم حضور جغرافي، وليس عبر إلحاق تجزيئي وقسري محكم.

وليلى ذلك ما يجعل الأقلية مرغمة لأن تخضع لآلة التبويب والترتيب والتعليب، إن جاز التعبير، أي حقيقة واقعة، لا مجال للشك فيها، جهة المفهوم، وما يجعل المفهوم القيمة المطلقة، واعتماده في المقاربة النقدية لتاريخ: حيث يأتي التعريف هكذا، وكما هو متوقع (يقصد بالأقلية القومية ذلك الجزء

من سكان الدولة الذين ينتمون إلي أصل قومي يختلف عن الأصل القومي الذي ينحدر من غالبية هؤلاء السكان).

طبعاً، لا تُسأل الباحثة كيف قيض لها، أن تستخدم مفردات موزعة ضمن مسافة متساوية البعد على محيط الدائرة الجغرافية المستجدة، عن نقطة ثابتة، أو ثبتت هي مركز القرار السياسي لهذه الدولة أو تلك، ذلك ما يظهر أنها آخذة بالمعطى الموجود على الأرض، وكما هي بدعة الحدود المعلومة، وليس بالرجوع القهقري إلى الوراء - ولو قليلاً - للنظر في إحداثيات جغرافية أخرى، وما تضمه من أرشيف زماني- مكاني، ينحّي، بمقدار ما يقصي المستحدث المعتمد خارجاً. فتكون مدمجة بتلك الحقيقة المتداولة، لا بل تخلص لها، جهة التعابير التي تتسلسل دون الشعور بأي تلوؤ أو تعثر. ولعلها علامة الذهنية التي ليس في وارد فعلها، أو نباهة الكشف داخلها، ما يوسع لها حدود التعامل مع العالم الخارجي، أكثر من النطاق المضروب عليه باسم الحقيقة السياسية المحروسة. وهي بذلك تعرف بصفة الجمود في التاريخ، والثبات في زاوية منه، وما يستدعي هذا التجلي المستمر ثباتاً من عنف مقدّر، عنف يعرف بالقسوة الضاربة، ودون ذلك لأفرزت مرونة المسلك البحثي عن بعض الفرجة، وملامسة ظلال تخفف من الحرارة اللافحة للتاريخ المستعان به، وهي مأهولة بفتنتها، بأكثر من معنى.

لا شك أن الباحثة، بطريقتها في تناول الموضوع، تمارس "الركمجة" وتستغرق في لعبة الانغمار بالموج البحري، دون السؤال عن المباغت في أصل الدائر!

مقصد الكلام في الحالة المثبتة هنا: إن شمال العراق اسم مفرغ من أي حضور ثقافي، ديموغرافي، حيوي، يلهم الذاكرة المكانية، وينشطها لكي تُري رأسمالها المكاني. شمال هو جهة، والكورد مذوّبون كأقلية، في الجهة، وهي محالة على المستبد بالجهة كنظام طبعاً.

لا تنسى الباحثة أن تنوه إلى البعد الاستقطابي للقضية الكوردية، جهة الاهتمام بها عربياً، كما في

العناوين التالية:

- ١- قاسم جميل قاسم، التكامل القومي في العراق "المشكلة الكوردية" دكتوراه، ١٩٧٧، كلية الاقتصاد.
- ٢- شادي أحمد محمد عبدالوهاب، أثر الطائفية علي النظام السياسي: دراسة حالة العراق، ماجستير، ٢٠٠٩، جامعة القاهرة: كلية اقتصاد وعلوم سياسية.
- ٣- عبدالنافع محمود، ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة: كلية اقتصاد وعلوم سياسية في ١٩٧٣).

وهذا الاهتمام المسجل، انطلاقاً من الخطاب التسييسي إجمالاً للبحث، يصب لصالح المعمول والمتوخى سياسياً.

ومن المعروف، أن السعي المتكرر من قبل الكثير من المشتغلين بالكورد وقضيتهم، إنما يترجم شعوراً بوجود من يعنى بهذا الجانب السردى: التاريخي والإحصائي، رغم سهولة الوصول إلى الكثير مما هو مميز للكورد.

وتالياً، ما يشد البحث إلى مكانة الكورد "مشكلتهم، بتعبيرها هنا" في العهد الملكي بداية: (فقد كانت بريطانيا هي الحامية للعراق في ذلك الوقت، وقامت ومعها ملك العراق في بيان رسمي في ١٩٢٢/٢/٢٤ قدم إلى عصبة الأمم بحق الشعب الكوردي في إقامة حكم ذاتي داخل حدود العراق.

وقد قام الملا مصطفى البارزاني بعدة ثورات منذ ١٩٤١ وانتهت ١٩٤٥ تخللتها مفاوضات مع الحكومة العراقية الملكية ولكن لم تؤدِّ الوصول إلى اتفاق نتيجة أن عدداً من العشائر الكوردية وقفت بجانب الحكومة العرقية وبقوات الحكومة، وهذا أدى إلى تحويل القتال إلى قتال كوردي كوردي وهذا ما أدى إلى انهيار الثورة بقيادة الملا مصطفى وانسحابه إلى الحدود الإيرانية...).

يمكن للنص أن يستقيم هنا بالطريقة هذه، إنما دون الدخول في التفاصيل، لإبراز فكرة الاستمرارية في المشكلة، وربما تكون إشارة "قتال كوردي كوردي" ذات مغزى سلبي، في ضوء ما أثير سالفاً، ومنذ المقدمة.

ليلاحظ أنه بدءاً من التأريخ الجمهوري، تزداد صورة الكوردي قتامة، أو سلبية، من خلال عملية اختيار المعلومة المتجاوبة مع الخطاب الإيديولوجي والعقائدي للنظام القائم، وليكون هناك تمرد كوردي، وإساءة للكورد إليه: (لقد تحولت العراق عقب ثورة ١٩٥٨ إلى الحكم الجمهوري، وكانت الثورة دليل على عمق العلاقات العربية الكوردية وهذا يتضح جليا بالنقص في الدستور المؤقت للبلاد على أن "الكورد العرب شركاء في هذا الوطن". كما نص الدستور على الحقوق القومية للكورد وأطلقت الثورة سراح المساجين الكورد المعارضين السلطة الملكية وقامت بإصدار عفو عن الكورد الهاربين للخارج وأعدت السياسيين من المنفى.

وحتى عام ١٩٦١ استمرت هذه المصالحة، حيث قام في عام ١٩٦١ التمرد الكوردي للوصول إلى الحكم الذاتي الذي رفضه عبدالكريم قاسم، واعتماده على القوة العسكرية ضد الكورد، واعتقد أن يفيد بريطانيا هو من دفع الأموال لإثارة الحكم وإسقاط القطاع بسبب مطالبة قاسم بالكويت، وإصدار قانون رقم ٨٠ عام ١٩٦١ والذي حرم شركات النفط البريطانية من الأراضي غير المستثمرة....

ولقد تجددت العديد من الصراعات حيث قامت حملة الأنفال بقيادة صدام حسين في عامي ١٩٨٦-١٩٨٨ ضد الكورد، وذلك بسبب خيانة الكورد للنظام العراقي وتعاون الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني مع إيران ضد العراق أثناء الحرب العراقية الإيرانية حيث قام الاتحاد الوطني الكوردستاني بعمل اتفاقية مع إيران في أكتوبر ١٩٨٦ بمحاربة صدام حسين وإسقاطه.

ولم تكن حملة الانفال إبادة جماعية للكورد كما زعموا ولكن شاركت قوات "الدفاع الوطني" والتي تتكون من مليشيات كوردية موالية للحكومة...

وكانت عدد أفواج الدفاع الوطني حوالي مائة ألف كوردي... وهذا ينفي كون حملة الأنفال إبادة جماعية للكورد).

تلك هي العقدة التي وجدت حلاً لها من جهة معنية بالبحث العلمي، كما يزعم، وما في ذلك من فاعل إكراه تاريخي، زجري، ومراوغ في آن، وتحديدًا في مضمار تبرئة النظام العراقي من عنفه الدموي، ليس في مواجهة الكورد وحدهم، وإنما عموم العراقيين، إنما للكورد المساحة الأوسع في تحميل المسؤولية، لأن هناك تعاوناً مع "أعداء" العراق.

لا أظن أن الباحثة المستقبلية، ومن خلال الاستخفاف بدرس التاريخ، وعنعاتها التي تصلها بما هو مؤدج، قد كلّفت نفسها كثيراً، في إعداد "رسالتها": الأطروحة، ولتحصل على درجة "علمية" تخولها لأن تصبح أكاديمية وأستاذة في آن، مذكرة إيانا بطريقتها هذه، بكم وافر من الذين يقدمون على اعتماد موضوعات كهذه، لبلوغ المطلوب، ولو على حساب ما صلة نسب بينه وبين علم التاريخ، أو إرادة الحقيقة في التاريخ، لأن هناك من يجيز له، وربما يهنئها على مسلكها هذا.

لتكون الخاتمة متناغمة مع المسطور بالتأكيد: (انطلقت الدراسة في تحليلها "للمسألة الكوردية وتأثيرها على العلاقات التركية - العراقية في الفترة ما بين (١٩٩١-٢٠١٢)"، من خلال المشكلة البحثية التي طرحتها هذه الدراسة والتي تدور حول معرفة مدى التغير في العلاقات التركية العراقية نتيجة للتغيير في أوضاع الكورد منذ حرب الخليج الثانية مروراً بالاحتلال الأمريكي للعراق، إلى انتهاء الاحتلال عام ٢٠١٢.

بعد الحديث عن الخطر الكبير المتشكل على تركيا إثر حرب الخليج واستفادة الكورد من ذلك: أصبح كورد العراق في مقدمة المشهد السياسي العراقي بعد ان كانوا في عزلة عنه، وقامت الولايات المتحدة بتقديم دعم ومساندة كبيرة لكورد العراق في إطار تشكيل الخريطة السياسية في عراق ما بعد صدام، كما انفرد الكورد بشكل كامل على شمال العراق إلى جانب المكاسب السياسية الأخرى على الساحة السياسية العراقية، حتى أصبح الكورد يتمتعون بشبه دولة مستقلة في شمال العراق، وهو ما شكل ضربة قاسية لتركيا ولمصالحها السياسية في شمال العراق ويكفي للدلالة على ذلك استيلاء الكورد على مدينة "كركوك".

فالوجود الأمريكي في العراق شكل عائقاً كبيراً أمام تركيا للوقوف بحزم ضد الانتهاكات الكوردية للمصالح التركية في شمال العراق فقد حذرت الولايات المتحدة تركيا مراراً وتكراراً من أي محاولة للتدخل في شمال العراق.

كما أن تركيا وجدت وفي ظل الظروف المعقدة التي يمر بها العراق ان الدخول في شراكة مع كورد العراق هو أفضل وسيلة للحفاظ وحماية المصالح التركية في شمال العراق عن طريق ربط الاقتصاد الكوردستاني بتركيا وبالتالي ضمان اعتماد الكورد تجاريا على تركيا وبهذه الوسيلة يمكن ضمان محاربة حزب العمال الكوردستاني والحفاظ على حقوق الأقلية التركمانية، كما أن وجود شمال قوي قد يعمل على حماية المصالح الحيوية في العراق بشكل عام فوجود حكومة كوردية قوية في الشمال سوف تعمل كحائط سد أو حاجز بين تركيا والأجزاء غير المستقرة في العراق ليس هذا فحسب بل سوف تعمل أيضا على امتصاص التحديات التقليدية وغير التقليدية التي من الممكن ان تواجه الأمن القومي التركي، كما أن وجود حليف قوي لتركيا داخل العراق سيقف حائط صد امام النفوذ والتوسع الشيعي في العراق والمرتبب بحسابات تركيا الاقليمية في المنطقة، لهذا التزمت تماما بسياستها تجاه احترام كورد العراق وشمال كوردستان ولم تحاول التدخل سواء سياسياً أو عسكرياً في شمال العراق...).

دافعت الباحثة عن إيديولوجيا تستأثر بالعنف الدموي، والسلطة الضاربة، أكثر من فضيلة التروي عن الجاري، وفي الوضع الذي يسهل التعرف على طغيان العنف المذكور، من خلال شبكات أخبار، ووسائل تواصل اجتماعية. وظهرت تركيا، كدولة مؤثرة في حماسها هذا، أكثر من تناولها لما هو عراقي، شعوراً منها، أنها بذلك تزيد من رصيدها القيمي.

وفي عالم كهذا، في مقدور المقارب للذهنية التحصيلية للعلم جامعياً، أن يكتشف مأساة التسمية وبؤس المسمى، وما يسهم في الإطار عينه، في تنمية الأمة التاريخ في الحرم الجامعي، ومقاعد الجامعة، وكراسي التدريس بجلاء.

ذلك ما يجب أخذ العلم به، في أي عمل تخطيطي، أو تنفيذي، أو كتابي، في المضمار الكوردي، ومن قبل الكورد أنفسهم، وهم يؤرخون لأحداثهم، أو يطلقون تسميات مناسبة، أو يصطلحون على اطلاق صفات ونعوت على وقائع تاريخية، ليس من باب اتخاذ المحيطين بهم، وهم متخذون هنا طبعاً، مرجعاً في كل إجراء سلووي: حركي أو لفظي، وإنما لأن نظراً كهذا، يفيد في ضبط المعلومة أكثر، ويكسب الملفوظ طاقة حيوية أكثر صلاحية في البقاء، ونيلاً لاعتراف الآخر.

ذلك هو حال ما نحن فيه وعليه، ومن باب التهيؤ لمواجهة أي مشكل أو طارئ أو مساءلة لم يعد لها كما يجب بعمق.

إنها النقاط الأكثر سخونة في أي حدث والذي، مهما كان علامة نشوة قومية، أو انتصار شعبي، يحمل في طية له، بعضاً مما هو صادم، أو ما لا يقبل النظر فيه، وهذا يعكّر المسلم. أي ما يتم تفهمه في خطأ حاصل، أو أكثر منه يطارد الآتي !

وهي النقاط التي تسمى ما هو كوردي، أو تقلل من حضور الكوردي في كليته، أو ربما تستبقي منه القليل، على وقع خطأ حاصل، أو مشكل مؤجل من الداخل، وفي الوقت الذي يجري الدفع

بالمفهوم "ثورة" إلى الأمام، وهو بصفته التي باتت معلومة هنا وهناك "ثورة كردية"، في زمانها ومكانها المعلومين بالمقابل، أي ما يوسع مساحة المفهوم بصفته، ليكون هناك امتداد كوردستاني، وليس من استثناء، وفي الوقت الذي نلاحظ ما حدد المفهوم في مساحة أقل من المعطى الفعلي.

يعني ذلك أن هناك مسائل عالقة، لا يمكن الرهان على الزمن، بأنه الضامن لحلها، فالزمن في الحالة هذه هو نفسه، من يستدعيه، أو يحمله ما ليس له به شأن، وهذا يعني توتير الزمن، ومنحه شرف الوكالة لا عهد له بها.

والتاريخ، أخيراً، وليس آخر، هو أكثر من كونه المرئي والملموس أو المسموع، في الكامن فيه، وما يؤثر فيه أيضاً.

في حوار حديث العهد مع مؤلف "أمة في شقاق" يشير جوناثان راندل إلى واقعة مريرة في هذا التاريخ، وهي بدورها تنتمي إلى شبكة المسائل العالقة وهي ترشح أوجاعاً، وتثير تحفظات في آن. إنه يتحدث بعد استرسال في الكلام، حول علاقته بما هو كوردستاني - عراقي، بالحزبين التاريخيين: الديمقراطي- والاتحاد الوطني الكوردستاني، ودون أن يخفي قلقه تجاه المفصح عنه (أستطيع أن أتذكر الأوقات، عندما أردت الذهاب إلى الجانب الآخر، وكنت أتلقى مذكرة مكتوبة تسمح لي بالمرور" عبر نقاط التفتيش، في إشارة إلى خطوط التماس التي كانت موجودة بين أجزاء مختلفة من إقليم كوردستان التي يسيطر عليها إقليم كوردستان. الحزب الديمقراطي الكوردستاني أو الاتحاد الوطني الكوردستاني، الذي بلغت خلافتهما ذروتها في الاشتباكات المسلحة، وهو فصل مظلم في التاريخ الكوردي).^(١)

من المؤكد أن قارئ هذا القول لا يتوقف عنده سريعاً، ليس لانعدام أهميته، بالعكس، إنما بسبب خاصية الألفة فيه، جراء تكرار الإشارة إليه، وذلك في أواسط تسعينيات القرن الآفل، ولا بد أن الذي جرى مأساوي في الصميم، سوى أنه ليس يتيم حدثه التاريخي، إنما هناك أكثر من سلف مأساوي، لم يحل في التاريخ الكوردي المعاصر فحسب، بمقدار ما جعل نقاط فاعلة فيه مقروءة بالخط العريض من خلاله، وفي بعض الأحيان، وعلى وقع التوترات، يتوقف التاريخ في ثنيات تلك النقاط دون مغادرة، لأن الوقع أليم، والصدمة معلومة بمكوناتها الاجتماعي - السياسي - الثقافي والنفسي كوردستانياً، وما في ذلك من تأبيد وضع كهذا، وتداوله بمناسبة أو دون مناسبة، بسبب خطورة المحتوى.

راندل، Jonathan Randal : After Such Knowledge, America and the Kurds, www.kurdistan24.net (١)
جوناثان: بعد هذه المعرفة أمريكا والكورد

وهو ما يوقفنا في أواسط الستينيات، والمعروف بمفهوم "الانشقاق" السلالة التي أنجبت الكثير من حالات سوء الفهم، ومن ثم التنافرات، والدخول في مناقشات تخومية، بينية، أو جانبية، ليكون المفهوم فاعل مرفوع، وما عداه مفعولاً به.

ينوّه هنا، مثلاً، ولأننا في رحابة الحدث الأيلولي، حيث تتراقص ظلال الواقعة، إلى ما يجب تسطيره، ولو بإيجاز شديد، لئلا يصر إلى الدفع به إلى الأمام، وكأن المقصد هو تحويله إلى الحامل المحوري للحدث.

نتلمس مهبطاً من مهابط هذه المأساة الكوردية في حوار مع الراحل مام جلال، وهو يتحدث بصراحة عما كان، إلى درجة أن قارئه، ومقدار تأثره بحدث الراحل، يعيش مرارة القول وتاريخه المرفق به زماناً ومكاناً.

ثمة تحفظ على الثورة، ربما من هذا المنطلق، أي ما وقع تالياً وانعكس على البداية، أو تكوين الثورة الأيلولية، وما في هذا التحويل في التسمية من التشديد على عمق الهوة الخلافية المتعلقة بالبداية، وكيف جرى تطويبه وتوصيفه قيمياً: (في البداية أو أن أقول، بأن إندلاع ثورة أيلول عام ١٩٦١ بالشكل الذي حصل لم يكن مخططا له مسبقاً، من حيث الإستعداد وتهيئة مقوماتها الأساسية، بل كان نتيجة ذلك التجمع العشائري الذي ورط الحزب بمعارك لم يتهيأ لها. وعليه لم تكن لدى الحزب أية إستعدادات مسبقة لإعلان الثورة. فلو لم يتسرع الملا مصطفى بإتخاذ تلك التدابير، لكان بإستطاعتنا أن نهيء أنفسنا للثورة بشكل أكثر تنظيماً وتماماً، بمعنى كنا نستطيع أن نشكل أفواجا عسكرية أو نطلب من العسكريين أن يلتحقوا بنا وأن يأتونا بالآلاف القطع من الأسلحة، بنادق ومدافع وآليات وغيرها، ثم تنظيهم ضمن تشكيلات عسكرية متينة وإعلان الثورة بعدها، وليس كما جرى من تجمع عشائري ثم هزيمتهم وفرارهم...).

وعبر العديد من الإجابات المتعلقة بالأسئلة المطروحة حول ما جرى، يكون الراحل البارزاني في واجهة التسمية، جهة الدور الذي عرف به، والمآخذ المسجلة عليه، وهي التي تضعف في بنية المفهوم "ثورة" وصفته "كوردية".

ودون إخفاء التقدير تالياً للراحل البارزاني، وربما، لأن في ذلك التمني في أن الذي وقع كان يمكن ألا يقع ويصدم، ومن خلال التدقيق في كلماته، يتبين للقارئ، أو لي، كباحث، مدى قربته منه، ومعرفته للكثير مما يخص شخصيته: (إعلم أن البارزاني كان رجلاً ذكياً، هذه حقيقة يجب أن نأخذها في الحسبان، فقد كان يفهم في السياسة الدولية والإقليمية، ولكنه لم يكن كما وصفه الضباط الأربعة، ولم يكن كاتباً حتى يكتب ويصوغ كتاباته، وأعتقد بأن كثيراً من قادة العالم هناك من يكتبون له، يعطيهم الأفكار وهم يعيدون صياغتها، وعادة كان هؤلاء القادة يختارون من يثقون بهم بهذا المجال، ففي بغداد كنت واحداً من المقربين للملا مصطفى ولذا فقد كان يكلفني ببعض الكتابات. وحين يسأله

الصحفيون كان يوصيني أن أكتب ردوده وصياغتها. في مرحلة كان همزة عبدالله أحد المقربين إليه يجيب عن الخطابات الرسمية بدلا عنه، ولا أعرف في المراحل اللاحقة من الثورة من كان يتولى هذه المهمات، بمعنى أنه لم يكن بنفسه كاتباً يقدر على الكتابة باللغتين العربية أو الكوردية بشكل جيد، ومع ذلك فقد كان يضع ويؤشر النقاط الأساسية وهناك من يصوغها له، وفي حال لم تعجبه عبارة أو كلمة يوصي الكاتب بتغييرها أو شطبها. تطور قوات البيشمركة وتأسيس مجالس القرى^(١).

رجلان في قلب العاصفة، وهي كوردية، وثمة تأريخ يجري تدوينه من خلالهما، وظلال تنعكس بمقاييس مختلفة، تبعاً للمصطفين هنا وهناك، وهذه الظاهرة الاصطفافية، لا يشك في أنها تبقي الكوردية دون اسمها المرتجى.

قضية خلافة في بنيتها، ومرجعها التاريخي، تشغل أذهان السياسيين، والأكاديميين والمنتقنين والكتاب وحتى العاديين عادياً في الشارع، ونشهد بالطريقة هذه هدراً في القوة الرمزية لشخصية الكوردي ببعدها الكوردستاني كثيراً، وذلك من خلال تداعياتها، وردود أفعالها التي لم تتوقف إلى هذه اللحظة.

قبل عدة سنوات، ورد في حوار مع السياسي الكوردي المخضرم الدكتور محمود عثمان، ما يضيء هذه العلاقة، وهي ميسمها الخلافي، أو المعضل أحياناً، شأن نظائر كثيرة في مقطورة التاريخ الكوردي المثقلة بأوجاع كهذه: جهة قيادة الثورة: (الملا مصطفى كان رئيساً للحزب منذ أول تشكيله في ١٩٤٦ وكان مساهماً في تأسيسه وهو في جمهورية مهاباد. ففي تلك الفترة كانت هناك عدة أحزاب كوردية مثل حزب شورش وحزب رزكاري وبقايا حزب هيوا فقرروا التوحيد بعد الحرب العالمية الثانية وإتصلوا بالملا مصطفى وأرسلوا له حمزة عبدالله لهذا الغرض، وبارك البارزاني تلك الخطوة، فتشكل الحزب الديمقراطي الكوردي وجرى إنتخابه رئيساً للحزب وحمزة عبدالله سكرتيراً. وبقى البارزاني رئيساً إلى أن توفي. وإقترح البارزاني تعيين نائبين له، الاول هو الشيخ لطيف ابن الشيخ محمود الحفيد بإعتباره يمثل عشيرة كبيرة ومهمة، وكذلك كاكه زياد حمة آغا الكويي، فقد حسب البارزاني حساب العشائر القوية. وبعد ذلك ذهب إلى الإتحاد السوفييتي لاجئاً وبقي هناك إلى أن عاد إلى العراق بدعوة من قاسم وصدر عفو عام عنهم).

وما يخص مفهوم "الانشقاق" وكيفية مقارنته نقدياً، لمن يتحفز لمكاشفة تأريخية بالمقابل، ورداً على سؤال مصاغ: (الإنشقاق الذي حدث هل كانت له أسباب موضوعية في وقت كان هناك هدف واحد للجميع وهو مواجهة السلطة؟

(١) حوار العمر... الرئيس مام جلال: ثورة أيلول اندلعت دون تهيئة مقوماتها الأساسية، ١٣ كانون الأول، ٢٠١٨، أجرى الحوار: شيرزاد شيخاني، xeber24.org

كما قلت كانت هناك خلافات منذ وجود الملا مصطفى في الاتحاد السوفيتي، وتطورت تلك الخلافات في الخمسينات وتحديدا من عام ١٩٥٨ ثم توسعت كثيرا حول الصلاحيات الادارية والمالية للحزب، وتراكمت المشاكل الى حين اندلاع الثورة في ١٩٦١ التي أجلت تفجر الخلافات ثم جاءت ظروف الحرب والقتال، وأخيراً حصل الانشقاق كنتيجة لتلك الخلافات المتراكمة^(١).

لدينا هنا حفرة انهدامية عميقة ومعلقة في خاصرة التاريخ الكوردي التي لم تردم بعد، أو يجري النظر في عمقها الفعلي لدرس تاريخي!

وفق تصور اعتباري من هذا النوع، يغدو من الصواب القول، إزاء وقائع تاريخية مفصلة، لزوم تحريّ البنية عميقاً وسبر القاع لمعرفة ما هو فاعل وخفي. وبذلك، فإنه في مآزق مستدامة من هذا النوع، لا ينبغي الظهور بالتعبير الابتهاجي بنصر مظفر، وبالمقابل، التعبير بالتعبير الانتكاسي أو الانكفائي المحبط، جراً هزيمة واقعة، فالوجهان يتقابلان، ويؤكدون القيمة ذاتها في ميزان الصرف التاريخي للأحداث. أكثر من ذلك، يكون التصريح بالخطأ، ومن نوع ثقيل وطأ دخولاً في فضاء التاريخ الأكثر رحابة، وليس أن يمارس دون "نخر السن" في "فم التاريخ" ويتم التستر عليه، أو اعتباره ألماً عارضاً. وفي الوقت الذي يعلم كل معني بطبيعة ما جرى، كيف أن الظاهرة الجاشية إفرار انشقاقي، وهي تلقي بظلالها الرطبة على جهات كوردستانية كاملة، وليس التفرد بجهة دون سواها، في هذا المعمعان الإيديولوجي أو السجالي بالنسبة إلى أطراف القضية، أو الذين كانوا معنيين بما أصبح خلافاً، وتضاعف رصيده سلبياً مع الزمن.

إن الجرأة لا تكمن في طرح فكرة صائبة، وإنما في معاناة فكرة خاطئة، وكيفية التعلم منها، لشحن الهمة أكثر.

نعم، مما يخفف وطأ الخطأ وعدم اعتباره مطموساً، أنه يتم التفوه به، ومقارنته نقدياً، إنما يتطلب المزيد من التوسع، مقارنة بنوعية المستجدات الكوردية، وحاجة الكورد عموماً إلى دخول التاريخ، وهم أكثر توافقية على ما يسندهم في التاريخ.

من ذلك ما تعرض له الباحث المخضرم في التاريخ الكوردي، والأكاديمي المعروف عبدالفتاح علي البوتاني.

حين يشير إلى طبيعة الخلافات الكوردية وقتذاك وبعد انعقاد المؤتمر السادس لـ"البارتي" خلال الفترة (١٩٦٤/٩/١)، و(حضره أغلبية المندوبين الحزبيين عدا المؤيدين لإبراهيم أحمد الذين رفضوا حضور المؤتمر بحجة عدم شرعيته).

(١) شيرزاد شيخاني: هكذا تكلم السياسي الكوردي محمود عثمان، موقع إيلاف، ٢٣ تموز ٢٠١٥.

وليُجري تقويم ومتابعة لهذا الحدث العقائدي: (لا شك أن أخطاء وهفوات قد حصلت في المؤتمر السادس للحزب، عندما تقرر إبعاد المعارضين لاتفاقية ١٠ شباط من أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية، فقد كان من الصعب تعويضهم لأنهم كانوا من الكوادر المتمرسَة في النضال والغنية بتجاربها الحزبية، وقد أثر بطبيعة الحال على العمل والتنظيم الحزبي. وكان من نتيجة ذلك صعود العديد من أعضاء الحزب غير المؤهلين إلى قمة الحزب، وطغت الروح العسكرية والعشائرية على الروح الحزبية في الثورة...

المهم في الأمر، أن (البارتي) انشق واقعياً في تموز ١٩٦٤ إلى قسمين، وأصبح في كردستان - العراق حزبان كورديان يحملان الاسم نفسه، الأول بقيادة رئيس الحزب البارزاني، والثاني بقيادة سكرتير الحزب إبراهيم أحمد اللذين أخذوا يطلقان على نفسيهما اسم: الحزب الديمقراطي الكوردستاني - المكتب السياسي.

انتشر صدى الانشقاق في سائر أرجاء كردستان، وخيم على الجو السياسي فيها نوع من الأسى وهبوط المعنويات، ولا سيما بين الفئات الوطنية الواعية والمثقفة. ومن بين ردود الأفعال ظهور جماعة من الوطنيين الكورد، وقفت بشدة ضد ظاهرة الاقتتال الداخلي، ومن أجل أن تكون لها فاعلية سياسية قامت بتشكيل تنظيم سمته (جمعية إحياء التراث القومي الكوردي)...

مهما يكن من أمر، فالانشقاق أحدث إرباكاً في تنظيمات الحزب وفي صفوف البيشمركة، وأدى إلى حد ما إلى ضعف الجبهة الداخلية للثورة، وكان لأعداء الثورة الكوردية والشعب الكوردي دور لا يستهان به في زرع الخلافات وتعميقها بين الطرفين، للوصول إلى شق (البارتي) الذي كان يقود الثورة الكوردية.

يُعد الانشقاق الذي حدث في صفوف (البارتي) سنة ١٩٦٤ من أكثر الأحداث أهمية وخطورة التي أفرزتها اتفاقية وقف إطلاق النار في ١٠ شباط، ويعد هذا الانشقاق من النكسات المبكرة التي تعرض لها الحزب والثورة الكوردية، وامتدت آثارها لفترة طويلة فيما بعد... وفي الواقع فإنه كان يمكن تجنب الانشقاق وآثاره إذا كان هنالك حوار جدي بين الطرفين...

وأكبر خطأ اعترف به المنشقون - فيما بعد - هو حملهم سلاح الحكومة ومحاربتهم للثورة الكوردية جنباً إلى جنب الجيش العراقي والمرترقة الكورد.

في الحقيقة إن انشقاق ١٩٦٤ والتداعيات التي أعقبته، أضعف الثورة الكوردية وأثر على معنويات الشعب وأضعف القيم الوطنية والحزبية في صفوف الحركة الكوردية، حتى أن أحد المشاركين

في المفاوضات والموقعين على الاتفاق قال عن الانشقاق - وفي قوله مبالغة -: إن انشقاق ١٩٦٤ يعتبر كارثة في تاريخ الكورد وإن آثاره كانت سيئة جداً^(١).

لدينا مادة غنية وجريئة بمحتواها، متشكلة في هذه الفقرات الآنفه الذكر: إنها بمقدار الجرأة التي تتضمنها، تحفز على إشهار جرأة موازية، بغية مصادقة فضيلة التاريخ الأكثر سوية وخصوبة معنى. جرأة إرادة الحقيقة ليس إلا، في مواجهتها لذاتها، لتكون أكثر صلاحية استخدام، وإقامة في تاريخ المعرفة ومعرفة التاريخ. أي ما يجعل الجرأة مدسنة تاريخ الحقيقة التي تعيننا بكل مهامها في الكشف عما هو غامض وملتبس.

إزاء ذلك، وكما هو ظاهر، لا يمكن لأي كان، أن يتهجى مفردة "الانشقاق" إلا ويعيش شقاء روح من الداخل. بما أن بنية الانشقاق هي إخضاع أي معنى لمنطق التصفية من الداخل، وإخراجها من حالة السوية إلى الحالة الانقسامية.

وإذا كان الوارد في جملة الفقرات المقتبسة مؤثراً في سيرورة كتابة كهذه، فإن جانب الصيرورة، والذي ينتظر تسمية المختلف، لا بل والمغاير فيه، ما يترك الخلف في عداد خبر "كان" تعلماً من خطأ فادح، لا يراد له تكراراً واستمراراً.

وفي وسع مقدور من يعنيه أي تحرر في تاريخ الحقيقة، لا بد أن يتساءل عما يعيق حقيقة ما، يوقفها، أو يكتفم نفسها، أو يغير في هيئتها، أو يزيّفها، أو يتكتم على مكانها وزمانها ومن هم المعنيون بها، ليجد نفسه، وقبل كل شيء، وكما هو المرئي في التاريخ الكوردي، ما يعرف بـ "ذهنية التخوين" بكل تفريعاتها. إنها الجبل الجليدي العائم، الذي ربما يغري بالنظر إليه من بعد، لكنه لا يوقر أي راحة نفسية عن قرب، ويشكل خطراً يعيق أي حركة مرجوة في محيط التاريخ.

ولا بد - أيضاً - أن أهل التأريخ، ومن هم في النطاق نفسه، يحيطون علماً بالأرشفيف الهائل لهذه الذهنية، وهي تتمثل في جمهرة كبرى من الأدوار، البطولات المزكاة، الروايات، الحكايات، الأمثولات، المشاهد المحمولة في الداخل، القيم التي يتم نسجها وتلوينها من خلالها، وما في هذا الانتشار القاعدي لمآثرها المتوخاة من حضور وجداني وعقلنة كذلك، ولكم يعلم قراء تاريخ كهذا، بتراجيديات هذا المستقى من أرشفيف متنام من هذا النوع كوردياً^(٢).

(١) البوتاني، د. عبدالفتاح علي: اتفاقية ١٠ شباط ١٩٦٤ بين الحكومة العراقية وقيادة الثورة الكوردية (الأسباب والنتائج) دراسة تاريخية وثائقية، من إصدارات جامعة دهوك - فاكولتي العلوم الإنسانية - سكول الآداب، مركز الأبحاث العلمية والدراسات الكوردية، دهوك - ٢٠١٣، ص ٤٥-٥٠، وقد شارك البوتاني في تأليف الكتاب وجمع مواده شيرزاد زكريا محمد "جامعة زاخو" وهو أحد طلابه الجامعيين، والدكتور لاحقاً.

(٢) ربما أمكنني أن أحيل القارئ، بتواضع، إلى مراجعة كتابي: العالقون في الخندق المعلق "المدخل القبائلي إلى دراسة تاريخ كوردستان"، منشورات الأكاديمية الكوردية، أربيل، ٢٠٢١، ينظر، مثلاً، في المدخل، ص ٧-٢٢.

هذه الذهنية التي تصلبت وتجدرة في أعماق النفس كثيراً، مارست، ولازالت تمارس غواية احتكار الحقيقة، واستقطاب المشاعر والأذهان إلى حيث تمارس لعبتها، في أكثر الأوساط الكوردية اهتماماً بما هو سياسي وثقافي وحتى بحثي، تحت تأثير الإرث الثقيل لذهنية كهذه، طالما أن ليس هناك من مواجهة للحقيقة المفروضة.

لا شك أن الانشاقية، وهي بطول باعها في التاريخ، المجتمع، السياسة، الإعلام، الاقتصاد، التربية والأدب كوردياً، ذات خاصية نابعة من تاريخ الكوردي، وليس في الخارج، وإلا لما تأهلت، وتم تقديم التسهيلات اللوجستية والطوعية لها.

وهذا يطرح تحدياً أمام كل من يريد وعياً آخر، يمثّل الاعتراف بخطأ والصواب، ميزان التوازن النفسي.

وإذا كان هناك ما يتوجب التأكيد عليه، فهو أن الأخذ بمفهوم المدينة، كحقيقة مكانية عريضة القاعدة، هو الذي ينزع عن الحقيقة المساوقة، أو التي يجري التعامل بها، بسهولة، قشرتها الصلبة والتي تخفي فسادها الداخلي. نعم، المدينة التي يشار إليها، ليس أي مدينة، من خلال مظهر حركي، أو واجهة عمرانية معينة، وإنما ما يجري بثه من مؤثرات ثقافية، ومن ثم اعتقادية دنيوية كذلك، بأن المدينة هي التي تشكّل المحك الأكثر حيوية لجعل الحقيقة المنشودة حاضرة.

دون ذلك، كيف للكوردي أن يتهذب بروحه من الداخل، وأن يتنور بوعيه الباطني، وهو مكتشف لسواه بالمقابل.

يكون التحدي التاريخي في هذا المنحى إذاً، هو كيفية جعل القول فعلاً، لأن الفعل هو لسان حال انعطافة التاريخ بجلاء ؟

وليس من حدث جلل، أو حدث ينظر إلى ملابسات الجاري، ومن خلاله، أكثر جدارة، لأن يُنطق منه، مما نحن فيه وعليه. ليس هناك حدث مماثل لهذا الحدث الأيلولي، يستحق التجاوب معه، لضبط ما كان، حرصاً على سوية الحدث.

تُرى، جرّاء تمسك الكوردي بالآتي، أليس من واجب الحق عليه، أن يتساءل عن المطلوب، ليكون إنسان الآتي هذا؟ أليس تقرير المصير الذي لا يفكر فيه آناء الليل وأطراف النهار، وهو مثنى جداً كوردياً، يطرح نفسه في هذا النطاق، أي ما يقربه من التحقيق، حيث يتم دفع "رسومه" النفسية، ومستحقته من الإجراءات التي تتقدم به دون تلكؤ ؟

ما الذي يخيف أحدهم من النطق بحقيقة معينة، إذا كان بينه وبينها وئام، أو وشائج قربي ؟ ألا يلزم سؤال كهذا أي كوردي، وهو في معرض الحديث عما يعاني منه، أو يشوّش عليه تاريخه، ويعيق تقدمه في التاريخ، هو خوفه الداخلي، من أنه يفتقر إلى القوة النابذة، قوة الاعتراف بحقيقة الذات، وبالتالي، الصراحة بحقيقة قواه، لئلا يتعثّر مراراً في التاريخ ؟

ثمة مثال طريف، ولاذع بفحواه، يتوزع في بطانة مناقشة أحد المهتمين بموضوع كهذا، ومن خلال تصرف السياسي، وما يدعم حجه من الزاوية النفسية المحكّمة بالمقابل، لإضاءة ساحة هذه النقطة المرگبة: (كتب أندريه برات André Pratte في كتابه أن سياسيينا عموماً مستقيمون وصادقون، وهم في هذا الصدد انعكاس مخلص للأشخاص الذين ينتخبونهم. وبدلاً من تقديمهم كأشخاص ينغمسون بشكل منهجي في الأكاذيب، كان على برات أن يكتب أنه في مسائل الحقيقة في اللغة، فإن السياسيين هم أيضاً انعكاس صادق للسكان الذين يعهدون إليهم بمهمة الحكم. وعندما كنت طالباً، غالباً ما يذكرنا المعلم بكلمة الكتاب المقدس بأن لكل إنسان جانباً من الخداع والكذب. وفي قلب كل إنسان، يتم التعبير عن التوتر بين الحقيقة والأكاذيب يومياً. ألم يثبت عالم نفس أمريكي مؤخراً أن كل شخص يكذب بمعدل مائتي مرة في اليوم؟ يجب أن نكون حذرين للغاية بشأن هذا عندما نميل إلى إدانة قلة من الشر المتأصل في حالتنا بالفعل. سنكون قادرين على محاربة هذا الشر بشكل أفضل إذاً، بدلاً من جعل فئات معينة من الناس، سواء كانوا سياسيين أو صحفيين، كبش فداء لنقاط الضعف التي تؤثر علينا جميعاً، اتفقنا على مواجهتها في هذه العملية. إن روح التواضع والتسامح وضبط النفس الذي يليق بمجتمع ديمقراطي، مع تفكير خاص بالتضامن واليقظة الأخوية تجاه أولئك الذين يعملون في السياسة، في أي مكان، ومن جميع مناحي الحياة. ومع الحقيقة ربما يكون هو الأقوى والأكثر عرضة، عندما يفلت من اليقظة والسيطرة الصحية على الرأي، لإحداث آثار ضارة على الجسم الاجتماعي بأكمله.)⁽¹⁾

هانذا نرى أنفسنا بين لعبة السياسي وخطابه الأدائي ومشرحة عالم النفس ذات الصلة المباشرة بحفر الأعماق !

يتوقف رهان الحقيقة، وشجاعة النطق بها، والحرص على سلامتها، على مقدار الخروج من الذات الضيقة، ومن ثم مقدار تفهم الآخر، باعتباره الممتلك لتلك المعرفة القادرة على مواجهتنا بها، حين نبخس حقيقة ما قيمتها أو نستهيها بها !

حول الاعتراف بحقيقة تاريخية، ومن زاوية نقدية، يتمكن النظر فيما سطره السيد مسعود البارزاني، بصفته معاش ما كان، والشاهد على ما كان، والمسكون بتداعيات ما كان في الوقت نفسه: (التاريخ الفعلي لنشوب الثورة كان اليوم التاسع من أيلول ١٩٦١. وهو اليوم الذي هاجم فيه الجيش العراقي القوات الكوردية في مناطق متعددة وأنجزت القوات الثورية فيه تحرير زاخو. لكن أُعتبر الحادي عشر منه التاريخ الرسمي لإندلاع الثورة لأنه كان يوم ظهور الطائرات الحربية العراقية في أجواء كوردستان ومباشرتها عمليات قصف لأنحاء واسعة شملت قرى وقصبات عديدة وبالأخص تلك

(1) Ryan, Claude : Le service de la vérité en politique, journals.openedition.org

ريان، كلود: خدمة الحقيقة في السياسة ضمن ملف كامل، باسم : الحقيقة في السياسة "مستقبل الخدمات العامة" La vérité en politique ; l'avenir des services publics

القرى المنتشرة على جانبي طريق كركوك - السليمانية، والقرى المجاورة لسد دوكان ضمن دولي (وادي خلكان).

ثم مباشرة (لا أنكر أن عبدالكريم قاسم لم يلبث أن تنكّب سواء السبيل وباد الشعب الكوردي بالعدوان والتنكر لحقوقه المشروعة. لكن ليس من العدالة والإنصاف في شيء أن نحمله كل التبعية وأن نعزو إليه كل الجرائم والفضائح التي ارتكبت بحق الثورة والشعب الكوردي في أثناء الثورة. فهناك جهتان تتقاسمان المسؤولية. وعلي الإقرار بأن تعاملنا معه ومع نظامه لم يكن في معظم الأحيان يتسم بالحكمة وبعده النظر بل كان مشوباً بالتسرّع والطيش وعدم التبصر بالأخطار التي كانت تهدد حكم قاسم ونظامه. كنا نتصرف وكأننا دولة داخل دولة في بعض الأحيان، ليغدو ذلك عند قاسم مصدر قلق وتحسب وتخوف على الوحدة الوطنية المهتدة. فأعطيناه بذلك حجة قوية انتهزها الشوفينيون الذين يحيطون به ولم يكونوا يكتفون له أي قدر من الإخلاص والولاء في حين كانوا يخصّون الشعب الكوردي وتطلعاته القومية بأعظم الحقد ونجحوا في سعيهم إلى جزره نحو خندقهم وأقاموا جداراً من الشك وسوء الظن بينه وبين ملا مصطفى البارزاني والحزب الديمقراطي الكوردستاني والشعب الكوردي. وسعوا سعياً حثيثاً لجره إلى خندقهم كما حفروا أخدوداً من الجفوة والكره بهدف تجريده من مناصريه والموالين له وعزله ليسهل عليهم التآمر والعمل على إزاحته بإحداث ذلك الانقلاب الذي قضى عليه وعلى نظامه. أنا شخصياً أستبعد نجاح ذلك الانقلاب لو بقي الحزب الديمقراطي الكوردستاني ورئيسه البارزاني إلى جانبه، وعلي في هذه المناسبة أن لا أغفل مسؤولية الأحزاب السياسية الكبيرة في انحراف قاسم. لم يكن حرياً بالشيوعيين والبارتيين أن يخلوا الساحة للقوميين الشوفينيين من خلال إبعاد أنفسهم عنه وترك ذلك الفراغ السياسي ليملاؤه المتآمرون، وليتركوا أحراراً في نسج مكائدهم ومؤامراتهم وتوحيد تكتلاتهم التي نجحت بالأخير في القضاء عليه)^(١).

إنه اعتراف صريح بواقعة أريد لها ألا تكون هكذا. وهو اعتراف من رمز نضالي كوردي، يمنح الاعتراف قيمة تاريخية وتوثيقية بالمقابل، ومن ثم يحفّز على مكاشفة المزيد، أو وجوب التروي في التعامل مع كان قبل إصدار أي حكم قطعي.

يعني أنه لو لم يحصل ما حصل، لما كان الذي يعاش اليوم، هو نفسه، حيث إن خوض المعارك، يعني تغيير مسار تاريخ ما، والتمهيد لظهور غد من نوع آخر، وبشر، ينتمون إلى نطاق الحدث، يكون لهم مقام آخر بالمقابل، سواء، في طريقة تلقيهم للمستجدات، أو في تعاملهم مع بعضهم بعضاً، أو في طرق التعامل القائمة بينهم وبين الآخرين.

(١) البارزاني، مسعود: البارزاني والحركة التحررية الكوردية، الجزء الثالث، ثورة أيلول ١٩٦١-١٩٧٥، مع ملحق وثائقي، أربيل ٢٠٠٢، ص ٧-٨.

والسؤال المطروح هنا، كم عدد أولئك الذين انبروا مصرحين بواقعة مماثلة، نوعاً من النقد الذاتي بالتحديد ؟

لا شك أن مفهوم "النقد الذاتي" أكثر من صدى نفسي، ومعيار قيمة، وهو يتوقف على ممارسه: اسماً ومكانة ووظيفة، ليكون لكل وضعية اعتبار معين طبعاً، ولكنه من حيث الدور، يمثل ميزان الحرارة الذي يعلم بطبيعة المناخ، وكيفية الاستعداد له. وما أكثر الذين ينخرطون في لعبة التاريخ، أو تستهويهم ساحتها، بعيداً عن أي ممارسة "ميزانية عقلياً" كهذه !

وعلى الصعيد الكوردي، وبصدد الحدث الأيلولي، يتراءى أن هناك ما يستحق المكاشفة النقدية أكثر، ليتوازن الحدث الموسوم بصورة أفضل، ومن ثم ليصح النظر إليه، بوصفه رأسملاً رمزياً يكال له مديح التاريخ بالذات.

تأكيداً على فعالية شجاعة الاعتراف بحقيقة كهذه، ينوه هنا، إلى ما نشره الأكاديمي والباحث العراقي المعروف رشيد الخيون، وفي صحيفة سعودية لها مكانتها الإعلامية والفكرية بالمقابل، وتحت عنوان "أيلول..ثورة الكورد!"، حيث إن خميرة المقال المنشور، هي ما ورد آنفاً في صراحة البارزاني: انطلقت ثورات عديدة من المنطقة الكوردية، لكن ثورة أيلول (سبتمبر) ١٩٦١ أصبحت بمثابة الأم، والتي يختلف على يوم انطلاقتها، العاشر من الشهر أو الحادي عشر منه، ويبدو أن ما وقع في اليوم الأخير بنيويورك وواشنطن غطى على الأحداث، حتى لم يبق مجال للفت الانتباه إلى تلك الثورة، وهنا ربما سيؤخذ بنظر الاعتبار ما ذهب إليه البعض بأنها حدثت في اليوم العاشر.

وبعيداً عن تقييم تلك الثورة، يمكن القول بأن السياسة العراقية، بمجمل تاريخ الدولة، ظلت مرتبطة باضطراب أو استقرار شمال البلاد، وأن أكثر الخصوم، للعراق الملكي أو الجمهوري، استغل الفرصة ليدخل مؤثراً من تلك الجهة، بل وما من انقلاب حصل ببغداد إلا وكان الإنقلابيون قد نسقوا مع الزعامات الكوردية، وكتبوا على الورق الاعتراف بالحقوق كاملة، لكن ما هي إلا فترة وجيزة ويعود الكورد إلى بنادقهم.

وما يخص ثورة أيلول، نجد لدى رئيس إقليم كردستان مسعود البارزاني رأياً آخر يقول: «كنت في قرارة ضميري أتمنى أن لا تنشب ثورة أيلول في عهد عبد الكريم قاسم، وأنه إذا قُدر لها أن تنشب فلتكن قبل عهده أو بعده، وربما عذرتني القارئ عن خيالي هذا حين يدرك أنه نابع عن الإحساس بالفضل العظيم الذي ندين به لهذه الشخصية التاريخية، وأنا أقصد الشعب الكوردي عموماً، والعشيرة البارزانية بنوع خاص...» (البارزاني والحركة التحررية الكوردية).

هذا الرأي الذي نُشر العام ٢٠٠٢، وإن كان متأخراً لكنه، حسب رأيي، يعبر عن وجهة نظر صائبة، ومراجعة شجاعة من قبل أحد أبرز القادة الكورد حالياً، وربما هناك ما لا يفصح به البارزاني من استغلال ذلك الحدث من قبل القوى التي كانت تنسق للوصول إلى السلطة، وفعلاً وصلت بالتنسيق

مع القيادة الكوردية، وما هي إلا لحظات ولم يعترف للكورد ما كان عبد الكريم قاسم معترفاً به، وما كان العهد الملكي سيصل إليه، ولا يخفى على أحد أن شخصيات كوردية مرموقة كانت تدير السلطة في العهدين، ومؤثرة في القرار السياسي.

اجملاً، لم تكن الحركات المسلحة الكوردية صافية للدوافع القومية والتحررية، وعلى وجه الخصوص ثورة أيلول، فهناك الإقطاعيون الذين تأثرت مصالحهم بقانون الإصلاح الزراعي، ولا ينكر تأليب العامل الخارجي. ولا أظن أن إمتنان مسعود البارزاني لعهد عبد الكريم قاسم هو السبب الوحيد لتصريحه السابق، إنما هناك حساب للخسائر والأرباح بعد ذهاب ذلك العهد، وانقلاب المؤيدين ضد مطالب الكورد، مثل موقف القاهرة والموقف القومي العربي بشكل عام.

تبدلت الدنيا واشترك الكورد في قيادة الدولة اشتراكاً حقيقياً، بعد مقاسمتهم الدور في المعارضة العراقية، وليس هناك من اعتراضات جدية على اتخاذ الفيدرالية طريقاً لإدارة الدولة، بعد أن كان المطلوب: الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكوردستان، إلا أن العقبة الكأداء ما زالت كركوك، ثم دعمتهما خانقين وبقية المناطق، التي عُرِفَت في الإعلام بالمتنازع عليها، وظهر الأمر اثناء الحوار كأنه بين دولتين مثلما تقدم. وما ساعد على ذلك، حسب رأي أحد القادة الكورد، أنه لم تتبلور الفيدرالية ببقية العراق، لذلك تظهر المواجهة على أنه بين دولتين.

نعود إلى صراحة رئيس الإقليم مسعود البارزاني في شأن ثورة أيلول، وما كان بين الكورد ونظام عبد الكريم قاسم، قال: «وعليّ الإقرار بأن تعاملنا معه ومع نظامه لم يكن في معظم الأحيان يتسم بالحكمة، وبعد النظر بل كان مشوباً بالتسرع والطيش وعدم التبصر بالأخطار، التي كانت تهدد حكم قاسم ونظامه، كنا نتصرف وكأننا دولة داخل دولة في بعض الأحيان، ليغدو ذلك عند قاسم مصدر قلق، وتحسب وتخوف على الوحدة الوطنية» (المصدر نفسه).

قد لا نجد شخصية أو حزباً سياسياً أمتلك هذه الشجاعة على صراحة النقد، ذلك إذا علمنا أن أيلول والشخصيات التي فجرتها، وفي مقدمتهم البارزاني الأب، قد تحولوا إلى قدس من الأقداس القومية الكوردية. وهنا يأتي الفارق بين الفعل السياسي والفعل الأيديولوجي، الذي من شأنه التقديس والتعصب.

أقول: هل ما زال ذلك الموقف في ذهن القادة الكورد، وهم الآن الدولة نفسها، عندما تُطرح الصلات بين الإقليم والمركز؟! وهل ثمة انفتاح على بقية العراق، والخروج من فكرة الثنائية بين الدولة والإقليم، فعلى حد مقال لحسين سنجاري، كم علماً عراقياً رفعتة تظاهرة الأحزاب الكوردية بشأن كركوك؟!

عموماً، الخشية بعد استنفاد الحوار عبر الدستور، بشأن المختلف عليه من أراض وأموال ومسؤوليات، هناك من يهدد بالمواجهة، وفي الظروف الحالية، وبعد علائق المواطنة وذكريات المعارضة السابقة الحميمة، تصبح المواجهة: "إذا رميت أصابني سهمي"!(^١).

لقد أوردتُ المقال كاملاً، حتى يمكن النظر في طريقة بنائه من ألفه إلى يائه، ولأن فيه إلى جانب إضاعة مقولة البارزاني، ثمة البعد الآخر لحقيقة الاعتراف، وهو البعد الذي يجري اشتقاقه من هذا الاعتراف بالذات، ومآله الاعتباري كذلك، من جهة، يجري الثناء على شجاعة البارزاني فيما نشره من "نقد ذاتي" رغم أنه جاء متأخراً، وهو بالتالي، يطالب بالميزد من الاعتراف بأخطاء واقعة في سياق تعامل الكورد مع بعضهم بعضاً، إنما مع "أخوتهم" العراقيين وسياسيين أكثر، وما يترتب على توجيه مسار نقدي من هذا القبيل، بوجوب الاعتراف بشخصية العراقي داخل الكوردي، أكثر من اعتراف العراقي "الأخر" بشخصية الكوردي المختلفة في كينونتها الثقافية والسياسية والتاريخية.

ومن مفارقات المسطور هنا، ما يتلمس في تعبير "شمال العراق" من تجريد جغرافي لاسمه، أي ما يدفع بالكوردي لأن يكون عراقياً أكثر من كونه كوردياً، وإذا أراد الإفصاح عن كوردية، فبصوت مهموس، وليس أن يعلو صوت كورديته صوت عراقيته، حيث إن توصيف "شمال العراق" ذو مفهوم سياسي في الحالة هذه وليس جغرافياً، ويا له نقد موجه، طي نقد يتطلب تصويباً في تعبير قائم كهذا، أي بخصوص "شمال العراق" وتبعات التعبير، والذهنية المشتغلة بمحتواه !

تضاف هنا نقطة رئيسة، وهي في التعويل على صراحة البارزاني، ومواجهته بها جملة السياسيين الكورد، الذين يحلو لهم أن يفكروا بمنطق: الأنا الكوردي، قبل الآخر العراقي، لتكون سلسلة الأخطاء التاريخية العراقية يتحمل الكورد تبعاتها !

إنه وجه اختزالي لمقولة البارزاني بالتعامل الأحادي الجانب هكذا، وليس من منطلق الشراكة في تقاسم الأخطاء !

ظلال الثورة:

ليس للثورة ظل واحد، مثلما أن الثورات، بصفاتها الجمعية تتفاوت في التسمية، وعلامات التسمية، وكل ما يشغل التسمية الواحدة، والمقومات الاجتماعية والسياسية والفكرية لها، دون نسيان الأصداء العائدة إليها في وضعيتها الطبيعية، أي على الأرض، وليس من خلال ما يظن أنه كذلك، أو ما يُعتقد أن الوضع دون أو أكثر من ذلك، طالما أن هناك مصائر تتلون، أو تتقرر، أو تتحرر في ركاب هذه

(١) الخيون، رشيد: أيلول.. ثورة الكورد !، صحيفة "الشرق الأوسط"، ١٧/٩/٢٠٠٨.

الثورة وتلك، وهي في حالة من الندرة التي تجعلها منتظرة زماناً طويلاً، والندرة، كما تقدّم، هي العلامة الفارقة الكبرى لأي من هذه التي تسمى بـ"الثورات" بما أن هناك إحداثاً لتغيير جذري ما إثرها. وهذا يطرح أكثر من تحدّد على الباحث في الشأن الكوردي تاريخياً، والتدقيق في الكم الوافر من "الثورات" وكيف أجيّز لها أن تكون ثورات في تتابعها ومساراتها الجهوية، ورموزها، وتترك ندوباً في واجهة جسد التاريخ الكوردي، أو آثار أوجاع وانتكاسات وجروحاً تنبه إلى خلل حاصل، لا يسوّى مع الزمن، كما في الحدث الأيلولي المتركّز عليه أساساً.

أعني بذلك، ما يقربنا من ظلالها، وأين تمتد، وتبعاً لأي توصيف ثقافي، أو اعتبار اثني، أو اعتقادي أو ماهوي، بالمفهوم الفلسفي، أي نسبة المحقق من الآمال المرجوة، قياساً إلى الآلام التي أورتها في الداخل. إنه حساب لا يغفل قوةً هنا.

نعم، يمكن التساؤل هنا عن حقيقة الثورة وظلالها، وكيف تتشكل هذه الظلال، ومن هم الأشخاص الذين يجسّدونها، أو ترتد عليهم، والجهات التي تتحمل تبعاتها، على أرض قادرة على الكشف عن توضعاتها: مساحة وثقل نوع وتبين أثر؟

إن مشروعية هذا القول تصب لصالح شفافية البحث المرجو عن الثورة بالذات، كمفهوم، كأعطية تاريخ على وقع دفوعات تضحوية، وليس بالمجان، وما إذا كان الظاهر في الإثر يرتقي إلى مستوى الاسم: ثورة، وكيف ؟

في الحديث عن الثورة، وبعد الذي تقدّم، من عناوين متسلسلة: ظلية، ولصالح عنوان يتخذ من الظلال حاملاً معرفياً له، لا بد، ونحن في الفقرة الأخيرة من هذا القسم، أن نمارس نوعاً من التفكيك للثورة. إنها ليست أي ثورة، كمفهوم نظري، إنما لها حمولتها ذات العلاقة بمكان وزمان معلومين، كما هو الوارد في المقصد من العنوان الرئيس: ثورة كوردية ! لماذا؟ أي تسويغ اجتماعي، سياسي، بنيوي، وتاريخي، يمنحها علامة تمايز كهذه ؟

الثورة، في البعد السيري لها، ثورات، والثورات تواريخ، أمم وشعوب، جهات متباعدة جغرافية، وثقافات على أشد ما يكون من التعارض فيما بينها كذلك، وأزمة لا تخفي تباعدها هي الأخرى، عن بعضها بعضاً، بحيث يستحيل أحياناً، وأكثر من ذلك، النظر إلى واقعة حادثة على أنها ثورة، قياساً إلى نموذج قريب الحدوث أو بعيد. وفي الحالة الثانية، ما يعزّز الحادث ثورة، نظراً لوجود سمات تشابه بينها وبين ثورة حديثة العهد انبثقت في الجوار. إلا أن طريقة القالب غير معقولة هنا، لأن ليس من فعل ميكانيكي يجيز مثل هذا الوصف، وإمكان منح شرف التسمية. فكل ثورة تتكلم بلغة أهلها، وتبعاً لظروفهم الزمانية والمكانية، والكم المملوب من المشاعر والأحاسيس والهواجس والمخاوف، إلى جانب تلك اللاتحة من المشاهد المسجلة، والأقاويل المنبثقة من المكان نفسه، وطريقة تهجتها، ولحظة الولادة المنتظرة أيضاً.

توضيحاً لهذا الإجراء المطلوب، يشار إلى مثال، هو درس في فلسفة الثورة: نشأة ورعاية ومواصفات، يخص ما تصدت له المفكرة الألمانية هانا / حنة أرندت (١٩٠٦-١٩٧٥)، وهي تمارس تشريحاً اجتماعياً - تاريخياً للثورة واستنطاق المختلف فيها^(١).

إن ما تستهل به أرندت في مقدمة الكتاب، يرفع من سقف نباهة الوعي المرافق لأصل الكلمة، وهي تضعنا في القرن العشرين الذي يتمتع بحظوة كبيرة لديها، على مستوى تفهم الثورات مقابل الحروب الواقعة ونوعيتها (إن الحروب والثورات قد حدّدت اليوم ملامح القرن العشرين. ص ١٣). لا أرى أن هناك أي داع، للسؤال عن حقيقة هذا اليقين، وصلته بما ننشغل به. لأن كل دارس ومعايش لقطار القرن العشرين الطويل، يدرك في الحال، كم نقلت مقطورات أسلحة الحروب، وجثث الضحايا، وفي جهات مختلفة من العالم، وتحديداً بالنسبة إلى الحربين العالميتين، والجراحات العميقة التي خلفتها في النفوس والذاكرات الجمعية، وما أعقبهما من حروب أخرى، وهي لا تنفصل من ناحية التأثير المرور عن تأثيراتهما المدمرة والمروعة، وإلى هذه اللحظة التي تشهد حروباً شتى في المنطقة. يظهر، في ضوء المآتي على ذكره، أن هناك علاقة طردية، بمفهوما الحسائي، بين مدى الانخراط في الحروب، والشعور بالحاجة إلى الحرية. والحرية هذه ذات صلة مباشرة بالعدالة، التي تضع نهاية لأي حرب، وتزكيّ سلماً اجتماعياً.

نعم، بين الحروب وفكرة الحرية، أكثر من رواية ساردة لخطابات شتى تنتمي إلى أزمنة مختلفة. حروب تقوم على خاصية الحرية الفائضة عن اسمها، مما يهدد حدود حريات أخرى، الأمر الذي يؤدي إلى تنازع حريات بالمقابل.

إنما ما يجعل للحرية معنى، ويمنحها أرضية، هو وجود فكرة الثورة بالذات، وهو ما أشارت إليه أرندت، بتسميتها للحقيقة التي مفادها (أن العلاقة المتداخلة بين الحرب والثورة والتداول المشترك بينهما، وقد تزايد بإطراد، كما أن التأكيد في العلاقة قد انتقل تدريجياً من الحرب إلى الثورة. ص ٢١). في شن حرب، لأن هناك حرية جانبية، تحفّز على اندلاعها، يقع ظلم، عنف ما، تعسف في استعمال القيم، استبداد منقذ في من تشنّ ضده حرب، الأمر الذي يفجر في المهاجم ثورة بالطريقة التي يقدر أنها بها يستطيع التخلص من الآخر.

هذا يوسّع نطاق البحث عما تعنيه الحرب من دمار وترويع وتهديد للحياة، والحرية التي تتداخل مع الحرب من إهانة إلى اسمها بالذات، لتكون الثورة في الحالة هذه نفيّاً منطقياً لحرية متمادية، وحرب طاغية بالتحديد.

(١) أرندت، حنة: في الثورة، ترجمة: عطا عبدالوهاب، مراجعة: رامز بورسلان، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨، وقد وردت الإحالات المرجعية في المتن للإيجاز.

كيف تفهم الثورة حديثاً، وفي موضوع كموضوعنا؟ هذا ينكشف كحقيقة في ضوء المثار (إن من الأمور الجوهرية جداً إذاً، في أي فهم للثورات في العصر الحديث، أن تتزامن فكرة الحرية مع التجربة كبداية جديدة. وبما أن الفكرة الحاضرة للعالم الحر هي أن الحرية، وليست العدالة والعظمة، تمثل المعيار الأعلى للحكم على الهيئات السياسية، فإنه ليس فهمنا للثورة وحده، بل مفهومنا كذلك للحرية الذي هو ثوري الأصل، هما اللذان عليهما يتوقف قبولنا ورفضنا لذلك التزامن. ص ٣٩).

تُرى، ألا تشكل فكرة أُرندت عن الثورة علامة تحفيز للفكر في أن يتبصر فيما يريد ولم يريد وكيف يريد ذلك؟

ألا تقوم فكرة الثورة على وعي دقيق بكل المقومات التي تجعلها فعلاً، وهي في البداية تحليق خيالي نفسي، ومن ثم رغبة تفكير في الحاصل، وبعد ذلك البحث عن الأدوات والقوى التي تمكّن من جعل المخفي مرئياً ومعانقاً؟

تُرى، أيضاً، كيف يكون منطق تاريخ الثورات، وهي في تنوعها، واختلاف أسنتها، وتفاوت قيمها مشرقاً ومغرباً؟

إن وقعنة الثورة بمفهومها الكوردي، لحظة أخذ صورة "شعاعية" عميقة الأثر للثورة التي أشير إليها سالفاً، لا تكف عن السؤال عن وجوب تسمية القوى التي كانت وراءها، إن من جهة النوعية، أو الكمية، وطبيعة العلاقات القائمة.

ثمة ضرورة للسؤال حول مدى الإيمان المسبق والمدروس بالثورة، نشأة وتحركاً وهدفاً، وفي مجتمع، لا بد من مراعاة مختلف القوى التي تكوّنه، وهي ليست واحدة، أو ليست متناغمة مع بعضها بعضاً. إن مجرد الحديث عن الثورة، ومن العنوان، وكونها كوردية، يعزز من مقام السؤال عن المسوّغ، لتكون أكثر إشراقاً!

من حق قارىء له صلة معرفية وتاريخية بالثورة، أن ينوّه إلى الجانب الحماسي للثورة، وليس لأن هناك تفهماً بنيوياً، واقتداراً يمكن من إخراج الثورة من حالة الكمون إلى حالة الفعل. وسبب ذلك، الضغط الذي يستشعره المراهن عليها، وما في بنية علاقة كهذه من حالة لا تكافؤ بين القوة التي تتطلبها الثورة لتظهر إلى العلن، والقوة الكامنة وهي دونها حقيقة.

جانب الحماس لا يخفي تأثيره العاطفي، أو المؤثر في الخيال الجامح أكثر من إرادة واعية للهدف المنشود.

ومن حق قارىء، في مضمار علاقة كهذه، أن يتجاهل التسمية، ويبقيها معلّقة، لأن هناك ضرورة لأن يكتمل فيها نصاب تاريخي، أي ما يشكل توقيتاً لولادتها تجنباً لما هو مأساوي، في حال التعرض للفشل.

ومن حق قارىء أن يتحفظ على الثورة هذه، ربما لأن ليس لديه القناعة الذاتية بها، ليس رفضاً لها، وإنما جرأ شعور نفسي ما، لا يستطيع تحديده بدقة، سوى أنه على دراية ما بأن هناك خللاً ما، وهو لاشعوري مؤثر في المفهوم.

ومن حق قارىء أن يرفض المناقشة جهة كونها ثورة أو ليست كذلك، لأن مسرح الثورة غير مؤطر، وكذلك زمن الإنجاز، والقوى المسخرة لذلك، وهذا من جهة يريحه في تصرفه هذا، لوجود ما يسوغ له ذلك، ويجنبه الإقدام على الدخول في مغامرة مجهولة، من جهة أخرى.

ومن حق قارىء أيضاً، أن يشدد على المسماة ثورة، وهي ثورة، ودون الدخول في التفاصيل بالذات، وهذا يرتد بنا إلى الوراء مجدداً، تعويلاً على ما هو نفسي. إذ من المستحيل بمكان التأكيد على أن الثورة أي ثورة كانت، يمكن لها أن تقوم، ومن قبل قوى اجتماعية معينة، وكان هناك ضمانة بأنها ستحقق نتائجها المرجوة.

ومن حق قارىء كذلك، أن يشدد على اعتبارها ثورة نظراً للقيمة التاريخية المعتربة، وخاصيتها الاستثنائية، نوعاً من الاستماتة عن الذات القومية، أو التعبير الصارخ عن ذات منجرحة والتصدي للآخر الذي يريد النيل منها.

وعلى الصعيد الشاغل لنا كوردياً، ومن حيث المبدأ، من حق الكورد، وفي العصر الحديث، أن تكون لهم ثورة، أن يشار إلى ثورة تعنيهم وتسميهم، وتترجم قواهم على الأرض بالصوت والصورة، كما هي الثورات الأخرى، أي حيث يكون هناك لكل شعب، وفي لحظة مفصلية من تاريخه ثورة تنتمي إليها، كونها تنفست بين جنبيه، وحملت آلامه وآماله، ووجدت طريقها إلى الأرض، في زمن معلوم، يسجل بتاريخه: السنة، الشهر، واليوم، وحتى الساعة، تأكيداً على قيمتها النوعية، بمقدار ما ينتمي هو نفسه إليها، نظراً لوجود العلاقة الرحمية، إن جاز التعبير بينه وبينها، فكلّ منهما يحال على الآخر.

ثورة بمقاييسه هو، وليس بمقاييس أي كان، ربما لا يجد أي أثر لها في بنيتها، أو خلاف المتصور فيها أحياناً، وبصورة خاصة، من لدن الراضين لهويته، وكل ما ينسبه إلى جغرافيتها التي يعيشها بوجدانه الجمعي هنا.

في كل ثورة، تبرز مجموعة اعتبارات اجتماعية، سياسية، تربوية، نفسية وثقافية تعزز موقعها عند القيام بها. وهي اعتبارات، من حيث التشكل مسندة إلى شبكة مشاعر وأحاسيس وتصورات وأفكار وتقديرات وتوقعات، وهذا يسمح للفشل أو الخيبة مكاناً، حيث إن سردية كل ثورة في العالم تخبرنا بالشغرات القائمة في بنيان كل قوة تنطلق إليها وتسمى بها.

أهناك نوع من الاتفاق الرغبي، أو النفسي، تحت وطأة شعار معين، وجرأ الشعور بمرارة مضاعفة

للوابع ؟

ربما كان هذا الإجراء موجوداً، أي لحظة النظر فيما أحيطت به الثورة الكوردية هذه من ملابسات، وداخلتها قوى بمؤثراتها المختلفة، وتحدثت فيها ألسنة ليست متفاهمة مع بعضها بعضاً، كما هو المطلوب، وأن تسمية الثورة جرى تفعيلها وترسيخها بحساب نسبي، وليس عبر تعميم قاعدي في نفوس كل الذين عنتهم هذه الحالة، وهو ما تلمسناه في سياق ما جرى تالياً.

وبين أن تكون ثورة، أو لا تكون ثورة، بين التحفظ على كونها ثورة، وعدم التحفظ على كونها ثورة، لحسابات جارية في الوسط الاجتماعي المعلوم. بين أن تطرح كفكرة، وليس كقيمة تم التفاعل معها في الصميم، وأن تمثل كشعار، تحت وطأة ظروف مستجدة بالمقابل، حيث وتيرة الواقع ترشح المزيد من العنف كمال جرى تصور: واقع إذلال للكورد هنا، لا غرابة أن نشهد ألواناً من الطيف الشمسي بالنسبة للذين تعاملوا مع الحدث الأيلولي، وكما رأينا في أمثلة سابقة، وما يمكن أن نتلمسه في أمثلة كثيرة، وتحديدًا تلك النصوص المختارة، باختلاف محتوياتها الفكرية، من تفاوت في الموقف.

ذلك من شأنه إلى يرفع من اسم الثورة هذه إلى قضية فلسفية، وإخضاعها للتفسير والتأويل التاريخيين؟ لم لا؟ أليس لأن الذي يطرح باسم الحدث الأيلولي ينطلق من المحتوى وهو جماعي في مآثرة إطلاق التسمية في مدار التاريخ الكوردي المعاصر، ويتضمن اختلافات لا تخفى في البدء بالذات، وهو ما يدفع بالباحث في أمر المفهوم إلى توسيع دائرة الرؤية التاريخية، حيث يعيش الكورد تضارباً ملموساً جهة ما جرى؟

سوى أن الذي ينبغي التوقف عنده إزاء هذا المعتزك التاريخي الخطير، بعلامته الكوردية الفارقة، هو عدم إغفال حقيقة الاسم: الثورة، حباً بالحقيقة، وتوقاً إليها بالمقابل، تجنباً لأي منزلق تاريخي، أو وقوع في مأزق بحثي حياتي.

مقصد القول، هو ما تلمسناه في كتاب الألمانية العتيدة أردنت، بخصوص مئات الصفحات التي بسطتها بمكاشفة فكرية، نفسية، اجتماعية، سياسية، وتأريخية، لمعاينة ما تكونه الثورة، ومن خلال نموذجين معروفين عالمين: الثورة الأمريكية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ونظيرتها الفرنسية، بعدها بسنوات، في مختتم العقد التاسع منه. وهي تمارس تنقيباً في حقيقة كل منهما، وما يصل بينهما من تماثلات، ومن تداخلات، وتمايزات.

سوى أن الأهم في الحاليتين، وامتداداتهما، أي بصدد أي ثورة اندلعت في هذه الجهة الجغرافية أو تلك، من قبل هذا الشعب أو ذاك، هو ما أثارته من أسئلة، ودفعت به من شروط، بمثابة علامات نضج واعتبار وسوية للثورة بالذات، دونها، سوف يكون هناك الوقوع في مغالطات، أو تهويمات، والتعرض لمخاطر جرّاء الرهان على ما ليس كذلك.

هناك الحرية، والتي تقابل بالظلم الواقع على الشعب، وهناك العدالة، والتي تعني كيفية المحاكمة للظالم، وإحقاق الحق.

لكن ذلك لا يحول دون التعرض لجملة من النقاط ذات الصلة بما هو خارجي وداخلي، بالنسبة للثورة المعلنة كوردياً: على صعيد الداخل: تثار هنا، عدة أسئلة، ومنها: إلى أي درجة، تمكنت الثورة هذه، من تحقيق انعطافة تاريخية، فيالسلوك الاجتماعي، وطريقة التفكير، والنظر إلى الحياة، وبالتالي، في كيفية ترسيخ حق المواطنة بطابعها المؤسسي؟

هل تمكنت هذه الثورة من تحقيق نقلة نوعية في أفكار الناس، ودفعت بهم لأن يفكروا حقاً، على أنهم فيما هم عليه، بعد قيام الثورة "ثورتهم طبعاً" لم يعودوا كما كانوا قبلها، وهو ما يمكن تبيّنه في أسلوب حديثهم ونقاشاتهم ومعاملاتهم؟

وهو ما يعني الحديث عن العقلية الكوردية التي شهدت ولادة جديدة، وأمكنها النمو والتبلور وإحداث التأثير محيطياً!

أي قيمة حياتية مشتركة، أمكن لهذه الثورة أن تفي بها، على صعيد شعور الفرد الكوردي، وفي المحيط الجغرافي للثورة، وتداعياتها تالياً، على أنه بات أقرب إلى نفسه من ذي قبل، وأن جرعة الحرية التي استحقتها، حولته فعلاً من كائن، ينتمي إلى عالم التقاليد الذي يقوم على ترابنية محروسة، ومن خلال أولي أمر، لا يمكن تجاوزهم، إلى فرد له اسمه وصوته، ومكانته، ومن ثم المجال الممنوع والمشروع المعطى له، لكي يعبر عما يميزه في القول والفعل، ويستطيع الإبداع بطريقته.

على صعيد الخارج: وهنا أيضاً، تطرح أسئلة، لا يمكن تجاهلها، إخصاً مفهوم الثورة بالذات، ومنها: أي فك ارتباط تحقق مع الذين تقاسموا جغرافية الكوردي، والكوردي نفسه، باعتباره كوردياً، وصار له حضور معترف به خارجاً؟

كيف ينظر إلى مفهوم الاستقلال عن أولئك، ومازال التحدي قائماً، في أن يمارس فيه المزيد من التقسيم والتهميش؟

أي اعتبار وظيفي، أمكن للكورد أن يتعهدوا به، ويشغلوه، ويعرفوا به خارجاً، ومن خلال حدود تسميهم أولاً وأخيراً؟

ما أصداء الثورة هذه في الخارج، على صعيد التقبل، والاعتراف، لأنها شاهدة على حقيقة الحرية والعدالة هنا؟

هذه العلاقة المركبة بين الثورة كداخل، والثورة كخارج، يستحيل الفصم بينهما، بالعكس، ثمة حالات، يكون وجوب النظر في الثورة من الخارج مطلوباً كاستراتيجية نشدانا للآتي: كيف يمكن أن تبرز هيئة، أي الهيئات تُفضّل لها بها؟ وفق أي معيار: جمالي، أخلاقي، سياسي، ثقافي، يكون تمثيلها أجدى وأبدى وأمضى؟ وتحديداً حين تندلع في منطقة جغرافية متوترة، يحسب لكل خطوة أكثر من حساب، وفي كل تقليب نظر، أكثر من ترو، ومكاشفة للموجود في النظرة تلك.

وفي الثورة من الداخل، فإنها لا تعود مجرد جسم، وله جلده المتلقي للمثيرات والاستشعار عن بعد، إنما الذي ينفذ بمتلقيات مساماته، وهي نقاط انفتاح على الوسط في امتداداته المختلفة، إلى الداخل، وما في ذلك من تفاعل، وبلورة فعل.

يذكرني هذا، وكباحث في موضوع على غاية من الحساسية والخطورة في كل ما يصلنا به، بواقعة قصصية أفصح عنها الكاتب الأرجنتيني الشهير بورخيس، وهي تسمي أحد أباطرة الصين القدماء، حين توجَّ إمبراطوراً، وأصدر أمراً إلى مسئوليهِ ورؤساء دوائره، بتحقيق أمرين: بناء سور الصين العظيم، لردِّ الأعداء، في حال هجومهم على الصين. أي تصبح منيعة من الخارج، كما قدَّر لهذا الإجراء. وحرَّق كل الكتب التي تنتمي إلى السابقين عليه. ومقصده، ليكون هناك بدء جديد، يكون هو المدشَّن السياسي له صينياً.

طبعاً، كما هو معروف، فإنه في الحالتين لم يفلح، كما يعلمنا بذلك درس التاريخ اللاذع، لأن الإمبراطور، نسي، أو تناسى في لحظة حماسه لفكرته "وهذه اللحظة يمكن استدعاؤها في أي مكان كان، ومع أي كان، يفكر بالطريقة هذه" أن الأمثلة السَّورية "من السور" ليست الضمان القطعي على تحقيق المطلوب، فثمة من يحرسون الصين، والأهم من هم على بوابات الصين، وهي سهلة الفتح، وسهلة الاقتحام، عند أي محاولة اتصال بالمعنيين به، وطرق إغرائية شتى.

وهكذا هو حال الداخل، جهة الماضي. إذ يستحيل مسح أدمغة الناس جميعاً، و كلياً، وإلى الأبد، وفي وضع كهذا، إنما هو في ممارسة دؤوب في كيفية تمّتين السور النفسي، والبوابات النفسية، وكذلك تنوير الداخل لمعرفة ما كان وما يمكن أن يكون تالياً، وهذا التوأم في العلاقة هو الذي يتعدى أي قيمة معطاة لما يرتد إلى أي سور، وكذلك الحال مع الماضي، حيث النار التي تحرق، سوى أنها لا تستطيع أن تبيد كل أثر للمحروق، أي ما يبقي الخطر قائماً داخلاً وخارجاً.

وبين خارج بوابة الثورة وداخلها، يكون الحراك الحياتي وتلونّ مشاعر الناس وتحول علاقاتهم. هكذا هي الحال مع اللحظة الأيلولية، بوصفها ثورة هنا، في ارتباطها بثورات، انتفاضات، تمردات كوردية سابقة، ليكون للدرس المسجّل نكهة الحقيقة الموقظة لقوى النفس بحمولتها التاريخية أكثر، وانفتاحها على مختلف الاحتمالات.

إنه حساب لا ينفد، لأن كل إضافة زمنية، وتبعاً لثقل الحالة، تعني تغييراً في العملية الحسابية وتجاوباً متوخى معها.

فنكون هنا إزاء تحدِّ كوردي - كوردي محلي، إقليمي، فدولي، ولكل تحدِّ أساليب مجابهة ولغة تعاط..

ومن باب التعزيز لمفهوم الثورة، وكيفية التعامل معها، كونها تطرح نفسها بقوة، وهي بحيوية الاسم، يشار راهناً إلى الحديث المتكرر عن "شورة شا رود اظا: ثورة الغرب: غرب كوردستان، كما هو

مقدّر" وهي بخاصيتها الكوردية في سوريا، وليكون هناك أكثر من سؤال محكم حول مدى استقامة الحديث، وفي وضع اجتماعي- سياسي- اقتصادي وثقافي ممأزق كثيراً، ومن ثم: تبعاً لأي معيار قاعدي، سياسي، اجتماعي، فكري، ومعتقدي ضمناً، يمكن التعويل على المفهوم والمصادقة عليه ؟ تلك نقطة جغرافية - تاريخية، في غاية الخطورة، في أهميتها بالمقابل، تحفّز على طبيعة التفكير المبذول كوردياً بالطريقة هذه.

ومن باب التوضيح، يشار مجدداً، إلى ما أفصحت عنه صراحة السيد البارزاني، بصدد الثورة تلك، وفي الموقف من عبدالكريم قاسم بالذات، وهو ما يشكّل حافزاً على معاودة النظر في أصل المفهوم. مثلاً، إن الثورة تقوم نظراً لوجود طغيان سياسي، أو نظام مستبد، كما جرى من وصف لقاسم على أنه كان دكتاتورياً في سلوكه، ومن هذا المنطلق، تكون الثورة في محلها، فهي بحمولتها القيمة النقيض المباشر لنوعية النظام القائم . وإن كانت خلاف ذلك، فإن ذلك يرتد على كل ما يتردد بخصوص الثورة، ومدى صواب التسمية في الحال، أي إنه في حال انتفاء هذا النمط من السياسة المتشددة، يعني ذلك أن ليس هناك مما يشجّع ويؤكد على الحديث عن الثورة، لانتفاء الفعل ورد الفعل بالمقابل.

في سؤال موجه إلى الدكتور محمود عثمان، وفي المثال المذكور، عن قاسم، وما إذا كان حكمه وطنياً أم لا، وما الذي حققه للشعب الكوردي، كان جوابه داخلياً في سياق أوله نعم، وآخره خلافه: (نعم كان حكم قاسم وطنياً، وقاسم كان شخصاً وطنياً ونزيهاً لاغبار عليه وهذا أمر معروف للجميع، وعندما فجر قاسم ثورته أيدناها نحن الكورد بقوة، فنظامه قام بتحقيق خطوات كثيرة لصالح الكورد منها إلغاء حلف بغداد وإجازة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وإرجاع البارزاني وستمائة مقاتل معه من الاتحاد السوفيتي وتشكيل مديرية معارف كوردستان. والأهم من كل ذلك هو تضمين الدستور المؤقت حق الشراكة الكوردية مع العرب. هذه الخطوات كانت مهمة بالنسبة للشعب الكوردي في تلك الفترة ولذلك شعبنا الكوردي بالإجماع أيد الثورة. والعلاقات كانت جيدة في البداية ولكن فيما بعد تغيرت الأحوال، حيث كانت هناك عناصر شوفينية دخلت الحكم وطبعاً الحزب الشيوعي كان قويا جداً في ذلك الوقت وقاسم تحسس من الشيوعيين وخاصة من المظاهرات ولذلك هناك من خوفوه من الحزب الشيوعي وأوهموه بأنه يسعى للانقلاب عليه ما دعاه الى جلب بعض القوميين والبعثيين للحكم، وبدورهم عمل هؤلاء على تحريض قاسم ضد الحركة الكوردية وضد اليساريين ونجحوا الى حد كبير بإقناع قاسم بأن هناك مؤامرة كوردية مع شركات النفط وإيران وغيرها، وكذلك تخويفه بالشيوعيين،

وبذلك فقد تغير قاسم وسياساته. أضف إلى ذلك عدم وجود الإنتخابات وتحول قاسم بذلك إلى الزعيم الأوحده^(١).

في الحديث عما هو وطني، دفعة إلى الأمام، وصعوبة التوقف في المكان الأول، ومن ثم التفكير بما يتجاوب مع الحالة الأولى، أي ما يكون عليه التعبير: وطني، ومن ثم يغدو سواه، ليس كما هو. وفي عموم الحالتين، وكون قاسم، في تلك التجربة التاريخية الكبرى، يشكل حامل حبات المسبحة الاجتماعية، وهو عقدها في كل مقاربة تاريخية ونقدية، ولا بد أن في ذلك إشكالاً عالقاً على مستوى المفهوم، ولم يُتعرض له، إن أريد له أن يكتسب اعتباراً متجذراً في وعي الكوردي.

وإذا كان الذي أثير حتى الآن من نقاط ومن تساؤلات، تعلق المفهوم تاريخياً، فإن مسار البحث يريد منها نقاطاً مطروحة للنقاش. وأن الذي نمضي إليه، هو ما تشكل حول هذا المفهوم، وأي نسبة من الثورة هذه يمكن طرحها في السياق!

وفي هذا النطاق الواسع، تتداخل أصواب، ويتنادى تاريخ بأكثر من صوت، أو صدى، تعبيراً عن حساسية اللحظة.

في تناوله للحركة الكوردية، ومكانة الراحل البارزاني فيها، لا يخفي الدكتور البوتاني على قارئه رهانه على الحدث الأيلولي وهو مشدود إلى كاريزمية الشخصية، كما هو مقدرٌ فيها، حين يقول (إن كل متتبع لمراحل تطور الحركة الكوردية التحررية، يجد أن معظم الحركات والانتفاضات التي شهدتها مناطق مختلفة من كوردستان لم تصمد طويلاً أمام هجمات الدول التي تتقاسم كوردستان، وكانت تنتهي بإلقاء القبض على قادتها أو بتسليم أنفسهم، إلا الحركات والانتفاضات التي شهدتها منطقة بارزان، فقد استمرت منذ مطلع القرن العشرين، ولم تنطفئ شعلة الثورة فيها باعتقال الشيخ عبدالسلام البارزاني (١٨٧٤-١٩١٤)، وإعدامه في الموصل في مطلع كانون الأول ١٩١٤، أو بتسليم تركيا للشيخ أحمد (١٨٩٢-١٩٦٩) للعراق سنة ١٩٣٢، وإجباره على السكن في الموصل، ثم نفيه إلى وسط وجنوب العراق، أو حتى برحيل قائد الثورة الكوردية المعاصرة ملا مصطفى البارزاني في الأول من آذار ١٩٧٩.

يشكل ظهور البارزاني - في رأيي - مرحلة جديدة وفاصلة في تاريخ الحركة الكوردية التحررية، ليس في كوردستان - العراق فحسب، بل في عموم كوردستان، فالبارزاني هو الشخص الوحيد من الأحياء والأموات في كوردستان تم الاعتراف به زعيماً قومياً تجاوز المدن والأقاليم والمشايخ الدينية والعشائرية واللهجات... فهو القائد (الكارزمي) الملهم الذي استحوذ على حب الشعب الكوردي في كل أرجاء

(١) في كتاب حسن العلوي: عبدالكريم قاسم "رؤية بعد العشرين"، دار روح الأمين، بغداد، ط١، ١٤٢٦. نقرأ شهادة تاريخية، ومن رجل سياسي، وفيه ثناء على قاسم، ومن ذلك (والربح هو ربح عبدالكريم قاسم.. قُتل ومعه دينار وممتا فلس فحمل معه إلى العالم الآخر ثورة وجمهورية وأرضاً لا مكان فيها لقبه. ص٦).

المعمورة، لا بل على توقيير واحترام حتى أعدائه، فغداً بطلاً أسطورياً، يحدوه الأمل على طول المدى هدف واحد هو: أن يحقق الازدهار والحرية للكورد أينما كانوا..^(١).

البوتاني ينطلق من قراءة تاريخية - جغرافية لما هو كوردستاني، وانطلاقاً من الحاضرة البارزانية، إن جاز التوصيف، مسمياً إحدائيات مقاومة فيها، ليكون اسم ملا مصطفى البارزاني التتويج المفصح عنه لسلسلة الأسماء التي تصدرت واجهة المقاومة للآخر: العدو التاريخي للكورد، وما في ذلك من جدارة لأن تكتسب الثورة فاعلية التسمية وحيويتها.

تطرح لائحة من الكتابات التي تعرف بعناوينها، نفسها في خضم هذه اللحظة التاريخية، وتشكل أرشيفاً كبيراً من المواد التي تشهد اضطراباً فيها كما وكيفاً، مما يعني أن اللحظة تلك لم تعش وضعية ثبات، إنما تمتد في أكثر من جهة، وهذا يعني أن لديها الرصيد الرمزي، والذي يثير مخيال المؤرخ والباحث في التاريخ والقارئ العادي، ليعيش خاصية هذه اللحظة، وكيف تأتي لها أن تكون لحظة مائزة، تتنفس تاريخاً مديداً لا يمكن تحديد مآل قطعي له.

هذا يتوقف على وضعية الكورد بالذات، وطبيعة علاقتهم بحاضرهم، وفي ضوءه يكون التعامل مع ما كان، وهي النقطة التي لا ينبغي الإغفال عنها. إذ بالنسبة للشعوب المقهورة، والتي يحال بينها وبين الدخول في الغد، وتأكيد شخصيتها، تجد نفسها في مواجهة الجهة التي تبقياها في التاريخ، فلا يكون سوى في تشديدها على مثال اللحظة المسجلة هذه، والرهان عليها، والنظر إلى الأمام، ومن باب التأكيد على حيل الذات في مناورة الخصم أو العدو، والإقامة في التاريخ المنشود !

(١) البوتاني، د. عبدالفتاح علي: ملا مصطفى البارزاني قائد الثورة الكوردية وملهمهما، إصدارات جامعة دهوك، فاكولتي العلوم الإنسانية/ سكول الآداب- مركز الأبحاث العلمية والدراسات الكوردية، دهوك، ٢٠١٢، ص ١١١-١١٥.

القسم الثاني

تحت ظلال النصوص وتباينات الظلال فيها:

ما أمكن التعرض له في هذا السياق كثير، وقليل في آن، انطلاقاً من المسافة الزمنية الفاصلة بين المبتدأ التاريخي وخبره الآن، وهو خبر ليس واحداً، لأنه في كل مراجعة، أو مقارنة نقدية، أو سبر للمفهوم، وتاريخي، وفي ضوء ما يكتشف، من أوراق، أو وثائق، أو يتلقف من أخبار جديدة، ولنضج المرحلة لسان حال معتبر كذلك، ثمّة ما يعزّز من نباهة الحقيقة، ويتسع أرشيف الاسم الواحد، حتى لا يعود هذا الاسم الواحد هو عينه، وربما مهاجر معناه ودلالته، على وقع المستجد سياسياً واجتماعياً. في الكثرة، ثمّة التراكمات، واضطراب الاهتمامات في تنوعها، وفي القلة، تمد النوعية بسبابتها إلى الجهة المختلفة !

لكل نص مختار، ولو كان من عدة أسطر سياسته في قول حقيقة ما تشد به قارئها إلى الاسم الحامل لمحتوى الكتاب. ورغم أن مجموعة النصوص التي أريد لها، ومن خلال تقدير معرفي، بحثي، استقصائي، ونقدي طبعاً، أن تلتقي طي هذا الكتاب متنوعة، مختلفة، ومتفاوتة في تجلي أبعادها الاجتماعية والسياسية، سوى أن ليس من نص ينغلق على نفسه، ليس من نص يتقدم لي طرح نفسه دون سواه، إنما ليتداخل مع البقية، ويكون في ذلك مصدر إثراء لأصل العنوان.

محاولة التقديم إثر الاختيار، هي في كيفية الإبقاء عليها ضمن مسافة واحدة نسبياً، وفي رحابة هذه الفترة الزمنية وتزايد عمقها واتساع حدودها، في بنية الحدث، ودلالة الحدث الذي يومض عالياً بمكانه وزمانه المؤرخين.

ثمّة حوار، ثمّة نقاش، ثمّة جدال، أو سجال، ثمّة مجابهة ضمنية، أو ملموسة، ثمّة نقد في كل إجراء، حيث لا نص، أي نص، إلا ويتضمن نقداً ما، من هذا الجانب أو ذاك، وينطوي على نقد يمكن الوقوف على نسيجه البلاغي أو اللغوي.

صحيح أن هناك مسافات فاصلة بين نص وآخر، وتبعاً لورود كل نص في الكتاب، ترتيباً لا يمنحه أهلية التعالي على ما عداه، أو اعتبار الأصلح والأقوم والأدوم من سواه، إنما استناداً إلى قربه المباشر من الموضوع بالذات، وأن الذي يجعل الكتاب كتاباً لا يخفي طرافة التنويع، هو هذا الربط المصيري، إن جاز المعنى، بين نص وآخر وخلافهما.

هي حيلة معرفية مجازة، ودخول بالمعلومة إلى حيث يضاء الحدث في لحظته الأولى، وربما في المعلومة المسطورة قابلية امتداد باندلاقة المعنى إلى أبعد من المحدد تاريخياً، أبعد من التأريخ المرسوم "ما يرتد إلى ما قبل أيلول ١٩٦١".

سيكون في مقدور القارئ أن يعاين شبكة النصوص هذه، وأن يتحرك بين تخوم النصوص، وينتقل من نص إلى آخر، أو يعيد محاولة القراءة بالطريقة التي تسمح له، برؤية النصوص بأساليب شتى، رغبة في معرفة المزيد من الاختلافات.

لا شك أن في اتباع سياسة كهذه، ما يحافظ به على وتيرة الحيوية، وإيقاظ الهمة واتشيتها أكثر من ذي قبل، وأن النظر إلى مجموعة النصوص الواقعة في مضمار الكتاب، بعين التقدير، يسهل مهمة التاريخ، ويمنحه حضوراً أوفر داخله.

أي انتماء ثقافي، فكري، بحثي، لهذه النصوص التي وجدت نفسها مسهمة في إظهار الكتاب، بظلاله، هكذا؟

من النص الأكثر انتساباً إلى مجال التأريخ، إلى النص المنتسب مباشرة إلى ما هو سياسي، أو إيديولوجي أحياناً.

نص مؤرخ، ونص باحث مؤرخ، ونص مؤرخ برداء الاجتماعي، ونص مؤرخ يتشابك فيه الاجتماعي والسياسي، ونص يشد إلى التاريخ، ولكنه يتمترس وراء معتقد تاريخي وإيديولوجي، ونص تاريخي وثقافي، ونص تاريخي قانوني... الخ.

إنما هناك نصوص مقابلات، ونصوص لا تخفي طابعها الوجداني، وما يمنح صوت الأدب "الشعر" مقاماً له كذلك، وسوى ذلك من النصوص التي تتناسب وحمولة الموضوع، وقابليته لأن يحيل إلى حاضنته كل ذلك.

ظلال الثورة الكوردية في مرآة لازاريف:

لا يمكن تجاوز المؤرخ الروسي الكبير لازاريف "١٩٣٠-٢٠١٠"، وهو بفضل تشكّل البحث التاريخي الموسع في التاريخ الكوردي الحديث. مؤرخ محترف، وله وجهة نظر تاريخية، على صعيد التحقق مما هو تاريخي، واعتماد الطرق ذات الصلة بدراسة التاريخ، من مقارنة، وبحث في الروايات، والوثائق، إلى جانب عمليات الاستقراء العلمي، والتمحيص في بنية المادة، وهو الذي أخرج التاريخ الكوردي، ومن خلال طريقته البحثية، إلى مستوى الممارسة الاحترافية التي لا تكتفي بمجرد السرد، إنما مكشفتها والمساءلة عن مكوناته، وتحديدًا بالنسبة إلى الكورد، وتوضعاتهم الجغرافية المجزأة.

لازاريف الذي منح التاريخ الكوردي، ومن خلال عناوين مختلفة له، هوية إقامة مائزة في التاريخ، ينتمي إلى الاستشراق الروسي، دون إخفاء ما هو فكري طبقي، بمفهومه السوفيتي، حيث يسهل قراءة ما كتبه بيسر، وتُشتمّ منه رائحة التاريخ في سرد وقائعه، وكيفية الربط بين مرحلة وأخرى تقصياً ومقارنة.

ولا يخفي، في أصل كتاباته، مدى ارتباطه الوجداني والفكري بهذا التاريخ وقضيته، قضية شعب مجزأ ومطارد في أرضه ومن تاريخه هنا وهناك. ويظهر أن وضع الكورد في الكورد مؤثر في عمله، فهو نفسه يقول في مقابله معه التالي (بعد ثورة ١٤ تموز في العراق أصبحت القضية الكوردية، قضية مهمة وساخنة في العراق والشرق الأوسط . وكان لا بد من التعمق في دراسة تأريخ القضية وتطورها). ينظر نص المقابلة معها، والتي أجراها الدكتور جودت هوشيار، والمنشورة في موقع صحيفة " المثقف " www.almothaqaf.com

وأن أقدمه على من عداه، فكما تقدّم، ليس تزكية، وإنما هو كونه الأقدم هنا، وهو فيما اخترته من كتاب له يفصح عن ذلك، وبالتالي، يضيء ما قيل، بمقدار ما يبقى ماثلاً في الذهن، لوضوح المسطور، وتقبله لاشعورياً بما سيقرأ تالياً.

هناك الغرب الذي يقترن بما هو استعماري، والشرق الذي استبيح كثيراً من لدنه، وهي نقطة مؤثرة كثيراً في كتابته.

ولعلي على يقين أو صواب، أن المشغول بالتاريخ، يأخذ علماً في الحال بتلك المفردات التي تكون طاقم كتابة التاريخ، وأن أي تلبس إيديولوجي لأي منها، في مسرد المروية التاريخية، يلفت النظر. لازاريف، كما تقدّم، يصرح في كتابة تأريخه بتبنيه التاريخ الكوردي، كقضية تطرح نفسها بقوة، وهي قضية شعب، جرى التنكيل بقضيته تلك، مثلما أسىء إليه، وكما طوّح بحقه خارج نطاق التاريخ بالذات. فالقضية هنا تكون مركّبة.

ولأن لازاريف محيط علماً تأريخياً بالمنطقة وتاريخها المشترك والخاص في آن، يتراءى للناظر، أنه في طريقة الكتابة، متحرك حدودي، ومدقق في إحداثيات جغرافية، وهو يسمي القوى الداخلة على خط التاريخ، والمزيج للتاريخ هذا عن موقعه، معتمداً القوة الطاردة، لكنه، لا يتوانى عن تسمية نوعية القوة هذه واستفحال أثرها سلبياً.

ويمضي بالفكرة إلى كل اتجاه، حيث يسعفه النظر البحثي، التنقيبي، الاستقرائي، ليتلمس المزيد من الخفايا في المبحوث فيه، بسهولة لافتة. ثمّة جهاز غوص تاريخي مقدّر في واعية لازاريف، على وجه العموم. لهذا استحق بجدارة لقب مؤرخ التاريخ الكوردي، ومنصف قضيته بأكثر من معنى.

عند قراءة هذه الفقرات المقتطفة من الترجمة العربية لـ"تاريخ كوردستان" وهي متفاوتة الطول، لا بد أن يكون هناك جماع حقيقة مشتركة في المحصلة، هي التي تجعل التاريخ أكثر توازناً وأقرب إلى الأخذ به من سابقه.

ولا تتوقف القراءة عند حدود هذه المقتطفات، وإنما تتعداها إلى تلك الكتابات التي جعلت من الكورد، اثنية، شعباً وقومية، الموضوع المحوري لها، إنما على طريقتها، خارج نطاق التدقيق العلمي، وبذلك، يصبح لمقروء لازاريف أن يدعم قارئه المشدد على موضوعية الفكرة وتوثيقها، عندما يجد

نفسه داخل لمة تاريخية مشوكة، تحول دون المضي قدماً إلى الأمام، إلا لمن يمتلكه طرب التحوير والتجوير، وفي تاريخ ما أكثر ما احتوى من روايات أثقلت عليه، ومشاهد دخيلة عليه.

لا يعني بذلك، أن الذي اقتطفته من كتاب لازاريف هو القول الفصل في التاريخ، وأن علم التاريخ يتوقف حيث ينتهي أثر لازاريف في تدوين التاريخ، إنما هو اعتراف بفضيلة كتابة تأريخ مشهود له بالموضوعية مقارنة بنسبة كبيرة من الكتابات التي تزاخمه في المقصد أو الأسلوب والاسم نفسه، وهذا يشجع على التقابل ومواجهة المسطور هنا بالمسطور هناك، بدافع من إرادة حقيقة المفارقات الصامتة أو الصارخة، وكيف تتمثل ذهنيات قارة في الأعماق، وهي تنسج مشتهياتها.

في الحديث عن لازاريف أولاً، حديث عن إمكان تلقّي المعطى التاريخي الذي يتأتى من معايشة زمنية واحترافية.

ولهذا وجدت المرآة وظلالها المرئية فيها، بإلحاح من النص المقدم والمختار منه، لمعرفة صورة هذا التاريخ على سطحها وأعمق من ذلك.

ومن باب التوضيح كذلك، فإن وجود فقرات معنونة أحياناً، كان بنية سهولة الإحاطة بالفكرة الإجرائية لكل منها، حيث تبرز أرقام صفحات تترى، معزز هذا الحضور لتاريخ شائك، محارب من قبل المكايدين له قريباً منه وبعيداً عنه: لازاريف، م. س، وآخرون: تاريخ كوردستان، ترجمة: د. عبيد حاجي، سبيريز، دهبوك، ٢٠٠٦.

تحت عنوان: حلف بغداد: الثورة في العراق وبداية تفاقم جديد للمسألة الكوردية في الخمسينيات اشتدت "الحرب الباردة" في الشرق الأوسط. وكان الاتحاد السوفياتي يؤيد نضال الشعوب العربية ضد الاستعمار الغربي وإسرائيل. ورداً على ذلك راهنت الدول الغربية الكبرى على الأنظمة الرجعية والمحافظات في المنطقة، وحثتها على الانضمام إلى الأحلاف العسكرية- السياسية المرتبطة بحلف الناتو، هذه الأحلاف التي شكلتها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. ص ٢٧٠.

وفي ٢٤ شباط عام ١٩٥٥ جرى التوقيع على حلف بغداد، الذي انضمت إليه أيضاً بريطانيا وإيران، وباكستان فضلاً عن العراق وتركيا. لقد كان الحلف موجهاً ضد الاتحاد السوفياتي أساساً، وضد الدول الشرق أوسطية التي كانت القوى المعادية للغرب تعمل فيها بنشاط. وهذا ما تؤكد وثائق الحلف، وممارسات أعضائه على حد سواء، ويمكن النظر في عدد من مواد المعاهدة على أنها معادية للكورد. فقد نظرت المادة الأولى مثلاً، في إمكانية عقد اتفاقيات ثنائية بين المشاركين. إذ كانت لدى تركيا اتفاقية ثنائية مع العراق (١٩٤٦) لمحاربة الحركة الكوردية، والآن رغبت في عقد اتفاقية مع نظام الشاه في إيران. ص ٢٧٠.

وبعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، حيث تم إسقاط النظام الملكي في العراق، فإنه في ٢٦ تموز عام ١٩٥٨ أعلن دستور مؤقت للجمهورية العراقية. فقد أعلن في هذه الوثيقة وللمرة الأولى من وجود الدولة العراقية عن المساواة بين الشعبين الكوردي والعربي. ونصت المادة الثالثة من الدستور المؤقت

على أن العرب والكورد هم شركاء، ويضمن الدستور حقوقهم القومية في إطار عراق موحد، وفيما بعد أي عقب خروج حزب البعث وحزب الاستقلال من جبهة الاتحاد جرى التأكيد على ضرورة الاعتراف بحقوق الكورد القومية في برنامج جبهة الاتحاد الوطني الذي جرى تغييره. لقد رأت جبهة الاتحاد الوطني إحدى أهم مهامها هي المساهمة في تطبيق المساواة بين العرب والكورد واحترام الحقوق القومية "للشعوب الصغيرة" في البلاد.

اتخذت الحكومة العراقية عدداً من التدابير العملية لتجسيد ما جاء في الدستور من حقوق للكورد، وتمتع الحزب الديمقراطي الكوردستاني بحق حرية النشاط في البلاد بأسرها. وتم إنشاء دائرة لتنظيم العمل التربوي- التعليمي في كوردستان تكون تابعة لوزارة المعارف. وجرى النظر في إدخال التعليم باللغة الكوردية إلى مدارس المناطق الكوردية. فقد جاء في النظام الداخلي لجبهة الاتحاد الوطني، أنه لا بد من إدخال دراسة التاريخ الكوردي واللغة الكوردية وأدبها إلى الجامعات والمدارس العراقية... ص ٢٧٢.

وتمسك قاسم وحكومته في المسألة الكوردية بمبدأ تجاهل حقوق الكورد القومية بذريعة ضمان وحدة العراق. وبصرف النظر عن ذلك لم تستنفذ الحكومة جميع الإمكانيات بعد للقيام بخطوات تستجيب لمصالح الشعبين الكوردي والعربي، الأمر الذي ساهم فيه نفوذ عدد من المنظمات الديمقراطية في البلاد. ولما جرت محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم (تشرين الأول ١٩٥٩) شجب الحزب الديمقراطي الكوردستاني والأحزاب الديمقراطية الأخرى هذا العمل الإرهابي. وفي هذا الشأن أقدمت الحكومة على تطبيق عدد من الإجراءات السياسية الهامة من بينها اتخاذ قانون "الأحزاب والمنظمات" (١ كانون الثاني عام ١٩٦٠). وبعد نشر هذا القانون قامت المنظمات الكوردية السياسية بنشر نصوص برامجها. فقد جاء في برنامج الحزب الديمقراطي الكوردستاني أن الهدف الرئيسي لعمل الحزب هو تحقيق الحكم الذاتي للكورد ضمن إطار الجمهورية العراقية الموحدة.. ص ٢٧٣.

حصل الحزب الديمقراطي الكوردستاني وحزب الشعب - الديمقراطي عن إذن للعمل بحرية. وفي ٥ أيار وحتى العاشر منه عام ١٩٦٠ انعقد مؤتمر الحزب الديمقراطي الكوردستاني لتحديد تكتيك الحزب في الظروف المعقدة الجديدة، ولأجل "التأسيس الواسع" للحزب وفق قانون الأحزاب، عن دعم الحزب لنظام قائم الحاكم في البلاد ومساندته.

نشرت الصحف اليمينية مقالات موجهة ضد الاعتراف بالمساواة بين العرب والكورد، وراحت تظهر أكثر فأكثر مقالات تتسم بطابع معاد للكورد بوضوح. وتضمنت مثلاً المطالبة بإلغاء دائرة كوردستان التابعة لوزارة المعارف التي افتتحت منذ عهد قريبي.

إلا أن هذه الحملة لم تمنع اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكوردستاني من أن يتخذ قراراً في آب ١٩٦٠ بالاحتفال بالذكرى الخامسة العشر للثورة الكوردية في العراق (١٩٤٣-١٩٤٥)، هذه الثورة التي كانت موجهة ضد النظام الملكي والاستعمار البريطاني. ولما أقدم الحزب الديمقراطي الكوردستاني

على هذه الخطوة فإنه اعتزم على إبداء حزمه في النضال من أجل تلبية مطالب الكورد القومية والسير في طريق توطيد الوحدة مع القوى الديمقراطية الأخرى في البلاد.

بدأت الحكومة باضطهاد الديمقراطيين في البلاد. ففي تشرين الثاني عام ١٩٦٠ قدم إبراهيم أحمد رئيس تحرير صحيفة "خهبات" للمحاكمة لنشره مقالاً بعنوان "الشعب الكوردي" وكان الذنب الوحيد لهذه الشخصية البارزة في الحركة الكوردية الديمقراطية في أنه قام بالرد على تلك القوى القومية اليمينية، التي لم تقف ضد الاعتراف بحقوق القومية وحسب، بل ونفت حقيقة وجود الشعب الكوردي أيضاً.

شكلت القوى الرجعية عصابات إرهابية في بغداد، والموصل، وكركوك وغيرها من المحافظات، وكانت مهمتها التنكيل بالديمقراطيين الكورد والعرب. استغلت السلطات التمرد الذي جرى في الموصل في آذار عام ١٩٥٩ المناوئ للحكومة بمثابة ذريعة جديدة لملاحقة الديمقراطيين. وبدأت حكومة قاسم بعد عامين من إخماد التمرد بمطاردة الديمقراطيين الكورد والعرب، فقد حكمت على (٥٨) شخصاً بالموت شنقاً وعلى الكثيرين بالأعمال الشاقة لفترات طويلة أو بالسجن. وعبرت فئات واسعة من السكان الكورد عن إدانتها لمثل هذا التعسف، وطالبت عريضة تحمل توابع (١٥٠) ألف شخص بتعديل الأحكام الصادرة بالموت على الديمقراطيين الكورد والعرب. ص ٢٧٤.

وشجب الرأي العام العالمي سياسة الإرهاب ضد الوطنيين في العراق واضطرت حكومة قاسم تحت ضغط الرأي العام العراقي والعالمي على تغيير أحكام الإعدام الصادرة بحق عدد كبير من الوطنيين، ولم يتم تنفيذ سوى (١٣) حكماً بحق الكورد والعرب.

ومع ذلك أخذت سياسة حكومة قاسم والسلطات المحلية المناوئة للكورد ترتدي في نهاية عام ١٩٦٠ طابعاً مكشوفاً، وتعرض أعضاء الحزب الديمقراطي الكوردستاني وقادته سواء في بغداد أم في المدن الأخرى للمطاردة والإرهاب. وفي مثل هذا الموقف التقى مصطفى البارزاني مع عبدالكريم قاسم. وحاول الحزب الديمقراطي الكوردستاني أن يستغل المناسبة لتفادي تفاقم النزاع بين الحكومة والقوى الكوردية - الديمقراطية، غير أن الحديث العاصف بين البارزاني وقاسم، والذي تواصل (٣) ساعات لم تؤد إلى النتائج المرجوة. ص ٢٧٥.

في المعترك التاريخي:

وفي آذار عام ١٩٦١ غادر البارزاني وغيره من قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني بغداد إلى كوردستان وبطلب من المكتب السياسي للحزب، طالما أن استمرار وجود البارزاني في بغداد كان محفوفاً بالمخاطر. ولم يكن الوضع هادئاً في كوردستان تركيا. لقد بدأت في تركيا عشية الانقلاب الحكومي عام ١٩٦٠ عملية إخلاء سبيل عدد كبير من المثقفين الكورد بتهمة قيامهم بنشاط "يتعارض مع المصالح القومية" لكن الكثيرين منهم ظلوا يقبعون في السجون. زد على ذلك أن الصحافة التركية نشرت في ٣١ عام ١٩٦٠ نبأً مثيراً مفاده أنه وقعت على حد زعمه، في أيدي لجنة الاتحاد الوطني، التي تسلمت زمام

الأمر في البلاد، وثائق تدل على مساعي عدد أعضاء الحزب الديمقراطي، الذي تمت الإطاحة به، في إنشاء دولة كردستان.

وبدأت السلطات باعتقالات جماعية بين الكورد، وحاول قادة تركيا حل القضية الكوردية عن طريق أعمال الاضطهاد. وجرى اعتقال (٢٤٤) شخصية كوردية بتهمة المشاركة في المؤامرة. وفي ١٧ تشرين الأول عام ١٩٦٠ اتخذت لجنة الاتحاد الوطني فضلاً عن قانون رقم ٢٥١٠ (قانون الهجرة) قانوناً آخر يحمل رقم ١٠٥، الذي يتم بموجبه تهجير الأسر الكوردية غير المرغوب فيها بصورة قسرية من ديارها الأصلية إلى مناطق تركيا الأخرى.

وعند تطبيق القانون ١٠٥ في كانون الأول عام ١٩٦١ جرى تهجير عدد كبير من الأسر الكوردية من الولايات الشرقية إلى الولايات الغربية (أنطاليا، ازمير، بوردور، موكل، أفيون، أسبارطة، مانيس، جورم، دنيزلي)، ص ٢٧٥.

وفي ٢٧ تشرين الأول عام ١٩٦٠ اتخذت لجنة الاتحاد الوطني القانون رقم ١١٤ تم بموجبه فصل ١٤٧ أستاذاً ومدرساً من جامعات البلاد، اتهم قسم منهم بممارسة نشاط يرمي إلى إقامة كردستان مستقلة، وإلى جانب أعمال الاضطهاد شنت السلطات العسكرية القوانين التي تساعد على صهر الأقليات القومية بما فيها الكورد وعرقلة نهوضها القومي. وسرعان ما بدأ الكورد يخوضون النضال في سبيل حقوقهم القومية عقب الانقلاب الحكومي عام ١٩٦٠، واستؤنفت حركات الأنصار في شرق البلاد، التي وصفتها الدعاية التركية الرسمية بحركة "قطاع الطرق"....

الأثر وقيمه تاريخياً:

تركت الثورة العراقية في ١٤ تموز عام ١٩٥٨ تأثيراً إيجابياً على تفعيل نشاط الحزب الديمقراطي الكوردستاني- إيران. فقد تمكن الحزب من تقوية خلاياه والحفاظ عليها وممارسة عمله السياسي حتى عام ١٩٥٩ إلى أن بدأت قوات البوليس بشن هجوم واسع النطاق ضد خلايا الحزب الديمقراطي الكوردستاني- إيران. فقد جرى اعتقال أكثر من ٢٥٠ عضو في الحزب، وحكم على عدد منهم بالإعدام لكم هذه الأحكام لم تنفذ، وذلك بفضل قيام حركة واسعة في الخارج ضد تنفيذها والتأييد الفعال من الرأي العام العالمي. ص ٢٧٦.

الفصل السابع

كوردستان في أعوام ١٩٦٠ - ١٩٧٠

اندلاع الثورة بقيادة البارزاني

أدى انتصار ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ في العراق إلى نمو عاصف لنشاط الجماهير السياسي. وكانت هذه العملية في غاية الأهمية ولا سيما للجماهير العاملة في كوردستان، التي أصبحت لديها إمكانية المشاركة في النضال الديمقراطي العام ومشاركة مؤثرة، الذي كان أحد أهدافه الرئيسية هو الاعتراف

بالحكم الذاتي للشعب الكوردي في العراق. كما ساعدت فعالية النضال في سبيل الحقوق القومية والاجتماعية في كردستان العراق على تشديد النضال في الأجزاء الأخرى من كردستان، وهذا ما جرى في موقف معقد ومتناقض. وأثارت آفاق منح الحكم الذاتي للكورد في كردستان العراق مقاومة سواء في العراق، أم في تركيا وإيران. ومارست الدولتان مختلف أساليب الضغط على حكومة قاسم لسد الطريق أمام إمكانية الاعتراف بالحكم الذاتي للكورد وبذلك يتم تخليص هاتين الدولتين من المصاعب المرتبطة بعواقبه.

ومنذ النصف الثاني من عام ١٩٥٩ ابتعدت حكومة قاسم وبصورة مكشوفة عن وعودها للكورد، وكانت "سياسة التوازن" (مغازلة اليسار حيناً، واليمين حيناً آخر) شكلاً تكتيكياً لتخلي حكومة عن طريق التطور الديمقراطي والتحول إلى سياسة الإرهاب وملاحقة القوى التقدمية ولا سيما ملاحقة الوطنيين الكورد المناضلين في سبيل حقوقهم القومية. ص ٢٧٧.

سلكت حكومة قاسم طريق حل النزاع مع القوميين الكورد عن طريق القوة وبصورة مكشوفة. ودعت صحيفة "الثورة" الرسمية إلى وضع "حد للمغازلة مع الكورد" و"صهر الأمة الكوردية في بوتقة الأمة العربية". وجاء في المقال مايلي: "إن كل من ينتمي إلى العراق الكوردي، والزنجي أو الأرمني، لكنه يعيش في دولة عربية فهو عربي حسب ما يميله الواقع"، ورداً على مثل هذه الهجمات كتبت صحيفة "خهبات" تقول: "إن الشعب الكوردي يوصم بالعار دعوات الانصهار والدمج الرامية إلى القضاء على الكورد وكوردستان، فالكورد ليس بوسعهم أن يرغبوا في وحدة لا تجلب لهم شيئاً سوى العبودية والحرمان من حقوقهم القومية ونفي وجود أمتهم، ولا تجلب لهم سوى الحديد والنار وأغلال السجن".

مع الأعداء ضد العدو المشترك:

ومما لا شك فيه أن قاسم عندما سلك طريق الصدام مع القوى الكوردية القومية فإنه عقد الرهان من كل بد على تركيا وإيران، الدولتين اللتين، وإن لم تكونا على وفاق مع نظام قاسم، لكنهما كانتا مهتمتين بالقضاء على إمكانية نشوء "الخطر الكوردي". فقد صرح السفير التركي في العراق فؤاد بيرام أوغلو، الذي وصل في ١٠ آب عام ١٩٦٠ إلى أنقرة قادماً من بغداد قائلاً: "يعتزم قاسم مواجهة ضغط الشيوعيين والمحافظين على استقلال العراق، وإن دعمنا له ضروري لتحقيق ذلك". ص ٢٧٩.

وألهمت الحملة المعادية للكورد، قاسم وحكومته، التي تجاهلت مساعي الحزب الديمقراطي الكوردستاني في تجنب تفاقم الصراع، هذه المساعي التي عرضت في مؤتمر الحزب المنعقد في أيار عام ١٩٦١. ص ٢٨٠.

وفي آذار عام ١٩٦١ أغلقت صحيفة "خهبات" لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني وبأمر من وزير الداخلية، ثم أغلق ملحق الصحيفة الأسبوعي "كوردستان"، وأصدرت السلطات العراقية أمراً

باعتقال إبراهيم أحمد وجمال الطالباني من قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني، كما أمرت حكومة قاسم بحظر منظمات الحزب الديمقراطي الكوردستاني في كركوك والموصل ثم في المدن الأخرى. اتخذت القوى الكوردية القومية، التي ساورها القلق من مجرى تطور الأحداث، التدابير لمنع استمرار تدهور الوضع في كوردستان. ولهذا الغرض تشكل في حزيران عام ١٩٦١ وفد يمثل المنظمات الكوردية الديمقراطية، الذي اعتزم اللقاء مع قاسم وعرض مطالب السكان في عدد من المسائل عليه. وكان من بين المطالب مسائل حياتية هامة اتسمت بطابع اقتصادي، وهي إعادة النظر في الأسعار الحكومية للتبغ، الذي يُعد أحد المصادر الرئيسية لدخل الفلاح الكوردي وإجراء إصلاح زراعي جذري مع الأخذ بالحسبان خصوصية ظروف كوردستان، ومنع توطين العشائر العربية في الأراضي الكوردية. وصل الوفد إلى بغداد، لكن قاسم لم يستقبله. وعندما أخذ الحكومة تستعد لقمع الحركة الكوردية شرعت في إثارة القومية العربية بكل السبل في الداخل، وفي الجانب الدولي على حد سواء، بعد أن شددت من لهجتها البلاغية المعادية لإسرائيل وتقدمت بدعاؤها في الكويت، لكنها تلقت رداً جماعياً من الآخرين. ص ٢٨٠.

لم يوقف الحزب الديمقراطي الكوردستاني، والقوى الكوردية القومية من مساعيها في تجنب النزاع، وتوجه المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني مرات عديدة إلى قاسم بشأن موضوع ازدياد التوتر في كوردستان، وأشار الحزب في مذكراته بتاريخ ٣٠ حزيران عام ١٩٦١ إلى الأسباب الرئيسية لتدهور الوضع، وأشار إلى التدابير المحددة لإزالة الأزمة، التي انحصرت مضمونها في ضرورة وضع حد نهائي "للمرحلة الانتقالية" وإعادة الحريات الديمقراطية مع تحديد واضح ودقيق لحقوق الحكم الذاتي في كوردستان. كما عرضت الإجراءات اللازمة لمنع اندلاع حرب أهلية في مذكرات أخرى للحزب الديمقراطي الكوردستاني.

حاول قاسم استغلال الخلافات بين العشائر في صراعه ضد الحركة الكوردية الديمقراطية. فقد قام الشيخ الكوردي رشيد لولان ومحمود ومحمود زيباري بمحاولة التنكيل بالديمقراطيين الكورد بعد أن حصلوا على العتاد العسكري من السلطات العراقية. إلا أن وحدات مصطفى البارزاني المسلحة سرعان ما قطعت دابر هذه الحملة... ص ٢٨١.

العنف الجانبي وتداعياته:

في أوائل عام ١٩٦١ أصدرت الحكومة أمراً إلى قيادة الفرقة الثانية للجيش العراقي والمتمركزة في كركوك بالتقدم نحو منطقة بارزان "لإعادة النظام إليها". وفي ١٧ أيلول عام ١٩٦١ قصف سلاح الجو العراقي منطقة بارزان. وفي ١١ أيلول اتخذت الغارات طابعاً شاملاً. ويُعد هذا اليوم بداية حرب تحريرية طويلة الأمد في كوردستان الجنوبية. وأخذت تشكّل في مختلف مناطق كوردستان وحدات الفلاحين المسلحة للدفاع عن

النفس، التي قاومت القوات الحكومية. وفي ١٥ أيلول عام ١٩٦١ شن الجيش العراقي وسلاحه الجوي هجوماً مكثفاً على القوى الكوردية ووحدات الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وكذلك وحدات المقاومة الشعبية التي شكلها الفلاحون وأعلنت راديو بغداد وصحافتها في هذا اليوم عن "بدء التمرد في الشمال"، وللمرة الأولى، وعبر عن ثقته من أنه "سيتم القضاء على التمرد خلال أيام معدودة". ص ٢٨١.

وفي أواخر أيلول وأوائل تشرين الأول ١٩٦١ قصف الطيران الحربي العراقي وبشكل مكثف مناطق الآميدية، ودهوك، وآكري، وكويه، ودربنديخان، وبدأت قوات المشاة الحكومية ترتكب أعمالاً وحشية ضد السكان الكورد العزل، فقتلت السكان ونهبت أموالهم وممتلكاتهم، وحسب الرواية الرسمية للسلطات العراقية فإن التمرد في الشمال هو مؤامرة امبريالية سيتم القضاء عليها خلال يوم أو يومين، إلا أن الأحداث في كوردستان اتسمت بطابع خطير ومستديم.

في كانون الأول عام ١٩٦١ جرى تحديد النهج السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني في اجتماع للجنة المركزية في الظروف الجديدة على النحو الآتي: "لا تعدو الحركة، التي قامت في ١١ أيلول مجرد مواجهة عسكرية عادية في مواجهة ضغط القوات الحكومية، فهي ترتدي أهمية أكبر بكثير، وتعد، عملياً، جزءاً من النضال الثوري والديمقراطي العام للشعب العراقي بأجمعه. فالثورة ما هي إلا نضالاً مسلحاً تخوضه كوردستان ضد الدكتاتورية والعدوان وفي سبيل الحقوق الديمقراطية للشعب العراقي وحقوق الشعب الكوردي القومية (الحكم الذاتي لكوردستان في إطار عراق موحد)".

واضطر قاسم في أوائل عام ١٩٦٢ على الاعتراف بأن "انتفاضة الكورد تواصل اشتعالها"، وحاولت السلطات العراقية التخلص من مصطفى البارزاني عن طريق اغتياله، بعد أن أخفقت في تحقيق النجاح في صراعها ضد القوى الكوردية القومية. وقد جرت مثل هذه المحاولات مراراً، لكن دون جدوى.

أثار اندلاع الحرب في العراق استياءً شديداً لدى عدد كبير من السياسيين. فقد صرح قائد الحزب الوطني الديمقراطي كامل الجادرجي قائلاً: "الكورد ليسوا انفصاليين، فهم لا يطالبون سوى بحقوقهم وعلينا الاعتراف بها. كما نشرت (١١) شخصية سياسية معروفة في العراق بياناً مماثلاً بما فيها وزراء سابقون مثل إبراهيم كبة ومصطفى علي. ص ٢٨٢.

وفي أيار عام ١٩٦٢ نشر ممثلو الحزب الديمقراطي الكوردستاني بيان مصطفى البارزاني الموجه إلى الرأي العام العالمي، حيث جاء فيه: "إننا نطلب المساعدة في وقف أعمال القوات المسلحة العراقية، التي تقوم بقصف القرى الكوردية، وتحرق المزروعات وتقتضي على الماشية... الكورد لا يرغبون في محاربة العربل، إنهم يقاومون ضغط عبدالكريم قاسم عليهم، ويعملون لأجل إقامة حكومة دستورية تعترف بحقوق الحكم الذاتي للكورد في إطارالدولة العراقية، ودعا البارزاني هيئة الأمم المتحدة ولجان الدفاع عن حقوق الإنسان وغيرها من المنظمات الدولية إرسال لجنة لدراسة أوضاع الكورد ووقف النار.

اشتدت العمليات العسكرية في كردستان ربيع وصيف عام ١٩٦٢، وألحقت القطعات الكردية الهزيمة بالقوات العراقية المسلحة في عدد من الأماكن. ولم يجر هجوم الجيش العراقي تغيراً في ميزان القوى لصالحه. ولم يحافظ الكورد على مواقعهم بثبات فحسب، بل تمكنوا في حالات عديدة من توسيع دائرة المنطقة الواقعة تحت سيطرتهم. وبعد حصار راوندوز سيطر البارزاني على مركز هيران السكاني في وادي خوشناو، ومن ثم زحف نحو صلاح الدين وجبال سفين. وانضم الفلاحون الكورد في شكل مجموعات صغيرة وكبيرة إلى جيش الثوار لما لاقوه من وحشية الأعمال القمعية التي قام بها الجيش العراقي. ونظم الحزب الديمقراطي الكوردستاني وغيره من المنظمات التقدمية لجان مساعدة الثورة في عدد من المدن العراقية. وفي أيلول عام ١٩٦٢ اتخذت الحكومة العراقية قراراً بفرض حصار على كردستان العراق كلها، كما أصبحت الأقلية الآشورية، التي عانت كثيراً، ضحية هذه السياسة وقام قاسم بتسليح عصابات الكورد الخونة من الجاش ووجهتها للتنكيل بالقوى الآشورية الآمنة الواقعة بين الموصل والعمادية. وقصف سلاح الطيران مدينة العمادية، حيث دخلت بعد القصف وحدات محمود زيباري إلى المدينة. وأرهبت السكان الكورد والآشوريين. وقام الحزب الديمقراطي الكوردستاني بالتوعية في المناطق الكردية والعربية على حد سواء. كتب المراقب الفرنسي جان براديه يقول: "لا يقوم الحزب الديمقراطي الكوردستاني بحماية الشعب الكوردي وحده فحسب، بل وبحماية العرب، والآشوريين، والتركمانيين... ووصل التنظيم به لدى الثوار، بحيث إن الجيش العراقي، الذي يعد أحد أقوى الجيوش في الشرق الأوسط قد وجد نفسه عاجزاً عن تحطيم مقاومتهم".

القوة المتخوفة من فعل مقاوم:

أثارت الحركة في كردستان العراق قلقاً شديداً لدى دول الجوار ولا سيما تركيا وإيران اللتين عبرتا عن قلقهما بشأن الأحداث وعواقبها على الجزئين التركي والإيراني من كردستان. وانطلاقاً من ذلك شددت تركيا من حماية حدودها لتلافي "الخطر الكوردي" كما جرت اعتقالات في كردستان تركيا. واتخذت السلطات الإيرانية إجراءات مماثلة. وفي تشرين الأول عام ١٩٦٢ نظمت الحكومة السورية في دمشق لقاء مع القادة الكورد، الذين عبروا عن إخلاصهم للحكومة السورية. ص ٢٨٣. وضعت السياسة التي سلكها قاسم، والتي اتسمت بقصر النظر البلاد في مأزق. وفي أواخر عام ١٩٦٢ خيم بعض الهدوء على العمليات العسكرية، واضطر الجيش العراقي على الاكتفاء بما تحت سيطرته من مدن كردستان الرئيسية، ولم يعد يصدق تأكيدات حكومة قاسم حول أنه "سيتم القضاء على التمرد الكوردي سريعاً"، ووجد قاسم نفسه في عزلة عملياً فقد خسر حلفاءه المخلصين، لكنه لم يكسب حلفاء جدد، وتكون وضع لا يمكن التنبؤ به، بحيث ظلت الفرص فيه نظرياً سواء لإصلاح الوضع وتحويل البلاد

نحو طريق التطور الديمقراطي وتلبية مطالب الكورد القومية، أم لا نعطاف شديد نحو اليمين وتشديد السياسة الموجهة ضد الحركة الكوردية الوطنية والحركة الديمقراطية العراقية بصفة عامة. ولا بد من الإشارة إلى أنه رغم الإجراءات التعسفية ضد القوى الديمقراطية، التي لم تبرهن على عزمها في التوصل إلى الاعتراف بحقوق الكورد القومية وحسب، بلغت مصدراً هاماً تستمد منها الفئات الديمقراطية في العراق قوتها، والتي وقفت إلى جانب تطبيق مبادئ ثورة الرابع عشر من تموز تطبيقاً صارماً. ووضعت المعارضة اليمينية برنامجها لتغيير الوضع في البلاد، فحاولت سد الطريق أمام القوى الديمقراطية وعدم السماح لتطبيق النهج السياسي الذي طُرح على ضوءه التحولات الديمقراطية الشاملة، والاعتراف بحقوق الكورد سريعاً. وراح القوميون اليمينيون بالاشتراك مع أنصار الحكم الملكي السابق وغيرهم من القوى المعادية للقاسم يعدون العدة لانقلاب حكومي، الذي جرى صبيحة الثامن من شباط عام ١٩٦٣. وقد رمى عبدالكريم قاسم، وعدداً من مقربيه بالرصاص دون محاكمة أو تحقيق.

وما هو موقف قادة الحركة الكوردية القومية من هذه الأحداث ؟

لقد سيطر الثوار بعد ١٧ شهراً من الكفاح المسلح على جزء كبير من أراضي كردستان العراق ما عدا المدن الكبيرة. ووصل عدد الثوار إلى (٣٠) ألف شخص. ففي كانون الأول عام ١٩٦٢ أجرى قادة الانقلاب الذي يتم الإعداد له، اتصالات مع قادة الحركة الكوردية، الذين وعدوا بالوقوف على الحياد شريطة أن يضمن النظام الجديد الحكم الذاتي للكورد. واكتفى طاهر يحيى أحد قادة الانقلاب بإعطاء وعد شفوي حول ضم وزراء كورد يرشحهم البارزاني إلى الحكومة القادمة. وبينت الأحداث اللاحقة أن الآمال المعقودة على ربط حل المسألة الكوردية بالنظام الجديد لم يكن لها ما يبررها. ص ٢٨٤.

القضية الكوردية في العراق (١٩٦٣-١٩٦٨):

تبين أن ما أعلنه الحكام الجدد في العراق حول عزمهم تطبيق مبادئ ثورة تموز كان محض افتراء. فقد راحوا ينكلون بالقوى الديمقراطية في البلاد تنكيلاً وحشياً، وأصبحت السلطة كلها شكلياً في أيدي ما يسمى بمجلس قيادة الثورة بزعامة عبدالسلام عارف، بينما البعثيون هم الذي يديرون شؤون البلاد، ويقومون باضطهاد خصومهم السياسيين بصورة جماعية. فقد أعدموا قادة الحزب الشيوعي العراقي، وعدداً من الشخصيات الديمقراطية الأخرى دون تحقيق أو محاكمة.

وبعد أن أطلق النظام الجديد العنان لإرهاب لا مثيل له من حيث نطاقاته ووحشيته حاول أن يخلق انطباعاً وكأنه يعتزم حل القضية الكوردية حلاً عادلاً. ولم يول مصطفى البارزاني وغيره من قادة الحركة الكوردية أهمية كبيرة لهذه التصريحات ومع ذلك وافقت القيادة الكوردية على إجراء المفاوضات مع بغداد ولأسباب تكتيكية.

وفي ١٣ شباط جرت جولتان للمفاوضات، وفي الجولة الثانية قدم الوفد الكوردي برئاسة جلال الطالباني مذكرة إلى الحكومة العراقية عرض فيها المطالب التالية:

- ١- الجمهورية العراقية هي دولة موحدة تتألف من قوميتين رئيسيتين، اللتين تتمتعان بحقوق متساوية وهما القومية العربية والكوردية، ويعبران عن رغبتهما في العيش المشترك على أساس مبدأ الطوعية.
- ٢- على الدستور العراقي النظر في تشكيل الأجهزة التشريعية والتنفيذية العليا بمشاركة ممثلي الشعب الكوردي فيها، وبما يتناسب عدد العرب والكورد في البلاد.
- ٣- يجب أن يدخل في صلاحيات الحكومة ما يلي:- القيادة العليا لجهاز الدولة، وشؤون السياسة الخارجية بما في ذلك العلاقات مع هيئة الأمم المتحدة، والدفاع الوطني، والأمر المرتبطة بالنفط، وبالسياسة الجمركية، والضرائب الجمركية، والرقابة على الموانئ والمطارات، التي لها أهمية دولية، وخطوط السكك الحديدية وطرق المواصلات، ومسائل الجنسية، ووضع ميزانية جديدة، والإذاعة والتلفزيون المركزي. ص ٢٨٥.

هذه الحرب المديدة والحشية من قبل النظام العراقي أيقظت الكثير من الكورد، ونبهتهم إلى بطش النظام وممثليه (ودفعت سياسة الإدارة الجماعية بفئات جديدة من السكان الكورد إلى الحركة وجعلت من الحرب حرباً شعبية شاملة. ص ٢٨٩).

اتخذت الحرب طابعاً متواصلاً وخلافاً لتصريحات النظام الجديد حول "تحقيق نصر سريع على الكورد". فقد أوقفت القوات الكوردية تقدم القوات العراقية، وانتقلت في عدد من المناطق إلى حالة الهجوم المضاد. وراحت الدول، التي تقسم كوردستان، تعبر عن قلقها الجدي حول سير الأحداث في كوردستان العراق، وشرعت على نحو مكشوف في تطبيق مشاريع القيام بعمليات مشتركة ضد قوات البارزاني. فقد أرسلت سوريا لواء من المشاة ومجموعة من الطيارين إلى كوردستان العراق كما أعلنت فيما بعد عن إرسال وحدة أخرى من الجيش السوري إلى العراق لمساعدة الجيش العراقي في حربه "ضد الكورد". وفي ٢٠ حزيران بحث مجلس الأمن القومي في تركيا برعاية كورسيل مسألة "الأحداث المرتبطة بالبارزاني"، وقرر اتخاذ الإجراءات المناسبة على الحدود.

كتب الصحفي المصري محمد حسنين هيكل في حزيران عام ١٩٦٣ يقول: "عهد في الوقت الحالي مهمة كشف أماكن تركز الكورد لقيام الجيش العراقي بقصفهم إلى الضباط الإيرانيين والأتراك. فالإيرانيون كانوا في الموصل، أما الأتراك ففي كركوك، وكان بحوزتهم أجهزة إرسال جرى بواسطتها تنظيم الاتصالات المتبادلة بين الأقسام المختلفة. وكان الضباط العراقيون والإيرانيون والأتراك يقومون في بغداد بتنسيق العمليات العسكرية ضد الكورد، كما قد حلف السنو العسكري من جانبه الدعم ومساندة الإجراءات المتخذة ضد الحركة الكوردية". ص ٢٨٩.

ووقفت الدول الغربية الكبرى، التي عدت الحركة الكوردية الوطنية "موالية للسوفييت والشيوعية" موقفاً سلبياً للغاية منها. ص ٢٩٠.

بلبله القوة الرسمية:

أدت الحرب المعادية للشعب الكوردي في كوردستان والاضطهاد الواسع للقوى الديمقراطية في العراق إلى تدن شديد لسمعة النظام البعثي، الأمر الذي ساهمت فيه المصاعب الاقتصادية المتزايدة. ص ٢٩٠.

حاولت الحكومة العراقية انتهاز فرصة توجية ضربة قاضية إلى الكورد قبل شهر أيلول، عندما تسود في هذا الشهر ظروف غير ملائمة لإدارة الحرب في الجبال: وفي ١٤-١٥ آب ١٩٦٣ جرت معارك ضارية بين الجانبين المتحاربين للسيطرة على علي بك الذي يشغل أهمية استراتيجية.

وفي ١٥ آب أدلى الرئيس عارف بتصريح مثير حين قال: "تم دحر الخائن البارزاني بضربة خاطفة وجهتها قطعاتنا العسكرية إليه ولعصابته، ولاذ بالفرار إلى الحدود الإيرانية العراقية. وفي الواقع فقد تعرضت الحكومة لهزيمة أخرى. وأقدم القادة البعثيون بعد هجومهم الفاشل في آب وأيلول على خطوات لكسب تأييد سوريا. ووفق حساباتهم فإن قيام تحالف عسكري أو اتحاد بين الدولتين ومن ثم انضمام الأردن ولبنان إليه، حيث اعتزم البعثيون على القيام بانقلاب عسكري فيهما، من شأنه توطيد دعائم النظام والحيلولة دون سقوطه، وفي ٩ تشرين الأول عام ١٩٦٣ عقد تحالف عسكري بين العراق وسوريا، وفي ١٤ تشرين الأول ١٩٦٣ أعلن وزير الدفاع العراقي في دمشق بأنه شغل منصبه الجديد كقائد عام للجيش السوري-العراقي الموحد.

وفي ٢ تشرين الأول عام ١٩٦٣ وقبل أسبوع من عقد الاتحاد وصل لواءان سوريان إلى القاعدة العسكرية في الحبانية بلغ تعدادهما نحو ألف جندي وضابط. واعتزمت الحكومة العراقية بمساعدتهم تحقيق تحول ما في مجرى الصراع ضد الكورد قبل حلول الشتاء. وأثارت مشاركة القوات السورية في الحرب القذرة ضد الكورد استياء الرأي العام التقدمي بما في ذلك الرأي العام في الدول العربية. فقد نشر رئيس لجنة "حركة الدفاع عن حقوق الشعب العراقي" والشاعر العراقي المعروف والشخصية الاجتماعية البارزة محمد مهدي الجواهري رسالة شجب فيها بشدة ما يقوم به النظامان في سوريا والعراق من حملة معادية للكورد، وجاء فيها: "إننا نتوجه إلى جميع الناس الخيرين القيام بمساعدة سكان كوردستان بالتدابير المناسبة وذلك بغية إعاقة عملية إبادتهم بصورة وحشية".

كما انتهى هجوم القوات العراقية في تشرين الأول بالفشل. وتكبد الجيش العراقي خسائر فادحة، الأمر الذي دفع به إلى التخلي عن مناطق كان قد احتلها سابقاً، وتمكن الجيش الكوردي من السيطرة على جميع الأراضي التي فقدتها في بداية الحرب.

وهكذا مني البعثيون بعد فشل برنامجهم الاقتصادي وإفلاسهم السياسي بهزيمة عسكرية في كوردستان. وبات واضحاً في نهاية تشرين الأول وأوائل تشرين الثاني عام ١٩٦٣ الانهيار الحتمي للنظام الحاكم. ص ٢٩١.

وفي ١٨ تشرين الثاني عام ١٩٦٣ استغل عبدالسلام عارف مع شقيقه عبدالرحمن عارف وغيره من الضباط الموالين له الانشقاق في قيادة حزب البعث وقام بانقلاب عسكري، وتخلص عارف من رقابة البعثيين وأصبح سيد البلاد.. ص٢٩٢.

وفي أوائل كانون الأول عام ١٩٦٣ جرى تنظيم زيارة لعدد من الزعماء الكورد إلى بغداد ليعبروا عن وفائهم للسلطة المركزية. ص٢٩٢.

وفي ١٠ شباط عام ١٩٦٤ وقعت الحكومة العراقية وممثلو الحركة الكوردية الوطنية اتفاقية "حول وقف الحرب في كوردستان والتسوية السلمية للقضية الكوردية". ونصت الاتفاقية على البنود التالية "في عمومها تنص على وجوب احترام الحقوق القومية المشروعة للشعب الكوردي في العراق، وكل ما يضمن سلامة هذه الحقوق في الدستور العراقي.. وفي ٩ بنود. ص٢٩٣".

حظيت اتفاقية العاشر من شباط الموقعة بين الكورد والحكومة بتأييد الرأي العام الديمقراطي في البلاد وخارجها، ثم اتخذت الحكومة عدداً من التدابير لتنفيذ وعودها حول الإدارة الذاتية الداخلية للكورد في العراق... ص٢٩٤.

إلا أن عدداً كبيراً من إجراءات الحكومة اتسمت بطابع نصفي، في حين بقي عدد من الوعود حبراً على ورق. وتكون انطباع بأن الحكومة تمارس سياسة منافقة ولا تعتزم عملياً حل القضية الكوردية. ص٢٩٤.

أدت مسألة الموقف من نظام حكم عارف - يحيى إلى تعميق واحدام الخلافات القائمة في وجهات النظر في القيادة الكوردية حول عدد من المسائل المتعلقة بنضال الكورد في سبيل الحكم الذاتي. فقد وقفت مجموعة من شخصيات الحزب الديمقراطي الكوردستاني برئاسة سكرتير الحزب إبراهيم أحمد وعضو المكتب السياسي جلال الطالباني ضد الموقف الذي اتخذه البارزاني وأنصاره بشأن اتفاقية العاشر من شباط عام ١٩٦٤. وأعلنت المعارضة أن اتفاقية العاشر من شباط هي خدعة، أما المفاوضات فلا آفاق لها، ولا تقوم سوى بتضليل الشعب الكوردي... ص٢٩٥.

وترتب على ذلك تبادل الاتهامات بين الطرفين. ص٢٩٦.

ردود أفعال وتفاعلات متباينة كوردياً:

وفي أوائل تموز عام ١٩٦٤ دعا مصطفى البارزاني وأنصاره إلى عقد مؤتمر الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وامت دعوة جميع أعضاء اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني (بما فيهم أنصار إبراهيم أحمد وجلال الطالباني) لتسوية الوضع في الحزب. وجرى المؤتمر في وضع معقد واتخذ عدد كبير من المشاركين فيه مواقف غير حاسمة تجاه المعارضين. ص٢٩٧.

كان تشكيل أجهزة الإدارة الذاتية في ظروف كوردستان خطوة كبيرة إلى الأمام على طريق ديمقراطية حياة النجم الكوردي، فقد ساهمت في اشتراك ممثلي أوسع فئات الشعب في سياسة، مما وجه ضربة

إلى الأنظمة التقليدية، التي أوشك الإقطاعيون الكورد ورجال الدين الإسلامي يمتلكون السلطة المطلقة فيها.

أصبحت هذه التدابير ذريعة لشن حملة جديدة ضد الكورد، فقد أعلن الرئيس عارف في أحد خطبه قائلاً: "إننا لن نعطي لهم (أي الكورد - المؤلف) شبراً واحداً من أرض وطننا، فالوطن العربي يبقى وطناً للعرب". من الواضح أن الحكومة سلكت طريق تأجيج النزاع العسكري.

وفي ٣ نيسان ١٩٦٥ أخذ الجيش العراقي يقوم بعمليات عسكرية واسعة النطاق ضد الثوار الكورد، وبإجراءات تأديبية ضد السكان المسلمين. فقد شارك نحو (١٥٠) ألف عسكري في هذه العمليات. وشملت الحرب جبهة تمتد (٥٠٠) كم بدءاً من زاخو وحتى خانقين، وكما كان فيما مضى، لم يحقق الجيش العراقي نجاحاً سوى التنكيل بالسكالك الكورد العزل، بينما رد المقاتلون في المقاومة الكوردية بنجاح على القوات العراقية خلافاً لما أعلنه عارف حول "الانتصارات الباهرة على الكورد" على حد زعمه. ص ٢٩٨.

وفي ١٣ نيسان ١٩٦٦ قُتل الرئيس العراقي عبدالسلام عارف في ظروف غامضة إثر كارثة جوية، وأصبح شقيقه عبدالرحمن عارف رئيساً للبلاد. وظلت "خطة إلحاق الهزيمة" بالكورد وأنصار الحكم الذاتي، التي وضعها الجنرال عبدالعزيز العقيلي سارية المفعول. فقد راح الجيش العراقي يعد لقصف مدفعي وجوي مكثف تسانده الدبابات بشن هجومه في منطقة جبال زوزك وهندين بالقرب من رواندوز. واحتاجت وحدات الجيش العراقي لمدة خمسة أيام كي تقترب من مواقع الكورد، وفي تلك الأثناء قام الكورد بمناورة وحاصروا القوات العراقية. وفي ١١ أيار ولا سيما في ١٢ منه عام ١٩٦٦ أصبح زمام المبادرة بأيدي الكورد، فوجهوا ضربة إلى قطعات الجيش العراقي، وانهزم اللواء الرابع في الجيش العراقي شر هزيمة. وانتهت المعركة على مشارف رواندوز بانتصار القوات الكوردية، وترك العراقيون على ساحة المعركة (٢٠٠٠) قتيل بما فيهم (١٥٠) ضابط. إنها كانت أكبر معركة وقعت خلال سنوات من اندلاع الحرب الدائرة في كوردستان العراق، واستولى الكورد على غنائم كبيرة.

وفي هذه الظروف تمكن البزاز من إقناع رئيس الجمهورية عبدالرحمن عارف، الذي كان سهل الانقياد مقارنة مع شقيقه عارف الأكبر في اتخاذ تدابير فعالة لإجراء اتصالات مع الكورد. وفي منتصف حزيران عام ١٩٦٦ صرح البزاز بما يلي: "أعتمد أنا وحكومتي حل المسألة الكوردية بالطرق السلمية. فإل عراق ليس عربياً وحسب، بل كوردياً أيضاً".

لتبدأ الاتصالات بين الطرفين مجدداً، ولتوضع (١٢) بند، تراعى فيها الحقوق القومية للشعب الكوردي في العراق، على الصعد كافة "ص ٣٠٠-٣٠٢".

واضطرب الوضع من جديد، بسبب عدم الالتزام بمحتوى البنود المذكورة، كما يظهر. ص ٣٠٣.

وقام طاهر يحيى وعدد من الوزراء العراقيين بإجراء المفاوضات مع البارزاني في نهاية عام ١٩٦٧ وأوائل عام ١٩٦٨ لبحث طرق حل المسألة الكردية كما كانوا يزعمون. إلا أن هذه الخطوات جميعاً لم تكن سوى خدعة تكتيكية.. ص ٣٠٤.

وحدث انقلاب بعثي حكومي في العراق في ١٧ تموز ١٩٦٨، واستسلم عارف للمتآمرين وأبعد إلى لندن. وعين مجلس قيادة الثورة الذي تشكل بعد الانقلاب الجنرال أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية وصادم حسين نائباً له. ص ٣٠٤.

العادة القديمة في حل ليس حلاً:

كان النظام البعثي الجديد ينتهج عملياً سياسة حل المسألة الكردية حلاً عسكرياً. بيد أن الحزب الديمقراطي الكوردستاني والجماهير السائرة خلفه، كان خلافاً للقوى المعارضة الأخرى، خارج سيطرة النظام الحاكم ولا سيما في الجزء المحرر من كوردستان...وعلى هذا النحو فإن عدم حل المسألة الكردية كان سبباً رئيسياً لعدم دوام استقرار الوضع في البلاد. ص ٣٠٥.

وفي ١١ آذار عام ١٩٧٠ أعلن الرئيس أحمد حسن البكر عن التوصل إلى اتفاقية سلمية وديمقراطية للقضية الكردية وعرض مضمون البيان التالي "وهي مجموعة من النقاط (١٥) وتفريعاتها، تضمن صلاحيات أوسع للتمثيل السياسي الدستوري والقانوني الرسمي في العراق". ص ٣٠٦-٣٠٨. لم؟ فقد (تميز بيان آذار عن جميع الاتفاقيات السابقة التي أبرمت حول المسألة الكردية، بأنها كادت تلبي جميع المطالب الأساسية للحركة الكردية من أجل الحكم الذاتي. ص ٣٠٩).

ومن الأحداث الهامة في هذه المرحلة هو انضمام الجناح المعارض إلى الحزب الديمقراطي الكوردستاني، الذي انشق عنه عام ١٩٦٤، وأعلن قاداته إبراهيم أحمد وجلال الطالباني عن استعدادهما للعمل سوية مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني لأجل تطبيق بنود الحكم الذاتي. لكن تبين أن النظام الحاكم وبعد مضي فترة قصيرة من توقيع اتفاقية ١١ آذار، لا يعتزم تطبيق الاتفاقيات التي تم التوصل إليها، وازدادت الأعمال الإرهابية ضد نشطاء الحركة الكردية. ففي أيلول عام ١٩٧١ أقدمت السلطات العراقية تحت ستار "زيارة ودية" لمجموعة من "رجال الدين" على محاولة اغتيال مصطفى البارزاني قائد الحركة الكردية.

ورسخ البعثيون من مواقعهم في البلاد وخارجها سريعاً. وفي هذا الشأن حظي البعث بدعم الاتحاد السوفياتي والبدان الاشتراكية الأخرى، وتحت تأثيرهما تحسنت العلاقات بين الحزب الشيوعي العراقي ونظام البعث الحاكم. ص ٣١٠.

وراح البعث بنواياه هذه "جهة الالتفاف على الحركة الوطنية الكوردية" يستعجل الخطى من جانب واحد في إصدار مشروع قانون الحكم الذاتي للكورد، وبشكل لا يرضي سوى النظام الحاكم.. ص ٣١١.

وفي المحصلة، وعلى إثر نشر الحكومة العراقية للقانون رقم (٣٣) وفي ١١ آذار حول الحكم الذاتي للشعب الكوردي، ص ٣١١، رفض الحزب الديمقراطي الكوردستاني القانون رقم (٣٣) والصادر بتاريخ ١١ آذار ١٩٧٤ على أنه قانون ناقص، واستأنف النزاع المسلح في كوردستان. غادر الوزراء الكورد بغداد وانضموا إلى القوى القومية، التي وقفت أكثريتها الساحقة إلى جانب مصطفى البارزاني والحزب الديمقراطي الكوردستاني. ص ٣١٣.

كما تلقى الكورد ضربة خطيرة من الخارج، ففي آذار عام ١٩٧٥ وقع شاه إيران ونائب الرئيس العراقي صدام حسين اتفاقية الجزائر التي بموجبها تقوم إيران بوقف تزويد قوات البارزاني بالمواد العسكرية والمؤن وغيرها، القادمة عبر الحدود الإيرانية - العراقية، وذلك مقابل عدد من التنازلات الإقليمية في المناطق الحدودية (في شط العرب بصورة أساسية). ص ٣١٤.

انبعاث الحركة الكوردية القومية في تركيا:

جرت في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين أحداث في أجزاء كوردستان السورية، والتركية والإيرانية كانت لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بنضال أشقائهم في سبيل الحكم الذاتي في العراق... وفي الجانب الدولي للمسألة الكوردية فإن أهمية الثورة العراقية تحددت بتصدع حلف دول المنطقة (إيران، تركيا، العراق) المعادي للكورد، فالعراق الذي كان فيما مضى عضواً فعالاً في حلف بغداد المعادي للكورد، أصبح الآن مركز تطور الحركة الكوردية... الخ. ص ٣١٥.

ويمكن متابعة ذلك بشأن تنامي الوعي القومي الكوردي في تركيا خصوصاً، وكيفية استمرار سياسة التطهير العراقي للنظام التركي للشعب الكوردي، كما في اعتراف وزير الداخلية أن ازدياد عدد "قطاع الطرق" (أي المقاتلين الكورد) له جذور اجتماعية واقتصادية عميقة.. ص ٣١٧.

وتمثل رد الفعل السياسي الرسمي التركي على إثر بيان آذار ١٩٧٠، من خلال القيام باعتقالات واسعة ضد الوطنيين الكورد والقوى الوطنية الأخرى التي واجهت الاستبداد التركي. على سبيل المثال، يشار إلى أنه في آب عام ١٩٧٢ حكمت المحكمة العسكرية على اسماعيل بيشكجي بالسجن لمدة (١٣) عاماً بتهمة الدعاية "للشيوعية والكوردايتي". ص ٣٢١.

وهذا ما يمكن متابعته في كوردستان إيران "ص ٣٢٢-٣٣٢".

وكذلك إظهار مدى تأثير المسألة الكوردية في سوريا في الخمسينيات وحتى الثمانينيات بالمستجدات السياسية في العراق، وفي المسار القومي التحرري نفسه. ص ٣٣٣-٣٣٦.

أصليخان يلدرم: الظلال المقاومة حدودياً:

في كتاب الباحثة الكوردية أصليخان يلدرم، والمقيمة في لندن "كوردستان والحدود في القرن العشرين" المنشور بالكوردية سنة ٢٠١٣، والذي ترجمته إلى العربية، ونشرته الأكاديمية الكوردية في أربيل سنة ٢٠١٦، وقد عرفنا به سابقاً، ثمة الكثير مما يضيء نطاق التاريخ على الصعيد الكوردي، وفي الفترة الزمنية المعلومة، وتحديدًا، عبر جانبي الحدود، وما يخرج الحدود عن طابعها الجغرافي المحض. وإيراد فقرات منه، وبعد لازاريف مباشرة، له أهميته وضرورته، لأنه في مكوّنه تاريخي، ويستند إلى مرويّات وتوثيقات تاريخية، إلى جانب الكتابة الميدانية وحتى الشخصية، ففي المختارات من كتابها، هناك مثال يعينها، عندما كانت طالبة "في كوردستان الشمالية". فهي من مواليد "نصيبين ١٩٦٠"، إذ تشير من خلاله إلى مدى امتداد تأثير صيت الراحل البارزاني وأصداء الثورة الكوردية آنذاك إلى ما وراء الحدود "التركية" إلى عمق تركيا، وفي الفضاء الجغرافي الكوردي، وما في ذلك من تعزيز لفكرة الحدود المقسّمة سياسياً، استعمارياً، والمملوغة، وهي تفصح عن خاصيتها الكوردية، على وقع هذه المقاومة. إنه تاريخ معاش في سلسلة حلقاته، ولكل حلقة، أو أكثر، ثبت تاريخي ولادة، ونموً وانتشاراً في جهة حدودية كوردستانية.

ذلك يغني محتوى الكتاب، ويتلاحم القائم هنا مع سواه.

في الكتاب، والمختارات، تقع ما بين الصفحات: ٣١٧-٣٤٩:

بالنسبة لانتفاضة أسرة البارزاني ونضالها، حيث تحكم اليوم في جنوب كوردستان، بدأت هذه الانتفاضة والنضال في مطلع القرن العشرين، فالشيخ عبدالسلام البارزاني هو من أعلن المقاومة ضد الدولة العثمانية سنة ١٩١٠، وحيث إن الشيخ أحمد البارزاني من جهته سنة ١٩٣٠، ١٩٣٢، و ١٩٣٥- ١٩٣٦ يبدأ النضال، وفي فترة الحكم الملكي، كانت منطقة بارزان تواجه حالات هجوم عسكرية موسعة النطاق كثيراً، أما الغارات العسكرية العراقية الموجهة إلى المنطقة، فقد كانت تتم في الغالب بقيادة الضباط الانكليز، وكحالات سابقة، كان من الصعب جداً أن يتغلب العرب بمفردهم على الكورد دون مساعدة الانكليز.

وكما أوضحنا سابقاً، فإن البارزانيين عندما عجزوا عن الصمود في وجه القوات العراقية، عبروا الحدود إلى تركيا، وبعد ذلك عادوا إلى العراق إثر صدور العفو عنهم، لكن مع وصول البارزانيين إلى الموصل يتم اعتقال ملا مصطفى مع بعض من مشايخ بارزان من قبل الجيش العراقي، ويتم نفيهم، وقد أمضوا فترة من الزمن في كل من الناصرية وهي في جنوب العراق، والحلة، والديوانية، وكركوك، وفيما بعد عبروا إلى السليمانية، ليقوا هناك عدة سنوات.

ملا مصطفى يتمكن من الوصول إلى بارزان عبر سردشت، وبان، ولاجان ومهاباد، وبعد أن يجمع قواه يدخل في حرب مع عناصر الدولة، وقد سيطر على (٢١) مخفراً للشرطة سنة ١٩٤٣، واستولى على

أسلحتهم، وازداد قوة كل يوم مع انتصاراته. إن مصطفى البارزاني الذي أسس منطقة حكم ذاتي في كردستان كما هو الحال اليوم، بدءاً من هذا التاريخ أصبح زعيم النضال التحرري لكورد العراق. وبعد انتصار تدخل الحكومة العراقية في مفاوضات معه، لكنها كانت تطيل فيها، دون تحقيق أي نتيجة. وفي أيلول ١٩٤٥ اضطر (٦٠) ألفاً من النساء والأطفال من عشيرة البارزانيين بسبب الظروف الطبيعية الشتوية للعبور إلى إيران.

في الوقت نفسه تقوم أحداث خطيرة وكثيرة في إيران. وهذه الأحداث هي التي دفعت بالكورد نحو إعلان جمهورية كردستان في مهاباد. وكان ما حدث، في القرن العشرين من الفرص الأكثر أهمية للكورد، فالبارزانيون عندما عبروا إيران انضموا إلى الأنشطة المتعلقة بإعلان جمهورية كردستان في مهاباد. إن الذين قدموا من العراق أصبحوا عسكرياً قوياً من أجل مهاباد، ولقد كان هناك بعض الضباط الكورد الذين فروا من القوات العسكرية العراقية عند ملا مصطفى، ومن خلاله، برزت قوتهم كقوى عراقية نضالية في كردستان إيران من خلال البارزانيين وظهرت أهميتهم القومية في الحركة الكوردية أكثر فأكثر^(*).

البارزانيون كانوا قد جمعوا أسلحتهم ومعداتهم قبل دخول الجيش الإيراني إلى مهاباد، وانسحبوا إلى الورا. وبداية اجتمع كل من الجنرال مصطفى البارزاني والجنرال الإيراني همايوني، بعدها، وليتجنب البارزاني الخوض في الحرب والعودة إلى العراق، في ١٢ كانون الأول ١٩٤٦، يتوجه إلى طهران ويجري لقاء مع مسؤولي الحكومة، وهذه تطالبه بلزوم تسليم أسلحته، ومن ثم الإقامة في منطقة جبل ألوندي

(*) من بين ذكرياتي زمن دراستي في مدرسة المعلمين في أرضروم "١٩٧٣-١٩٧٨"، وهي تتعلق بالجنرال مصطفى البارزاني، عندما كنت أرجع من أرضروم إلى نصيبين فترة العطلة، كنت مشدوداً إلى تتبع الأخبار المتعلقة بنضال البارزاني، وخصوصاً الأخبار التي كانت تبثها إذاعة "صوت كردستان العراق"، حيث إنني أتذكر جيداً تاريخ إعدام ليلى قاسم شنقاً في العراق، وتألمت كثيراً جراءها وقلت سأذهب لأحل محلها في ممارسة النضال، لكنني عندما كنت أرجع إلى المدرسة، أي أرضروم، كان كل شيء متعلقاً بالكورد ينحى جانباً. كان هناك ضغط من هذا القبيل والذي يشدد على ضرورة التخلي عن الدفاع عن الكوردية، وفي الحوارات الدائرة بين اليساريين واليمينيين لم يكن لاسم الكورد من حضور، لكنني أعلنت عن نفسي كوردية منذ اليوم في المدرسة، وكنت من بين البنات اللواتي عرفن بالبنات الكورديات. في المدرسة كان هناك مناوبات إدارية، في كل يوم كان لدينا مناوبان، وما كان يحدّد من مهام يجري تنفيذه، إحدى هذه المهام تقديم الشاي للمعلمين، وكنت في غرفة المعلمين ذات يوم بصدد تقديم الشاي إحدى معلمات نادتي وأرادت التحدث إلي، كانت معلمتي هذه وهي تركية، معلمة اللغة جالسة في كرسيها، وتكلمت هكذا، وأنا كطالبة كنت واقفة، خجولة، وأصغي إلى كلماتها. المعلمة تحدثت عن مصطفى البارزاني، أعلمتني أن قرارات البارزاني عاصية، وطلبت رأيي فيما قالته، وأنا من جهتي قلت لمعلمتي بجرأة طفولية، إن مصطفى البارزاني بطل شعبه، وهو يطالب بحقوق شعبه، معلم آخر لي، حيث كنت أعرفه يسارياً، هنأني لاحقاً على كلمتي هذه. الآن أكتشف لكم كانت معارفي ومعلوماتي حول مصطفى البارزاني ونشاطه في تلك الفترة قليلة جداً. لكنني لا أعرف لماذا خاطبت معلمتي طفلة مثلي في مكان مثل أرضروم كانت بعيدة عن البارزاني كثيراً، ربما لأنها أرادت أن تعلم بالطريقة هذه كيف تتعامل طفلة كوردية في تركيا مع موضوع كهذا، وربما أيضاً لأنها أرادت أن تتأكد حول ذلك، أو تخبرني بأشياء، لا أعرف حقيقة ذلك تماماً. لكن كونها لم تفرغني، ربما راعت طفولتي. هامش ص ٣٤٦.

والمنطقة من همدان، والبارزاني كونه أدرك أن ذلك مجرد خداع، فلم يشأ تسليم أسلحته، فبقيت توقيفه لمدة شهر تقريباً في طهران، وفي هذه الأثناء، فإن مصطفى البارزاني، لأنه لم يتلق جواباً لا من السفير الانكليزي في العودة إلى العراق، ولا من الحكومة الإيرانية بصددهم في إيران، لهذا يتمكن بمهارته الذاتية من الخروج من طهران.

وعن طريق الدعم الكبير للكوورد في ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، تقوم ثورة، وأستقبلت الثورة بحماس كبير في جنوب كوردستان، لأنها منحت الكورد آمالاً كبرى، وقد توحد الكورد مع العرب في العراق، وعرفوا جبهة واحدة بذلك.

إن عبدالكريم قاسم الذي أسقط السلطة المطلقة لفيصل، وفي اللحظة التي استلم فيها السلطة، أقام علاقات قوية مع روسيا السوفيتية وعموم البلاد السوفيتية "الشيوعية"، وفي هذه الأثناء كان له علاقات مع البارزاني، وبناء على نداء منه، رجع الجنرال مصطفى البارزاني ورفاقه منفاهم الاضطراري من الاتحاد السوفيتي إلى جنوب العراق، وعندما رجع البارزاني إلى بغداد أستقبل بحفاوة في "٦ تشرين الأول ١٩٥٨"، وفي نهاية الاجتماعات تمت الموافقة على منح الحكم الذاتي للكوورد.

في العراق، عندما كان يحصل تقدم في مسار المصلحة الكوردية، كان يحصل عنف موجه ضد الكورد في الأقسام الثلاثة الأخرى. ففي إيران وفي سنة ١٩٥٨، اعتقل "السافاك" الكثير من إداريي الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وليجري كذلك اعتقال المئات منهم مجدداً سنة ١٩٥٩. وقد وجد من بين المعتقلين الكورد من كل الأعمار ومن الجنسين، لكن بعض الإداريين الكورد تمكنوا من الوصول إلى العراق.

وخلال سنوات ثلاث، تحققت تطورات في كل شيء في كوردستان العراق من قبل الكورد، وأثر ذلك في وضع الكورد في الأجزاء الأخرى، في أنشطتهم. بناء على ذلك، فإن الحرب عندما اندلعت، فإن الكورد في كل من تركيا وإيران وسوريا، وباختصار، أينما كان الكورد، سعوا إلى تقديم المساعدات لمصطفى البارزاني، وبالنسبة للحزب الديمقراطي الكوردستاني في إيران، كان ثمة وفاء ملحوظ إزاء البارزاني في الطرف الآخر من الحدود، وقد نظمت وسائل المساعدة له.

ولقد كان هناك عنف وظلم منتظمان ومستمران في سوريا، إذ إنه في عام ١٩٦٢، عبر الإحصاء السكاني، وفي المناطق التي يعيش فيها الكورد، تم تجريد (٢٠٠) ألفاً من الجنسية، بزعم أنهم ليسوا مواطنين سوريين. بالطريقة هذه، صار الكورد في موطنهم دون هوية، وتعرضوا لمعاملة شديدة، وبدءاً من ذلك التاريخ، فإن هؤلاء الكورد المجردين من الجنسية، حرّموا من الحقوق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية من جهة المواطنة. مثال ذلك، هو أن الكورد "الأجانب" لا يستطيعون شراء بيت ما، أو التوظيف في دائرة رسمية، أو الاستفادة من الحقوق في التربية والتعليم، ولا المشاركة في الانتخابات، ولا يستطيعون القيام بزيارة ما إلى الخارج، أو تثبيت زواجهم في السجل المدني.. الخ. كما زادت الضغوط

على الثقافة الكوردية، وبهذا الشكل، فقد تم نفي الكثيرين، ومن خلال مرسوم صدر سنة ١٩٩٦ أيضاً، فإن الممتلكات العائدة إلى هؤلاء وقد حصلوا عليها بهمهم، اعتبرت بمثابة "مال الدولة"، وجرى استملاكها.

في الجانب الآخر، كان نضال البارزاني مستمراً، ففي ٨ شباط ١٩٦٣، جاء عبدالسلام عارف والبعث، وانتهى بذلك حكم الجنرال قاسم*. وفي ٤ آذار ١٩٦٣، جرت مفاوضات بين البارزاني والسلطة العراقية، ويطلب البارزاني الحكم الذاتي للكورد. لكن المفاوضات كانت بلا نتيجة، لتعود المواجهة بينهما مجدداً، من خلال تصدي الكورد للهجوم العسكري العراقي، وبهذا الشكل يعلن البعث "في ١ حزيران ١٩٦٣" الحرب على الكورد.

مع المستجد في تركيا سنة ١٩٦١، حتى إذا كان ذلك محدوداً أيضاً، فإن الدستور المطبق وإن تم التحفظ عليه، إلا أنه مهد السبيل لبعض التطورات. ففي هذه الفترة يتقدم اليسار إلى الأمام، والكورد بدورهم يكون لهم موقعهم الملحوظ وسط أنشطة اليسار.

سنة ١٩٦١، وبشكل سري، تبدأ أنشطة الحزب الديمقراطي الكوردستاني- التركي، وبعد عمل أربع سنوات، وفي سنة ١٩٦٥، وبشكل سري، يعلن هذا الحزب الذي كان مركزه في آمد عن تأسيسه. إن الحزب الذي تأسس بهدف الاتحاد، لم يعرف بنفسه منفصلاً، حيث جاء في النظام الداخلي لهذا الحزب أن بند "الدولة التركية قوامها الترك والكورد، وهذا الشعبان متساويان في كل المجالات"، وفي الدستور الرئيس للجمهورية التركية، يتم وضعه. وبعد عام ١٩٦٥، تبرز تنظيمات حزبية كوردية مختلفة في سوريا.

وكان للتنظيمات الكوردية في سوريا علاقات مع نظيرتها في الأجزاء الأخرى بشكل دائم. وفي تركيا أيضاً، لم يتوقف النشاط، ففي تركيا عامة، ازدادت الأنشطة اليسارية، أما الكورد فقد شكلوا تنظيمات جديدة لهم، فقد أنشئت في أيار سنة ١٩٧١ مراكز الثقافة الثورية للشرق. وافتتحت فروع كثيرة لهذا التنظيم، ومورست احتجاجات واعتصامات، وأقيمت مناسبات تذكارية ليلية واجتماعات.

استناداً إلى أنشطة الشباب التي انتشرت في عموم تركيا، اتخذت التدابير المناسبة، حيث وجهت وحدات الكوماندوس إلى الشرق والجنوب الشرقي، والعسكر كانوا يداهمون القرى، وفي الوقت نفسه، جراء أسباب كثيرة برزت مشاكل كثيرة أيضاً بين التنظيمات الكوردية، ففي عام ١٩٦٩، إثر الخلافات البينية في الحزب الديمقراطي الكوردستاني، قتل شخصان لهما وزنها في الحزب وهما سعيد آلجي و د. شفان "وهو طبيب واسمه الحقيقي سعيد قرمزي طوبراك الذي اشتهر فيما بعد باسمه الحزبي د. شفان، ملاحظة من ع. ب".

وفي عام ١٩٦٨ بالمقابل، استولى البعثيون على السلطة في العراق، وبدأوا بالهجوم العسكري على الكورد، لكن الهجوم هذا كان بلا نتيجة، وزاد نشاط البارزاني قوة، وعلى خلفية مما تقدم، بدأت الاتصالات مجدداً حول الحكم الذاتي للكورد، وهكذا وقعت اتفاقية بين الكورد والدولة العراقية حول الحكم الذاتي في ١١ آذار ١٩٧٠، واستناداً إلى هذه الاتفاقية، فإن المناطق الأخرى التي يكون فيها الحضور الكوردي قوياً، سوف يتم التعلم فيها باللغة الكوردية إلى جانب العربية بصورة رسمية، وكان ذلك بداية لزيادة قوة التعليم بالكوردية والثقافة الكوردية، وأن الكوردية تكون اللغة الثانية في العراق وفي التعليم، ويتم دعم كل ما يخص الأدب والفن والأنشطة الثقافية الكوردية.

في الجانب الآخر، وفي العراق، استمر الاعتقال والتعذيب والقتل، إذ تبعاً لما سجلته منظمة العفو الدولية سنة ١٩٧٦ حيث كان لها علاقات مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني، تم اعتقال (٦٠) ألف رجلاً، وقد كان هناك اقتراب موعد الاستقلال. إن كريس كوتشيرا يظهر أن الكورد أيام حركة الجنرال البارزاني أداروا أنفسهم ذاتياً أكثر من عشر سنوات وهذا كان يتم تحت تأثير الهجومات المسلحة بحيث إنها كانت تزداد خطورة مع الزمن. إن كوتشيرا يرى أن هذه الفرصة أكثر حساسية من زمن إقامة الدولة الكوردية في مهاباد "١٠٣". فيستدرك قائلاً لقد كان البارزاني يتحرك ويتنشط في منطقة تصل مساحتها إلى (٣٥) ألف كم^٢ ويقيم عليها سلطته تأتي بعد إمارة الأمير بدرخان الكوردية الكبرى مرتبة. لكن للأسف، فإن البارزاني الذي أمضى حياته في النضال من أجل الحرية، كان صاحب جيش وسط قوة عسكرية في الشرق الأوسط وصاحب مكانة حساسة ويقوم لقاءات مع رؤساء حكومات ومستشارين رفيعي المستوى في الدول الأخرى كثيراً، لهذا اضطر إلى الإحتماء بإيران التي خانته. وفي سنة ١٩٧٩ أيضاً كان في أمريكا من أجل المعالجة حيث ودع الحياة وفيه حسرة على كوردستان التي عاش حياته كلها وهو يحارب من أجلها. ص ٣٤٩.

ظلال ثورة أيلول الكوردية ومرآة عدنان جليك في الجهة المجاورة لها:

كما هو واضح من العنوان (الكفاح من أجل الحرية في كوردستان في الستينيات وتشكيل القواعد المناهضة للاستعمار)، فإن الباحث والأكاديمي عدنان جليك يرصد حركة هذه الظلال من الخارج، وبالتالي، فإن الداخل الذي يجد متنفساً له في الخارج هذا، يتعزز به. أكثر من ذلك، وفي الأمر المهم للعلاقة، لحظة الوقوف على الحقيقة المكانية بينهما. نجد أن المساحة التي يشغلها الداخل، وهي مهددة بالخطر، وتخضع للمراقبة الدقيقة من الجوار الجغرافي سياسياً، وكيفية التعتميم عليها، يكون الخارج إضاءة لها، ومن ثم دعماً للذين أشعلوا ثورتهم، أو فجرها رغبة في توسيع المساحة أو التمكن منها لتكون أكثر طواعية لهم، حين يمثّلونها كونهم أهلها.

إن ما يقدمه جليك يتضمن متعة وجدانية، إن جاز التعبير، متعة موصولة بالذهنية المنفتحة، وهي بطابعها التاريخي، السّيري، والاستقرائي والإجرائي الثقافي كذلك، ومن خلال الدور الذي يصل بمكانته، أو ما يشتغل به جامعياً ومؤسسياً، فكما جاء في بطاقة التعريف به: حاصل على درجة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا الاجتماعية من EHESS في باريس مع أطروحة بعنوان "العنف الداخلي عبر الزمان والمكان: إعادة النظر في النزاعات الكوردية في تركيا على المستوى المحلي (من القرن التاسع عشر إلى حرب التسعينيات)". عضو مرتبط في IFEA (المعهد الفرنسي للدراسات الأناضولية). وهي مهام ثقافية وبحثية، وفي مواقع متقدمة أوروبياً، بما لها من اعتبار اجتماعي - سياسي، وبحثي معتبر فرنسياً وأوروبياً طبعاً.

إنه كتاب أكاديمي، جامعي في البنية، وبنسيجه البحثي والجغرافي الدقيق وهو يتعقب أنشطة كتاب كورد، كانوا منوري الحدث الأيلولي، والمعرفين للعالم الأوروبي وأبعد بعدالتها، حال وانلي، كاميران بدرخان، ونورالدين زازا، مثلاً، واتصالاتهم بمراكز القرار في العالم آنذاك، أعني تلك الفترة التاريخية الحاسمة والانعطافية في التاريخ الثقافي والسياسي نفسه، ودور الثقافة في الاستنهاض بالواقع، ومواجهة الاستبداد، حيث ترتبط الكلمة بالفعل. لنتذكر في الحالة هذه، تلك الرموز الفكرية والأدبية التي أحالت الستينيات إليها، ثورات الطلاب في أوروبا، والتي أذنت بظهور رؤى، ومن ثم أساليب تفكير جديدة، وطرق كتابة جديدة، أي الرهان على علاقات اجتماعية أكثر انفتاحاً. وفي مثل هذه الساحة القارية كان ثمة ما يحفز قوى هؤلاء الناشطين والمنخرطين في الحركة، عبر خطوط اتصالات مختلفة.

لقد آثرت إيراد مقتطفات مطوّلة، بعد نقلها عن لغة الكتابة بها: التركية، وربما لأول مرة، تبصر كتابة كهذه، النور، فيتحصل لدينا خارج آخر، لسان آخر، وتعزيز آخر لمشاهد حية، تشد في أزر الحقيقة المتوخاة، أعني بذلك حقيقة شعب يريد أن يكون كما هو كغيره، وأن يكون لوجه مناهضته الاستعمار ذلك البعد الإنساني، مثل الذي لغيره.

ما رأيته، وتقصّيته في طيات هذه المقتطفات، يضع أكثر من يد على جرح قائم، ويعلم، كما يفهم، كما يلهم كثيراً، بصدد ما هو تاريخي كان، ولكنه في محتواه، وتردد ذبذباته الدلالية لا يكف عن لفت النظر، وهذا ينعش التاريخ بأوسع معانيه !

ثمة ملاحظة، لا بد من الإشارة إليها، وهي تخص الفقرات المنقولة إلى العربية، إذ يشار إلى كل منها بصفتها، بغية الرجوع إليها عند اللزوم، أو للمزيد وللمقارنة !

الكفاح من أجل الحرية في كوردستان في الستينيات وتشكيل القواعد المناهضة للاستعمار⁽¹⁾:

⁽¹⁾ Adnan Çelik 1960'larda Kürdistan Özgürlük Mücadelesi ve Anti-Sömürgeci Gramerin Oluşumu

أيا دانيال الأحمر، مقدم الفتوات

في وطني،

لازال الليل يعتم على تراب كوردستان،

سوى أن أشعة تلك الشمس ستشرق في ذلك الشمس الحمراء،

أطل بهامتك من قلب جبال سيبان خلات، هدية الوطن،

لتلك المنحدرات، الصخور، ويمتد شعاع شمسنا إلى الغرب،

جىء به من الشرق يا دانيال الأحمر، سلاماً لك،

إلى كوردستان، حتى بيافرا، حتى فيتنام .

اليوم الحر، ١٩٦٨، باريس.

من صص ٥٧-٨٦

أيا دانيال الأحمر، مقدم الفتوات في وطني، لازال الليل يعتم على تراب كوردستان، سوى أن أشعة تلك الشمس ستشرق في ذلك اليوم الأحمر، من قلب جبال سيبان خلال، هدية الوطن، لتلك المنحدرات، الصخور، ويمتد شعاع شمسنا إلى الغرب، جىء به من الشرق يا دانيال الأحمر، سلاماً لك، إلى كوردستان، حتى بيافرا، حتى فيتنام : اليوم الحر، ١٩٦٨، باريس.

ثلاثة عوالم - أربعة أجزاء مع الحرب الباردة، التي تطورت بسرعة على أساس محورين بعد الحرب العالمية الثانية، وظهر "العالم الثالث" بعد الموجة التحررية الوطنية المناهضة للاستعمار والمناهضة للإمبريالية في مستعمرات العالم الأول، الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي على أساس "العوالم الثلاثة" طوال الثمانينيات.

٥٧

ظهر تكوين دولي جديد للقوة. الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا الغربية على أساس الاقتصاد الرأسمالي العالمي الأول والديمقراطية الليبرالية؛ الدول الاشتراكية / الشيوعية بقيادة الاتحاد السوفيتي على أساس الاقتصاد الاشتراكي؛ من ناحية أخرى، كان العالم الثالث يتألف من الغالبية العظمى من دول آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، التي تحررت قاراتها من أغلالها الاستعمارية واختتمت نضالاتها بنجاح من أجل التحرر الوطني، ولم توافق على الحدود. ومن الاستقطاب الثنائي الذي ظهر في سياق الحرب الباردة وتم وضعه وفقاً لأجنداتها وأولوياتها. ٣ وبالنسبة للكورد، حيث استلبت دول العالم الأول مصيرهم من جهة معاهدة سيفر في عام ١٩٢٠ ومع أولوياتها الاستراتيجية مرت العالم الثاني في مهاباد عام ١٩٤٦، للانضمام إلى الموجة المتصاعدة من النضال ضد الاستعمار والتحرر الوطني في العالم الثالث، بمرافقته. لكن توازن القوى والتشكيل السياسي يتطلب دراسة جادة

لدول العالم الأول والثاني في الوقت نفسه. لأنه على الرغم من التصميم والقوة الرمزية للنضال الملموس ناحية العالم الثالث، فإن صناع القرار كانوا لا يزالون ممثلين لهذين العالمين. وعانت كوردستان من التقسيم المصطنع للدولة القومية في حدود الدولة القومية لتركيا، مع عضوية الناتو منذ اليوم الأول التالي للعالم الأول؛ وحتى لو كانت إيران منفتحة على التأثيرات الخارجية للعالم الأول والثاني، في مكان تأخذ فيه المعارضة الاجتماعية قوتها من مسار الاستقلال الثقافي المناهض للإمبريالية في العالم الثالث؛ ومن ناحية أخرى، كان العراق وسوريا يقعان في مكان قائم على تصور الأمة العربية المستقلة والاشتراكية في مصر والتحول إلى نظام البعث.... وكانت حركات المقاومة في كوردستان، التي انقسمت إلى أربعة أجزاء بين العوالم الثلاثة، في موقف يحاول المضي قدماً في مثل هذا التوازن الصعب. وتم ربط الحركة القومية الكوردية بين هذه العوالم الثلاثة من أوائل الخمسينيات إلى أوائل الثمانينيات، وذلك بربط أجندتها السياسية الحقيقية بالصراع بين العالم الأول والعالم الثاني، وعلم اللاهوت التحريري بالأفق المستقبلي للعالم الثالث. ولتطلعات الكورد التحررية. حيث إن آمال الكورد الذين وقعوا في ظل الدول القومية مع ميثاق بغداد عام ١٩٥٥ واتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥؛ استمر تعاطفهم مع العالم الثاني حتى سقوط جدار برلين وحتى تفكك الاتحاد السوفيتي، على الرغم من خيبات أملهم العديدة. وفي السبعينيات، تحولت الغالبية العظمى من الحركات السياسية الكوردية التي ظهرت، خاصة في كوردستان الشمالية، إلى إرث ثورة أكتوبر في العالم الثاني بقيادة الاتحاد السوفيتي.

٥٨

كانت أحلام الكورد حول العالم الثالث أقصر بكثير. وقد دخلت العملية التي بدأت مع مؤتمر باندونغ في عام ١٩٥٥ في ركود وأزمة كبيرين في أوائل السبعينيات. ومع ذلك، فإن الثورات المناهضة للاستعمار والتحرر الوطني التي حدثت في الجزائر وموزمبيق وفيتنام والعديد من بلدان أمريكا اللاتينية، وخاصة كوبا، استمرت في كونها أحد المصادر الرئيسية لإلهام الحركة الكوردية. وعلى وجه الخصوص، كان كفاح حرب العصابات في أمريكا اللاتينية والثورة الماوية في الصين من بين المراجع الرئيسية لبرامج الكورد لتحرير كوردستان من محتليها حتى في السبعينيات. والهدف من هذا المقال هو فحص الخطابات والتخييلات الصغيرة والمبعثرة والمشتتة وتلك المناهضة للاستعمار للكورد خلال الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي على أساس الحركات الفردية أو الجماعية؛ لوضع خريطة عامة حول التفاعل مع الأفراد والحركات في العالم الأول والثاني والثالث. وأترك النقاش حول سبب بقاء كل هذه التجارب بالكامل خارج التأريخ الكوردي المعطى لمقال آخر. ضمن نطاق بحثي بعد الدكتوراه في Science Po Lille، هذا التعيين، الذي حاولت إنشائه استناداً إلى بيانات تستند إلى دراسات أرشيفية ومقابلات فردية في باريس ولوزان وبرن وأمستردام وبرلين وهولر وإسطنبول، في مستوى أولي

للغاية، وهذه المقالة أيضًا في بداية البحث وأريد أن أشير إلى أنه ينبغي اعتبارها النتيجة الأولى التي تظهر. أود أن أؤكد أن السياق والإطار التحليلي قد يتغيران أيضًا في الأشهر المقبلة حيث لدينا الفرصة لتعميق الموضوعات في هذه المقالة. ويتكون المقال من ثلاثة عناوين رئيسية. في كل حلقة، أركز على العالمين الأول والثاني والثالث على التوالي، وعلاقات هذه العالمين وتفاعلهم مع النضال الكوردي، خاصة خلال الخمسينيات والستينيات. وكان الموضوع الرئيسي لتذكيرنا الأخير قبل عام ١٩٦٠ خلال العالم الأول والثاني والثالث في كوردستان التضامن والنشاط الذي تم حول الإطار الكلي لتركيا وإيران والعراق وسوريا، وعلى الرغم من التركيز الرئيس فيما يتعلق بالوضع في عام ١٩٦١ جهة المقاومة الكوردية التي بدأت في جنوب كوردستان بقيادة الجنرال مصطفى البارزاني. وينصب التركيز الرئيس لجميع الأنشطة على دعم هذا النضال وإعلان الحقيقة التاريخية لكوردستان في مواجهة للرأي العام العالمي على هذا الأساس.

العالم الأول: "القانون والتضامن"

كانت الكتلة، المعروفة باسم العالم الأول أو المعروفة باسم "الغرب" والتي ستنفذ أكثر منافسة فعالة في الحرب الباردة، تتكون من دول، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية، والتي كانت مرتبطة برأسمالية السوق وتم تأسيسها. الناتو عام ١٩٤٩. حكام العالم الأول، من ناحية، هم حكام العالم الثاني.

٥٩

لقد تحول جزء من المنظمات اليسارية، خاصة في دول أوروبا الغربية، إلى النضالات في العالمين الثاني والثالث. في حين أن أولئك الذين قاتلوا داخل الأحزاب الشيوعية كانوا منخرطين في الغالب في الاتحاد السوفيتي، الذي كان زعيم العالم الثاني، كان هناك أيضًا العديد من المنظمات والمقاتلين الذين يدعمون حركات التحرر الوطني ومناهضة الاستعمار في العالم الثالث، وخاصة الماويين مع التعاطف مع الصين. وكان هناك دعم جاد للغاية من دول العالم الثاني قائم على التضامن على خط العالم الثالث الممتد من أندونيسيا إلى الجزائر، ومن فيتنام إلى كوبا، ومن كوردستان إلى بيافرا. وعلى الرغم من أن مثقفي العالم الثاني يركزون بشدة على الجزائر وفيتنام (مثل جان بول سارتر وبرتراند راسل)؛ ففي حالات مثل كوردستان، التي أرادت أن تضع نفسها في صراع هذا العالم الثالث، كان التضامن أكثر محدودية وكان في الغالب من خلال الماويين أو المناهضين للاستعمار. وفئة أخرى مهمة دعمت الأمم من العالم الأول، وخاصة أولئك الذين قدموا نضالاتهم التحررية الوطنية على أساس مناهض للاستعمار ومعاد للإمبريالية، حيث كان المناضلون الوطنيون للأمم الذين تم تجاهلهم في بناء الدولة القومية في

أوروبا الغربية وكانوا كذلك محرومين من مكانة سياسية. وممثلو الأقليات غير القانونية مثل إيرلندا، بریتون، الباسك، الكاتالونية، من ناحية، خاضوا نضالهم من أجل الاستقلال، ومن ناحية أخرى، دعموا نضالات الدول المضطهدة في العالم الثالث (خاصة تلك المضطهدة داخل دولة قومية ذات سيادة مثلها). وسيأتي الدعم الأكثر كثافة لنضال الكورد من هذه المجموعة. وكان الاهتمام الأكبر بنضال الكورد في العالم الأول يتركز في باريس في تأثيرها. حيث إن باريس كانت مركزاً للنضال الشديد الذي دعم بشكل عام ثورات العالم الثالث وتلك التي قام بها كاميران بدرخان، الذي كان يدير الكرسي الكوردي للمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية منذ عام ١٩٤٧، من العوامل الحاسمة في ذلك. ولأن كاميران بدرخان كان أيضاً المتحدث باسم المقاومة الكوردية في جنوب كوردستان منذ عام ١٩٦١. إلى جانب باريس، كانت الحركة الطلابية الكوردية، التي تم تنظيمها حول رابطة الطلاب الكورد الأوروبيين في العديد من دول غرب وجنوب أوروبا، مركزية أيضاً في تشكيل شبكات التضامن مع العالم الأول.

٦٠

مواطن من العالم الثالث "هنري كوريل وكاميران بدرخان"

ينحدر هنري كوريل من عائلة يهودية من أصل إيطالي، ولد في القاهرة عام ١٩١٤، وكان مناضلاً دولياً نادراً. وهو مؤسس حركة التحرير الوطنية المصرية، إحدى المنظمات الماركسية الرائدة في الأربعينيات، وقد طرد كوريل من قبل حكومة الملك فاروق في عام ١٩٥٠ بسبب أنشطته في مصر. وكوريل، الذي مكث في إيطاليا لفترة قصيرة، انتقل إلى فرنسا في ١٩٥٧، وهو يعمل بنشاط مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية. وفي عام ١٩٦٠، أسس مع زوجته روزيت كوريل وجويس بلو وديدار فوزي روسانو، وكلاهما من اليهود المصريين، الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار وقاتلوا من أجل الجزائر المستقلة. واعتقل هنري كوريل، الذي يقف إلى جانب الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، وفي ٢٠ تشرين الأول ١٩٦٠ وأمضى (١٨) شهراً في سجن فريسنس جنوب باريس. وفور إطلاق سراحه، أسس منظمة التضامن في عام ١٩٦٢، مع عشرات الناشطين، ومعظمهم فرنسيون، من مختلف النضالات والحساسيات (كهنة بروتستانت، نقابيون، قساوسة كاثوليك، أعضاء في الحزب الشيوعي... إلخ). وكانت منظمة تدعم حركات المعارضة الديمقراطية في العالم الثالث. فقد دعم المؤتمر الوطني الأفريقي في جنوب إفريقيا حركات الاستقلال مثل اتحاد شعوب الكاميرون (UPC)، بالإضافة إلى الحركات التي تقاتل ضد فرانكو إسبانيا في أوروبا،... وكان كاميران بدرخان صديقاً مقرباً للجندي الفرنسي وقد استقر في باريس في خريف عام ١٩٤٧ من خلال الخبير بالكورد روجر ليسكو واستمر التدريس في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية حتى عام ١٩٧٠. ومعرفته بعمل منظمة Solidarité، اتصل كاميران بدرخان بهنري كوريل في بداية عام ١٩٦٠ وطلب منه توزيع نصوص إعلامية عن كوردستان بين وسائل

الإعلام والمجتمع المدني والسياسيين ودعم النضال في جنوب كردستان. ولدعم الشعوب المضطهدة في العالم الثالث، قدم زعيم حركة التضامن، كوريل، كاميران بدرخان للعديد من الصحفيين الفرنسيين المشهورين في وقت قصير جداً، وكان له دور فعال في الإعلام الفرنسي في إعلان النضال القومي الكوردي في العراق تحت قيادة مصطفى البارزاني.

٦١

وجويس بلاو، اسم معروف في مجال علوم الكورد وأحد أهم المحاربين القدامى في المعهد الكوردي في باريس لسنوات عديدة... كانت جويس بلاو أيضاً ناشطة في منظمة Solidarité بقيادة هنري كوريل في ذلك الوقت، وقد التقت كاميران بدرخان تماشياً مع مهمة كوريل... وقادها هذا الاتصال الأول في النهاية إلى أخذ دروس في اللغة الكوردية منه، للدفاع عن أطروحتها المعنونة "القضية الكوردية: مقال اجتماعي وتاريخي" في بروكسل عام ١٩٦٢ تحت إشرافه، لنشر القاموس الكوردي - الفرنسي - الإنجليزي معاً في ١٩٦٥... .

وعرف هنري كوريل المقاتلين الشباب اليساريين على القضية الكوردية وشجعهم على زيادة فرصهم في النشاط والمعرفة الأكاديمية الجديدة. وعلى سبيل المثال، كان جيرارد شاليان أحد هؤلاء المقاتلين الشباب الذين، بتشجيع من كوريل، التقى كاميران بدرخان وسيدعم النضال الكوردي حتى اليوم. فيصف شاليان هذه الشهادة في أحد مقالاته: "كان موقفي المناهض للاستعمار معروفاً في ذلك الوقت. وكان ذلك وقت الحرب الجزائرية، وأخبرني واصف (الاسم الرمزي لهنري كوريل) أن وضع الكورد كان أيضاً من النوع الاستعماري وأن ممثلهم (كاميران بدرخان) كان يبحث عن شخص يمكنه كتابة مقدمة جريئة عن القضية الكوردية". وسينخرط شاليان، الذي التقى في منزله في ستانبول، بسرعة في القضية الكوردية وسيقدم مسودة أولى لمقاله حول القضية الكوردية في عام ١٩٦٠ في المؤتمر الخامس لاتحاد الطلاب الكورد في أوروبا، في برلين الشرقية، وحضره أيضاً كاميران بدرخان، ونشره في مجلة: "الحزبي" وكان كاميران بدرخان المسئول الأوروبي عن النضال التحرري الوطني الكوردي بقيادة مصطفى البارزاني في العراق بين ١٩٦٢-١٩٦٣.

٦٢

وعندما تمت ملاحظة الأشخاص الثلاثة الذين أرسلتهم إدارة بغداد لاغتيال بدرخان، كان "مواطن العالم الثالث" والمتشدد الثوري هنري كوريل هو الذي أخلى بسرعة منزلهم في باريس ووجد مكاناً آمناً له ولزوجته في ألمانيا. ولكن كان عام ١٩٧٨ هو العام الذي مات فيه كلاهما في باريس.. لقد كان هناك مساهمات جادة عبر هؤلاء ومع الصحفيين من الصحافة الفرنسية السائدة وكذلك مع المسلحين

الشباب مثل جويس بلو وجيرارد شاليان طوال الستينيات، في النضال الثوري في كردستان. ومع ذلك، عند النظر إلى نطاق عمل كوريل من خلال مجموعة Solidarité، يمكن ملاحظة أن دعم الكفاح الكوردي محدود للغاية مقارنة بدعم النضالات في الجزائر أو في أي مكان آخر. وفي هذه المرحلة، من ناحية، فإن النضال الكوردي ليس "شائعاً" popüler كما هو الحال في الجزائر أو في أي مكان آخر، ومن ناحية أخرى، فإن التمثيل الأرستقراطي الكلاسيكي لكاميران بدرخان والمناهض للشيوعية لن يتخلى أبداً عن استخدام العنوان. "الأمير" والقضية الكوردية: يمكن القول أن هناك مقارنة فعالة للأمم المتحدة، القائمة على حل الحل في إطار القانون الدولي بدلاً من إطار مناهض للاستعمار أو ضد الإمبريالية.

لجنة التضامن للثورة الكوردية (CSRK):

تأسست "لجنة التضامن للثورة الكوردية" في باريس عام ١٩٦٣ من قبل مجموعة من المثقفين الفرنسيين الشباب بقيادة جان بيير فينوت، الذي زار جنوب كردستان في العام نفسه. وتقع اللجنة على "اليسار غير الشيوعي"، وقد تم دعمها أيضاً من قبل بعض أعضاء هيئة التدريس من جامعة السوربون والمدارس الكبرى بفرنسا. وتم تأسيس CSRK رسمياً، والتي عملت بدون تسجيل رسمي خلال السنوات الثلاث الأولى، في ٧ آذار ١٩٦٦. كما جاء في المادة الثانية من الميثاق التأسيسي الرسمي للجنة، فإن الهدف العام للجنة هو دعم نضال الشعب الكوردي مادياً ومعنوياً، وفي هذا السياق، تأتي الحقوق الثقافية والوطنية والديمقراطية المشروعة للشعب الكوردي. وكان الهدف منها المساعدة في الدعاية لنضال كردستان من أجل الحكم الذاتي وتقرير المصير.

٦٣

وجاء في المادة الرابعة من الميثاق أن التحليل النظري والأنشطة العملية للجنة استندت إلى "حق الشعوب في تقرير المصير ومبادئ التضامن الضرورية مع حركات التحرر الوطني للشعوب المضطهدة". وذكر أنه يهدف إلى نشر الخبر. وفي واقع الأمر، كان من المقرر نشر العدد الأول من الكتاب السنوي في حزيران ١٩٧٠. وفي هذا العدد الأول، يعتمد سبب الاسم على المجلة التي نشرها الحزب الشيوعي لكوردستان العراق بالاسم نفسه بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٦، وبدأت بالاعتباس الشهير لماو تسي تونغ: "الوطنية هي تكيف عملي للأمم لحرب التحرير الوطنية". وفي ١٩٦٣ تم حل لجنة التضامن للثورة الكوردية، التي قدمت دعماً كبيراً للنضال الكوردي من العالم الأول بإعلاناتها ودعواتها للتضامن ومنظمات الدعم، في آذار ١٩٧٥، بعد هزيمة المقاومة الكوردية في العراق بعد معاهدة الجزائر. وقد عارض أحد الأعضاء الأكثر نفوذاً في اللجنة، جان بيير فينوت، البارزاني واتهم البارزاني بالتعامل مع إيران. وكان لدى CSKR العديد من الأسماء في مجلس إدارتها. بينما كان بعضهم أعضاء هيئة تدريس في

الجامعة، وكان معظمهم مناضلين مشاركين بنشاط في نضالات الشعوب المختلفة في أوروبا. جوستاف بوراتي من إيطاليا (الأمين العام للرابطة الدولية لحماية اللغات والثقافات المهتدة)، س. كافيري (رئيس اتحاد فالدوتين)، كريستيان إيتشالوس (حركة الباسك القومية - عضو اللجنة التنفيذية في إنباتا)، البروفيسور. جين إي هولبلت (رئيس المجلس التنفيذي لحركة والون الإصلاحية)، ألبرت بول لينتين (صحفي)، بيير نيرت (الأمين العام للجمعية الدولية لحماية اللغات والثقافات المهتدة، فنلندا)، ديميتري - بيتروس إيلوف (سكرتير جمعية الأصدقاء الآشوريين والآشوريين)، ...ناثان واينستوك (عضو الاتحاد الاشتراكي للعمال البلجيكين ومحرر صحيفة اليسار La Gauche في بلجيكا)، جان بيير فينوت (أمين لجنة التضامن مع الثورة اليمينية)، مارسيل كوهين (جامعة السوربون)...

٦٤

جاي هيرود (أستاذ كلية الحقوق بجامعة ستراسبورغ)، فلاديمير يانكليفيتش (أستاذ الفلسفة في جامعة السوربون، وعضو اللجنة الإيرانية لحماية السجناء السياسيين)، وفرانسوا ليكا (عالم اجتماع، وعضو مجموعة)، ومكسيم رودنسون (أستاذ علم الاجتماع في جامعة السوربون). وقد كتب الباحث والصحفي جان بيير فينوت (١٩٤١-١٩٧٥)، الذي لعب الدور الأكثر نشاطاً في تأسيس CSRK والذي أظهر أقوى تضامن مع النضال الكوردي خلال الستينيات، كتابه وهو أطروحة دكتوراه عن حركة التحرر الوطني الكوردي في باريس، ١٩٦٩... ودرس في معهد اللغات الشرقية الحية (INALCO) في باريس من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٥. ولم يكن فينوت يقاتل من أجل الكورد فقط. حيث كان يعمل لصالح شعوب فلسطين واليمن وبلوشستان. ولقد أولى اهتماماً كبيراً لصراع العصابات الذي نشأ ضد البريطانيين في ظفار، بين اليمن وسلطنة عمان، حيث كان النضال الماركسي اللينيني والنسائي قوياً... وفي الوقت نفسه، جمع مساعدات مالية لنضالات التحرر الوطني في اليمن، والشرق الأوسط وعمل بجد لإعلام الرأي العام العالمي. وكان هذا الشاب المناضل، المحامي الشغوف بقضايا الأقليات القومية، يبلغ من العمر (٣٤) عاماً فقط عندما توفي أثناء دراسة ميدانية لمعرفة نضال القبائل في بلوشستان التي تقاوم حكومة باكستان. ..وفي واقع الأمر، فإن مقال لوموند ديبلوماتيك بعنوان "كوردستان، أمة مجزأة" نُشر في عدد آب ١٩٧١ تمت ترجمته على أنه "خاص بالخدمة" من قبل وزارة الخارجية في ETUD في تشرين الأول من العام نفسه وتم تقديمه إلى كبار المسؤولين التنفيذيين في هيئة الأركان العامة. وفي بداية الترجمة، أضيفت ملاحظة خاصة حول فينوت: "كاتب المقال، الشاب الفرنسي في الثلاثينيات من عمره، جان بيير فينوت، تخرج من القسم الكوردي من مدرسة اللغات الشرقية التابعة لجامعة باريس. وحاصل على دكتوراه في القضية الكوردية. ولا يزال يعلم دروساً في اللغة الكوردية ودروساً للتاريخ في المدرسة المذكورة. وهو تلميذ كاميران بدرحان، أحد القادة الكورد في أوروبا وأحد الأساتذة الكورد في مدرسة اللغات الشرقية".

عالم السياسة الشهير أوليفييه روي، المعروف بعمله في الإسلام والشرق الأوسط، في محادثة نهريّة طويلة معه في Cité Universitaire، الحرم الجامعي للطلاب، حيث تحدث عن البيئة الفكرية في باريس وتوجهات الأجيال الشابة خلال الفترة المتأخرة. في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي بعد لقائه مع جان بيير فينوت، أخبر كيف تحول هو نفسه وأصبح مهتمًا باليمن. ويؤكد مكسيم رودنسون عضو CSRK، وهو "تروتسكي وعالمي"، أعمال جان بيير فينوت الرائعة حول مفاهيم حقوق الأقليات وحق الناس في تقرير المصير على أساس لغتهم وثقافتهم. ووفقًا لروي، كانت هذه إحدى أولى علامات ظهور فكرة التعددية الثقافية، حيث لم يعد "الشعب"، الذي ارتبط بالفكر اليميني حتى ذلك الحين، محصورًا في الطبقة العاملة، بل وحدة ثقافية ولغوية. ويرى روي أنه من اللافت للنظر للغاية أن اليسار الفرنسي في السبعينيات أعاد النظر في موضوع التحيز (اللغات، واللهجات، والشعوب الأصلية) الذي كان يركز في السابق على اليمين، وحتى ذلك الحين، كانت قيم النزعة الإقليمية التي يتم الدفاع عنها تقليديًا في فرنسا، بشكل عام على حق، كانت الدول أيضًا أنه أصبح قضية. ويشير روي أيضًا إلى جبهات التحرير الناشئة في أيرلندا والأوكيتان ومنطقة الباسك في الجنوب الغربي. ويقول إن المفضلات الثلاثة لدى فينوت، "الكورد وعرب الجنوب والبلوش"، على الرغم من أنها أقل شعبية، وهي تجد بالتأكيد مكانًا لها على طاولة اجتماعات مظلمة. وبحسب روي، فإن شعار اليوم هو "يا هلا.. الحرب الصالحة لشعبك!" وفي الواقع.. كانت الغالبية العظمى من أعضاء CSRK مناضلين وطنيين يخوضون كفاح الشعوب عديمة الجنسية في أوروبا. وبدأ الفصل المعنون "العمل الدولي: كوردستان - الباسك - الأوكيتان - بريتون" من الكتاب السنوي لعام ١٩٦٩-١٩٧٠ من CSRK بالاقتراب الشهر التالي من كتاب لينين لعام ١٩١٤ حق الأمم في تقرير مصيرها: إنه مثال ساطع على موقف بروليتاريا الأمم المضطهدة (التي لا تزال تحتفظ بأهمية عملية هائلة حتى اليوم) تجاه الحركات القومية. هذه السياسة هي تحذير من حماسة الأشخاص البرجوازيين ضيقي الأفق من جميع البلدان من جميع الألوان واللغات، وفكرة تغيير حدود الدولة التي رسمها استبداد وامتيازات الملاك وبرجوازية الأمة، باعتبارها فكرة طوباوية... ..

بعد هذا الاقتراب، تم تضمين المراسلات بين لجنة التضامن للثورة الكوردية (CSRK) وبلاد الباسك وحرية إيتا (الباسك) والحزب الأوكيتاني القومي واتحاد بريتون الديمقراطي. وأصبح يان تشود فيلارد (المعروف أيضًا باسم جان إيف فيلارد)، المتحدث باسم اتحاد بريتون الديمقراطي، مهتمًا بقضية

كوردستان منذ أوائل الستينيات. وفي واقع الأمر، فإنه كتب مقالاً طويلاً بعنوان "المسألة الكوردية" مع بير بينيك في عدد عام ١٩٦٢ من المجلة المسماة Ar-Vro، التي نشرتها بريتون. وبدأ المقال، الذي تضمن خريطة مفصلة لكوردستان، بالترجمة الفرنسية لقصيدة إلى متى: (Jusqu'à quand : Heta Kengi لـ جكرخوين ... وكان يتعقب التطورات. وعلى سبيل المثال، في عدد من المجلة نُشر في ربيع عام ١٩٦٣، أسماء دول مثل أيرلندا وويلز وكاتالونيا والباسك والوالون وجورا في أوربا، وكذلك الفولغا الألمان في الاتحاد السوفياتي؛ الشعوب السودانية في إفريقيا وكوردستان في آسيا ودرافيدان في الرابطة الهندية. وكانت هناك سجلات تاريخية لجزر الأنتيل في أمريكا وكيبك في كندا. وفي القسم الخاص بكوردستان، والمقاومة الكوردية في العراق وبيانات الحزب الشيوعي العراقي الذي اتخذ موقفاً ضد المقاومة. وفي مقال بعنوان "الكورد: شعب في صراع" نشر في مجلة Le Peuple Breton (شعب بريتون)، وهو منشور لاتحاد بريتون الديمقراطي، قال فيلارد: "إن الحرب التي تشنها الإمبريالية الأمريكية في فيتنام مستمرة بلا هوادة وهناك لا يمكن أن تحدث إبادة جماعية. ونحن لسنا بعيدين جداً. وفي وقت تتزايد فيه الدعوات للسلام يوماً بعد يوم، تحدث إبادة جماعية أخرى ضد الكورد، لكن هذا لم يتم الاحتجاج عليه كثيراً". ويقول: كيف يفسر هذا الصمت؟ كان يسأل. بعد تلخيص السياق التاريخي للقضية الكوردية ومناقشة الوضع الراهن للنضال في كوردستان العراق، قال فيلارد: "هناك حدود للعار والظلم كما في [كوردستان] وبلاد الباسك"، وقال إن "التضامن الفعال بين جميع الشعوب" كان الهدف من الاتفاقية التأسيسية لاتحاد بريتون الديمقراطي. وكتبت لجنة التضامن للثورة الكوردية رسالة في ٢٨ آذار ١٩٦٦ إلى منظمة إيتا، حركة التحرير الوطني الباسكية الثورية، على أساس التضامن مع الثورة الكوردية.

٦٧

ونقلت منظمة إيتا في ردها على الرسالة بتاريخ ١٩٦٦/٥/٢٩ اعتذارها عن اضطرابها للرد متأخراً على صعوبات النضال السري وتحياتها الصادقة إلى "الشعب الكوردي الذي يخوض كفاحاً بطولياً من أجل الحرية الوطنية". ونأمل أن يكون هذا الاتصال الأول للشعب الكوردي مع حركتنا بداية إيجابية ودائمة لصالح المصالح المشتركة لنضالاتنا التحررية الوطنية.. وصداقة شعب الباسك. وبموجب الرسالة كان توقيع اللجنة المركزية لإيتا. وبعد أربع سنوات، كان من المقرر أن يكتب الفرع الفرنسي لاتحاد الطلاب الكورد الأوروبين إلى إيتا في ١ أيار ١٩٧٠. كُتِبَ الخطاب بعد اتفاق الحكم الذاتي الذي تم توقيعه بين زعيم الحزب الديمقراطي الكوردستاني مصطفى البارزاني والحكومة المركزية العراقية في ١١ آذار ١٩٧٠. وأشار الطلاب إلى أنهم لم يحرموا أبداً من "الدعم السياسي والمعنوي" لحركة الباسك خلال فترة نضال صعبة استمرت ثماني سنوات، وأكد الطلاب أن الباسك، مثلهم مثل الشعب الكوردي، منقسمون بين دول حاکمة مختلفة، مظلوم ومضطهد وضغوط كبيرة في قضايا التحرير. وأعرب الطلاب عن امتنانهم الشديد للرسالة

التي أرسلتها إيتا إلى CSRK في ٢٩ أيار ١٩٦٦، وقدم الطلاب الرسالة الرئيسة في المقطع التالي: "في الوقت الحاضر، حصل الشعب الكوردي على استقلاله في كوردستان العراق بعد تضحيات عديدة ومأساة إنسانية خلال ٨ سنوات حرب العصابات. قررنا دعم نضال شعب الباسك مادياً ومعنوياً ضد الاضطهاد القومي والفاشية تحت قيادة إيتا. وألا ينسى شعب الباسك الذي كان له المصير نفسه. ومرة أخرى، وفي حملة التوقيع التي أطلقتها مبادرة CSRK في عام ١٩٦٩، تم توجيه دعوة لدعم نضال الباسك الذي بدأ المقاومة المسلحة مع منظمة إيتا وإنشاء لجنة تضامن. وبالإضافة إلى المنظمات التي تمثلها الدول عديمة الجنسية في أوربا، هناك أيضاً الحزب الديمقراطي الكوردستاني السوري. وفرانسوا فونتان (١٩٢٩-١٩٧٩)، مؤسس حزب الأوكيتان القومي، كان أيضاً عضواً في CSRK وكان النضال الكوردي على جدول أعمال شعبه، وكان مناضلاً في كل حياته. وثمة رسالة لفونتان إلى CSRK في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٥ حول العلاقات الكوردية العربية وحل القضية القومية الكوردية..

٦٨

وأورد أعضاء اللجنة نقاطاً رئيسة تلخص وجهة نظر ممثلي الدول الأوروبية عديمة الجنسية. وقد انتقد فونتان بشدة وجهة نظر CSRK حول الصداقة والوحدة الكوردية العربية. وبحسبه، فإن الإطاحة بحكم عارف من قبل معارضي الشعب العربي وإسقاط الأمة الكوردية من أجل نيل حكم ذاتي أو استقلال ليسا متشابهين، وإقامة نظام برلماني في العراق لا ينبغي أن يعني أنه سيتم كسب الحكم الذاتي الكوردي. ووجد فونتان أنه من الصعب للغاية بالنسبة إلى CSRK التفكير في العلاقات العربية الكوردية على هذا الأساس من خلال جبهة مشتركة وربطها بالإطاحة بالسلطة. وتحت قيادة الفيلسوف البريطاني برتراند راسل والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر، عقدت الجلسات الأولى لمحكمة جرائم الحرب الدولية، التي أنشئت في عام ١٩٦٦ للتحقيق في جرائم الحرب وإعلانها للعالم، في ستوكهولم وكوبنهاجن في عام ١٩٦٧. وتم إرسال ممثل CSRK، وهو أيضاً عضو في اللجنة الوطنية الفيتنامية، إلى برتراند راسل في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٦، طالب في رسالته بإنشاء محكمة مماثلة لتلك الموجودة في فيتنام بشأن "جرائم الإبادة الجماعية وجرائم الحرب" التي ارتكبتها الحكومة العراقية ضد الشعب الكوردي في كوردستان العراق. وصرح كوينتين هور، الذي رد على رسالة اللجنة نيابة عن راسل، أن راسل كان "متعاطفاً صادقاً مع الثورة الكوردية ونضالها من أجل التحرر الوطني والاشتراكية"، لكنه صرح بأنه لا يفكر في فتح محكمة جديدة للحرب. وفي كتيب بعنوان "كوردستان: فيتنام الثانية" نشر في آذار ١٩٦٧، أكد على أهمية نضال فيتنام، الذي أصبح المرجع الرئيس للمقاومة ضد الهيمنة. والإمبريالية الأميركية العدوانية، ولكن هذا "من كولومبيا إلى أنغولا، ومن جنوب الجزيرة العربية إلى كوردستان، وكيبك"، كما أضاف إلى كشمير أنه لا ينبغي أن تنسى مقاومات التحرر الوطني الأخرى. ويذكر أن

الشعب الكوردي، الذي يناضل من أجل تحرره الوطني منذ أيلول ١٩٦١، يواجه "حرب إبادة حقيقية gerçek bir imha savaşı" تخوضها الحكومة العراقية، ولكن في ظل "عزلة تامة total bir tecrit" وتُرك منسياً بوعي من قبل "الضمير العالمي evrensel vicdan". وفي بيان صحفي لـ CSRK، أعربت عن تضامنها الفعال والنضالي مع الشعب الكوردي في كوردستان العراق، وحيث اتفاقية الحكم الذاتي مع الحكومة العراقية بعد ثماني سنوات من النضال الطويل. وترغب أن يصبح هذا الاتفاق "اتحاد الكورد والعرب في جمهورية العراق" مرجعاً لأجزاء من كوردستان في إيران وتركيا..

٦٩

وكان سيرج ثيون (١٩٤٢-٢٠١٧) واحداً من أولئك الذين بدأوا بسرعة في فهم القضية الكوردية في سياق مناهض للاستعمار. وفي الفترات التالية، كان عالم الاجتماع الفرنسي ثيون، الباحث في المركز الوطني للبحوث العلمية والخبير في جنوب شرق آسيا، مناضلاً مناهضاً للاستعمار. وقد كتب ثيون أطروحة الدكتوراه الخاصة به عن جنوب إفريقيا في باريس عام ١٩٦٧. كان ثيون، وهو مناهض للاستعمار في فيتنام والنظام المناهض للفصل العنصري في جنوب إفريقيا خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، متعاطفاً بشكل خاص مع نضال الأحرمة الحمراء في كمبوديا. وحتى تمكن من ذلك سرّاً إلى كمبوديا. ولكن منذ السبعينيات، اتخذ اتجاهًا جديدًا مفاجئًا. ففي فرنسا، تطور إلى نهج ينكر الهولوكوست وخاصة وجود غرف الغاز من خلال الوقوع في الاتجاه المعرف بـ "négationniste" (الإنكار). وفي الواقع، فقد ذهب إلى حد نشر كتاب حول هذا الموضوع في عام ١٩٨٠. وبدأ اهتمام سيرج ثيون بالكورد مع ثورة أيلول عام ١٩٦١ في كوردستان الجنوبية. ونحن نفهم ذلك من مراسلاته مع سيلفيو فان روي، الذي كان رئيساً للجمعية الدولية لكوردستان منذ عام ١٩٦١، وخاصة في أمستردام. وكان اهتمام ثيون بالكورد مرتبطاً بالطبع بتقسيم الكورد إلى أربعة أجزاء من قبل الاستعمار، والدول القومية من طرف الإمبرياليين. وكان ثيون يصدر نشرة تسمى دراسات Anticolonialistes (دراسات مناهضة للاستعمار) في ذلك الوقت. وفي واقع الأمر، كان عنوان العدد السادس والسابع من النشرة، الصادر في نيسان ١٩٦٣، هو "الملف الكوردي Kürt Dosyası" الذي أعده. وهو الملف التفصيلي المكون من عشرين صفحة كتبت عن الكورد وكوردستان بشكل عام، بناء على مصادر محدودة نشرت بالفرنسية في ذلك الوقت. واللافت، هو وضع الكورد في إطار مناهضة الاستعمار، وهو ما شكل المنظور العام للنشرة.

٧٠

وفي إحدى نقاط المقال، حيا المقاومة التي بدأت بقيادة مصطفى البارزاني على أساس مناهض للاستعمار، قائلاً: "في الوقت الحالي، أفرزت الحرب الاستعمارية ضد الكورد في العراق حركة تحرر وطني

حقيقية". وفكرة: مقدمة عن القضية الفلسطينية (رقم ١)؛ حركات التحرر الوطني في المستعمرات البرتغالية (رقم ٢)؛ النقابة العامة للعمال الجزائريين (رقم ٣-٤)؛ النقابات العمالية في الأرجنتين (رقم ٥). وذكر أن مواضيع النشرات التالية ستكون "مشكلة أنتيل" و "الديمقراطية الاجتماعية ومشكلة الاستعمار (١٨٨٥-١٩١٤)" و "مشاكل اقتصاد جنوب إفريقيا". ووسع ثيون هذا الملف عن الكورد في كانون الثاني ١٩٦٤، وتمحور عدد من مجلة: الحقيقة Aléthéia، حول "المسألة الكوردية" وفي العدد نفسه من Aléthia، تم نشر رسالة من المؤتمر الوطني الأفريقي تشير إلى أن الديمقراطيين الفرنسيين يحتاجون على نظام الفصل العنصري: Apartheid.

العالم الثاني: "أفق المساواة Eşitlik Ufku"

كان الكورد من أوائل ضحايا الحرب الباردة. وقد انتهت الحرية قصيرة المدى لجمهورية مهاباد كوردستان بعد انسحاب الجيش السوفيتي من الشرق وأذربيجان بسبب ضغط الولايات المتحدة في بيئة أصبحت فيها ديناميكيات الحرب الباردة واضحة. وخيبة الأمل التي أحدثها انسحاب السوفييت سيتم التسامح معها جزئياً مع وفاة الجنرال مصطفى البارزاني كمنفى سياسي للسوفييت وفي الأشهر التالية، وفي صراع القوى ثنائي القطب المتزايد في العالم، وخاصة الجيل الجديد من التشدد الكوردي، سيظهر المزيد وا لمزيد من الدعم للسوفييت الذين قادوا العالم الشيوعي يوماً بعد يوم. وعلى سبيل المثال، في مجلة: صوت كوردستان (La Voix du Kurdistan) (Dengê Kurdistan) التي نشرها شباب كورد مثل نور الدين زازا وعصمت شريف وانلي وعبد الرحمن قاسم، الذين اجتمعوا في لوزان عام ١٩٤٩، تم تصوير الاتحاد السوفيتي كممثل قوي لمناهضة الإمبريالية، كما كانت مشاركة الدول التي ليس لها مكانة سياسية قوية جداً في الأحزاب الشيوعية في إيران والعراق وسوريا، وكانت هناك مشاركة مكثفة في الأحزاب الشيوعية وسط الكورد.

٧١

وفي مجلة كوردستان، التي كانت هيئة النشر لجمعية الطلاب الكورد الأوروبين (KSSE) التي تأسست في ألمانيا عام ١٩٥٦ بمبادرة من نور الدين زازا وعصمت شريف وانلي، وفي القرارات المتخذة في المؤتمرات السنوية، تعاطف الجميع وكان موقف الاتحاد السوفياتي واضحاً جداً. خاصة بعد النظام الملكي الذي أطيح به في عام ١٩٥٨ بقيادة الجنرال قاسم، وقد تمت دعوة زعيم الحزب الديمقراطي الكوردستاني مصطفى البارزاني، الذي كان في المنفى في الاتحاد السوفيتي لسنوات عديدة، إلى البلاد وكان الكورد أيضاً هم الأمة المؤسسة للبلاد في الدستور الجديد، وكان دورهم حاسماً. وكانت نقطة التحول التي غيرت السياسات الدولية للاتحاد السوفيتي وعلاقته بالحركة الكوردية، بسبب أولوية العلاقات الرسمية

السوفييتية - العراقية، في عام ١٩٦٣. وبعد أن أطاح البعثيون بالجنرال قاسم في شباط وبدأت المفاوضات مع ناصر لتأسيس فيدرالية جديدة بين الدول العربية، وسرعان ما تبع ذلك ضغوطاً هائلة على الشيوعيين والكورد، بدأ الاتحاد السوفياتي في دعم المقاومة الكوردية التي كانت مستمرة. ومنذ عام ١٩٦١ كخطوة ملموسة أولى، في ٢ تموز ١٩٦٣، بتوجيه من الاتحاد السوفياتي، أصدر ممثل منغوليا قراراً بعنوان "سياسات الإبادة الجماعية التي نفذتها حكومة جمهورية العراق ضد الشعب الكوردي". ..وكان الاتحاد السوفيتي متورطاً بشكل مباشر في القضية الكوردية على مستوى الأمم المتحدة. وفي القرار، يعتبر القتل الجماعي وحرق القرى، بما في ذلك النساء والأطفال، كجزء من الهجوم العسكري للحكومة العراقية المركزية في ١٠ حزيران ١٩٦٣ على المناطق الكوردية في شمال البلاد، إنها إبادة جماعية وفق قانون الأمم المتحدة بشأن الإبادة الجماعية المعترف به في عام ١٩٤٦. ..ووصف قناتي كوردو، الذي عمل في معهد الكوردولوجيا في لينينغراد، الفترة الحالية بأنها "فترة انهيار الإمبريالية والاستعمار emperyalizmin ve sömürgeciliğin çöküş dönemi" في رسالة بعث بها إلى رئيس الأمم المتحدة، عن مجتمع كوردستان، سيلفيو فان روي، في عام ١٩٦١. وكانت فترة توحيد جميع القوى التقدمية، بما في ذلك الشعب الكوردي". ومنذ تأسيس اتحاد الطلاب الكورد الأوروبين، أراد أيضاً إقامة اتصال وثيق مع الكورد في الاتحاد السوفيتي، الذي كان لديه أيضاً أكثر كراسي الكورد خصوبة في تلك الفترة، وحتى في الستينيات..

٧٢

وفي برقية مرسلة من رئيس رابطة الطالب الكورد الأوروبين عصمت شريف وانلي في ٣ حزيران ١٩٦١، إلى الرئيس الأمريكي كينيدي ورئيس الاتحاد السوفيتي خروتشوف، أوضح الوضع العام في الأجزاء الأربعة من كوردستان، وفي مطلبين: على وجه الخصوص تركيا وإيران، والحظر الدولي المفروض على شراء الأسلحة الثقيلة في دول الشرق الأوسط، بما في ذلك العراق والكرديستان. وحل القضية القومية الكوردية على أساس الاتفاقيات الدولية التي حددتها الأمم المتحدة. وفي مناسبات أخرى، بعث الاتحاد برقيات إلى حركة عدم الانحياز المرتبطة بالعالم الثالث، وكذلك ممثلي طرفي الحرب الباردة، بخصوص المقاومة الكوردية في العراق. وكان الهدف الرئيس هنا هو نقل رسالة "المسافة المتساوية eşit mesafede" إلى كل من الأحزاب (وهي ثلاثة). وطوال الستينيات، لعب الطلاب دوراً مهيماً وقيادياً في حركات التحرر الوطني والاجتماعي للعديد من دول العالم الثالث. وكان ملف الطالب الشخصي في جميع أنحاء آسيا وإفريقيا تقريباً، وأصبح فاعلاً مشتركاً في بلدان أمريكا اللاتينية. ومنذ المؤتمر الثالث لـ KSSE، كانت المنطقة التي يوليها أهمية كبيرة ويبدل فيها أكبر جهد هو الجمع بين الحركة الطلابية الكوردية، والمنظمات الطلابية والشبابية الدولية وإيجاد أرضية شرعية دولية لحل القضية الكوردية. وتحقيقاً لهذه الغاية، عمل بجد على طلبات العضوية لمختلف المنظمات الطلابية والشبابية،

وخاصة اتحاد الطلاب الدولي (IUS)، الذي كان تحت تأثير الاتحاد السوفيتي، والمشاركة في المؤتمرات والمهرجانات الدولية التي عقدت في أجزاء مختلفة من العالم. وفي هذا الصدد، من الضروري التأكيد على جهود عصمت شريف فاني. وكان يدرك أن الاعتراف بـ CSSE داخل حركة الطلاب والشباب العالمية من شأنه أن يخلق نافذة مهمة للغاية من الفرص من حيث ظروف هذه الفترة. ولهذا السبب، وعلى الرغم من كل المشاكل، فإن عملية عضوية اتحاد الطلاب الدوليين المتوترة، والتي بدأت في عام ١٩٥٨ وانتهت بالعضوية الرسمية لـ KSSE في عام ١٩٦٤، اتبعت العملية المتوترة حتى النهاية، وفي النهاية، تم الاعتراف بـ KSSE رسمياً من قبل IUS. ومجتمع أسسه الطلاب الكورد في أربعة أجزاء نيابة عن كوردستان. وفي هذه العملية، يجب أن يُنظر إلى الحصول على العضوية على أنه أحد أكبر الإنجازات "الدبلوماسية" من حيث CSSE، خاصة على الرغم من كل جهود العراقيين والتخريب لاتحاد طلاب العراق KSSE، الذي نجح في أن يصبح عضواً في اتحاد الطلاب الدولي في عام ١٩٦٤ بعد صراع طويل الأمد وعناد وإكراه، أتيحت لها الفرصة لمناقشة القضية الكوردية في إطار حق الأمم في مناهضة الاستعمار وتقرير المصير. وسواء في مؤتمرات هذا الاتحاد أو في المهرجانات والمؤتمرات الكبرى الأخرى في العالم، فقد تراكمت لديه مناقشات قوية حول هذا الموضوع، وأتيحت له الفرصة للتفاعل بجدية مع الحركات المناهضة للاستعمار، خاصة في آسيا وأفريقيا.

٧٣

وبشكل عام، وكحركة وطنية كوردية، كانت الحركة الطلابية الكوردية أيضاً في مواجهة الدول الأجنبية التي قسمت كوردستان إلى أربعة أجزاء في الواقع: إيران وتركيا والعراق وسوريا، ومعظم التنظيم الطلابي للقضية الكوردية في سوريا عند الاقتراب من العدائية أو اللامبالاة. وكان هذا الوضع واضحاً على صعيد الحركة الطلابية الكوردية، لا سيما في المؤتمرات أو المهرجانات أو المهرجانات الدولية. وعلى سبيل المثال، المؤتمر السادس لاتحاد الطلاب الدولي، الذي عقد في بغداد عام ١٩٦٠، طلب اتحاد طلاب العراق KSSE أن يصبح عضواً في الاتحاد نيابة عن كوردستان، والذي تم تقسيمه إلى أربعة أجزاء مستقلة عن اتحاد الطلاب في العراق، ورغبته في ذلك. وطرح ذلك للتصويت بسبب أزمة.. وحضر المؤتمر كل من عصمت شريف فاني وكمال فؤاد وتحسين أمين نيابة عن KSSE. واحتجاجاً على هذا الموقف، قامت النساء والطلاب والتجار من العديد من المدن الكوردية، وخاصة السليمانية، بإرسال برقيات لدعم اتحاد الطلاب الكورد واحتجاجاً على اتحاد الطلاب العراقيين. وخلال المؤتمر، كان أكبر دعم للوفد الكوردي يتمثل في الوفود الطلابية من الدول الإفريقية. وسوف يتم اختبار ذلك في العديد من المؤتمرات ومهرجانات الشباب الأخرى. وأبدت الوفود، وخاصة من إفريقيا وأمريكا اللاتينية، دائماً تعاطفاً كبيراً مع الكورد وبذلت قصارى جهدها لدعم قضيتها. وخلال الستينيات من القرن الماضي، شارك KSSE في شبكات الطلاب الدولية، وفي الشبكات الوطنية التي

تدعم حركات التحرر الوطني "للعالم الثالث"، وفي الشبكات الثورية عبر الوطنية. ومنذ أن كانت الجمعية تعتبر "شيوعية"، تابعت الدول الأوروبية عن كثب أنشطة المجتمع، ولقد انزعجت من الحكومة العراقية بدرجة كافية لاستهداف أعضائها بعد أشهر قليلة من سقوط نظام تشرين الثاني. وبالمثل، نجحت الحكومة العراقية في تمكين الحكومة النمساوية من منع المؤتمر الثاني عشر لـ CSSE في فيينا عام ١٩٦٧.

٧٤

العالم الثالث: "التحرير الوطني والحرية Ulusal Kurtuluş ve Özgürlük":

أحب أن أكون مثلك يا جميلة الجزائرية.. أنت النصب الحي للجزائر.. تلك كانت قصيدة نورالدين زازا بعنوان جميلة الجزائرية مكتوبة لجميلة بوحيرد، أحد مقاتلي جبهة التحرير الوطني، قال إنه "يستفز الشعور القومي الكوردي". بالطبع، لم يكن من الممكن أن نضال التحرير الوطني الجزائري، الذي بلغ ذروته عام ١٩٥٩ وتبعه بحسد كثير من شعوب العالم المضطهدة، غير مؤثر على الكورد. وقد رتذهب نور الدين زازا إلى لوزان للدراسة للحصول على الدكتوراه عام ١٩٤٩ وقضى النصف الأول من الخمسينيات هناك. وبعد عودته إلى سوريا أواخر عام ١٩٥٦، تم اعتقال زازا عام ١٩٦٠ مع العديد من السياسيين والمفكرين الكورد، بمن فيهم عثمان صبري، واقتيدوا إلى سجن المزة، ووقع (٦٥) من زملائه على بيان وأرسلوه إلى حكومة الجمهورية العربية المتحدة. وعرف معظم الموقعين زازا عندما كان طالباً في لوزان. وقال البيان لزازا: "لقد ساهم بشكل كبير في التريبة المناهضة للاستعمار والمناهضة للإمبريالية للعديد من مثقفي لوزان الشباب" وذكر أن الأفكار الديمقراطية التي انتشرت لدى زازا جعلت من لوزان مركزاً للأنشطة المؤيدة للجزائر في سويسرا. وفي السنوات التالية، زازا، خلال ١٩٦٣-١٩٦٥، كان يعقد أيضاً اجتماعات وجهاً لوجه مع أحمد بن بلة، الذي كان أول رئيس للجزائر. وكانت نضالات التحرير مثل كوبا وفيتنام تتبع الجزائر للكورد الباحثين عن تجارب مثالية لأحلامهم في التحرر الوطني. والعالم الأول، الذي اجتمع حول حلف الناتو في عام ١٩٤٩، والعالم الثاني، الذي اجتمع حول حلف وارسو في عام ١٩٥٥، كانا يمثلان في الواقع ثلث سكان العالم فقط. وتمت تسمية البلدان في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، والتي تم تحرير معظمها من قبل نضالات التحرير الوطني المناهضة للإمبريالية والاستعمار التي خاضوها منذ الأربعينيات أو استمرت في نضالهم في ذلك الوقت، على أنها "متخلفة geri kalmış" أو "رجعية az gelişmiş". وتم استخدام مصطلح "العالم الثالث" (tiers-monde) لأول مرة في عام ١٩٥٢ من قبل عالم الديموغرافيا وعالم الاجتماع الفرنسي ألفريد سوفي Alfred Sauvy في مقال نُشر في مجلة: صحيفة المراقب L'Observateur Magazine.

٧٥

بدأ صوفي مقالته على النحو التالي: "من الحروب المحتملة بين عاملين قائمين وتعايشهما وما إلى ذلك. بينما يسعدنا التحدث عن ذلك، غالباً ما ننسى أنه عالم ثالث". ومع ذلك، ذكر صوفي أن هذا الثلث كان الأهم والأكبر

من حيث الكمية، قائلاً إن هذا العالم الثالث يسمى "البلدان المتخلفة" في مصطلحات الأمم المتحدة. "هو" لكتابة أسمائهم في التاريخ. وفي الواقع، فإنه بعد فترة وجيزة من استخدام صوفي لهذا المصطلح، تم اعتماد مصطلح العالم الثالث بسرعة، ومع المؤتمر الدولي الذي عقد في باندونغ، أندونيسيا في عام ١٩٥٥، كانت دول العالم الثالث هذه، وقد أرادت "صنع التاريخ tarihe yazmak"، كما بدأت في تطوير خط ثالث خارج العالمين الأول والثاني. وفي الواقع، بعد مؤتمر باندونغ، اجتمعت بعض هذه الدول في عام ١٩٦١ في بلغراد، عاصمة جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية، وعقدت المؤتمر التأسيسي لحركة عدم الانحياز خارج حلف الناتو وحلف وارسو. وكمظهر من مظاهر ظهور العالم الثالث كلاعب دولي. وبعد ذلك بعامين، كان مؤتمر التضامن بين الشعوب الأفروآسيوية (المعروف لاحقاً باسم مؤتمر القاهرة) في القاهرة (٢٦ كانون الأول ١٩٥٧ - ١ كانون الثاني ١٩٥٨) هو الاجتماع الثاني للعالم الثالث، الذي كان يحاول التنقل وفقاً لهذا البيان. وحضر المؤتمر (٥٠٧) مندوباً من إفريقيا والعالم الشيوعي (اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والصين وكوريا الشمالية وفيتنام الشمالية) وقبرص والسودان، الذي عُقد في نهاية العقد الأول من الحرب الباردة. كان الدعم النشط ودور الاتحاد السوفيتي، الذي قاد العالم الثاني، واضحاً في المؤتمر. وانطلاقاً من التعاون الدولي والتضامن الجيوسياسي، كانت الموضوعات الرئيسية التي تناولها المؤتمر هي الإمبريالية والاستعمار و "القضية الجزائرية" والتمييز العنصري وحظر الأسلحة النووية والتعاون الاقتصادي وظروف المرأة والطفل. إنها عشرة مبادئ رئيسية متفق عليها في باندونغ. وكان هناك Komela Zanistî û Alikariya Kurd (جمعية الثقافة والإغاثة الكوردية) التي أسستها مجموعة من الوطنيين الكورد (روشن بدرخان، حسن هيشيار سيرتي وآخرون)).

٧٦

حيث كان هدفها الرئيس إعلان القضية الكوردية وكوردستان للعالم والمطالبة بأن حقوق الاستقلال للكورد، التي أعلنتها اتفاقية سيفر لعام ١٩٢٠، ستكون متوافقة مع القانون الدولي، وتحفيز الأمم المتحدة على التجاوب في هذا الصدد. وبينما كانت الجمعية تحاول المشاركة في المؤتمرات والفعاليات الرئيسية في عملية تشكيل العالم الثالث، أرسلت أيضاً مذكرات إلى الأمم المتحدة لفضح العنف الاستعماري في كوردستان. وعلى سبيل المثال، أرسلت الرابطة مذكرة باللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية إلى الأمم المتحدة في ٣ آذار ١٩٥٦، لإدانة المذابح التي ارتكبتها الدولة الإيرانية ضد قبيلة جوانرو Ciwanrû في كوردستان الإيرانية. وفي المؤتمر العالمي المناهض للاستعمار الذي عقد في أثينا في ربيع عام ١٩٥٧، تم تحديد حصة ستة أشخاص للوفد الكوردي، وحضرت روشن بدرخان (١٩٠٩-١٩٩٢)، أحد الأعضاء المؤسسين للجمعية الثقافية... وفي العام نفسه (٩ تشرين الثاني ١٩٥٧) تم إرسال نداء من ثماني صفحات إلى اللجنة التحضيرية لمؤتمر التضامن بين الشعوب الإفريقية الآسيوية نيابة عن (٩) مندوبين من مجموعة الجمعية الثقافية. ... كما أتبع الكورد أجندة العالم الثالث عن كثب وشوقهم للتحرر الوطني المناهض للاستعمار الذي يظهر في أفق

هذا العالم، في نص الدعوة هذا، حيث يرحب الوفد الكوردي بهذا الاجتماع الثاني للعالم الثالث، والذي يعد استمراراً لمؤتمر باندونغ، وأكد بإصرار أن نضالات التحرر الوطني للكورد في الفترة التي شهدت انهيار الإمبريالية والاستعمار كانت أيضاً بما يتماشى مع روح باندونغ. وبعد تقديم معلومات مفصلة عن التطور التاريخي والوضع الحالي للمسألة الكوردية، يُذكر أن "حق تقرير المصير للشعوب المنصوص عليه في مبادئ الأمم المتحدة وفي بيان خاتمة مؤتمر باندونغ هو أهم الحقوق والمطالبات الأساسية للشعب الكوردي". "وستتم مخاطبة المشاركين في المؤتمر على أسس صحيحة، وقد تم التعبير عن الاعتقاد بذلك وعقب الدعوة التي انتهت بشعار "عاش مؤتمر الشعوب الأفرو آسيوية أصدقاء الشعوب المضطهدة" جاؤوا على النحو التالي: د. محمد كافار، د. محمد نوري ديرسيمي، د. أحمد نافذ، روشن بدرخان (مؤلف)، حسن هشار سیرتی، أحمد توفيق رفاعي (معلم، السليمانية)، محمد حلمي (معلم)، يوسف مالك (صحفي) وأنور شاهين (زعيم قبيلة برازي). وبين ٢١-٢٥ آب ١٩٦١ تحدث في المؤتمر العام السنوي السادس لاتحاد الطلاب الكورد في أوربا المنعقد في مونستر بألمانيا، بحسب رئيس الجمعية عصمت شريف وانلي.

٧٧

وأعرب عن ثقته في أن سياسات حركة التحرر الوطني الكوردية ستحاول تبني الحياد والحياد الإيجابي في عالم اليوم، كما هو الحال في معظم البلدان الأفريقية والآسيوية "مذكراً بالبرقية التي أرسلوها إلى الرئيس الأمريكي كينيدي ورئيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية خروتشوف كجمعية، وقال وانلي إن الكورد يدعمون حل الأمم المتحدة ضد الاستعمار، ولكن وفقاً لوانلي، كان وضع النضال الكوردي أكثر صعوبة، لذلك لم يكن لكوردستان حتى ميزة الاعتراف بها كمستعمرة". ثم، بمقارنة مصير بلاده بالدول الأفريقية، توصل وانلي إلى الاستنتاج التالي: "على الصعيد الدولي، لم يتلق الشعب الكوردي بعد دعم أي دولة". وكتب سيلفيو فان روي، رئيس الاتحاد الكوردستاني الدولي في أمستردام، في المقال الافتتاحي لمجلة حقائق كوردية، التي نشرت في تموز- آب ١٩٦١، بينما كان يحلل الوضع الحالي للنضال الوطني الكوردي من أجل التحرر وإمكانيات الدعم في هذا على الصعيد الدولي، أوضح خيبة أمله بشأن العالم الثالث على النحو التالي: "الكورد، الذين ليس لديهم دولة وهم شعب قليل التنظيم في الخارج، لا يمكنهم بعد القيام بذلك بالقدر المطلوب. ولم تُظهر الدول المناهضة للاستعمار في إفريقيا وآسيا وأماكن أخرى حتى الآن دعماً واضحاً للأمة الكوردية التي تعرضت للقمع في منظمة الأمم المتحدة".

مؤتمر القارات الثلاث، Kıtı Konferansı:Üç

مؤتمر القارات الثلاث، الذي سيشار إليه في السنوات التالية باسم مؤتمر التضامن مع شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية (Asia y L'Organización de Solidaridad de los Pueblos de África)

América Latina - OSPAAAL)، كان عقد في الفترة من ٣ إلى ١٥ كانون الثاني ١٩٦٦، في هافانا، عاصمة كوبا. والحركة، التي لها منظور عالمي ثالث، هي ربط جميع حركات النضال من أجل الاستقلال التي روح لها مؤتمر باندونغ والأحزاب الشيوعية السوفيتية وتعزيز تضامن دول العالم الثالث، لبناء ثورة عالمية، لمحاربة الفصل العنصري، خاصة جنوب إفريقيا، ولإستخدام التقنيات النووية. وانعقد لمحاربة العولمة والإمبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والنيوليبرالية. وحضر المؤتمر (٥١٣) مندوبا نيابة عن (٨٢) دولة من العالم الثالث. وعلى الرغم من التوترات بين الصين السوفيتية والصين - كوبا، اتخذ المؤتمر العديد من القرارات. وكان أهمها رفع الحصار المفروض على كوبا ودعم النضال في فيتنام، وتصنيف الولايات المتحدة على أنها العدو الرئيس، وإدانة نهب العالم الثالث.

٧٨

وقد ولد عام ١٩٢٠ بالرباط ملك المغرب حسن الثاني. وكان الاشتراكي والأفريقي مهدي بن بركة، أحد المعارضين الرئيسيين لحسن وزعيم حركة العالم الثالث، أحد منظمي مؤتمر القارات الثالث. ففي المؤتمر الصحفي الخاص بالمؤتمر "سيتم تمثيل تيارين للثورة العالمية: تيار ثورة تشرين الأول وتيار ثورة التحرر الوطني". ولكن قبل المؤتمر بأشهر قليلة (٢٩ تشرين الأول ١٩٦٥) اختفى بن بركة قسراً. وقد حد غياب المخطوف بن بركة من نطاق المؤتمر منذ البداية. ولسوء الحظ، لم يتم عقد المؤتمر الثاني الذي كان من المقرر عقده في القاهرة عام ١٩٦٨. وقد جعلت الاغتيالات السياسية للعديد من قادة العالم الثالث في السنوات التالية العالم الثالث ضعيفاً للغاية. وفي برقية التهنتة التي بعث بها المتحدث الرسمي عصمت شريف وانلي إلى لجنة المؤتمر في هافانا في كانون الثاني ١٩٦٦ باسم "التمثيل العام للثورة الكوردية"، تم إرسال الأمة الكوردية إلى لجنة المؤتمر في كانون الثاني ١٩٦٦. وأنه يربطها بـ "وحدة شعوب أمريكا" لأننا بدورنا نحارب هذه الشرور [الإمبريالية والاستعمار]. ويشن شعبنا حرباً استعمارية وحشية ضد الحكومة العراقية التي تريد تدمير حقوقنا الوطنية بشكل كامل. وتختتم مكاملة البرقية بدعوة المؤتمر لإدانة ممارسات الحكومة العراقية الاستعمارية تجاه الأمة الكوردية والاعتراف بحق تقرير المصير للأمة الكوردية وإعلان الحكم الذاتي. وهذه البرقية مؤشر مهم للكورد للمؤتمر. سوى أن السعي لوضع أنفسهم داخل العالم الثالث، للأسف، يتعثر جراء شوفينية المندوبين العرب. ففي ٧ كانون الثاني ١٩٦٨ في رسالة مؤرخة لكورد العراق وإيران وتركيا في كفاحهم من أجل التحرر الوطني ولكن أيضاً في كفاحهم ضد الاستعمار، لكن الوفد الكوردي لم يتمكن من حضور المؤتمر الأول بسبب عدا بعض المندوبين العرب.

وفي الرسالة، التي ذكرت أن المقاومة الكوردية في العراق كانت مدعومة من الحزب الشيوعي العراقي، تم التأكيد على أن المؤتمر، الذي يمثل تمثيلاً مهماً لتضامن العالم الثالث، يجب أن يضمن إشراك الأمة الكوردية في المؤتمر. وقيل أننا عملنا مع الحركات والمنظمات في تركيا، لكننا أردنا التعرف على الوضع في كوردستان والاتصال المباشر بالحزب الديمقراطي الكوردستاني.

وترسل لجنة التضامن للثورة الكوردية رسالة إلى لجنة التضامن الأفروآسيوي الصينية في ١٣ تموز ١٩٦٦. وتتساءل في الرسالة أن الكفاح الوطني الكوردي من أجل التحرر هو جزء من النضالات في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، وأن جمهورية الصين الشعبية تعلم أنها تدعم نضال الحقوق المستعمرة والأمم المضطهدة في هذه القارات الثلاث، لذلك، من الغريب أن يكون للجنة موقف رسمي من القضية الكوردية. والمقطع التالي مقتبس في بيان: الراية الحمراء Le Drapeau Rouge: "الموقف من النضال الثوري للأمم والشعوب المضطهدة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية؛ إنه معيار مهم يمكن من خلاله التمييز بين الثورة والثورة المضادة، الأممية والشوفينية الاجتماعية، الماركسية اللينينية والتحريرية الحديثة. وأخيراً، فإنه في الرسالة، يُطلب منهم معرفة ما إذا كانت هناك منشورات باللغة الكوردية حول قضايا تتعلق بالماركسية اللينينية في جمهورية الصين الشعبية، وإذا كان هناك منشورات حول هذا الموضوع، يتم إرسال بعض العينات إليهم.

١- تهديد العالم الثالث! Üçüncü Dünya tehdidi

عرفت تركيا والعالم الثالث بطابع التحرر الوطني المناهض للاستعمار، وسرعان ما أدرك التأثير المحتمل الذي سيكون لذلك. على سبيل المثال، في مذكرة مؤلفة من ثلاث صفحات بعنوان "القضية الكوردية Kürtçülük Meselesi" أعدتها إدارة العظم في وزارة الخارجية في حزيران ١٩٦٨، كتب ما يلي حول العالم الثالث والمسألة الكوردية: في النطاق الدولي، وخاصة في الأمم المتحدة، تسمع الأصوات الصاعدة للدول الآسيوية الأفريقية المنشأة حديثاً. في الأمم المتحدة، تبلغ نسبة التصويت في "العالم الثالث" ٧٥٪ من مجموع الأصوات، أي ثلاثة أرباع الدول الجديدة حساسة للغاية لإنشاء دول جديدة. وقضية الكورد في يوم من الأيام يمكن أن تكسب العديد من المؤيدين في البلاد وقد أحيلت إلى المنتديات الدولية والجاليات الكوردية التي تعيش في دول كما في حال جمهورية تركيا "مستعمرة الكورد" كما يظهر. إن الاستيطان الاستعماري الذي تعرف به دولياً، وفي مناخ دولي يمكن أن يزيد من مؤيدي نظرية الكوردية ويمكن للجمهورية التركية أن تواجه العالم بضغوط شديدة من عالمياً. وهذا الجزء يخصنا في عام ١٩٦٠ وقد ورد في التقرير أن "الحركة الكوردية" المرتبطة على الأقل بحالة الأبعاد الأساسية الثلاثة لتركيا تظهر أنها مفهومة بوضوح في نطاق دولة.

٢- علاقات القوة الدولية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية هي علاقات كوردية خلق فرصة جديدة للرفاهية.

إن الهيمنة العديدة لدول العالم الثالث في الأمم المتحدة وحساسية دول العالم هذه تجاه حق الدول في تقرير المصير خلقت فرصاً للكوردية، ونضال الحركة الكوردية يخلق فرصة لتأطير وضع كوردستان كمستعمرة

في عيون العالم. لذلك، ليس فقط ضمن حدود الدولة القومية القانونية لتركيا خلال الستينيات، فإن القومية الكوردية العابرة للحدود تستحق القول إن الجغرافيا في المسودة التي تمت مراقبتها عن كثب، على سبيل المثال، في تقرير بتاريخ ٤ كانون الثاني ١٩٦٨ أعدته وزارة الخارجية وتم إرساله إلى هيئة الأركان العامة ووزارة الداخلية والأمانة العامة لمجلس الأمن القومي ووكيل أمانة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT)، ملخص لكتيبين عن التضامن للثورة الكوردية. ويتم تقديم اللجنة والمعلومات حول الأنشطة على أساس "الكوردية" - وأول الكتيبين المذكورين في المقال بعنوان "دعم نضال الشعب الكوردي". ويبدأ بالقول: "ادعموا نضال الشعب الكوردي ضد الأنظمة الرجعية والمناهضة للديمقراطية في بغداد وطهران وأنقرة من أجل التحرير الوطني والاستقلال وتوحيد كوردستان"... وفي نهاية الكتيب، تم تضمين أسماء الموقعين والمنظمات. ومن بين الموقعين أفراد ومنظمات يسارية، فضلا عن بریتون، وباسك، وغربيون يكافحون من أجل الحكم الذاتي في فرنسا. وفي الكتيبين المعنونين "كوردستان: فيتنام الثانية"، تم التأكيد على أوجه التشابه بين نضال الشعب الكوردي والنضال ضد الاستعمار في فيتنام، وذكر أن كلا الشعبين قد أخضعتهما الإمبريالية. ويذكر أن كوردستان هي أيضًا دولة مزقتها الإمبريالية وأن الشعب الكوردي كان يراد له أن يتم ينهيه أمره على يد الشوفينيين الأتراك والعرب والفرس منذ نصف قرن، وعلى أولئك الذين يتحملون كفاح الشعب الفيتنامي. فافعلوا الشيء نفسه للشعب الكوردي. وينتهي الإعلان بعبارة "لتسقط الإمبريالية العالمية". ولا تكتفي تركيا فقط بالمراقبة وحساب الاحتمالات، فقد تعرض على الفور لأدنى تدخل ضد الكورد في مبادرات التضامن في العالم الثالث. وعلى سبيل المثال، في مذكرة استخباراتية مرسله من وزارة الخارجية في ٩ أيار ١٩٦٨، نيابة عن نائب الوزير، إلى الأمانة العامة لهيئة الأركان العامة، وأمانة مجلس الأمن القومي، ووكيل وزارة الخارجية، نشرت "ثقافة العالم الثالث" في عدد المجاهد، الجهاز الإعلامي للحكومة الجزائرية، في ٢٢ نيسان ١٩٦٨، مقال "الحب والعشق في الشعر الكوردي Kürt Şiirinde aşk ve kadın" التقى سفير الجزائر مع السفير التركي في العراق، بصفته ممثلاً لبلد الجزائر لمحاولات تمرير في وزارة الخارجية قبل أن يتم تلقيه بشكل أكثر فاعلية". وفي واقع الأمر، فإنه نتيجة لمبادرة السفير العراقي، قال مسئولون من وزارة الخارجية الجزائرية "لا تقلق، سيتم التحقيق مع كاتب المقال".

٨١

الكورد "المضطهدون من المضطهدين"

إن تقديم العدد الأول من (ثورة Devrim Shawresh)، الجهاز المنشور للجنة التضامن للثورة الكوردية، والذي تم نشره في أوائل عام ١٩٧٠، مفيد للغاية من حيث إظهار صورة ملموسة لبحث الكورد عن مكان بين العوالم الثلاثة، خاصة في الستينيات. والمقال الذي بدأ بتصميم أن الشعب الكوردي يقاوم في ظل عزلة دولية تامة منذ نصف قرن. ومن ناحية أخرى، انسحب الوفد الكوردي من المؤتمرات الدولية للشعوب الأفريقية والآسيوية، إثر توجه منظمة الأمم المتحدة التي "دفنت في صمت فاضح" على الرغم من المذكرات العديدة التي بعث بها ممثلو الكورد. جراء

عداء الوفود العربية الرسمية. ومن ناحية أخرى، فإن "التحالف الرجعي للغاية بين صناديق النفط المقدسة، والإمبريالية الغربية، والبيروقراطيات الستالينية، والدكتاتوريات العسكرية الإقطاعية وشبه الفاشية في الشرق الأوسط التي تصنع القانون في طهران وبغداد وأنقرة، ما يسمى بالثوريين، من الشوفينيين البرجوازيين الصغار". وقد ذكر أن الشعب الكوردي لا يستطيع إسماع أصواته في أي مكان بسبب "مؤامرة الصمت العالمي والمنافق الملموس مما يسمى الضمير العالمي". والشيء الوحيد أن المؤتمرات الآسيوية والأفريقية أظهرت الشعوب ذات الطابع المناهض للشعبوية أن هذه المنظمات الجامعة، والتي تسمى "معادية للإمبريالية" كم كانت بعيدة وحقيقة أن "العالم الثالث خدم الأنظمة البرجوازية". ولهذا السبب على وجه التحديد، طالب وفدا اتحاد الهند والحكومة العراقية في المؤتمر الذي عقد في القاهرة عام ١٩٦٤ رسمياً باعتماد القرار القائل إن "حق الأمم في تقرير المصير لا يمكن تطبيقه إلا على الشعوب التي تشن حرباً مباشرة ضد الإمبريالية الغربية". لأنه بهذه الصيغة كانت نيتها إخراج نضال كشمير والشعب الكوردي من إطار حق تقرير المصير. وهكذا، تم استهداف كل من الحركات العربية الشعبية الثورية وحركة التحرير الكوردية بالكامل في المؤتمر العربي الذي عقد في الدار البيضاء، المغرب عام ١٩٦٥.

٨٢

وبحسب المقال، فإن الشركاء الحقيقيين لممثلي الحركة الكوردية لم يكونوا الحكومات الممثلة للقوى الرأسمالية ولا "المعسكر الاشتراكي" برئاسة الاتحاد السوفيتي. الأصدقاء الحقيقيون هم شعوب في جميع أنحاء العالم، مثل الكورد، قاتلوا من أجل تحررهم الوطني والاجتماعي. وكان هناك شيء واحد واضح أن موقف الاتحاد السوفييتي تجاه حركات التحرر الكوردية منذ انهيار مهاباد كان دائماً "مصالحة الدبلوماسية الخاصة والظالمين للشعب الكوردي". أما الحزب الشيوعي الصيني فلم يظهر موقفاً واضحاً من نضال الكورد حتى عام ١٩٦٦، وحتى أنه لم يتخذ موقفاً واضحاً ضد النزعة الشوفينية داخل القومية العربية. إن مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ هو قوة تمثيل مهمة في العالم الثالث الصاعد. وإن الصورة الإيجابية التي تشكلت حول نضال الجزائر من أجل التحرير ضد الاستعمار وكفاح الاستقلال الوطني المناهض للإمبريالية لمصر والدول العربية، والتي شكلت كتلة فعالة في مؤتمرات الشعوب الآسيوية الأفريقية، كانت تتحول في اتجاه مخالف لروح العالم الثالث، بتوجيه من النخب القومية والبرجوازية، وسيكون الكورد الذين يقاتلون من أجل الحكم الذاتي ضد نظام البعث الصاعد في العراق أحد أكبر ضحاياه بالطبع. والكورد، الذين أضعفتهم شوفينية النخب العربية التي هيمنت على الجبهة الآسيوية والأفريقية في العالم الثالث، سيديرون وجوههم إلى صراع أمريكا اللاتينية المتمركز حول كوبا. وفي عام ١٩٦٦، جمع المؤتمر الدولي الذي عقد في هافانا، عاصمة كوبا، أول دولة حرة في أمريكا اللاتينية، ممثلي جميع شعوب العالم التي تشن حربها الثورية ضد الإمبريالية. وهكذا، تم تضمين أمريكا اللاتينية في آسيا وأفريقيا، والتي كانت تشكل العالم الثالث. والحقيقة أن "الحركة القومية الكوردية: صراع من أجل الحكم الذاتي أو الموت!" كان هذا المقال هو الذي شجع CSRK على الكتابة إلى اللجنة المركزية لمؤتمر التضامن مع شعوب

آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. والكتاب بعنوان "الكورد وكوردستان" مؤرخ في عام ١٩٧٨، حرره جيرار شاليان، الذي التقى بكاميران بدرخان من خلال الثوري اليهودي المصري هنري كوريل في أوائل الستينيات، ولم يتردد في دعم نضال الكورد التحريري حتى ذلك الحين، وقد نُشر على الموقع الإلكتروني. لقد كانت نضالات التحرر الوطني للكورد في القرن العشرين من أكثر الدراسات شمولاً.

٨٣

والفصول التي كتبها الكورد، مثل كندال نزان وعبدالرحمن قاسملو، كانت أيضاً مهمة جداً من حيث شرح نضال الكورد من وجهة نظر الكورد. ولكن من النقاط التي جعلت الكتاب أكثر قيمة هو عالم الإسلام والمؤرخ وعالم الاجتماع ماكسيم رودنسون (١٩١٥-٢٠٠٤)، الذي كتب مقدمة الكتاب. لقد قُتل والدا رودنسون، وهما أحد أفراد عائلة يهودية من أصل بولندي روسي، في أوشفيتز عام ١٩٤٣. وكان رودنسون، عضواً في الحزب الشيوعي الفرنسي في عام ١٩٣٧، وناشطاً منذ شبابه. عبر دراسة الإسلام بأدوات النظرية الماركسية، وكان رودنسون أيضاً مؤيداً لنضالات التحرر المناهضة للاستعمار والمناهضة للإمبريالية للشعوب المضطهدة في العالم الثالث. ومعلم لجنة التضامن للثورة الكوردية في الوقت نفسه.... وعلى الرغم من أنه لم يكن لديه أي عمل مباشر عن الكورد لهذا الكتاب الجماعي، فقد طُلب من رودنسون كتابة مقدمة. ويوضح أيضاً في الفقرة الأولى من مقدمته أنه على علم بهذا الموقف: "لماذا هناك حاجة لمثل هذه المقدمة لهذا التجمع، الذي يعتمد في حد ذاته على أدلة قوية جداً؟" أجاب رودنسون، الذي سأل بعد ذلك مباشرة: "من الواضح أن الحقوق القومية للكورد لا يمكن أن توفر بشكل تلقائي دعماً للقضايا القومية الأخرى دون صعوبة كبيرة من الرأي العام واليسار العالمي". وفي هذه المقدمة، يحدد رودنسون المبادئ العامة من الأخلاق السياسية بدلاً من التحليل السياسي الملموس. وبينما نتحدث عن مقارنة الحكام في جغرافية الكورد المقسمة ومن يتجاهل نضالهم. "حرب التحرير" لأن السرد الذي لا يزال في نظر العالم يساراً "لقد أصبح القومي تركيا جبنياً" و "ككل ضحية نفس التفضيلات الإمبريالية مثل الأمة التي تقود القتال ضدهما". وموقع الظهور العربي يحدد أن يجعله غير مرئي في عيون العالم الأيسر. ومن الواضح أن الكورد تم دفعهم إلى موقف "المضطهدين من المظلومين" لأنهم أخطأوا أو لسوء حظهم بتوجيه مطالبهم بالقرار المستقل إلى "دولتين تطالبان بأنفسهما بحقوق مماثلة وبالتالي يدعمهما اليسار العالمي". وتذكيراً بتصريح ماركس بأن "شعباً يضطهد شعباً آخر لا يمكن أن يكون حراً" بشأن قضية "إخفاء" النضال التحريري للكورد "المضطهدين من المظلومين" من قبل اليسار العالمي وأعضاء الأمة المهيمنة في الدول القومية. وأن هذه الجملة لها نية إستراتيجية وليست أخلاقية.

٨٤

ويقول إن الاستعمار البريطاني لأيرلندا أظهر أنه "مكّن الطبقة الحاكمة البريطانية من استغلال الشعب البريطاني وإخضاعه"

نتيجة

أرسل طالب كوردي أوروبي نيابة عن الرابطة في ١٥ كانون الثاني ١٩٦١ رئيس لجنة الوحدة الوطنية من قبل رئيس الجمعية عصمت شريف وانلي والرئيس الرابع لتركيا للمجلس العسكري الجنرال جمال غورسيل رسالة من أربع صفحات في أكثر المقاطع روعة، رواد واستقلال النضال التحريري المناهض للاستعمار في الهند كان إشارة إلى كتاب من تأليف بانديت نهرو Pandit Nehru، الذي أصبح فيما بعد أول رئيس وزراء للهند. يشير وانلي وعلى أربع صفحات في جميع أنحاء الرسالة فقط إلى كتاب نهرو، وإشارته سياسة تركيا للمقاومة القومية الكوردية في الفترة من ١٩٢٤ إلى ١٩٣٨ وتحدث عن حالات الفشل. وفي كتاب (لمحات من تاريخ العالم). حيث يتألف الكتاب من رسائل تمهيدية من نهرو لابنته إنديرا، التي كانت في سن المراهقة في ذلك الوقت، في غضون ثلاثين شهراً (١٩٣٠-١٩٣٣) عندما سجنه البريطانيون في أماكن مختلفة. في إحدى هذه الرسائل، ذكر نهرو أن الحكام الأتراك الذين ينتزعون حقوق الكورد لن يمنعوا الكورد أبداً من مواصلة نضالهم من أجل الحرية. وإن "تضامن" العالم الأول، "أفق المساواة" المكتوب في ثورة تشرين الأول في العالم الثاني سيحطم الأغلال الاستعمارية للعالم الثالث. ولسوء الحظ، فإن الوعد بالتحرر الوطني والحرية لا يمكن أن يكون شجاعاً وقوياً بما يكفي لمعالجة مآسي الكورد الذين دفع بهم إلى موقف "المضطهدين من المظلومين" بين هذه العوامل الثلاثة. والتسلسلات الهرمية مثل التضامن والأولوية والانتقائية ضمن نضالات العالم الثالث؛ إلى حسابات التحالف الدبلوماسي والاستراتيجي للحرب الباردة باسم "حماية الثورة" بأفق المساواة؛ ومن ناحية أخرى، سرعان ما سقطت روح باندونغ المناهضة للاستعمار، القائمة على التحرر الوطني والحرية، في الظلام الذي حاصرته البرجوازية القومية ومصائد التنمية الرأسمالية. لكن تصميم نهرو للكورد في الثلاثينيات أكد نفسه ليس كنبوءة، ولكن كمعرفة للمضطهدين على أساس تعلم الشعوب المضطهدة من خلال النضال. وفي الستينيات، بذل الكورد جهوداً حثيثة لوضع أنفسهم في العالم الثالث، واليوم، مع ثورة روج آفا، يعدون أنفسهم بثورة جديدة في العالم الثالث تنسج الأفق المستقبلي للحركات الاجتماعية الجديدة في القرن الحادي والعشرين.

٨٥-٨٦ (*)

ظلال الثورة الكوردية في مرآة اسماعيل بيشكجي:

أن نخصص فقرات للمفكر وعالم الاجتماع التركي، وصديق الشعب الكوردي بامتياز: اسماعيل بيشكجي "١٩٣٩-..." وقد بات معروفاً باسمه وأنشطته وكتاباتاته التي تنطلق مما هو تاريخي، وتعقبها في بنائها البحثي والمؤسسي، والرسمي في تركيا طبعاً، وضمن نطاق جغرافي وفضاء ثقافي واسع كوردياً

(*)1960'larda Kürdistan Özgürlük Mücadelesi ve Anti-Sömürgeci Gramerin Oluşumu Adnan Çelik1

وفي الخارج، يعمق أثر ظلال هذه الثورة الموسومة، ويمد بالبصر داخلاً وخارجاً، وتحديداً من الزاوية القائمة بعلامتها البحثية، الأكاديمية والسوسولوجيا بامتياز.

إن الفقرات التي سعت إلى نشرها هنا، تتوزع بين كتب ومقالات سبق لي أن ترجمتها إلى العربية، نقلًا عن الكوردية الوسيطة، وتم نشرها في كتب أصدرها مركز بيشكجي للدراسات الإنسانية- جامعة دهوك، حيث أعملُ فيه، وبمقدار ما تنتمي إلى مقالات جديدة، استوقفتني، ودفعت بي إلى الاهتمام بها، وهي بالتركية هذه المرة، ومؤثرة بأسلوبها الواضح إنما الصادم لمن يتكتم على الحقيقة بصورة رسمية في الدوائر الثقافية والمؤسسية وسواها في تركيا، ليكون هناك إسهام قاعدي، بحثي، تنويري للحدث.

في الفقرات المختارة، وهي بعناوينها ومرجعياتها المقررة والمسجلة والمرقمة كذلك، محاولة إرشاد قارئها إلى مرجع كل منها، إن استزاد من قراءة أي منها.

إن المتوخى من هذه الفقرات/ النماذج المعروضة للقراءة، هو في كيفية تقديمها لقارئ مختلف، أو لأي كان يهمه أمر حقيقة ما يجري، موصول بما هو كوردي في لحظة زمنية عاصفة ويعتدُّ بها في آن. في محتوى الفقرات هذه، تنبسط جغرافية كوردية، وتتراءى حقيقة كوردستانية، كما هو تشديد بيشكجي في كتاباته، لحظة تعرضه لأي جانب من القضية الكوردية، حيث لا تعود هذه الكتابة أو تلك، مجرد توضيح لحقائق منغصة، أو مهملة، أو معتم عليها، وإنما تعريتها، وهي بحمولتها الإيديولوجية تركياً، وعبر كتبها من مثقفيها وإعلامييها، وكوادرها العقائديين، إنما تمثل أجوبة حية ولاذعة بالمكتشف فيها، لنصوص مختارة، بعناوين معلومة، تنطوي على نقاط لا تخفي مراوغة، ومكراً في مقارنة ما هو كوردي، ولبيشكجي أسلوبه الاستقصائي، والملموس، وما في ذلك من شهادة مكانية وفاعلة بنفاذ فعلها.

ثمّة ملاحظة ذات صلة بالمختار من كتابات بيشكجي، وهي أنها متنوعة، وتشمل مفاصل حية في نطاق الجغرافية السياسية والديموغرافية للكورد، وهويتهم الاثنية، وعبر تجارب ميدانية تشهد له بمدى رهانه على الحقيقة في أرضها ومن ذلك التأريخ الأيلولي الطابع، وفي كل ذلك، يزداد التأريخ عمقاً!

مالميسانج "م. طيفون": في مصافحة يد بيضاء "اسماعيل بيشكجي كوردولوجياً"، ترجمة وتقديم: ابراهيم محمود، منشورات، صص 59-62. من إصدارات جامعة دهوك، مركز بيشكجي للدراسات الإنسانية، أربيل، ط1، 2017.

عندما باشر بيشكجي بالكتاب الأول كوردستان، كان هناك مناخ مناسب لهذا النوع من الكتابة في البلاد، حيث حاولت أن أشير إلى ذلك آنفاً، وباختصار.

إن بدء اهتمامه المتعلق بهذا الموضوع باعتماد المعلومات والشروحات المطبوعة، وجرّاء اهتمامه هذا سنة 1961، عندما كان طالباً في كلية العلوم السياسية، كان هناك فرص متاحة أمامه، ليعاين ما

يجري في مدن الغرب "غرب الأناضول. م من المترجم"، وقد اختار "الأريز: العزيز". هناك كان يزور صحبة القائمقام، قرى كبانى Kebanê. وقد لاحظ أن القرويين يتحدثون الكوردية، ولا يعرفون التركية، وكما يقول "في أنقرة، يقولون: الجميع أترك، وأن هناك لغة كوردية، إلا أن القائمقام لا يمكنه أن يفهم القرويين شيئاً دون ترجمان".

هذه المفارقة تثير تفكيره. وفي سنة ١٩٦٣، فترة الخدمة العسكرية، كونه أراد الذهاب إلى الشرق، فقد اختار بدليس، وبدل مكانه مع زميل له.

وفي بدليس، وللمرة الأولى يتعرف على الكورد الرحالة Koçer. حيث ذهب مراراً إلى مصايف ممرود، وتحدث معهم.

في سنة ١٩٦٧، يقدم في جامعة أتاتورك أطروحته في الدكتوراه تحت عنوان "التنظيم الاجتماعي لعشيرة رحالة"، وهي تمضي الشتاء في سهل فارقين، وأنا عن الصيف، ففي مصايف ممرود وسيبان Sêpan. هذه الأطروحة الجامعية كانت حصيلة عمله البحثي الميداني، ولم يكن عمل كهذا قد تم في تركيا وقتذاك. في سنة ١٩٦٩، ينشر كتابه الموسوم بـ"الشرق: المشكلات البنيوية والمتغيرة"، ومن ناحية أخرى، كتاب "النظام في الأناضول الشرقية".

في نطاق الأنشطة الكورديولوجية، ثمة أعمال محلية مؤثرة، بحيث إن اسماعيل بيشكجي يصبح مغايراً للكتاب الأتراك الآخرين. إنه يمارس أعماله بشوق ووعي، ومسعاها البحث والدراسة، وبتعمق، إذ يتعرف عليها، ويقدمها للجامعة، ويعرضها على الرأي العام، وهو لم يفكر قط، بصدد الحقائق التي يكتشفها، تلك التي تخص مصالحة الذاتية، ومن ثم يزيّفها، أو يعتّم عليها. لم يضع حساباً في أنه يقدم نفسه للآخرين، بقدر ما كان لسان حاله: الجدّية والروح العلمية، وهو يتمثلها علمياً.

ومن المؤكد أنه بدوره كان يستطيع تحت تأثير الإيديولوجيا الرسمية، وفي الجامعة التي يتعلم فيها، ويتابع الصحافة، ويكتب موضوعات خلّتمن الدقة، سوى أنه يتجنب ذلك بوعي ملموس. وما هو مؤثر أكثر تأكّيده على ما هو علمي، عندما ينتبه إلى أخطائه، حيث ينتقد نفسه "يمارس النقد الذاتي"، وهو يصبّ أخطائه تلك.

وفي الواقع، فإنه يفعل ذلك عندما يكتشف أخطائه في كتابه المعروف "النظام في الأناضول الشرقية"، ولم يكن يعبأ بمواقف الكماليين، فهو يقول سنة ١٩٦٩ (إن تحليلات العوامل القديمة، والمحظورة حتى الآن، إن لم يدقق فيها بنظرة اجتماعية ثابتة، تبقى ناقصة، عديمة القيمة).

سنة ١٩٦٧، ينشر في صحيفة "فوروم"، كتاباته حول الكورد والبناء الاجتماعي في الشرق، وفي السنة ذاتها، بعد عدة اجتماعات في الشرق، يتابع بعين عالم الاجتماع: اجتماعات درسيم وأكري، وينشر كتابات عنها. وكان بيشكجي يعتبر مسيرته تلك، بداية تعارضاته مع الدولة.

في الفترة تلك، بدأ يلقي دروساً سوسيولوجية في كليات العلوم- الآداب والزراعة.

ولأنه كان يتابع احتجاجات الكورد، وينشر مقالات عنها، يتخذ ضده إجراء في الجامعة، وعلى خلفية ذلك، فإنه في عام ١٩٦٨، يخضع للمساءلة الإدارية، وإثر ذلك، يبدأ بالتضييق على دروسه في كلية العلوم.

سنة ١٩٦٩، تبدأ أحداث الطلاب في الجامعات، ويقصده بعض الطلاب كثيراً، ويناقشونه. من بين هؤلاء الطلبة كان: أحمد آراس، نظيف كلالي، عمر بولات، وقادر مانكا: قادروي تهكو، والذي يقتل لاحقاً في جبال نهر اكي.

وعلى خلفية اتهامه بتحريض الطلبة وإفساد عقولهم، تجري محاكمته، وفي سنة ١٩٧٠، ونتيجة مساءلته الإدارية، يتم إقصاؤه عن عمله. على إثره، ينخرط بيشكجي كباحث اجتماعي في كلية العلوم السياسية. بعد ١٢ آذار من عام ١٩٧١، يضع الجيش يده على الإدارة، ويرسل ملفات المساءلات الإدارية إلى رئاسة القيادات الإدارية العسكرية. من بين طلبات الشكاوى، من عدا إداري جامعة أتاتورك، كان هناك عمداء، أساتذة، خبراء وحزبيون " " في الجامعة هذه.

على أثر أسئلة المدعي العام عن الدائرة العسكرية، يقول بيشكجي عن أن الكورد موجودون، ويدافع عن كتاباته. وبالطريقة هذه "يعترف، ويصادق على التهم الموجهة إليه".

اسماعيل بيشكجي: رسالة إلى اليونسكو، ترجمة وتقديم: إبراهيم محمود، من إصدارات جامعة دهوك، مركز بيشكجي للدراسات الإنسانية، ط١، ٢٠١٧، أبريل، ط١، ٢٠١٧.

٣- الديمقراطية التركية، والمشكلة الكوردية

إن الفكرة القائلة بأن "الكورد أترك Kürtlerin Türk oldugu" قد جرى تفعيلها بصورة مكثفة في تاريخ الجمهورية. ذلك يشبه رأياً شكلياً، يتقدم به. ويلاحظ أن النظرة الأكثر علمية هي هذه. ويقولون أنه ليس في وسع أي كان الشك في الحقيقة هذه ونقدها. لا أحد يستطيع تغيير وجهة النظر هذه، كحقيقة عيانية، استناداً إلى العداء الشديد للواقع القومي الكوردي أيضاً، بذهنية متهافتة، وحيث تتم حماية هذه الرؤية المرکزة، وهذه الحماية تجري عبر استناد مدعوم من القانون الرئيس، والعقوبات القانونية، والجهات التي تعارض هذا الموقف تتعرض لعقاب مشدّد، بالعنف، بالغضب، بالشدّة، بالظلم، والزج في السجون تتم معاقبة الشعب والتسلط عليه.

عبر هذه النظرة يقال أن الدولة التركية وفق قانون سنة ١٩٦٦، جرى اعتماد الشيء نفسه. وهذا الأسلوب المتبع يعاين في القانون ذي الرقم (٦٤٨) والخاص بالأحزاب السياسية التركية، وقد ظهر سنة ١٩٦٦.

يقال في هذا القانون "يجب تعطيل الأحزاب السياسية في تركيا"، عدا عن تسعة وثمانين بنداً من هذا القانون على الشاكلة ذاتها: "لا تستطيع الأحزاب السياسية في بلد الجمهورية التركية الزعم بأن

هناك أمماً متميزة بقومياتها أو مذاهب، وتختلف بثقافتها ولغتها. إن ما تستطيع الأحزاب السياسية القيام به حصراً، هو العمل في نطاق اللغة والثقافة التركيتين، لهذا، فإنها لا تستطيع القول بأنه يجب على نظرية وحدة العنصرية أن تسقط، ويمهد لظور اللغات والثقافات الأخرى كذلك".

اسماعيل بيشكجي: الكورد وهموم الكورد "مقالات حديثة مختارة"، ترجمه من الكوردية إلى العربية وقدّم له وعلّق عليه: ابراهيم محمود، من إصدارات جامعة دهوك، مركز بيشكجي للدراسات الإنسانية، أربيل، ط ١، ٢٠١٨.

كورد الشرق:

في عام ١٩٧٠، ١٩٨٠، وبعد هذا التاريخ، عندما كان يشار إلى الكورد، كان يتردد، عن أن جنوب غرب كردستان يتيم غير محمي. واليوم في جنوب غرب كردستان، أي الغرب، يتردد الحديث عن الإدارة الذاتية، الفيدرالية، الكانتونات. إلا أن الصحيح هنا هو أن كورد الشرق، في نضالهم الذي يمارسونه، ظل نضالاً يتيماً لا سند له. ص ٥٥.

الأزمة التركية:

لقد فجر تطور الأفكار الكوردية في الميثاق التركي أزمة كبيرة. وفي هذا السياق، نجد أن باريش اونلو في كتابه يقوم بتحليل على أنشطة اسماعيل بيشكجي وأفكاره "ص ٣١٦". وبتقدير أنه سيكمل هذا التحليل، رأيت أن هناك حاجة إلى بعض التوضيحات.

عندما يؤتى على ذكر أنشطة اسماعيل بيشكجي وأفكاره، يجب التمييز بين زمنين لهما. هناك الكتابات والمؤلفات التي صدرت قبل ١٩٧٠-١٩٧١، والكتابات والمؤلفات التي صدرت بعد ١٩٧٤-١٩٧٥... إن أنشطة اسماعيل بيشكجي وأفكاره العائدة إلى هذين الزمنين، شديدة التباعد عن بعضهما بعضاً. إن كتباً مثل: عشيرة أليكان Elıkan الرحالة، والنظام في شرق الأناضول، وقد صدر هذان الكتابان قبل ١٩٧٠-١٩٧١، والكتابات التي نشرت في هذه الفترة في صحف مثل: AkŞam، ومجلات مثل: Forum، و Antê، مختلفة جداً عن الكتابات والمؤلفات التي نشرت بعد ١٩٧٤-١٩٧٥ من جهة المحتوى والفكر. إن المؤلفات التي وردت أسماؤها سابقاً، مثلاً، عندما تقرأ ككتب، مثل: كردستان مستعمرة دولية، ثم: العلم، الإيديولوجيا الرسمية، الدولة، الديمقراطية والقضية الكوردية، ثم دراستها، يمكن لها أن تقيم فصلاً في الأفكار، الكتابات والمفاهيم المستخدمة، وها نحن الآن نعيد طباعة المؤلفات التي طُبعت قبل ١٩٧٠-١٩٧١. وفي عام ١٩٩٠، نشرت دار نشر "كتاب الوطن" جميعها. وتحاول مؤسسة اسماعيل WİB، نشرها جميعاً، وهذان الزمان يشغلان تفكير بعض القراء، ويحاول القراء فهم كيفية حصول هذا الاختلاف.

إن فهم الفترة الزمنية الفاصلة مهم جداً، حيث إن الانقلاب العسكري لنظام "١٣" آذار ١٩٧١ كان فاصلاً بينهما. فهناك الدعاوى والطلبات التي تقام في المحكمة العسكرية للقيادة الخاصة لكل من آمد، وسيرد(سعد). والقضاة العسكريون في دعاويهم يؤكدون عن أن ليس هناك من قومية كردية في التاريخ ، أن ليس هناك من لغة تعرف باللغة الكردية، فالجميع أترك، واللغة التي يقال عن أنها كردية في أصلها تركية، والذين يقولون خلاف ذلك يتعرضون لتهمة كبرى، حيث إنهم يسيئون إلى المشاعر الشعبية التركية، ويجب محاكمتهم ومعاقبتهم.

وتتخذ القرارات في المحاكم العسكرية، تبعاً لهذه الدعاوى. وكانت المحاكم في قراراتها الخاصة، تحاول التأكيد على أن ليس هناك من قومية اسمها القومية الكردية، أن ليس هناك من لغة تعرف بالكردية ، فالجميع أترك، وأن أصل اللغات هي التركية، وكانت تحاول القول "بناء على الجهود العلمية الأخيرة..."، تقوية هذه "المسلّمات".

وإزاء هذه الدعاوى نحاول إبراز حقيقة ظاهرة العلم، نبرز أن العلم الذي ينفصل عن الظواهر، أنه يرفض الظواهر، يعدمها، لا يمكنه أن يصبح علماً، ونبرز العلاقات ما بين الظواهر والمفاهيم. ونقول عن أن المفاهيم حين لا تستند إلى الظواهر تكون فارغة، وأن الظواهر من دون مفاهيم عمياء. نظهر عن أن الظواهر موجودة دائماً خارج رغبة الأشخاص والتنظيمات وإراداتها.

وفي جلسة المحكمة العسكرية، جرى الاستماع إلى ستة شهود من البروفيسورية المخبرين، وأحد هؤلاء الشهود المشار إليهم مدير/ رئيس جامعة rector، وثلاثة منهم، كانوا عمداء الكليات dekanê fakulteyan من جهتهم، فهؤلاء كانوا يقولون عن أنه لا يوجد باسم الكورد والكوردية تأثير اجتماعي ولغوي، إنما الجميع أترك، وأن بيشكجي بغية تقسيم تركيا، يمارس تلفيقاً، وعندما تؤكد ظاهرة العلم، وجود الظواهر من خارج الرغبات والإرادات الشخصية والتنظيماتية، كانوا يقولون "عندما يجري التذكير بالدولة والشعب، لا يكون هناك من وجود لأي ظاهرة، ولا مكانة لكل ما يكونه العلم".

في هذا السياق، كان هناك أحاديث، نقاشات، ودعاوى على مدى يومين في المحكمة العسكرية الاستثنائية. في موضوع التنكر للكورد والكوردية واعتبارهم في حكم العدم. تتفق المؤسسات الرئيسة للدولة، مثل: الجامعة، القضاء، والمحكمة العليا، وكذلك تلك التي على منوال مثل المجتمع المدني مع الموقف نفسه. إنها - من جهتها أيضاً- وبصورة لافتة وموسعة تشارك في عملية الرفض والإنكار وتعديم الكورد. والعلاقة ما بين المحكمة والجهات القضائية، ما بين سنوات ١٩٤٥-٢٠٠٠، من خلال المؤسسة "الخيرة"، والتي كانت تفتح عن نفسها إزاء بعض الكتابات والمؤلفات الفكرية. وكان الأساتذة الجامعيون يعدّون تقارير للمحاكم ويرسلونها إليها، بخصوص هذا النوع من الكتابات والمؤلفات والتي أرسلت إليهم من قبل المحاكم، بحجة "أنها تتضمن أو لا تتضمن تهماً...".

والأساتذة الذين كان يقال عنهم: محافظين، يساريين - ماركسيين وليبراليين، قد أعدوا تقريراً عن هذا الجانب.

من ناحية، ليس هناك فرض وجود للكورد، والكوردية، فالجميع أترك، ومن ناحية أخرى، فإن ما هو محمي للكورد والكوردية، يكون من خارج إرادتنا بصورة موضوعية فيما هو متداول. وفي هذه الظروف، كيف يمكن للعدالة أن تفصح عن نفسها؟ عبر دعم استخدام الحكم المبرم، أم تبعاً لاعتبار ما هو محمي؟ إن الميثاق التركي، إيديولوجيا رسمية... وكل مفهومين يمكن استخدامهما لفهم الوضع السياسي لتركيا، النظام السياسي لتركيا، والتطورات الاجتماعية، والمطالب الاجتماعية فيها. وبحسب المكان والزمان، يمكن لهذين المفهومين تبادل المواقع في بعض الأحيان. ص ١٠٨-١١١.

بيشكجي، اسماعيل: التوطين القسري للكورد، ترجمه عن الكوردية وقدم له وعلق عليه: إبراهيم محمود، من إصدارات جامعة دهوك - مركز بيشكجي للدراسات الإنسانية، أبريل، ٢٠١٨.

من خلال التنكر للكورد، تنكر للعلم (وهذا يدعم الإيديولوجيا الرسمية السائدة، وهذا تعبير عن الهروب. لأن ذلك الشيء الذي يبحث فيه العلم، يكون مكانها وزمانها طبعاً. ص ٥٢.

اسماعيل بيشكجي: الدولة والكورد "اللغة، الهوية، القومية، الوطنية"، المجلد الأول، ترجمه عن الكوردية وقدم له وعلق عليه: إبراهيم محمود، من إصدارات جامعة دهوك - أبريل، ط ١، ٢٠١٧.

كيفية توجيه التهم إلى الكورد في ثورتهم، وانتفاضتهم ضد الظلم، من قبل أعدائهم في الدول التي يعيشون فيها وخارجها، وللأنظمة الحاكمة في هذه الدول دورها الرئيس، كما حدث في ستينيات القرن العشرين، حيث (كان ينظر إليهم على أنهم "عملاء الإمبريالية"، وبالطريقة هذه كانوا يتهمون. ومرة أخرى نجد أنه في أواسط سنوات ١٩٧٠، أثناء ثورة الملا مصطفى البارزاني، تعرضت القرى الكوردية إلى قصف جوي من قبل طائرات الميخ السوفيتية، وتؤكد كثيراً عن أن طيارها كانوا من السوفيت. ص ٧٧.

اسماعيل بيشكجي: الكورد بين التاريخ والجغرافيا "مقالات مختارة"، ترجمة وتقديم وتعليق: إبراهيم محمود، من إصدارات جامعة دهوك - أبريل، ط ١، ٢٠١٧.

ملحق "١" عن فترة الخدمة في الجيش، ص ٥٣-٥٧.

لقد كنت في الجيش ما بين عامي "١٩٦٣-١٩٦٤"، وذلك في توزلي إبان فترة التدريب في مدرسة التمريض العسكرية للمشاة، وكان ذلك في (٥٩) يوماً: ما بين كانون الأول ١٩٦٢ وآذار ١٩٦٣.

في تلك الفترة كان يمكن التبادل من جهة الخدمة. بهذه الطريقة توجهت إلى بدليس، أما نظيري يلماز اوترك فقد توجه إلى جورلو، أما سليمان صائم تُكجان فقد توجه إلى ترابزون. ولقد تعينت في

بدليس، في لواء المشاة (٣٤). هذا اللواء ذو الرقم (٣٤) كان يقع على طريق بدليس وتطوان، وبعد مضي ستة أشهر من التدريب في توزلايه "Tuzlayê" باشرت العمل هنا في نيسان ١٩٦٣. حيث كنت في السرية الثالثة من إدارة الفرقة.

إبان ذلك، اندلع القتال في العراق ما بين الكورد بقيادة ملا مصطفى البارزاني والدولة العراقية، وبغية حماية الحدود على خلفية من هذا القتال، بدأ الحديث عن إرسال سرايا ثقيلة من ألوية المشاة في بدليس، موش، بيكول، أرديش صوب الحدود لتقويتها، وقبل ذلك بسنة "أي ١٩٦٢"، أرسلت قوة من هذا القبيل صوب هكاري.

وكان يقال التالي "هناك قتال ما بين الأشقياء والدولة العراقية، والجيش العراقي، وعندما تقاتل القوات العسكرية العراقية الأشقياء على الحدود، فلكي تضيق الخناق عليهم. وهؤلاء الأشقياء سيضطرون إلى التراجع نحو الحدود، ومن ثم دخول الأراضي التركية، لهذا يجب منع هؤلاء من الدخول. ولا بد من اتخاذ التدابير اللازمة، ليتم القبض على هؤلاء الأشقياء عند اقترابهم ومن ثم تسليمهم إلى الحكومة العراقية".

هؤلاء الأشقياء في عام "١٩٤٦-١٩٤٧" أعلنوا العصيان على الدولة العراقية.. حينذاك، ضيق الجيش العراقي الخناق عليهم، ولقد عبر هؤلاء الحدود من جهتهم، من جهة "كفر Gever" وأصبحوا ضمن الأراضي التركية، وفيما بعد لجأوا إلى الاتحاد السوفيتي. وعلينا اليوم، أن نتخذ التدابير الرادعة لئلا تتكرر واقعة ١٩٧٤.

في الفترة تلك، كان الكورد يعرفون بـ"الأشقياء، العصاة، الخونة، المشردين". وأما عن ملا مصطفى البارزاني فكان يعرف من ناحيته بأنه زعيم الأشقياء/ العصاة. حينها كنت ضمن سرية اللواء المتحرك من بدليس ناحية الحدود. كنت مسئول تمييز. ضابط المجموعة. السرية التي تلت ٢١ أيار ١٩٦٣، أي بعد محاولة طلعت أيدمر بانقلابه الثاني باتجاه وان، ومن هناك أيضاً صوب قلقليا. هذه السرية بقيت لبعض الوقت من حزيران في قلقليا. ومن ثم، أي في نهاية حزيران انتقلت إلى كفر، ومن هناك إلى شمزينان...وفي شهر تموز استقرت ناحية هارونا- تيسي. ومن ثم، أمضت فترة من الوقت فيما بعد في شَبَتان Sapatan. وبعض الوقت أيضاً في مناطق كل من شبتان، درباني، سيرينوس، بمبو، نوگايلان، بيكولتاي. وفي نهاية تموز انتقلت من شاباتان إلى شمزينان. ومن أجل الانتقال من شاباتان إلى شمزينان، كان عليها تسلق الجبال العالية. وفي آب تحركت من شمزينان إلى الحدود. وبغية بلوغ حدود روبروك، كان عليها تسلق الجبل بدءاً من قرية شاباتان. وتلك كانت شاباتان الثانية، كان لا بد عليها من تسلق الجبل. ولاحقاً لتتحد صوب قرية نهري Nehri، ومن ثم أيضاً تم بلوغ روبروك، إنما بعد العبور بكل من بينافيك Bênavîk، بيسوسن Bêsoşin، زرين، مافان Mavan. الاستثناء في طول المدة كان في روبروك. والمسافة القائمة ما بين شمزينان وحدود روبروك (٩٠) كم. وعملية بلوغ روبروك، تتطلب صعود الجبل والنزول منه عدة مرات، وكنا نتحرك مشياً. أما عن الأسلحة الثقيلة فكان نقلها يتم بالبغال.

وعملية الاستطلاع كانت تتم سريعاً ويعلّن عنها. ومن أجل فهم موضوع: كيف يعيش الشعب، كيف يستمر القتال في العراق، ويتردد صدها، ماذا يزرع، ماذا يجني، ماذا يقبض، ماذا يبيع، كيف يتعامل مع سياسة الدولة والحكومة وتطبيقاتهما، كيف يكون موقفه من الجيش، الجندرية، المعلمين، جباة الضرائب والأئمة. لقد كان هناك استطلاع مستمر. وقتذاك، كان الجنود ومن على شاكلتهم، ينظرون إلى الاستطلاع كعمل عسكري بسيط، ولهذا ما كانوا يريدون القيام به. أما عني أنا فقد كنت أؤدّي هذا العمل برغبتي التامة. إبان إلى جانب القرى التي سجلت أسماءها سالفاً، كنت أذهب أيضاً إلى قرية كيرانا Girana. وتلك بدورها كانت قرية حدودية.

كان قدوم القادة مستمراً من مقرات الألوية المستقرة في جومليرك، وان. وعن ملا مصطفى البارزاني والقوات الكوردية كانوا يعطون المعلومات التالية دائماً "لقد ضاق بهم الخناق، يمكن التمكن منهم في أي لحظة، يهربون، يهربون قاصدين الحدود التركية، بقوا جوعى، يعجزون عن تأمين طعامهم..." كان يطلب إليهم أن يكونوا يقظين، الحيلولة دون مرور الأشقياء للحدود، يقبض عليهم على الحدود. وبامتداد مسافة تقدّم بـ(٨-١٠) كم من الحدود كنت في موقع قائد المجموعة والمسئول عنها.

وفي شهر آب، ثمة واقعة لم يشر إليها من بين هذه التعليمات. إذ إن قوى "كوردية" مرتبطة بملا مصطفى البارزاني، قد عبرت الحدود من جهة نقاط الحدود الخاصة بعشيرة برادوست والتي كانت تقاؤها، إلى داخل الحدود التركية. في تلك الفترة كانت عشيرة برادوست تقف إلى جانب الحكومة العراقية في مواجهة ملا مصطفى البارزاني وقواته. ولهذا السبب، فإن الحكومة العراقية سعت إلى تقديم الدعمين المادي والمعنوي لها. عشيرة برادوست هذه، أحرقت القرى الحدودية التي كانت تدعم ملا مصطفى البارزاني. البارزانيون من جهتهم في الوقت الذي كانوا يقاتلون الجيش العراقي، كانوا يخوضون حرباً بالمقابل مع البرادوستيين. وإبان الحرب هذه ضاق الخناق بالبرادوستيين، وقد اضطروا إلى عبور الحدود ملتجئين إلى تركيا. وكون البرادوستيين حلفاء الحكومية العراقية، فقد رحّب بهم من قبل تركيا. حيث اصطحب الشيخ رشيد زعيمهم في الحال من النقطة الحدودية إلى قيادة "توگاي" tûgay والتي كانت في وان. في الفترة تلك، كان يتردد عن الشيخ رشيد على أنه عجوز مريض.

بالنسبة للبرادوستيين، كانوا فريقاً مكوّناً بشكل لافت من الرجال والنساء، الأصهار والأنساء، الشباب والعجائز، ومعهم أغنامهم، بغالهم، حميرهم ودجاجهم. والحياة كانت تدوم. وكان عبورهم أشبه بالانتقال من الحي العلوي إلى الحي السفلي. كان هناك من ينصب الخيم، وثمره من يعجن، وثمره من يأتي بالطعام، وثمره من يجلي الثياب، وينشرها، وثمره من يحمم صغاره... كان ثمة نشاط محموم. بالنسبة للنساء كن يقربن ما بين ثلاثة أحجار، ويصنعن إثفية، وتوضع عليها طنجرة العشاء. أما الصغار فقد كانوا يعيشون عالم طفولتهم. وهم يلعبون ويمرحون هنا وهناك، مطاردين لبعضهم بعضاً وبالتناوب. وهم يعيشون الحياة بطريقة فعالة. أما عن القرويين في المنطقة فقد أظهروا صداقتهم للقادمين الجدد. وفي أحد الأيام، ونحن

نقوم بعملية استطلاع التقينا بالبيشمركة. كنا مجموعة مؤلفة من أحد عشر عنصراً. وكنت أنا قائدهم. عندما التقينا بهم استغربت. فالبيشمركة أولئك كانوا يرددون شيئاً لم أفهمه البتة أبداً. أصبحت في وضع نفسي صعب. آنذاك، قال أحد الجنود "سيدي أستطيع مكالمتهم؟". وتكلم.

ذلك الجندي كان من منطقة جلاووز، قضاء قرص، وقد تحدث إلى البيشمركة بسهولة، وكان يفهمهم. البيشمركة قالوا: لقد تجاوزتم الحدود. وتوغلتم عدة كيلومترات إلى الداخل. في تلك الآونة، لم يكن هناك من تشديد فعلي على الحدود، ولا الأسلاك الشائكة.. الخ. بقدر ما كان هناك مسافة (0-6) كم تفصل بين حجرة حدودية وأخرى.

إن ما شد انتباهي هو ذلك الحديث الذي دار بين الجندي والبيشمركة وفهمهم لبعضهم بعضاً أكثر من أي حديث آخر. لأنه في الفترة تلك، وبعد "٢٧" أيار كان اعتبار تركيا للكورد على أنهم أتراك حديث الساعة. اعتبار أن ليس من شعب يُسمى بالشعب كوردي، ليس من لغة تُسمى بالكوردية، كان يتردد كثيراً. في هذا المضمار، كان ثمة دعاية كبرى للدولة. نظرة الدولة هذه كان يركّز عليها من قبل الصحافة، الجامعة، القضاء عن طريق المناقشات وبصورة ساخنة وجدية. كان يقال أن ليس من لغة تكون الكوردية، أن الكورد لا يفهمون بعضهم بعضاً، أن قروياً في قرية، لا يفهم قروياً في قرية مجاورة، لهذا فإن الجميع يتكلمون بالكوردية. وكتاب محمد شريف فرات، والمعنون بـ"مدن الشرق وتاريخ وارتو"، نشر مجدداً مع مقدمة لجمال كورسل رئيس جمعية وحدة الأمة، ورئيس الدولة. هذا الكتاب كان يتمحور حول الأصول التركية للكورد، حول عدم وجود لغة تكون الكوردية، والسعي إلى إثبات ذلك. ولقد طبع من قبل وزارة تعليم الأمة، وكان يرسل إلى الجامعات، المعاهد، الأساتذة، ومجاناً "دون مقابل". وهناك، وجد كوردي من قرص، يتحدث بسهولة مع البيشمركة حديثاً وإصغاء، والمسافة الفاصلة ما بين برزان والمنطقة القريبة من قرص (٧٠٠) كم على أقل تقدير. وهذا المشهد القائم على رؤية رسمية، ورؤية فعلية لحقيقة الكورد والكوردية يمارس تأثيراً كبيراً على وعي الإنسان.

اسماعيل بيشكجي: انبعث كوردستان الخيالية "دراسة"، الترجمة من الكوردية إلى العربية مع التقديم والتعليق: ابراهيم محمود، من إصدارات جامعة دهوك - أربيل، ط١، ٢٠١٨. صص ١٤٠-١٤٢.

يقولون إن اللغة الكوردية مجزأة، وأن عشيرة لا تفهم أخرى، وتلك عبارة إيديولوجية. سوف أظهر ذلك عن طريق ذكرى لمعرفة إلى أي مدى تكون هذه النظرة، سلبية، سيئة.

كنتُ أخدم سنة ١٩٦٣ في شمزينان، في قرية روبروك الحدودية مساعد ضابط، في شهري تموز وأيلول عام ١٩٦٣، حينها كان هناك مقر صغير في روبروك، مقر مكون من اللبن، وهو مقر ذو طابق واحد، وقد وجد فيه ما بين (٨-١٠) عناصر. حينها، وفي جنوب كوردستان، وبزعامة ملا مصطفى البارزاني، ورئاسة الحزب الديمقراطي الكوردستاني، كان النضال القومي ضد إدارة العراق. وكانت عشيرة برادوست وزعيمها الشيخ رشيد، ضد النضال القومي الكوردي، متحالفة مع حكومة العراق. وفي العراق

أيضاً، كانت السلطة لحزب البعث، حيث إنه في عام ١٩٦٣ قام البعثيون بانقلاب قضى على عبدالكريم قاسم، واستلموا السلطة بعد ذلك.

وكان الكورد المرتبطون بعشيرة برادوست، وعشيرة برادوست، يشعلون النار في قرى بعضهم بعضاً، وكنا نسمع أصوات الطائرات الحربية، ودوي المدافع التي كانت تمطر قنابلها صلبة صوت الأسلحة الآلية. ومن شمزينان، إلى القرى الحدودية، كانت أحمال الأرزاق، يتم نقلها عن طريق البغال. والصحيح هو أنني كنت جندياً في لواء المشاة (٣٤) في بدليس. ومن مدن مثل موش، بينغول، بدليس، وأرجيش، كان يتم إرسال القوات العسكرية إلى منطقة هكاري لسد الطريق أمام تقدم نضال جنوب كوردستان، وكانت القوة القادمة من بدليس، في شهري أيار وتشرين الأول، حيث تشكلت خمسة أشهر، تعمل في محيط مناطق مثل باشقله، كور، شمزينان، وأورمار. وقتذاك، كانت الحكومة التركية تقول عن البارزانيين بأنهم "أشقياء"، وكان هناك ضابط تركي يتحدث بإيجابية لافتة عن الشيخ رشيد.

حينذاك، كنا نقوم بعمليات استطلاع بصورة دورية، إذ نطوف في القرى. ذات مرة توجهنا صلبة مجموعة عساكر لاستطلاع قرى، حيث توغلنا عميقاً وقد عبرنا النهر، وصادفنا بعض البيشمركة المسلحين، في إحدى النقاط، وهم قريبون منا. وتفوهوا ببعض الكلمات. كان في مجموعتنا عسكري من أرباجا قرص، متحدثاً الكوردية بطلاقة، وقد تحدثت مع رجالات البيشمركة، وكان هذا العسكري يقوم بترجمة كلامي، وقال لي عن أننا عبرنا الحدود وتوغلنا في أراضيهم. بناء على التنبيه سلطنا طريق العودة. وكان هناك بعض الأحجار الحدودية، إنما ليست ظاهرة، والانهار قد جفت مياهها، وفي بعض الأمكنة، كانت الحدود تقسم قرية إلى قسمين وتعبها/ تقطعها. وكان عسكري أرباجا، يتحدث بيسر مع البيشمركة، حيث لم يكن هناك من مشكلة فعلية في هذا الحديث "جهة الفهم والترجمة". وقتذاك، ما كنت بدوري أؤمن بفكرة مثل "أصل الكورد ترك، الكوردية أيضاً لهجة تركية، وليس هناك لغة كوردية مستقلة".

إلا أن هذه المعارف بالمقابل كانت تحت تأثير الموقف الرسمي، وأن هذه الظاهرة التي أشرت إليها بداية، وظواهر من هذا النوع، شكلت معرفة فريدة. حيث إن الذين يقيمون في أرباجا، يتعدون عن بارزان (٥٠٠-٦٠٠ كم) ويتحدثون باللغة نفسها، وهم يفهمون بعضهم بعضاً.

وفي شهر صيف عام ١٩٦٣، كنت أمضي إلى استطلاع القرى كثيراً، مثل شمزينان، هاروتان، تيسي، سرونوس، ميمو، شاباتان، نهري، بنافوك، بيسوسين، زرين، بيداف، ونوكايدان، وأنا أتحدث إلى القرويين، وبشكل أكثر كنت أمضي مع (٨-١٠) عسكر إلى هذه المناطق، وكان عسكر أرباجا يساعدي كثيراً بترجمة الحديث، وهذا بدوره يشكل معارف حيث كانت الدولة تريد معرفة ذلك إزاء الكورد لبترها في أذهاننا، إلا أن التأثير الأهم كان حديث عسكر أرباجا مع البيشمركة.

وقتذاك، كانوا يعطون القرويين بطاقات الطحين، السكر، والغاز... الخ، ورغم هذه هذه الحالة، كنت رأيت القرويين يعبرون مع أرزاقهم إلى جنوب كوردستان.

وفي مقال لافت نشره في "٢٠١٦/٩/٨" تحت عنوان "قطاع الطرق: اللصوص: الشقاوات" Ismail Beşikci:

Eşkiya, www.nerinaazad.org

في مقاله اللافت هذا، والمنشور في ٢٠١٦/٩/٨، ما يستحق القراءة والتأمل في القراءة التي عنت بيشكجي، وكيفية تقصيه لبنية التفكير الإيديولوجية ومنهج البحث العلمي الموجه في تركيا، منوهاً إلى العنف المشرع فيما هو سائد هنا. ليستحق بيشكجي في المجمل العام، لأن يكون رجل علم وفكر ونقد تاريخيين، بإهابه الاجتماعي، والذي يشكّل في مضمار ما هو تاريخي، الفراغ الذي يجري ملؤه، والمسلك الفكري الذي تتم إضاءته، لتعزيز مكانة التاريخ الفعلي في كل ذلك، حيث يؤكد فيه وعبر أمثله أن الحاضر التركي شبيه بألمسه العثماني، ولعله ماض إلى غده الأكثر عتامة، إذا استمر على المنوال نفسه، وهو يكشف عن الفكرة القابضة على ذهنية التركي المتخوفة من الآخر: الكوردي، وأكثر من ذلك، وكما سنرى في مثال عن "اللصوص" والذي اخترته ومن ثم نقلته عن الفرنسية لمفكر عالمي، هو هوبسباوم، كيف أن سمة "اللصوصية" أو "الشقاوة" التهمة المعتمدة في الدوائر الرسمية التركية ونظيراتها في دول الجوار، ورمي الكورد بها، تعزيزاً لموقع الذين تقاسموا جغرافيتهم، وشرعنة لكل عنف تصفوي، أو تطهير عرقي وثقافي ينصب عليهم، وبالتالي، فإن مكاشفة حقيقة بالطريقة هذه، تعيدنا إلى تاريخ طويل يسمي تلك الممارسات المعتمدة لدى العثمانيين وخلافهم، وهم ما أن يجدوا في أي كان منتفضاً ضد الظلم الذي يتعرض له، أو ثائراً، عاصياً، أو قاطع طريق، أو لصاً شقيماً... الخ، كما آثرت النظر في كل ذلك، في كتابي عن "حاجو آغا" وبتوسع في كتابي حول "عليكي بطي" وفي صفحات مطولة، وبالنسبة إلى الأخير، ومن خلال مراجع مباشرة: بالتركية، لجعل مفهوم الحقيقة الملعوب بها أكثر نصاعة:

في خطاب ألقاه في ٢٨ آب ٢٠١٦، استخدم رئيس البرلمان إسماعيل كهرمان عبارة "قاطع الطريق" لإرنستو تشي غيفارا. وحذر رئيس الجمعية الوطنية التركية الكبرى الشباب التركي قائلاً: "لا يجب على الشباب التركي القومي أن يحمل صورة قاطع طريق على قميصهم". ولقد أثار رد فعل كبيراً ضد هذا البيان الذي أدلى به رئيس BMM، سواء داخل الجمعية الوطنية الكبرى التركية، أو الأحزاب السياسية، والصحافة والمنظمات غير الحكومية. وكان هناك أيضاً رد فعل كبير من الدولة الكوبية. وفي مواجهة هذه ردود الفعل المكثفة، حاول حزب العدالة والتنمية تلطيف كلمات رئيس الجمعية الوطنية الكبرى، إسماعيل كهرمان.

في هذه المقالة، أود التأكيد على ميزة أخرى لـ "قطاع الطرق". ففي ١٤ تموز ١٩٥٨، كان هناك انقلاب عسكري في العراق. إذ قام الجنود بقيادة العقيد عبدالكريم قاسم بإنهاء الملكية وإعلانها جمهورية. وعندما تم إلغاء المملكة، كان الملك فيصل الثاني (١٩٣٥-١٩٥٨) في الثالثة والعشرين من عمره. وبعد وفاة والده غازي بن فيصل (١٩١٢-١٩٣٩)، أصبح ملكاً عندما كان عمره (٤) سنوات. وحتى عام ١٩٥٣، تم إحضار الوصي على الأمير عبدالله (١٩١٢-١٩٥٨)، الأخ الأكبر لغازي بن فيصل وابن علي، ملك

الحجاز السابق، وقد كان انقلاب ١٩٥٨ دمويًا. حيث قُتلت عائلة الملك بالكامل، بما في ذلك رئيس الوزراء نوري السعيد باشا (١٨٨٨-١٩٥٨).

وكان غازي بن فيصل الابن الأصغر لملك مكة الشريف حسين (١٨٥٣-١٩٣١). حيث تم تعيين نجله الأكبر علي (١٨٧٩-١٩٣٥) ملكاً للمملكة العربية السعودية وابنه الأوسط عبدالله (١٨٨٢-١٩٥١) في الأردن.

وأعلن عبدالكريم قاسم الدستور العراقي المؤقت في ٢٧ تموز ١٩٥٨. فنص الدستور المؤقت على أن "الشعب العراقي يتكون من عرب وكورد". ودخل الحزب الديمقراطي الكوردستاني في نطاق الاعتراف القانوني. ودعا زعيم الانقلاب عبدالكريم قاسم ملا مصطفى البارزاني والبشمركة إلى العراق، ممّن لجأوا إلى الاتحاد السوفياتي مع (٥٠٠) من البشمركة بعد انهيار جمهورية كوردستان، التي كان مقرها مهاباد، في عام ١٩٤٧.

غادر ملا مصطفى البارزاني موسكو في ٢١ آب ١٩٥٨. وتوقف أولاً في بخارست. وقد استقبله الرئيس الروماني في المطار. وبعد توقف في بخارست، غادر إلى براغ. وهناك التقى البارزاني في المطار الرئيس التشيكوسلوفاكي.

وأثناء وجود ملا مصطفى البارزاني في براغ، دعا الزعيم المصري جمال عبدالناصر (١٩١٨-١٩٧٠) البارزاني إلى القاهرة. وخلال هذا الوقت، استمرت مراسلات البارزاني مع عبدالكريم قاسم. وبقي البارزاني طويلاً في براغ. وجرى تفهّم سبب ذلك لاحقاً. فكان هناك رسائل وبرقيات وما إلى ذلك من البارزاني لعبدالكريم قاسم عبدالسليم، أحد مخططي الانقلاب، كانت مخفية عن قاسم ومجلس الوزراء.

"الصوص"

إثر لقاء جمال عبدالناصر - مع ملا مصطفى البارزاني في قصر الرئاسة بالقاهرة في ٦ تشرين الأول ١٩٥٨ كان رد فعل المدراء التنفيذيين في الدولة والحكومة التركية على هذا الاجتماع حاداً "كيف تلتقي دولة كبيرة مثل مصر مع قطاع الطرق؟" "إن لقاء اللصوص لا يناسب ناصر" ... بعد أن قدمت الحكومة والإدارات الحكومية والصحافة والأحزاب السياسية والمنظمات غير الحكومية خطاب "الصوص" بشكل مكثف.

في تلك الأيام، بدأ راديو القاهرة البث باللغة الكوردية. ولبضعة أيام في الأسبوع، كان يتم نشر ١٥ دقيقة من اللغة الكوردية يومياً ولـ ١٠ دقائق، تمت قراءة الفصول من تاريخ ابن الأزرقي مؤلف كتاب ميفارقين. هذا الكتاب مكتوب باللغة العربية. وقد تُرجم إلى اللغة الكوردية وقُرىء من هذه الترجمة. وفي ٥ دقائق، كانت هناك علوم وغرائب.

فقد أزعج هذا المنشور الكوردي أيضاً مسؤولي الدولة والحكومة التركية. "تبث بلغة غير مصرية". "إن بث مصر بلغة لا تتعارض مع صفة كونها دولة". وبعد أن نشر مسئولو الدولة والحكومة والصحافة والمنظمات غير الحكومية أيضاً مقالات احتجاجية...توصف على النحو التالي. والتقى بالسفير التركي ناصر في القاهرة لانتقاد موقف مصر هذا.

كان ناصر قائداً أكثر إيجابية ومعتدلاً تجاه الكورد. أراد أن يكون للكورد بعض الحقوق الوطنية داخل حدود العراق. كما عبر عن رأيه للقادة العراقيين مثل عبدالكريم قاسم (١٩١٤-١٩٦٣)، ثم عبدالسلام عارف (١٩٢١-١٩٦٦)، وعبدالرحمن عارف (١٩١٦-٢٠٠٧)، وحسن البكر (١٩١٤-١٩٧٩)، صدام حسين (١٩٣٧-٢٠٠٦). لكنه كان يعتبر كوردستان الجنوبية جزءاً من الوطن العربي.

خوبون

İsmail Beşikci: Xweban, www.nerinaazad.org, 16,1,2020

تم اعتقالني من قبل النظام في ١٢ آذار، في ١٩ حزيران ١٩٧١، في أنقرة، كلية العلوم السياسية. أخبروني أنه كان هناك قرار باعتقال غيايبي. تم نقلي إلى ديار بكر في ذلك المساء. وبعد أن تم احتجازي في قسم شرطة ديار بكر لفترة قصيرة، تم نقلي إلى السجن العسكري للأحكام العرفية. وفي سجن ديار بكر العسكري، كان لدي أصدقاء من الثقافات الشرقية الثورية وحزب العمال في تركيا. بعد بضعة أيام، تم جلب مجموعة مزدحمة إلى قسم الاعتقال. قال الأصدقاء أن هذه المجموعة تم إحضارها من سيرت، شرنخ. وقالوا أيضاً إن هناك فلاحين وملاك أرض وشيوخ قبائل وشيوخ داخل الجماعة. لقد كان واضحاً في الحال أن هذه المجموعة التي جيء بها من شرنخ تعرضت للتعذيب الشديد. حيث معظمهم لا يستطيعون المشي بشكل مريح أو التحدث بحرية. قال الأصدقاء إنهم أعضاء في الحزب الديمقراطي الكوردستاني وساعدوا ملا مصطفى البارزاني.

كان هناك صديق يدعى خورشيد آغا ضمن المجموعة التي أحضرت من شرنخ، خورشيد أونوك Hurşit Onuk. تعرض خورشيد آغا للتعذيب كثيراً خلال الاستجواب. لم يشرح خورشيد آغا هذا، لكن من معه اعتادوا أن يخبروا أن خورشيد آغا تعرض للتعذيب كثيراً. قيل له أنه علق من قدميه بالسقف لعدة أيام، ورأسه على الأرض. إن عدم إعطاء أي شخص يتعلق بقيم القبائل والعذاب مثل الشرف والكرامة.

في الجناح، لاحظت مع مرور الوقت موقف خورشيد آغا Hurşit Ağa. لم يكن خورشيد آغا يجيب إذا تحدثت معه أو سأله طالب كوردي أو شاب كوردي سؤالاً تركيا أو تحدثت معه باللغة التركية. كان يعرف اللغة التركية لكنه يتحدث الكوردية دائماً.

في أواخر كانون الثاني ١٩٧٣، تم إعلان لائحة اتهام الحزب الديمقراطي الكوردستاني. في لائحة الاتهام، أبلغ خورشيد آغا بأنه مهتم بمكافحة النضال الوطني الكوردي في جنوب كوردستان، وأنه على

اتصال بالحزب الديمقراطي الكوردستاني. وتم التأكيد على أنه ساعد مادياً ومعنوياً الأصدقاء، سرّاً، عدد قليل من شاحنات القمح والغاز والملح والسكر والمباريات والأحذية المعزولة والجوارب وما إلى ذلك. سيقولون أنه أرسل. (لائحة اتهام T-KDP، 30 كانون الثاني ١٩٧٣، مكتب المدعي العام العسكري لقيادة الأحكام العرفية في ديار بكر، ص ٦٦-٦٧)

ظافر يلدريم: عن ظلال الحركة الكوردية القومية الطابع في كتاب الباحث التركي ظافر يلدريم: البارزانيون والحزب الديمقراطي الكوردستاني العراقي كحركة متمردة زعزت بنية "الدولة القومية" في العراق في فترة ١٩٣٢-١٩٧٥ والعنوان بالتركية

Zafer YILDIRIM:1932-1975 Dönemi Irak'ın "Ulus Devlet" Yapısını Sarsan İsyancı Bir Hareket Olarak Barzaniler ve Irak Kürdistan Demokrasi Partisi

نقلًا عن موقع:

www.akademikortadogu.com

هناك نقاط لافتة محتواها السردية التاريخية، إنما دون إغفال العمق السياسي للكتابة، في تتبع مستجدات الواقع على الأرض، وفي الشأن الكوردي، وذلك انطلاقاً من نموذج حي يتلخص في الثقل النوعي للبارزانيين، والحزب الديمقراطي الكوردستاني، في الفترة الزمنية المنوّه إليها. إن تقديم دراسة كهذه، وفي تركيا، يعني أن الاسم الكوردي يمتلك رصيده من القوة والتأثير في الجوار، بالطريقة التي تعلم بحقيقته، من خلال نوعية السياسات الضاغطة والعنيفة للسلطة في البلدان التي تقاسمت كوردستان، كما هو المستقى من ذلك، وتركيا في الواجهة.

لقد حاولت اقتطاف فقرات من هذا الكتاب، بغية النظر فيها، لصلتها المباشرة بالموضوع، وكون الفقرات هذه منقولة عن التركية، وهو يعطي فرصة لمن يهتم أمر موضوعه لأن يرجع إليه موسعاً في قراءته، وما هو مقتطف، ومن صفحات مرقمة، يمثّل نماذج بحثية، وهي تجسّد وقائع مختلفة جهة العنوان بالذات:

الملخص في هذه الدراسة، نوقشت ولادة حركة البارزاني التي هزت البنية الموحدة للعراق، وتحولها إلى الحزب الديمقراطي الكوردستاني الأول، وصراعها مع الإدارة العراقية. فيما يتعلق بالصراع بين العراق والحزب الديمقراطي الكوردستاني، تمت محاولة دراسة آثار دول الجوار، وخاصة إيران، والقوى العظمى، وتغييرات النظام والحكومة في العراق، والانقسامات داخل الحزب الديمقراطي الكوردستاني. كلمات مفتاحية: بارزاني، الحزب الديمقراطي الكوردستاني، إيران، العراق، حزب البعث، أمريكا.

ثمة تأثير للقومية المتصاعدة في منطقة الشرق الأوسط داخل المجتمع الكوردي وذلك من خلال السكان الكورد في تركيا وإيران والعراق وسوريا التي تشعر بالقلق جرّاء ذلك... إن أهم حركة منظمة داخل القومية الكوردية الصاعدة هي بلا شك حركة البارزاني، وهي الأكثر تطوراً من حيث تاريخها وقوتها وإنجازاتها، وسقفها التنظيمي هو الحزب الديمقراطي الكوردستاني. ولم يتم إجراء بحث كافٍ حول كيفية وصول حركة بارزاني إلى الحجم الذي وصلت إليه اليوم وكيف اكتسب هوية الحزب الديمقراطي الكوردستاني.

في الدراسة، ما هي قاعدة حركة البارزاني، تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني كتشكيل فكري، علاقة الحزب بالبارزاني، تبني حركة البارزاني للهوية الحزبية، تطور علاقة الحزب بالحكومة العراقية، العلاقة بين الدول الأخرى وخاصة معاهدة الحكم الذاتي عام ١٩٧٠ التي ورد ذكرها مع احياء محادثات صدام حسين - البارزاني، هذه القضايا تتم محاولة شرحها.

١٥٩

بحلول نهاية الربع الأول تم إخماد الحركة الكوردية في تركيا. وكان الوضع في العراق مختلفاً تماماً. تحت ضغط تطوير القومية الكوردية من جهة والقومية البريطانية من جهة، كان على الدولة العراقية الضعيفة حديثة النشأة قبول قرار عصبة الأمم لعام ١٩٢٥، الذي يؤكد وجود وضع رسمي لكوردستان في العراق. أعطى هذا التأييد الرسمي للسياسة والثقافة الكوردية الحديثة فرصة للتطور. في هذه البيئة السياسية، ظهر نوعان من القادة؛ التقليديون يتألفون من زعماء القبائل والزعماء الدينيين والحدائين الذين احتلوا مكانة عالية في المجتمع التقليدي مع التعليم العلماني الذين يعيشون في المدن. ظهر هذان الفصيلان في الواقع كتعبير عن الانقسام الثقافي واللغوي الذي سعى القوميون إلى رفضه. في حين أن أولئك الذين يتحدثون "اللهجة الكرمانجية" كلغة يتم التحدث بها في شمال العراق يسودون في مدن مثل دهوك ، وأميديه وزاخو في منطقة بهدينان، فإن أولئك الذين يتحدثون "اللهجة السورانية" مؤثرون في مدن أربيل والسليمانية وصلاح الدين في منطقة سوران.

١٦٠

الانقسام القبلي، الذي تجلى بقوة داخل المجتمع الكوردي في العراق، بدأ يفقد فعاليته بشكل كبير بعد عام ١٩٦٠. لكن في الحركة الكوردية التي انشقت نتيجة انفصال جلال طالباني عن الحزب الديمقراطي الكوردستاني عام ١٩٦٤، عندما بدأت الأحزاب في طلب الدعم لهم بغض النظر عن هويتهم وشخصيتهم، ازداد نفوذهم في القبائل مرة أخرى. الآن أصبح زعماء القبائل قادرين على تسويق سلطتهم مقابل المال والنفوذ من كلا الجانبين.

حقيقة أن المناطق التي يعيش فيها الكورد في الشرق الأوسط هي مناطق بها احتياطات نفطية مهمة تضيف حتماً البعد النفطي لهذه القضية...وعاش البارزاني في المنفى لمدة ١١ عاماً... وكان البارزاني رجلاً ذكياً بما يكفي ليرى أن مستقبل الشعب الكوردي يقوم على استخدام القوى العظمى بما يتماشى مع مصالحهم. لم يكن أحد يحاول إيجاد حل واقعي للمشكلة الكوردية على أي حال، مستقبل ليس في واشنطن ولا في لندن ولا في الكرملين.

ويذكر أن نوري سعيد، الذي زُعم أنه رئيس الوزراء بمساعدة البريطانيين، تم إسقاطه بدعم بريطاني بعد أن أبرم روكفلر اتفاقية بشأن النفط مع ستاندرد موبيل أويل. يتم أخذ السياسة بعين الاعتبار، وهي إجابة صحية، ويمكن العثور على الفترة من خلال البحث في العلاقات بين نوري سعيد وبريطانيا. وفي عام ١٩٥٢، تُرك نصف الدخل الناتج عن إنتاج النفط للحكومة. وفي كانون الأول ١٩٦١، تم الإعلان عن تأمين ٩٩,٦٪ من حقول النفط ذات الامتيازات الأجنبية، ولم يأخذ البعثيون الذين أسقطوا تشرين الثاني أطروحة تأمين منشآت النفط على محمل الجد. وفي مقال نُشر في الصحافة البريطانية في ذلك الوقت، ورد أن مقترحات الحكومة الجديدة تتماشى مع المصالح البترولية البريطانية وأنه يمكن عقد اتفاقيات جديدة حول هذا الموضوع. وكما يمكن أن نرى، العامل الحاسم في السياسة العراقية الخارجية والداخلية خلال هذه الفترة أثرت أيضاً على الصراع في شمال العراق، حيث تقع مناطق النفط، وكان لا مفر منه. وقد وردت التصريحات التالية في النشيد الوطني الكوردي، الذي صدر بعد أن أدرك الكورد أهمية النفط في الشرق الأوسط. يعرف بابا كركوك أن نفطنا من سيرت إلى كرمينشاه (جنوب إيران) هو ماء الحياة. لدينا في الموصل. بينما أرسل البارزاني رسالة إلى البريطانيين مفادها أنه إذا تمت مساعدتهم، فسيتم تأمين النفط العراقي، كان البارزاني يتصل على أمل الحصول على حصة في ستاندرد موبيل أويل، التي قطعت حصة في يد شل من النفط الإيراني ٢٧. ١٩٦٧ في العراق، وهو رابع أكبر دولة منتجة للنفط في الشرق الأوسط بإنتاج ٦٠ مليون طن من النفط سنوياً، منح عبدالرحمن عارف الإذن لشركات أجنبية للتنقيب عن النفط في مناطق الامتياز المؤممة. تسبب في مظاهرات في بغداد ولم يستطع حل المشكلة مع الكورد.

ومن الجوانب المثيرة للاهتمام في الحرب التي بدأت أن الملا مصطفى البارزاني، الذي تلقى تعليمه في الاتحاد السوفيتي، "كان ثورياً"، وكان لديه علاقات وثيقة مع السوفيت...وبعد التأثير الحاسم للبارزاني داخل الحزب الديمقراطي الكوردستاني، ستلعب مشكلة النفط دوراً أساسياً في العلاقات مع الحكومة. مع تضاعف أسعار النفط أربع مرات في خريف عام ١٩٧٣، سيكون من المفهوم بشكل أفضل لماذا يريد العراق منطقة كركوك (٥٧ مليون

طن من إجمالي الإنتاج السنوي)، والتي تنتج ٦٥٪ من إجمالي إنتاج النفط في عام ١٩٧٢. وفي ٨ شباط ١٩٧٤، كركوك سنجار و خانقين سيتم الإعلان عن مشروع قانون للحكم الذاتي في كردستان، باستثناء أيضاً. وبحسب هذه المسودة، ستكون الإدارة العراقية قادرة على السيطرة على تشغيل حقول النفط في المناطق التي يتركز فيها الكورد، بصلاحيات واسعة.

١٦٦

كانت سياسة سوريا تجاه الكورد قريبة من سياسة العراق. كان (٤٠٠) ألف كوردي يعيشون في سوريا يحاولون القتال ضد الحكومة منذ عام ١٩٥٨، وإن كان ذلك على أساس محدود. نفس المشاكل جعلت سياسات هذا البلد أقرب إلى بعضها بعضاً. كانوا يساعدون بعضهم بعضاً في كلا البلدين في حالة حدوث انتفاضة. وأعلنت الحكومة السورية عن تقديم كل المساعدة لعمل الحكومة العراقية في الشمال في ١٠ حزيران ١٩٦٣، وقد عبر لواء عسكري الحدود من غرب العراق للمشاركة في العملية. كما أن التعاون بين الحكومتين السورية والعراقية سيؤدي أيضاً إلى تعاون بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني والحزب الديمقراطي الكوردستاني. نتيجة لذلك، لم تكن سياسة سوريا تجاه الكورد بطريقة تؤثر سلباً على العلاقات بين البلدين حتى صراع صدام - الأسد، ومن وقت لآخر كان يتم إظهار ذلك بالتعاون.

١٨٣

بصرف النظر عن الغرض من الحزب الديمقراطي الكوردستاني الوارد هنا، قدم البارزاني وأصدقاؤه أيضاً تعريفات مختلفة للأغراض. بعض هذه كانت على النحو التالي...نحن أمة مضطهدة وفقيرة تنكر حقوقها الوطنية. نحن نكافح لإثبات وجودنا القومي وامتلاك أرضنا، أي أننا نحمي أرضنا...ومع ذلك، فإن تعريف مسعود البارزاني للنضال والهدف أوسع. يذكر مسعود البارزاني أنهم قاتلوا في كردستان العراق في أحد هذه الأجزاء من كردستان، والتي انفصلت ضد إرادتهم بعد الحرب العالمية الأولى. وأوضح أن أهدافهم يمكن تفسيرها على أنها "استقلال حقيقي لكوردستان، وديمقراطية للعراق" وأن تحركاتهم كانت جزءاً من حركة كوردية عامة وأن الكورد يجب أن يحصلوا على حقوقهم المشروعة مثل الشعوب الأخرى. ليسوا مهتمين بأجزائها.

١٨٤

الخلاصة

أخذت حركة البارزاني قوتها من البنية القبلية كقاعدة اجتماعية وتطورت مع هذا الإطار. وتأسست كحركة فكرية، وفكر الحزب الديمقراطي الكوردستاني في استخدام حركة البارزاني كقوة دافعة من أجل إيجاد قاعدة في شمال العراق الذي تهيمن عليه التركيبة العشائرية، ونتيجة لذلك، سيطر البارزاني على الحزب

وأعطى الحرك هوية حركة منظمة سياسياً. ومع ذلك، تسببت علاقة البارزاني بالحزب الديمقراطي الكوردستاني في فقدان الحزب الديمقراطي الكوردستاني لاستقلاليتته ولم يعمل الحزب بخلاف كونه اسماً للحركة القائمة على القبيلة. وبما أن المناطق التي تسكنها المجموعة الكوردية هي مناطق غنية بحقول النفط في الشرق الأوسط، فقد حاولت حركة البارزاني والحزب الديمقراطي الكوردستاني استخدام النفط كأداة مساومة للحصول على الدعم من خارج المنطقة، واعتبرت استخدام المشاكل بين هذه الدول من أجل الحصول على دعم من دول المنطقة. والنضال ضد الإدارة العراقية، الذي بدأ مع استقلال العراق، وتمكن البارزاني أيضاً، ثم الحزب الديمقراطي الكوردستاني، من الحصول على حكم ذاتي بحكم الأمر الواقع في شمال العراق، بسبب ضعف هيكل الدولة، وغياب النظام السياسي وعدم الاستقرار الداخلي: استمراره لا يمكن تفسيره فقط بعدم الاستقرار الداخلي وضعف هيكل الدولة. نتيجة لذلك، كان لعلاقات إيران والقوى العظمى مع العراق نصيب كبير. على الرغم من النجاح الكبير الذي حققه الحزب الديمقراطي الكوردستاني ضد الإدارة العراقية بين ١٩٧٠-١٩٧٥، إلا أن انهيار المقاومة وحل الحزب فور معاهدة الجزائر عام ١٩٧٥ جعل هذا النجاح محل نقاش. وبالمثل، من الصعب إصدار حكم بأنه اليوم، على الرغم من المكاسب القانونية لكورد العراق، يمكن أن تستمر هذه المكاسب دون الضمان الفعلي من الولايات المتحدة.

١٩٨

عن طلاب الحرية والاستقلال وتهمة اللصوصية " وقفة تنويرية مع هوبزباوم "

Hobsbawm, E. J: **Les Bandits**, www.editions-zones.fr

المفكر، الباحث، والمؤرخ الماركسي الانكليزي إريك هوبزباوم (١٩١٧-٢٠١٢) والذي يعتبر من كبار الكتاب في القرن العشرين في حقله التاريخي والميداني، وهو يسبر حقائق اجتماعية وعالمية، خاصة في رباعيته الفكرية، التاريخية، الاجتماعية والسياسية عن العصر: عصر الثورة، عصر رأس المال، عصر الإمبريالية، وعصر التطرف، ومجموعة المؤلفات الأخرى ذات الصلة بالإرهاب والتقاليد.

في كتابه "اللصوصية" وهو مميز، تقصّ لتاريخ اللصوصية، وكيف صيرت مطرقة، ينهال بها ساسة الطغيان، وسدنة الأفكار المعلبة، ومن ثم مستبدو الشعوب على رؤوس مناوئتهم ومحاربيهم. ولأن الموضوع على تماس مباشر بما يشغلنا تاريخياً، كان إيراد فقرات منقولة عن الكتاب في نصه الفرنسي، والذي سيكون، كما هو تقديري، دور الكشف عما هو مستور، إبراز للحقيقة المهدورة.

إنها مقارنة الذهنية السلطوية، وهي في طابعها القمعي والتشهيبي والاستعمائي جهة التعامل مع الواقع، إن ما اخترته، رغم أنه محدود، مقارنة بالنماذج الأخرى، سوى أنه في المختار، يعزّز حكمة المخبأ تاريخياً:

مقدمة

في بداية الخمسينيات، صُدم مؤلف هذا الكتاب بالحقيقة الغربية نوعًا ما بأن بعض قطاع الطرق الذين يديرون العدالة ويعيدون توزيع الثروة الاجتماعية هم موضوع القصص نفسها وهم في أصل الأساطير نفسها في جميع أنحاء أوروبا. أو، كما تم تأكيده لاحقًا، في جميع أنحاء العالم.

بصرف النظر عن حقيقة أن العديد من الناشرين لا يزالون يجدون بعض الاهتمام بالكتاب، هناك ثلاثة أسباب لموافقي على تقديم هذه الطبعة. أولاً، من الواضح أنه تم نشر عدد من الأعمال الهامة حول تاريخ اللصوصية منذ عام ١٩٨١، ولا سيما على قطاع الطرق الصينيين والعثمانيين (الأترك أو البلقان)، في أمريكا اللاتينية وحوض البحر الأبيض المتوسط ومناطق بعيدة أكثر بكثير، دون نسيان السيرة الذاتية التي طال انتظارها لبانشو فيلا بواسطة فريدريش كاتزنوت. لم يسلط هذا العمل الضوء على البيانات الجديدة فحسب: بل وسع أيضًا طريقة تفكيرنا حول مكان قطاع الطرق في المجتمع. لقد حاولت قدر الإمكان أخذ هذه الاكتشافات الجديدة بعين الاعتبار في هذه الطبعة. (من ناحية أخرى، لم يحرز انتقاد الحجة المقدمة في قطاع الطرق تقدماً ملحوظاً).

ثانياً، التفكك السريع لسلطة الدولة وإدارتها في أجزاء كثيرة من العالم، فضلاً عن التراجع الملحوظ في قدرة القانون والنظام التي أثرت حتى على الدول المتقدمة جداً في القرن التاسع عشر. ومن القرن العشرين يطلع القارئ مرة أخرى على الظروف التاريخية التي تجعل اللصوصية متوطناً، إن لم يكن وباء. في ضوء الأحداث التي تهز الشيشان اليوم، قرأنا انفجار اللصوصية في منطقة البحر الأبيض المتوسط في القرن السابع عشر بخلاف ما فعلناه في الستينيات.

إن مهنة اللصوص الاجتماعية هي أفضل طريقة للدخول في موضوع معقد "اللصوصية الاجتماعية"، والذي يشكل موضوع هذا الكتاب.

إنها ظاهرة في حد ذاتها، لا يمكن أن توجد إلا من خلال كونها جزءاً من نظام اجتماعي اقتصادي وسياسي قادر على تحديثها.

لفهم اللصوصية ومكانها في التاريخ، يجب علينا بالتالي النظر إليها في سياق تاريخ السلطة، أي السيطرة التي تمارسها الحكومات أو الهيئات الأخرى (في الريف، وخاصة اللوردات الذين يمتلكون الأراضي والماشية) في الأراضي التي يطالبون بالسيطرة عليها وعلى السكان الذين يقيمون هناك. تقتصر هذه السيطرة دائماً على مناطق وشعوب محددة، طالما أنها ليست دولة أو صاحب سلطة، وهذا يعود إلى أقوى الإمبراطوريات، والتي لم تكن بسبب ذلك التعايش مع كيانات تقع خارج محيطها.

ما هو المكان الذي يحتله العنصر الاجتماعي لقطاع الطرق، الذي يأخذ القضية لصالح الضعيف ضد القوي، والفقير ضد الأغنياء، والتعطش الفردي للعدالة ضد الهيمنة الظالمة، في تاريخه سياسية، قصة يظهر فيها قطاع الطرق كرجال قوة، ينجذبون منطقياً إلى عالم القوة؟

ما يجب أن تراه حول قطاع الطرق الاجتماعي هو أنه فلاح محظور يعتبره الرب والدولة مجرمًا، لكنه يبقى داخل مجتمع الفلاحين، الذي يرى فيه بطلاً، بطلاً، منتقماً، يقظاً، وربما حتى محرراً، وعلى أي حال، رجل يجب أن يحظى بالإعجاب والمساعدة والدعم.

هذا النوع من اللصوصية الاجتماعية هو واحد من أكثر الظواهر الاجتماعية انتشاراً على مستوى العالم، وواحدًا من أكثر الظواهر المدهشة في تجانسها. تنتمي جميع الحالات تقريباً إلى نوعين أو ثلاثة ترتبط بشكل واضح ببعضها بعضاً، والتي تكون فيها الاختلافات سطحية نسبياً. والأكثر من ذلك، أن هذا التوحيد ليس نتيجة للانتشار الثقافي، بل هو انعكاس لحالات مماثلة داخل مجتمعات الفلاحين، سواء في الصين أو بيرو أو صقلية أو أوكرانيا أو إندونيسيا. جغرافياً، توجد هذه اللصوصية في جميع أنحاء أمريكا وأوروبا والعالم الإسلامي وجنوب وشرق آسيا، وحتى أستراليا. من الناحية الاجتماعية، يبدو أنه في جميع أنواع المجتمعات الواقعة في منتصف الطريق بين المرحلة التطورية للتنظيم القبلي العائلي والمجتمع الرأسمالي والصناعي الحديث، دون نسيان مراحل تفكك المجتمع الأسرة والانتقال إلى الرأسمالية الزراعية.

وبالتالي فإن اللصوصية نفسها ليست برنامجاً لمجتمع الفلاحين، ولكنها وسيلة فردية للهروب منه في ظروف خاصة. يتم تمييز قطاع الطرق في أنهم يرفضون الخضوع كأفراد، ولكن، بصرف النظر، ليس لديهم أفكار أخرى غير أفكار الفلاحين (أو جزء الفلاحين) التي هم جزء منها. إنهم ناشطون وليسوا أيديولوجيين أو أنبياء نتوقع منهم رؤى أو خطاً جديدة للتنظيم الاجتماعي والسياسي. إنهم قادة، إلى حد أن شجاعتهم وثقتهم بأنفسهم، والتي يضاف إليها في كثير من الأحيان شخصية قوية وموهاب عسكرية، يمكن أن تعدهم للعب هذا الدور. ولكن، حتى عندما يمسون بها، فإن وظيفتهم هي فتح الطريق وليس اكتشافه.

على الرغم من العنف الذي يفترضونه، فإن الأهداف الاجتماعية للعصابات - والفلاحين الذين ينتمون إليها - محدودة بالتالي. في حالتين، ومع ذلك، يمكن أن تصبح جزءاً من الحركات الثورية الحقيقية. الأول هو عندما يصبحون رمزاً أو حتى رأس حربة المقاومة التي يعارضها النظام التقليدي بأكمله للقوى التي تهزها وتدمرها. إن الثورة الاجتماعية ليست أقل ثورية لأنها تتم باسم ما يراه العالم الخارجي "رد فعل" وضد ما يسميه "التقدم". كان قطاع الطرق والفلاحون في مملكة نابولي، الذين انتفضوا ضد اليعاقبة والأجانب باسم البابا والملك والإيمان المقدس، ثوريين، ولم يكونوا البابا والملك.

حتى أولئك الذين يقبلون الاستغلال والاضطهاد والقهر كقاعدة للحياة البشرية يحلمون بعالم لم يعد لهم وجود فيه: عالم من المساواة والأخوة والحرية، وعالم جديد تماماً لن يعرف الشر.

اللصوصية هي الحرية، ولكن في مجتمع الفلاحين، الحرية هي الحفاظ على عدد صغير جداً. معظم الناس هم أسرى الرب والعمل، ويعزز الاثنان بعضهما بعضاً. لأنه إذا كان الفلاحون ضحايا

للسلطة والإكراه، فهذا أقل بسبب ضعفهم الاقتصادي - بشكل عام، يكاد يكونون قادرين على تلبية احتياجاتهم - أكثر من افتقارهم إلى الحركة.

محمود درويش وظلال قصيدته "كوردستان" في واجهة الحدث الأيلولي الكوردي

كانت كوردستان التي حلت في قصيدة لمحمود (١٩٤١-٢٠٠٨) درويش ذات يوم، بمثابة الصاعق، والذي سمع صوته من مسافة قصية نسبياً؛ من داخل فلسطين، حيث كان يقيم الشاعر العربي الفلسطيني، وتحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي.

كانت قصيدته هذه تتجاوب مع النظير الفلسطيني في مواجهة الاحتلال، أو اغتصاب الأرض، وكذلك اضطراد شعب كامل، كما لو أنها شهادة حية ناطقة بالعربية، على أن الظلم واحد، والعدوان واحد، والتشهير واحد، والتزييف واحد في الأساس.

قصيدة درويش، واضحة بعمق، صارخة بقوة الحقيقة الملوّح بها، شاهدة على شعور وجداني وتفاعل مع الكورد في ثورتهم آنذاك، وتقريع للمستبدين، وذلك في مطلع ١٩٦٣، وفي هذه السنة كان الكورد في العراق في المواجهة.

قصيدة كوردستان المحذوفة من دواوين محمود درويش "١٩٤١-٢٠٠٨" سنة ١٩٦٣، وكان عمره حينها ٢٢ عاماً، وقد غنتها الفنانة الكوردية نسرین حميدان، وصورتها بطريقة "الفيديو كليب" في العام ٢٠١٣، من ألحان هلكوت زاهر.

كتب الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش هذه القصيدة، كما عرف بها، في مواقع الكترونية كثيرة، بعد الانتهاكات التي حدثت بحق الشعب الكوردي في كوردستان العراق على يد نظام البعث القاتل، وقد حذفت هذه القصيدة من دواوينه، إلا أنها بقيت حية في ضمائر كل إنسان يكافح في وجه الظلم ومقارنته.

طبعاً، من حق السؤال التاريخي أن يطرح نفسه، وهو سبب الحذف، أو عدم وجودها ضمن أعماله الشعرية المطبوعة، في طبعات مختلفة، والتعظيم عليها كذلك. ذلك يرجع إلى طبيعة العلاقة بين الاسم والمكان، وحتى بالنسبة إلى الشاعر، فهو نفسه في محل المساءلة. وقد خرج إلى العالم العربي، وتشعبت قضيته الفلسطينية، وكان تحركه هنا وهناك، يتداخل، من حيث العلاقة مع ما هو رسمي عربي، وأبعد، بالنسبة إلى دول الجوار. فتكون القصيدة ذات طابع، تاريخي معلوم.

لكن ذلك لا يلغي استثنائيتها، ومن ثم قيمتها عند الوقوف عليها، والتساؤل عن كونها مطروحة بالطريقة هذه.

طبعاً، يشار إلى الشاعر الكبير، وكيف أنه أبدع تالياً، وبعد عقود من العمر، في قصيدة " ليس للكوردي إلا الريح"، سوى أن هذه القصيدة، وهي تخص الكوردي على وجه العموم، لها محل تصريف جمالي واعتباري آخر تماماً.

إن "الدرّة" الدرويشية اليتيمة، مقدّمة للذين يتلمسون فيها عزاء، ويدركون مرارة واقعهم، إنّما أيضاً حضوراً في الحياة.

قراءة "كوردستان" هي معايشة جغرافية في العمق، وفي ذلك ما يحرر القصيدة من إطارها النصي، ويصعد بها عالياً!

كوردستان

(١)

معكم

معكم قلوب الناس

لو طارت قذائف في الجبال

معكم عيون الناس

فوق الشوك تمشي .. لا تبال

معكم عبيد الأرض

من خصر المحيط إلى (الشمال)

معكم أنا .. معكم أبي .. أمي

وزيتوني وعطر البرتقال

معكم عواطفنا .. قصائدنا

جنوداً في القتال

يا حارسين الشمس .. من أصفاد أشباه الرجال

ما مزقتنا الريح .. إن نضال أمتكم نضالي

إن خر منكم فارس .. شدت على عنقي حبال

(٢)

تحيا العروبة..

هل خرّ مهرك يا صلاح الدين ؟

هل هوت البيارق ؟

هل صار سيفك .. صار مارق ؟

من أرض كوردستان
حيث الرعب يسهر والحرائق
(الموت للعمال إن قالوا
لنا ثمن العذاب
الموت للزرّاع إن قالوا
لنا ثمر التراب
الموت للأطفال إن قالوا
لنا نور الكتاب
الموت للكورد إن قالوا
لنا حق التنفس والحياة)
ونقول بعد الآن .. فلتحيا العروبة!!
مريّ إذاً في أرض كوردستان
مريّ يا عروبة!
هذا حصاد الصيف
هل تبصرين ؟
لن تبصري
إن كنت من ثقب المدافع تنظرين
يا أمّتي..
هجمت على تأريخك الإنسان
أشبه الرجال
باسم العروبة
يستباح الدم
تحكمك النصال
بعثت لمزبلة الزمان
أخسّ ما عرف الزمان من الزمان
باسم العروبة
يطعن التأريخ من شطآن دجلة والفرات
يا أمّتي..
لم يكفنا أنا براء

منهم وطابورهم
لم يكفنا أنا براء
ألقى لمزبلة الزمان
أخس ما عرف الزمان
القي عدوك يا عروبة
نقول بعد الآن : فلتحيا العروبة
لا على الأموات
فلتحيا العروبة

(٣)

يا شهرزاد
الليل يفتس الصباح
وحقول كوردستان .. موسمها جراح
الحب ممنوع .. وهمس الجار
لا شيء مباح
إلا دم الكورد .. نفض الموقدين
مصباح عارهم .. يموت الآخريين
يا شهرزاد..
صدأت أساطير البطولة في لياليك الملاح
والذكريات البيض والمهر الذي ركب الرماح
والحب والأمجاد والسيف الذي ملّ الكفاح
عار على بغداد
ما فيها مباح!
إلا دم الكورد
في المذيع .. في صحف الصباح
حبر الجرائد في مدينتنا دم
(أنا أبدناهم !) وتعتز الذئاب .. وتبسم
(أنا زرعنا أرض كوردستان..
لحداً عارياً من فوق لحد

أنا زرعناهم جماجم لا تعدّ ..
يا شهرزاد..
الليل يفتس الصباح
والحبّ ممنوع..
ومخدعك الوثير
ملقى على أقدام سيدك الحقير
ودماء كوردستان تغرق سافيحها
واللاعب المأفون بالنيران
سوف يموت فيها
يا شهرزاد!
ما مات إلا الموقدون
مصباح ليلهم .. بزيت الآخرين
فإلى اللقاء مع العصور القادمة
في قصة العصر الذي
صنعته كف الثائرين.

إريك رولو: المشكلة الكوردية مصدر صراع:

الدبلوماسي، والصحافي والكاتب الفرنسي الكبير إريك رولو "١٩٢٦-٢٠١٥" كبير بمقامه، ونفاذ أثر كتاباته جراً بحثه المختلف في مفاصل المشكلة المعروضة أمامه في الشرق الأوسط خصوصاً. إن كتاباته التي أصبحت كلاسيكية، حيث تردد إلى الخمسينيات، تحتفظ بعراقتها، وفي ذلك الوقت، وأن ينشغل بما هو كوردي، ويصل صوته إلى متابعيه، ومن خلال مهامه وموقعه، ففي ذلك ما يستحق التقدير عليه. في مقاله "تطور الصراع الكوردي" والذي يرتد إلى تلك الفترة، ما هو تعريفي بأسلوب الكاتب، ونظرتة.

كان ذلك مدار نقاش بالتأكيد، وفي مرحلة حاسمة وساخنة طبعاً، ولحظة النظر في الكتابة هذه، يتلمس القارئ المسكون بهاجس الحقيقة، ما لكتابة كهذه من دور إعلامي وأبعد طبعاً. فثمة تغطية لافتة، على مستوى الكشف عن الجاري، وفي مناخ من التعتيم، وصعوبة التحري آنذاك، عما يجري على الأرض، ونقل المعلومة عن المنبع "الجغرافي" تأكيد على أن هناك ما يخرج القضية عن الصمت المضروب

عليها، وأنها ليست من النوع الممكن وضعها في نطاق الوجود، ولا بد أن رولو راعى ذلك، فكان الذي كان.

نقرأ تحت عنوان "تطور الصراع الكوردي" ما يعزز هذه اللحظة الملتقطة: بالإعلان في ١٠ حزيران عن استئناف الأعمال العدائية ضد الكورد، كانت الحكومة العراقية قد شنت بالفعل، قبل ثلاثة أيام، هجوماً عاماً ضد مقاتلي الجنرال البارزاني. وأُعتدَّت الهدنة التي دامت أربعة أشهر لوضع خطة لإعادة احتلال كوردستان، وكان من المفترض أن تستمر الحملة، في أذهان القادة في بغداد، بضعة أيام فقط. وفي أعقاب الانقلاب البعثي في ٨ شباط، كان من الواضح بالفعل أن بغداد، على الرغم من الاتفاق السري الذي تم التوصل إليه مع المتمردين، لم يكن لديها نية لمنح مليوني كوردي الحكم الذاتي حيث ادعى قادتهم. وفي السر، ادعى حكام العراق الجدد أن حكومة الجنرال قاسم تواطأت في الواقع مع الجنرال البارزاني. ومن جانبهم، اعتقد الضباط أنهم تعرضوا "للخيانة trahis" من قبل المدنيين الذين فشلوا في تزويدهم بالوسائل الكافية لقمع التمرد. لذلك طالبوا بـ "الانتقام revanche" الذي "يزيل شرف الجيش العراقي".

ومع ذلك، فقد استمر القتال، وهو عنف لا مثيل له، لمدة شهرين ولا يبدو أن "تحرير شمال العراق من قطاع الطرق البارزانيين libération du nord de l'Irak des bandits barzanistes" يسير على الطريق الصحيح. ويشارك أكثر من نصف الجيش العراقي في العمليات. القاذفات والمقاتلات النفاثة والدبابات والمدفعية الثقيلة تفشل في تدمير جيش الجنرال البارزاني الذي لا يقهر. ويقوم رجال حرب العصابات، المنتشرين في الجبال التي يصعب الوصول إليها، بضرب العدو، وإلحاق خسائر فادحة به، وعلى الفور تم اندماجهم مع الطبيعة. وعندئذ يصبح القمع أعمى بالضرورة، حيث يتم القبض على آلاف "المشتبه بهم" واستجوابهم بوحشية للحصول على معلومات قيمة. ويدفع بعض الناس حياتهم ثمناً لرفضهم التعاون. ويتم "تربيع" مناطق الثوار بشكل منهجي، ويتم إخلاء القرى التي من المحتمل أن تكون بمثابة قواعد عملياتية للثوار، وإشعال النيران في البلدات التي تقاوم^(*).

حيث أشرت إلى مصدره وبعنوانه الأصلي، يتشكل يقين تاريخي لدى قارئه بأن ليس هناك ما يمكن إخفاؤه، في أي مكان من الأرض، لأن هناك من يشد الرحال إليه، وتسليط الضوء عليه، حال رولو مع ما هو كوردي !

إن توصيف رولو لما جرى من قبل النظام العراقي آنذاك، ومن كانوا رموزه في الظلم والعنف، دقيق، وهو في تشريح الذهنية القمعية، بتاريخها ومواقعها، وما يترتب على كل ذلك من فواجع وتصدمات فالواقع.

(*) Eric Rouleau : L'évolution du conflit kurde, Août 1963, www.monde-diplomatique.fr

ذلك ما يتعزز من خلال ما يقرأ لدى آخرين، وما في ذلك من إضاءة الساحة التاريخية للحدث
المعلوم.

طبعاً بالنسبة إلى كلام الدبلوماسي، وهو صحافي، يكون إيصال المعلوم، وخطاب المعلوم السياسي،
غير الكلام الآخر الذي يتفوه به أو يسطره صحافي آخر، وهو يمارس مهنة الصحافة، وهذا يكسب
الموضوع الذي يعاين، أو يجري تسطيره ونشره، قيمة اعتبارية، ورمزية تاريخية مضافة ومعتبرة
بالتأكيد.

النص

تشغل المشكلة الكوردية بال بعض المستشارين الغربيين حالياً. وهم يتساءلون ما إذا كان الشرق
الأوسط ليس في طريقه للعودة مرة أخرى إلى مسرح اضطرابات خطيرة، أثارها العداء المزمع بين
القوميين الكورد ومختلف الدول التي تؤويهم.

إن الاهتمام المتجدد الذي أبداه المراقبون بهذه المشكلة ليس من قبيل المصادفة، فكوردستان، المقسمة
منذ نهاية الحرب العالمية الأولى بين أربع دول، تركيا وسوريا والعراق وإيران، تقع بالفعل في منطقة رئيسة
بالنسبة للغرب. والاضطرابات في تركيا أو إيران من شأنها أن تهدد الحلف الأطلسي، حلف بغداد، وعموماً ما
تبقي من الأجهزة العسكرية التي أقيمت على الحدود الجنوبية للاتحاد السوفياتي. إن انتفاضة كوردية غير
مستبعدة في سوريا، نظراً لعدائها للناصرية، وسيكون لها أيضاً عواقب حاسمة على ميزان القوى في العالم
العربي. والكورد، أخيراً، متمركزون في منطقة غنية بالنفط، وكذلك في تركيا وإيران والعراق. ويمكن أن ينضم
التحريض القومي إلى التحريض على الشيوعيين في المناطق العمالية، وعندها سيتعرض إمداد الغرب بالنفط
للخطر الشديد.

وهذا بلا شك هو سبب استغلال زعيم قومي كوردي مقيم في الغرب، الأمير كاميران علي بدرخان،
حضور السيد فوستر دالاس في باريس في كانون الأول الماضي ليطلب منه ممارسة مساعيه الحميدة في
ضوء "حل سياسي" لمشكلة قومه. وينتمي الأمير خان إلى سلالة أميرية حكمت جزءاً من كوردستان
لعدة قرون. وفي رسالة إلى وزير خارجية الولايات المتحدة كتب، من بين أمور أخرى: في هذه الفترة من
التاريخ عندما نالت الشعوب غير المتمتعة بالحكم الذاتي استقلالها، لا يزال الكورد يتم رفض تسميتهم
كورداً. وهم محرومون من أي إمكانية للتقدم في المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية.
مثل هذا الموقف لا يمكن إلا أن يترك الباب مفتوحاً لجميع المغامرات. لذلك أطلب منكم، صاحب
السعادة، ممارسة نفوذكم ونفوذ حكومتكم حتى تنتهي هذه المظالم، وعلى الأقل تُمنح الحرية الثقافية
للشعب الكوردي.

وليست القومية الكوردية، التي يتحدث عنها الأمير بدرخان في الغرب، شيئاً جديداً. إنها لم تتوقف
عن التبلور منذ أن أدرك هذا الشعب الهندي الأوروبي وجودها. لقد نجا عبر العصور، وبعناد تقريباً،

من كل الغزوات وفترات طويلة من التبعية. فخورون بأسلافهم- حيث يعود تاريخ دولتهم المستقلة الأولى إلى خمسة وعشرين قرناً قبل الميلاد - تمكن الكورد بطريقة ما من الحفاظ على حكمهم الذاتي حتى منتصف القرن التاسع عشر. من الناحية النظرية، في ظل الحكم العثماني منذ بداية القرن السادس عشر، تمتعوا في الواقع باستقلال كامل. لقد منحهم الباب العالي العنان لتطوير ثقافتهم الوطنية، ولم يحرموا أنفسهم منها، بينما كانوا ينتظرون تشكيل أنفسهم كدولة مستقلة.

الانتفاضات Les soulèvements:

وبدا هذا الحلم الذي يبلغ من العمر ألف عام، وكأنه على وشك أن يتحقق في نهاية الحرب العالمية الأولى، بعد أن اعترفت معاهدة سيفر بحق الكورد في تشكيل أنفسهم كأمة مستقلة. ولكن الثورة الكمالية اندلعت ولم تطبق المعاهدة. ولم تعد فكرة لوزان تذكر إنشاء كوردستان. انهار الحلم واشتعلت الثورة في الوقت نفسه. واتسمت السنوات بين الحربين بإراقة الدماء.

ومستغلين الحرب العالمية الثانية، انتفض كورد العراق تحت قيادة الملا مصطفى البارزاني. وبعد هزيمتهم نتيجة التدخل البريطاني، سينضم قادة التمرد إلى إخوانهم من إيران، الذين نجحوا بحلول عام ١٩٤٥ في إقامة "جمهورية مهاباد" الشهيرة في شمال شرق بلاد فارس. إلا أن انهيار الدولة الجديدة دفع البارزاني وحوالي خمسمائة من أنصاره لطلب اللجوء في الاتحاد السوفيتي. وعادوا إلى العراق في تشرين الأول الماضي بعد الإطاحة بالنظام الملكي الذي حكم عليهم غيابياً بالإعدام.

ويجب القول إن الثورة العراقية فتحت آفاقاً غير متوقعة للقوميين الكورد. حيث إن الدستور الجديد يمنحهم حقوقاً وطنية داخل الكيان العراقي. ويواصل الحزب الديمقراطي الكوردستاني الموحد بقيادة مصطفى البارزاني أنشطته في وضح النهار. حيث شكلت السلطات لجنة من العلماء الكورد لكتابة تاريخ شعبهم، والتي سيتم تدريسها في جميع المدارس، بما في ذلك المدارس العربية البحتة. وهي فرصة فريدة من نوعها في تاريخ الدولة العراقية، سيتم قريباً إنشاء مدارس ثانوية كوردية وجامعة كوردية. أخيراً يتم إنشاء نظام الحكم الذاتي الإداري في كوردستان العراق.

ولا يعني هذا الوضع طمأنة تركيا وإيران اللتين تمارسان، بدرجات مختلفة، سياسة استيعابية تجاه أقليتهما.

وأرادت الجمهورية الكمالية الفتية أن تجعل الكورد "أتراكاً أصليين Turcs authentiques" من خلال منعهم من استخدام لغتهم ومن ارتداء زيهم الوطني. وبالنسبة لأنقرة، فإن سكان كوردستان القديمة هم "أتراك جيليون Turcs montagnards" لا علاقة لخصوصياتهم بأي مجموعة عرقية معينة. ومن خلال علمنة الدولة، أغلق أتاتورك أيضاً المدارس الكوردية التي تدعمها الجمعيات الدينية. وأثارت هذه السياسة العديد من الثورات، كان أعنفها بلا شك ثورة آذار ١٩٢٥. وقامت السلطات

التركية بقمع شديد. وتم تدمير عشرات القرى خلال الاشتباكات العنيفة، ووفقاً للأوساط القومية الكوردية، قُتل أو تم ترحيل حوالي (٥٠٠٠٠٠) شخص. وفي إيران، مع استثناءات قليلة، لا يختلف وضع الكورد كثيراً. فيعتبر هؤلاء الآخرون جزءاً من الأمة الفارسية، ويعاملون على هذا النحو. ولكن تجربة مهاباد لا تزال حية في ذاكرة القوميين الذين لا ييأسون من الحصول على تنازلات معينة من الحكومة.

حدود قابلة للاختراق:

وفي ظل هذه الظروف، يفهم المرء بسهولة مخاوف طهران وأنقرة من تطور المشكلة الكوردية والعراق. من المعروف أن الحدود التي تفصل بين أقسام كوردستان المختلفة قابلة للاختراق. وتنتشر الشعارات والمنشورات والأسلحة بحرية تقريباً.

وتوصلت إيران وتركيا إلى اتفاق في عام ١٩٣٤ لمكافحة التخريب بشكل مشترك. وفي عام ١٩٣٧، تحولت الاتفاقية إلى ميثاق، اتفاق سعد آباد، الذي التزم به العراق وأفغانستان. كما أن ميثاق بغداد يهدف إلى درء أي عدوان محتمل، سواء جاء من الخارج أو من الداخل. لكن الثورة العراقية قللت من فعالية التحالف في هذه المنطقة، مما جعل تركيا وإيران أكثر عرضة للخطر.

لقد ضاعفت هاتان الدولتان بالتأكيد يقظتهما. وعززت طهران، على وجه الخصوص، حرس الحدود مع اتخاذ بعض الإجراءات الليبرالية. أطلقت الإذاعة الإيرانية مؤخراً برامج جديدة باللغة الكوردية؛ من المرجح أن يسافر الوزراء إلى الدول الكوردية من أجل فحص إمكانيات إدخال إصلاحات اجتماعية وثقافية معينة على الفور.

لكن الوقت ينفد، والسباق مع الزمن جارٍ. لأن، في نهاية المطاف، كل شيء يعتمد على ما يجب القيام به في الأشهر المقبلة، املا مصطفى البارزاني والقوميين الكورد، المدعومين بقوة من حكومة الجنرال عبدالكريم قاسم.

إريك رولو: صحفي، سفير فرنسي سابق. هذه المقالة هي نسخة مختصرة ومحدثة من دراسة نشرت في أيلول ١٩٨٠ في مجلة الشؤون الخارجية^(*).

جمهورية الجنرال قاسم (١٩٥٨-١٩٦٣):

هذا ما تمكنت من نقله، حيث العنوان ورد هكذا، ويفصح عن مدى تاريخي ملتهب في زمانه، على صعيد السلطة القائمة، وما في فيها من شقاوية، موجودة في الأساس، وتكشف عن وطأتها مع

(*) Eric Rouleau: Le problème kurde source de conflit, Février 1959, www.monde-diplomatique.fr

الزمن، ومن خلال تضارب الرؤى والرهانات السياسية التي تكون انقسامية، كما في وضع الذين يتعاملون مع سلطة تمتد حدودها في الجهات الأربع، ولا تستغرق الحدود الجغرافية وحدها أحياناً، إنما تتعداها تبعاً للقوة المتاحة.

إن إمعان النظر في السطور وكيفية اشتغالها بالأسماء والوقائع والأرقام وفعل الزمن، يقرب المشهد العراقي المعاش راهناً، وينبه كثيراً إلى وشائج القربى التاريخية الموجودة، وما يكونه من حضور بالنسبة إلى الكورد على صعيد تلقي الأثر الجانبي، أو سلوكيات السلطة وشركاؤها، ومن يرسمون خططها داخلياً وخارجاً؛ يشترك قاسم وعارف في صلاحيات السلطة، وقاسم هو رئيس الوزراء ووزير الدفاع والقائد العام للجيش وعارف نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ونائب القائد العام. وتتكون الحكومة في الغالب من جنود ويتم وضع دستور جديد.

لكن الخلافين يتعارضان حول الموقف السياسي للعراق. قاسم وهو يعلن تأييده للقومية العربية هو المدافع عن استقلال العراق والمحافظة على سلامته، وأنصاره الحزب الشيوعي والشيعة والكورد. عارف مع إعادة توحيد العراق مع الجمهورية العربية المتحدة، وأنصاره يؤيدون ناصر، وكثير منهم من حزب البعث. كل شيء يعارض الرجلين، واعتقل الجنرال قاسم عارف في كانون الأول ١٩٥٨ وحكم عليه بالإعدام (في النهاية سيسجن مدى الحياة).

في هذا السياق السياسي غير المستقر، يتم تنظيم انقلاب في مدينة الموصل، مقر القيادة العسكرية لشمال العراق، حيث يتعاطف الضباط مع عبد الناصر ويعارضون الشيوعية. في ٨ آذار ١٩٥٩ عقد اجتماع شيوعي في الموصل. ليستخدم ذريعة للجيش لمهاجمة المدينة. ورداً على ذلك قصف قاسم الموصل وهاجمت جماعات مسلحة كوردية وشيوعية القوميين. بناء على هذا النجاح، طلب الشيوعيون المشاركة في الحكومة. استمرت معارضة النظام، وفي ٧ تشرين الأول ١٩٥٩ نجا الجنرال قاسم من عملية اغتيال نظمها حزب البعث شارك فيها من يسمى بصدام حسين.

وأجبر عدم الاستقرار السياسي قاسم على تفويض الأحزاب السياسية في ١ كانون الثاني ١٩٦٠، مما سمح له في الوقت نفسه بوضع حد للحزب الشيوعي، الذي أصبح مهيمناً في الحياة السياسية العراقية. وإلى جانب التوترات في الحياة السياسية، يواجه قاسم المسألة الكوردية. وفي حين أن العلاقات ودية مع السلطات في أعقاب انقلاب عام ١٩٥٨، وانتهز الزعيم الكوردي، مصطفى البارزاني، الفرصة للعودة من الاتحاد السوفيتي حيث لجأ خلال الحرب العالمية الثانية، فإن الوضع يتدهور تدريجياً. الكورد يريدون الاعتراف بحقوق معينة لا تُمنح لهم. تلا ذلك تمرد في خريف عام ١٩٦١، كان من الصعب قمعه من قبل الجيش العراقي، حيث وقف الضباط الكورد إلى جانب المتمردين.

خارجياً، ومستفيداً من الاستقلال الجديد للكويت، الدولة الغنية بالنفط والمحمية البريطانية من عام ١٨٩٩ إلى ١٩ حزيران ١٩٦١، ادعى قاسم هذه الدولة بحكم الروابط التي كانت قائمة بين

المنطقتين في العهد العثماني، والتي كانت الكويت فيها مرتبطة الى البصرة. وفي ٢٥ حزيران ١٩٦١، حشد قاسم قواته على الحدود العراقية من أجل ضم الكويت، مما أدى إلى اندلاع احتجاجات عربية (بما في ذلك احتجاجات عبدالناصر، الذي لم يرغب في ضم الكويت من قبل العراق لتعزيز قوتها على حساب مصر). وصول القوات البريطانية في الأول من تموز لمساعدة حمايتهم السابقة. في هذا السياق، قام حزب البعث، الذي استغل تهميشه لإعادة تنظيمه، بالتحريض على انقلاب في ٨ شباط ١٩٦٣. حيث تورطت منظمه اللواء أحمد حسن البكر، بالفعل في عام ١٩٥٨ في محاولات التآمر على قاسم. واعتقل قاسم وأعدم في ٩ شباط. وبالنسبة إلى عبدالسلام عارف (بطل ثورة ١٩٥٨ اعتقله الجنرال قاسم) ثم أصبح رئيساً للجمهورية واللواء بكر رئيساً للمجلس.

جمهورية الأخوين عارف (١٩٦٣-١٩٦٨):

تقوم الحكومة البعثية الجديدة بأعمال قمع ضد الشيوعيين انتقاماً لتدخلهم في الموصل في آذار ١٩٥٩. كما يتعرض أنصار الرئيس السابق قاسم للقمع. سوى أن البعث العراقي ليس موحداً والوضع يزداد تعقيداً بسبب الخلافات مع البعث السوري الذي استولى على السلطة في سوريا مع الناصريين خلال انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣. ومن هذه الخلافات لحظر حزب البعث في العراق في تشرين الثاني ١٩٦٣ ودعم سلطته على الناصريين والتقرب من مصر. وأما البكر البعثي فيفضل الاستقالة من مهامه الحكومية. ويتجسد التقارب مع مصر من خلال مواءمة العراق مع السياسة التي اتخذها عبدالناصر: وتنفيذ التدابير الاجتماعية (التأميم) وتطوير الاشتراكية. ولكن الوزراء العراقيين المواليين للناصرية، اعتقاداً منهم أن عبدالسلام عارف كان بطيئاً في تحقيق الوحدة مع مصر، استقالوا في ١٠ تموز ١٩٦٥. وتابعت عدة حكومات بعضها بعضاً، حتى وفاة عبدالسلام عارف عرضاً في ١٣ نيسان ١٩٦٦. ثم يتولى عبدالرحمن عارف شقيق عبدالسلام عارف الرئاسة. وأول إجراء لها هو إنهاء التمرد الكوردي الذي اندلع في شمال البلاد من خلال الموافقة على توقيع اتفاقية في ٢٩ حزيران ١٩٦٦ مع الزعيم الكوردي مصطفى البارزاني. ويعترف هذا الاتفاق بحقوق الكورد المنصوص عليها في الدستور. وتسمح هذه الاتفاقية بعودة الهدوء بشكل مؤقت. وكما يواجه عبدالرحمن عارف الناصريين الذين يستعدون لانقلاب. لكن الجيش أحبط هذا. سوى أن انقلاباً آخر على وشك الحدوث، إيداناً بعودة البعثيين إلى السلطة. في ١٧ تموز ١٩٦٨ وقد حاصر البعثيون ومنهم اللواء بكر القصر الجمهوري واستسلم عبدالرحمن عارف على الفور.

رئاسة اللواء بكر (١٩٦٨- تموز ١٩٧٩):

بعد لحظة من التردد، تُنسب السلطة بشكل قاطع إلى البعثيين. يصبح الجنرال بكر رئيساً

للجمهورية وصادم حسين الذي شارك في تحقيق الانقلاب يفرض نفسه تدريجياً. وكان على صعيد السياسة الداخلية، على الحكومة الجديدة أن تتعامل مع المسألة الكردية وتأكيد سلطة البعث. فيما يتعلق بالمسألة الكردية، اعترفت السلطات بالحكم الذاتي الكوردي في ١١ آذار ١٩٧٠ وفي ١١ آذار ١٩٧٤، تم إنشاء منطقة حكم ذاتي في كردستان، لكن لم يقبل البارزاني وأنصاره حدودها. وبدعم من إيران وإسرائيل والولايات المتحدة، استأنف الكورد القتال في نيسان ١٩٧٤. ومع ذلك، تمكنت الحكومة العراقية من السيطرة على الوضع، دبلوماسياً، من خلال التفاوض مع إيران على اتفاقية في الجزائر تم توقيعها في ٦ آذار ١٩٧٥، والتي بموجبها توقفت إيران عن تقديم مساعدات عسكرية للكورد مقابل اعتراف العراق بحدود شط العرب. ووافق الكورد، المحرومون من دعمهم الإيراني، على الحكم الذاتي المقترح عام ١٩٧٤.

على الصعيد السياسي، تم التوقيع على ميثاق وطني يجمع بين حزب البعث والحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي الكوردي في عام ١٩٧٣، ولكن على الرغم من هذا الاتفاق، الذي يسمح لوزراء شيوعيين بدخول الحكومة، فإن البعثيين فقط هم من يملكون السلطة داخل الحكومة. مجلس قيادة الثورة. الشيوعيون، الذين استنكروا هذا الوضع، تم استبعادهم من الحكومة في عام ١٩٧٧ وتعرض المسلحون للقمع في أيار وتموز ١٩٧٨.

وفيما يتعلق بالعلاقات الخارجية، تم الحفاظ على الروابط بين النظام البعثي والاتحاد السوفيتي وتم توقيع معاهدة في نيسان ١٩٧٢. على الرغم من التوجه الأولي لإيديولوجية البعث نحو الاشتراكية، فقد تم إنشاء روابط تجارية. كما تم إنشاء روابط تجارية مع الغرب (فرنسا، بريطانيا العظمى، الولايات المتحدة) في مجال التسلح والطاقة النووية^(*).

ظلال الثورة الكردية في مرآة ديفيد أدامسن:

ديفيد أدامسن: الحرب الكردية وانشقاق ١٩٦٤، ترجمة وتقديم: جرجيس فتح الله، دار آراس-أربيل، دار الجمل-بيروت-بغداد، ط ١، ٢٠١٢.

يقدم ديفيد أدامسن معلومات عن قرب، لمجريات وقائع تخص محتوى العنوان بالذات، إلى جانب المترجم الكبير جرجيس فتح الله، بما يضيء عالم المؤلف وكتابه.

ما هو مقروء في بنية كتابه، هو ألا يستمر الانشقاق، وألا يكون هناك انشقاق كوردي-كوردي، لأن ذلك ينعكس على الكورد عموماً، إلى جانب تأثيره السلبي في موقعهم، ووضعهم في الخريطة السياسية العراقية.

(*) La république du général Kassem (1958-1963) www.lesclesdumoyenorient.com

ذلك تقدير من نوع آخر، وما فيه من خوف، لأن هناك الأرضية التي تمتلك في باطنها الملامس لسطحها، ما ينمي أي بؤرة توتر حادثة، أو خلاف، أو مواجهة إلى الأكثر حساسية وخطورة من ذلك. أوردت فقران من مقدمة المترجم، نظراً لأهميتها، ومن ثم بعضاً من كتاب أدامسن، لتنوير المشاهد المأساوي الكوردي في الصميم، وما في ذلك من إقرار تاريخ، لا ينبغي تجاهله في حيثياته، بذاكرتها المنجرحة !

من المترجم: مر حوالي ستة وعشرون عاماً على رحلة مؤلفه إلى مواطن الحرب الكوردية التي كانت ناشبة بين القوميين الكورد في العراق وبين قوات دولته المسلحة. ص ٥.

الحصار الإعلامي: ظلت قضية حرية الشعب الكوردي تشكو الغموض الشديد في ضمير الرأي العام العالمي. ودونها ودون وسائل إعلامه حجب كثيفة وغيوم طخياء لم يفلح الزمن وتطور الفكر السياسي والانقلاب الهائل في وسائل الإعلام بعد الحرب العظمى الثانية في هتك هذه الحجب وتبديد تلك الغيوم. ص ٧.

وكان (ديفيد أدامس) ثالث من استهوته المغامرة. والسباق فيهم هو العقيد السابق في الجيش السويسري (ريشارد أندريك) أحد العاملين في الإذاعة السويسرية وشريكه المصور هانس فرا الموظف في مصلحة تلفزيون ألمانيا الغربية. نفذاً إلى أعماق كوردستان عن طريق لم يكشف سره في تقاريرهما المسهبة وصحبا فصائل البيشمركة في هجوم واحد على الأقل وكتبا تفاصيله وأقصد به الحصار الذي ضربه الثوار على مدينة (عماديه) وفي داخلها حاميتها من القوات المسلحة الحكومية. ص ١١.

عود إلى الحصار الإعلامي: وأول ما ينبغي التفكير فيه هو كسر الطوق الإعلامي المضروب على كوردستان.

تميزت ثورة كوردستان العراقية والحرب الدفاعية التي خاضتها ابتداءً من العام ١٩٦١ بصفة لم يتمتع بها ما سبقها من انتفاضات. فمن خلال المدة الطويلة التي عاشتها بدت هذه الحركة القومية قوية متشبثة بالديمومة بفترة امتدت أكثر من عشرين سنة لحكومات عراقية تتعاقب بانقلابات وشبه انقلابات متوالية مؤرجحة بين اليمين واليسار تارة تمدّ يدها للغرب وتارة للشرق، وتارة أخرى تمد اليدين معاً إلى الجهتين لتبدو الحرب الكوردية من خلال تلك المشاهد قوية صامدة بل لتعد عاملاً رئيساً في تلك الانقلابات، وفي بعض الأحيان شريكاً كريهاً فيها لا يجزل له عطاء ويحرم من أي مكسب عند النتيجة. ص ٢١.

خرق الحصار: قليل من أولئك الصحفيين والكتاب الذين نجحوا في خرق الحصار المضروب على النضال الكوردي- بلغ كوردستان وهو ملمّ إماماً كافياً بأحوال هذه الأمة. وجلهم إنما كان يسعى وراء السبق الصحفي وقت كساد عام للخبر المثير في العالم. إلا أن جمهرة كبيرة منهم عادت وهي تحمل شيئاً آخر من التقارير المثيرة والأنباء الطريفة. ص ٢٥.

و(أدامسن) كان واحداً من أولئك الكتاب والصحفيين الأجانب الذين رحلوا إلى ميادين قتال الكورد وهولا يعرف عن كوردستان أكثر مما قرأه في كتاب أو اثنين أو سمعه من شخصية كوردية أو شخصيتين. ص ٢٦.

حصار من نوع آخر: سبب آخر حملني على ترجمة الكتاب ودفعه للنشر رغم مرور السنين الطوال على تأليفه فميزته أن مؤلفه هو البريطاني الوحيد الذي دون رحلته إلى موطن الحرب الكوردية، سبقه أولون ولحق به آخرون من جنسيات أوروبية متعددة، إلا أنني حمدت له أسلوبه المتحفظ الصريح غير المجامل الذي يبدو في أحيان كثيرة بدرجة من القسوة كبيرة عند من تعود قراءة الثناء المطلق وكيل المديح لإرهاصات الثورة الكوردية. وقد وجدت وأنا الذي عشت جزءاً كبيراً من هذه الثورة وقرأت أغلب ما كتب عنها ما كان يسعني وأنا أترجم بعضها، إلا أن أحتج في سري على هذا المؤلف أو ذلك لإغفاله عيباً أو خطأ ولتجاوزه عما وجب تدوينه منها. أما (أدامسن) فلم يسمح لنفسه بمثل هذا الترف ولم يشفق ولم يتجاوز وحسناً فعل.. ص ٢٨.

وبخصوص علاقة الكورد بجيرانهم، أراني أقرر حقيقة لا مطعن فيها عندما أقول إن الشعور الكوردي العام يميل إلى العرب دون الترك والفرس مع أن لهذين الشعبين الأخيرين صلة رحم به ووشائج قرابة. فالثلاثة شعوب آرية المحتد، تتكلم لغات آرية. في حين عدّ الشعب العربي إثنوغرافياً من العرق السامي ولغته من اللغات السامية. لم يكن هذا الانعطاف قاصراً على الكورد في العراق وسورية ولبنان، إنما حقيقة يسلم بها الكوردي الواعي في تركيا وإيران أيضاً. ص ٢٩.

وزاد حرصي على إنجاز طبع الترجمة بما أسفرت عنه نكسة العام ١٩٧٥ من مكاشفات وانشقاقات وتآمر وتراشقبالتهم واختلاق الأعذار. ص ٣٣.

ما بعد أدامسن: سبب ثالث حفزني إلى ترجمة الكتاب، وإصراري على نشره بعد هذه المدة الطويلة. كان (أدامسن) قد أتم رحلته وعاد منها وفي أنفه ريح أول دخان للمعركة السياسية التي كانت ستنشأ بين قيادة الحزب المدنية وأقصد كوادره العليا المثقفة، وبين رئيس الحزب وقائد العمليات العسكرية (ملا مصطفى البارزاني) لتؤول إلى انشقاق في كليهما ولتبدو بعدها الحركة القومية المسلحة بعد انتصار (هندرين) ضائعة تائهة بين معارك موضعية ومفاوضات عقيمة. كان فيها الحرص على النفس أهم ما في جدول أعمالها والحرص على المصلحة القومية في آخره. ص ٣٤.

رفع (البارتي) شعار الديمقراطية للعراق مع شعار الحكم الذاتي لكوردستان على أساس فيه كثير من المنطق وباعتبارهما شقين غير قابلين فصلاً. فالحكم الذاتي لا يغدو حقيقة واقعية إلا بتأمين حكم ديمقراطي برلماني مبني على مبدأ الفصل بين السلطات. ص ٣٥.

كان (البارزاني) في تشرين الثاني من العام ١٩٦٤ يتوقع مبادرة أمريكية، شاعراً لو أن أمريكا أرادت وقف الهجوم فستقوم بممارسة الضغط على (عارف) للتوصل إلى حل مرض. وكان على الولايات المتحدة

صاحبة و الفكرة، أن تعلم بأن الوقت ضيق و(البارزاني) يريد حلاً تفرضه الولايات المتحدة. إلا أن التشاؤم كان يسود الأفق السياسي الكوردي في شهر تشرين الأول. وقد عبر عنه البارزاني بقوله لأحد الصحفيين "إن جزءاً كبيراً من أبناء شعبنا يرى أن الولايات المتحدة لا تريد أن تفعل شيئاً لنا. والوقت يمر سريعاً وأكثر من نصف مقاتلينا يحدّد تجديد القتال. ص ٦٦).

في شهر آب ١٩٦٣ كتب (شمدت) لجريدته (نيويورك تايمز) يقول: "الجيش العراقي يبدو مصمماً على سحق مقاومة الكورد وإخضاعهم والقضاء على حركتهم بأساليب الحرب الشاملة... كما أنه راح يدك القرى بالقنابل ويصليها بالمدافع الرشاشة... النيران شبت في المزارع والحقول، وهجر القرويون قسراً إلى مناطق في جنوب كوردستان، وزادت حدة الحصار الاقتصادي المضروب على الشمال إلى الحد الذي قد يضطر قسم من الكورد إلى مواجهة مجاعة مريعة في الربيع القادم". ص ٧٣.

أدامسن في نهاية الكتاب:

لا يمكن لأحد الإدعاء بأن الدولة الموحدة التي ابتدعتها بريطانيا تعتبر نجاحاً. لم يوجد في العراق حكم مستقر البتة. فالأحزاب المتنافسة كانت قوية جداً والحكومات ورؤساء الوزارات كانوا يأتون ويذهبون بأسرع مما تغير دور العرض تمثيلياتها. فهل أن دولةً يتمتع فيها الكورد بحكم ذاتي قد تجعل البلاد أكثر استقراراً؟ من الصعب الافتراض بأنها ستكون أقل استقراراً. إن تحرير العرب من مغالطة كون العراق جزء لا يتجزأ من الأمة العربية سيمكنهم على الأقل من التفكير تفكيراً خلاقاً أكثر. ولست أعتقد أن وضع الكورد الجغرافي يعني أنهم سيسيطرون على الاتحاد الفدرالي عسكرياً (من سخریات القدر أن أحد الأسباب التي دعت بريطانيا إلى الدفاع بكل صلابة وحرارة إلى ضم ولاية الموصل إلى العراق، إنما كان تخوفاً من السيطرة العسكرية التركية على العراق). لن يكون للكورد حتماً لا الأسلحة الآلية ولا الميل للإقدام على ذلك. وإن مفهوم الحرب لديهم كان دوماً، الاسلوب الدفاعي منها لا العدواني. والمسألة الهامة الأخرى هي عوائد النفط وكيف توزع؟ إن مشاكل أعقد من هذه قد حشرت نفسها في الاتفاقات العامة ومن الواجب أن يتم التوصل إلى اتفاق عادل بخصوصها (ليس من الضروري أن يكون على أساس الحصص كما يطلب الكورد)، وبالإمكان أن يكون النفط عامل توحيد بين الشعبين لا عنصر خلاف وشنآن وسيرى كلا الطرفين أن مصالحهما تفرض عليهما استمرار تدفقه وبيعه للغرب الذي هو سوقه الوحيدة.

ومهما حدث فأنا أعتقد بأن القومية الكوردية أخذت موضعها الثابت بين القوى السياسية في الشرق الأوسط. لقد مدت جذورها عميقاً واشتدّ عودها ولم تعد بعد مجرد زهرة على سفح جبل وإمّا ظاهرة مدنية متعاظمة. ص ٢١٣.

واليوم، مع أن النزاع بين الكورد والعرب هو أشد حدة ومرارة من أي وقت مضى. فما زال بالإمكان إجراء المفاوضات للتوصل إلى اتفاق يترك الإطار الاقتصادي العراقي على حاله ويبقي الكورد شركاء راغبين مسلمين للدولة. وإذا كان العرب يفكرون خلاف ذلك، فإنهم يفعلون حسناً لو تذكروا الجزائر ولاحظوا أن في أمثال هذه الحروب لن يكون الزمن ولا الله إلى جانب الكتائب العسكرية الكبيرة. ص ٣١٤.

جوناثان راندل: والظلال الكثيفة والرطوبة للكورد:

في كتاب الصحفي الأميركي الذائع الصيت جوناثان راندل: أمة في شقاق "دروب كوردستان كما سلطتها"، ترجمة: فادي حمود، دار النهار، بيروت، ط ٢، ١٩٩٩، ط ١، ١٩٧٧، هناك الكثير، ربما، مما لا يشتهي المرء "الكوردي"، سوى أن عدم اشتهاه رغبة على صعيد الواقع، لا يعني البتة، أن في مقدور حاملها تجاهل وجودها، ووزنها الاجتماعي طبعاً.

العنوان ذاته شقائي، ولكنه ليس مجرد بدعة تأليف بالتأكيد، إنما صنعة توصيف ومكاشفة وتشخيص سياسي لما هو كوردي، وخصوصاً في الفسحة الجغرافية المعلومة بكورديتها عراقياً، ومآلات لعبة النظام، وأدوار الكورد التاريخية.

لقد أحلت عليه سابقاً، وهناك ما يفيد في إيراد بعض التفاصيل، ولو أنها موجزة، ذات قيمة تاريخية: زماناً ومكاناً، أي بصدد جانب من سيرته الذاتية والميدانية: لقد عمل راندل في العديد من البلدان خلال مسيرته الطويلة، لكنه أشار إلى أن الموارد المتاحة له لم تكن أبداً غنية كما كانت في كوردستان، حيث طور علاقات جيدة مع القادة الكورد، بما في ذلك مسعود البارزاني، رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني (KDP)، والراحل جلال الطالباني رئيس الاتحاد الوطني الكوردستاني (PUK).

وقد صرح قائلاً: "لم يسبق لي مطلقاً، كصحفي، أن أحصل على اتصال من النوع الذي حصلت عليه مع الكورد". "لا أعتقد أن أي شخص كذب علي مباشرة. لا أعتقد أن أي شخص حجب عني أي شيء".

وقوله الآخر والتاريخي: في جزء من العالم حيث يكون قمع الصحفيين أمراً شائعاً، يظل احترام إقليم كوردستان للمهنة علامة حقيقية على القيم الكوردية. على الرغم من حدوث حالات عرضية من الانتهاكات والعنف، إلا أن حرية الصحافة مع ذلك لا تضاهى مع الدول المجاورة.

وأوضح راندل: "يتمتع الكورد بهذه القدرة المذهلة على تحمل إمكانية الوصول إلى أعدائهم". "لم يتم إخبارنا أن هذا ليس من شأنك" عندما كان في كوردستان، إلى جانب المراسلين الدوليين الآخرين. ينظر مجدداً في المصدر:

*- Randal, Jonathan : After Such Knowledge, America and the Kurds,

www.kurdistan24.net

راندل، جوناثان: بعد هذه المعرفة أمريكا والأكراد

لا أزيد في الكلام، فالكلام المنثور في الكتاب، يصدم، وأحياناً، ينبه إلى مسار الحقيقة الجاري تبنيها كوردياً. حيث إن الصحافي المتمرس لديه ما يريد قوله، وفي ضوء تجربة ميدانية، مغامراتية، ومتابعته، مصادقة لحقيقة تاريخ، لا بد أن الكورد في عمومهم معنيون بها، وكيف تتكون، أو تتمشهد في واجهة التاريخ، وكورد "العراق" قبل سواهم، لأن خميرة الصحفي والباحث، موجودة في "عجبتهم" وهي بسيمائها الزمانية والمكانية كثيراً. إنها واقعة مثيرة للفضول المعرفي!

كما نوهت، ثمة حقائق جلية محتواها على الأرض، كما جرت روايتها، وثمة ما يستدعي القراءة بالنظر في جذورها، وكيف قيض لها أن تتشكل هكذا، وذلك على صعيد الخلافات والتصادمات الكوردية في حمى الوطيس الكورد ضد الأعداء، وفي السياق نفسه، ما كان يجري من ردود أفعال على أرض غير مسطحة، وأفق غير مرئي في عمومهم، وأهداف مضروبة الأصول في المجهول، وثمة حسابات قائمة موصولة في بنيتها بذهنيات فاعلة على الأرض، تقليدية تنتمي إلى الماضي، تعيش التاريخ بمنطق آخر، وتتأثر بأي مستجد، انطلاقاً مما تملكه، وكل ما يسمى عملياً، يظل في معرض المكاشفة، والتحليل والمقارنة، ليكون لكل ذلك درس معتبر، أعني بذلك، لحظة التقريب بين الاضداد عينها، وكيفية عقلنتها بسبر مكوناتها الفعلية !

البدء في صباح يوم عيد الفصح في العام ١٩٩١، ص ٤٩.

أجريت المقابلة مع البارزاني في ملجأ جبلي تغطيها الثلوج، وبدا أنه يسعى من خلالها إلى تهدئة المخاوف التركية بشأن احتمال سعي كورد العراق إلى إقامة دولة مستقلة بدلاً من المطالبة المعهودة بمنحهم الحكم الذاتي ضمن إطار عراقي ديمقراطي. ص ٥٧.

لم أكن قد رأيت البارزاني منذ سنوات عدة، ونسيت أن قدميه صغيرتان وأن وجهه مليء بنتوءات مميزة. لكنني لم أنس شعوره المرير حيال الفظائع الرهيبة التي يعتبر أن شعبه عانى منها على أيدي الولايات المتحدة خصوصاً والمجتمع الدولي والقوى الإقليمية. ص ٥٧.

كانت الحكومة المركزية تنجح عادة في ضرب الانتفاضات القومية الكوردية، عبر إثارة القبائل ضد بعضها مستخدمة الأموال والأسلحة والمناصب الحكومية لتحقيق هذا الهدف. وكانت الصراعات القبلية قوية في كوردستان العراق، إلى درجة أن المصاهرات بين القبائل المختلفة والتي هدفت إلى إنهاء هذه الصراعات، عجزت عن خفيف حدتها، وعلى سبيل المثال، فإن والده مسعود البارزاني التي يجلها كثيراً، تنتمي إلى قبيلة "زباري: زيباري. من إ. م..."

أدرك البارزاني وسائر أعضاء "جبهة كوردستان العراق"، أنهم يدينون إلى "الجحاش" بنجاح الانتفاضة، وأن عليهم في الوقت نفسه إبقاءهم تحت الرقابة ليظلوا على الصراط المستقيم. لذلك ما أن بدأ الهجوم العراقي المضاد لاستعادة كركوك، حتى استولى البارزاني على أفضل فندق في منتجع شقلاوة الجبلي، وعقد ندوة استمرت يوماً كاملاً، لرفع مستوى الوعي القومي عند حوالي مئة زعيم قبلي. فجرى الترحيب بزعماء قبائل "السورشي"،

و"البرادوست"، و"الحركي" وغيرهم من زعماء القبائل المؤيدة عادة لبغداد. وجرى التفاوض عن كل ما فعلوه في الماضي، وتمت الإشادة بما فعلوه خلال الانتفاضة، وتلقوا مناشدات حارة للتعاون مع "البيشمركة" في الدفاع عن كركوك. وهكذا تمت تسمية "الجحاش"، بـ "الثوار المسلحين". فوقف عمر سورشي مغطى بأحزمة الرصاص، وتعهّد بإرسال ستة آلاف رجل للدفاع عن الدفاع قائلًا: "سأرسل جميع رجالي وعلى رأسهم ابني". ص ٦٦.

في مطلع شهر نيسان، أقدم رجل دولة يؤيد العراق عادة، مثل الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران، على توبيخ رئيس المعهد الكوردي في باريس كندال نيزان، لقيامه بحصر المطالب الكوردية في تصريحاته العلنية، بأفق الحكم الذاتي فقط. ونهره قائلًا: "دورك هو في الدفاع عن حق الكورد في إقامة دولتهم". ولكن كورد العراق أضعوا أفضل فرصة يحصلون عليها منذ انهيار الإمبراطورية العثمانية، لإقامة دولتهم المستقلة. ص ١٤١.

موقف الطالباني من تصرفات واشنطن وحلفائها الأوروبيين: الحجج التي أدلى بها لتدعيم تحليله كانت دقيقة.. ص ١٤٢.

استحق البارزاني عن جدارة، لقب الجنرال الذي منحه إياه القاضي محمد. فمع مرور الأيام، تزايد اعتماد الجمهورية على قواته للدفاع عنها، في وقت تراجع فيه الدعم الذي تلقاه من رجال القبائل الكوردية المتقلبين في ولائهم. ص ١٧٤.

أكد البارزاني مراراً وتكراراً أن الأولوية هي لنضال الكورد في العراق، ولم يتراجع يوماً عن قناعته بأن على كورد إيران وسوريا وتركيا، أن يضحوا بتطلعاتهم السياسية، في سبيل تحقيق طموحاته السياسية، وتصرف وفقاً لهذه القناعة.

ففي العام ١٩٦٨، ثارت ثائرتة عندما أطلق شبان كورد إيرانيون، ثورة ضد الشاه، على الرغم من الأوامر الصارمة التي أصدرها لهم بالامتناع عن ذلك. فقام البارزاني بإعدام زعيم كوردي إيراني يدعى سليمان معيني، وسلّم جثة إلى رجال الشاه الذين عرضوها في ساحان مدن كوردستان إيران. وما بين العامين ١٩٦١ و ١٩٧٥ قتل واعتقل (٤٣) عضواً من الحزب الديمقراطي الكوردستاني في إيران حاولوا اللجوء إلى العراق، بأوامر من البارزاني، وتم تسليمهم إلى الإيرانيين. وعندما احتاج البارزاني إلى مساعدتهم، كان كورد إيران ضعيفين (ومريرين أيضاً) إلى درجة منعتهم من مساعدته. ص ١٧٥.

من فضائل البارزاني، أنه بقي على ولائه لجمهورية مهاباد، حتى بعدما تخلّت قبائل كوردستان إيران عن القاضي محمد. فلم يكن لديه أي خيار آخر، ولا أي مكان يذهب إليه... ص ١٧٥.

قسّم السوفيات الكورد إلى مجموعات صغيرة بعثروها في مختلف أنحاء بلادهم، وفقاً لتكتيك ستالين في التعامل مع الأقليات القومية. وفي شتاء العام ١٩٤٩-١٩٥٠، أغاظ البارزاني مضيفيه برفضه مشروع إقامة حكومة منفى برئاسته، كمقدمة لاستئناف الثورة الكوردية، ولم يكن رفضه نابغاً من أسباب إيديولوجية وإنما من دوافع شخصية. فقد كان كرهه للقاضي محمد شديداً إلى درجة دفعته إلى الإرتياب في أسباب إصرار السوفيات على تعيين "رحيم" ابن عم الزعيم الكوردي الراحل، وزيراً للخارجية في هذه الحكومة. ولم يرق

للسوفيات سلوك ملا مصطفى. فاعتقلوه ونفوه، واضطر إلى العمل في إحدى مزارع الدولة، مسؤولاً عن وزن الفاكهة. وتم نقله من باكو عاصمة جمهورية أذربيجان السوفياتية إلى طشقند في آسيا الوسطى، قبل أن يتم نقله مجدداً بأمر من ستالين إلى موسكو. ص ١٧٩.

حينها كان الطالباني معجباً بشخصيته، وفي إحدى زيارته للاتحاد السوفياتي، عثر عليه بصعوبة. ص ١٧٩. عن القاسم ذي الأم الكوردية ب"الحقوق القومية" للكورد، واعتبرهم "شركاء في الدولة العراقية". ص ١٨١. حربه على الكورد وما دمره سلاحه من قرى كوردية. ص ١٨٦.

الآخر ليس هو: الثورة الكوردية في مرآة محمد جمال باروت:

يسعى الباحث والكاتب السوري محمد جمال باروت، في كتابه المكتسب حضوراً إعلامياً وسياسياً عربياً، أكثر من محتواه المعرفي: التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة السورية "أسئلة وإشكاليات التحول من البدونة إلى العمران الحضري"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط ١، ٢٠١٣، إلى مواجهة الحدث الكوردي، ليس الحدث الأيلولي، كما يتوقع، إنما الحدث الكوردي الذي يمتد في الزمن، وله مرتكزاته الديموغرافية، حيث يشار إلى الكورد. وكان الانفجار السوري لعام ١٩١١، ساعة أوان البدء بالكتاب ذاك.

فالموضوع، وقد تعرضت له كثيراً، وخاصة في "دولة حاجو آغا الكوردية" وتالياً "الزعيم الكوردي عليكي بطي.."، يتجَم سلوكياً إلى مناورة تاريخية، التفافية على الحدث، لأن هناك إصراراً على نفيه أو اختزاله.

ليس من حضور للكوردي، إلا بوصفه لاجئاً، أو لائذاً بمكان لا يعد له فيه أي نسب ملكية، أو مطارداً من جهة ما، كما هي الخاصة الكبرى، للكتاب عن "الجزيرة السورية" وما تتطلبه الخاصة هذه، من ذهنية مقابلة، باعتماد "القسوة والصمت": القسوة في النظر إلى الآخر، وتفكيكه رغيباً، والصمت إزاء المعرض له من عنف قائم. وهو لم يدخر جهداً في متابعة كل ما يخرج الجزيرة عن كونها ناطقة بلسان كوردي، ولونسبة ضئيلة.

إن المسوّغ الرئيس لإيراد فقرات، ربما مطولة أحياناً، من كتابه، يرتكز إلى مدى ارتباط كل تحرك سياسي كوردي بالساحة السياسية العراقية، وأنشطة الكورد السياسية، على الصعيد القومي بامتياز. يخلص باروت، البعثي العتيد في أساس تربيته التعليمية طبعاً، لمختلف المواقف التي تشكلت في نطاق سياسة النظام الأمنية السورية، وينقلها بإيجاز، أو يتعرض لها في مجملها، واجباً مؤدى منه، والكورد، حيث هم، لا يشار إليهم، حيث لا يعود لهم من قوام جغرافي، كما في الحديث عن محمد طلب هلال ومشروعه التصفوي ضد الكورد، وبما يتناسب وتوجهات ساسة الإيديولوجية العروبية، ورفضها لما عداها.

شخصية الكوردي إما أن تكون خانعة، مهانة تقديراً، أو متمردة، ومشاكسة، ومراوغة، تنتهز كل فرصة للنيل من الذي يدير دفة السلطة، وليس من مرتبة في أصل العلاقة المرگبة هذه، بالعكس، ثمة وزر مضاعف يحمل به من يعرف بالسياسي أو الزعيم أو القائد الكوردي، كما في حال ملا مصطفى البارزاني، حيث لا يشكل، في عملية التعرض لموقعه، على أنه ذو اعتبار تاريخي، وإنما بصفة البارزاني رجل مناورات، ولا يمكن ضبطه، جرّاء مسلكه المعاند للدائر سياسياً، وفي ركابه يتحرك حزبه، أو الحزب المشتق عنه في سوريا "البارتي"، وما في عملية التحرك هذه، من إظهار لخواء المرگب، بمفهومه الحزبي، أو العمل كما ينبغي واقعاً.

ولعلّي فيما اخترته من مقاطع من كتابه، أردت منها ظلالاً تشد الناظر إليها، ليتفحصها، وكيف تنتشط هذه الظلال بعقائديتها، وتشير إلى الفاعل السياسي والإيديولوجي الأكثر تحريكاً لها، والتخفي وراء المخطط.

إن قراءة ما أثاره باروت في كتابه، برؤية بعثي، وإن بدا أحياناً معتدلاً في بعض توصيفاته، عن النظام، عن البعث، عن الممارسات الموجهة ضد الكورد، حيث تعرّضوا لعنف التهجير، والعنف المباشر، تفيد في التعرف السريع ببنية الأفكار التي يتداولها، أو تكون عزيرة عليه، وتتكشف في بنيتها المولّفة، لحظة مقارنتها بأمثلة واردة في نصوص مختارة أخرى، ولما كتبه بيشكجي القيمة الكبرى، بماديتها ومعنويتها. وبدلاً من الدفاع عن المعرفة، ومستوفياتها القاعدية في الجغرافية والتاريخ، يدافع عن الإيديولوجية الناعية الكبرى لكل منهما: بدءاً من الفصل الثالث عشر "برنامج" إصلاح منطقة الجزيرة "إلى برنامج" الحزام العربي"، ص ٧٢٩، وعبر عشرات الصفحات يسهل العثور على بصمة المستجدات أو متغيراتها في "شمال العراق" الكوردي، أو "إقليم كوردستان العراق" لاحقاً، من ناحية التأثير في نفوس من هم في الجزيرة "السورية"، أو "كوردستان الغربية" في التسمية السياسية الكوردية المقاومة للتعريب والتبعيث. حيث يأتي الإحصاء السلطوي رد فعل، بصورة رئيسة على ما كان يجري من تنامي الوعي القومي الكوردي في كوردستان العراق، وبدءاً من تشكيل أول حزب كوردي في سوريا سنة ١٩٥٧، بتأثير لا يخفى من تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني في العراق سنة ١٩٤٦، أي بعد عقد من الزمن ونيف، باسم مشابه تقريباً، ومن ثم صورة طبق الأصل "البارتي".

ولأهمية هذه النقاط، أتوقف مطولاً عندها، أي ما يعنيه هذا التحول والذي يرمي إلى وضع الكورد بين فكّي كماشة نظام ينفي صفة الكوردية في المنطقة جغرافياً وتاريخياً؛ مثل "برنامج إصلاح الجزيرة" الذي أقرته حكومة خالد العظم "الثالث" في أوائل تشرين الثاني ١٩٦٢ الوجه الثاني لعملية "الإحصاء الثاني" التي جردت ما يقارب ٢٨ في المئة من سكان الجزيرة من حيازة الأرض بحكم اعتبارهم "أجانب" .. ص ٧٢٩.

الفقرة الثانية من الفصل الثالث العشر: من برنامج "إصلاح الجزيرة" إلى برنامج هلال: "التعريب القسري".

١- برنامج منظمة الجزيرة البعثية أو برنامج هلال:

كان مشروع محمد طلب هلال التجسيد الحي والمباشر لهذه السياسة العروبية والبعثية بطابعها الأمني، وهو الذي أحيى "برنامج إصلاح الجزيرة" لكن اقتراح هذا البرنامج تحدد بصورة أشد من خلال ما يمكن وصفه بـ "برنامج التعريب القسري" الذي قدّمه الملازم الأول محمد طلب هلال رئيس مفرزة الحسكة للأمن السياسي في صورة اقتراح باسم فرع الحسكة للمؤتمر القطري البعثي الذي عُقد في أيلول ١٩٦٣. ص ٧٣٥.

وقد تبنى فرع الحسكة الذي كانت بعض كوادره ينتمون قرابياً وسياسياً إلى اتجاه مدرسة آل السيد في البعث "سعيد السيد الذي كان محافظ الحسكة "الجزيرة" بطل الإحصاء "الاستثنائي" وبرنامج التعريب القسري..." على الرغم من خروج السيد منه، دراسة هلال كإقتراح مكتوب مقدّم إلى المؤتمر القطري الأول "البعثي" الذي عقد في أيلول ١٩٦٣ لإدراجه على جدول الأعمال بهدف وضع سياسة لمقاومة النشاط القومي الكوردي في الجزيرة، وكان الاقتراح المكتوب عبارة عن دراسة هلال المعنونة: "دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية، الاجتماعية، السياسية - الصادر سنة ١٩٦٣، وينوّه بارتوت في الهامش ١٨، أن هذه الدراسة أعدته قيادة فرع حزب البعث في الحسكة "على وجه السرعة" عندما يورد إشارة هلال إلى أنه اضطر إلى كتابتها في ظل ضعف المراجع، وعلى الرغم من أنه لم يمس على وجوده في الحسكة أكثر من ستة أشهر، كما يشير إلى أهمية برنامجه ولا سيما بعد إعلان الوحدة العسكرية بين سورية والعراق في عام ١٩٦٣"، وتنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات السياساتية الموجهة إلى وضع خطط تنفيذية إجرائية تدخلية في ضوء رؤيتها. فما هي أبرز أفكار هذه الدراسة؟ ص ٧٣٦.

٢- برنامج هلال وردة الفعل على ثورة البارزاني

يبدو أن اقتراح طلب هلال كان متأثراً بردة الفعل البعثية الحادة على نشاط القوميين الكورد في العراق يرفعون الأعلام الكوردية على المدارس، ويوزعون خرائط كوردستان بشكل علني "بحسب شهادة أمين فرع حزب البعث منير الحمش، سنة ٢٠٠٩..". وكانت الوحدة العسكرية بين الجيشين السوري والعراقي لمواجهة ثورة البارزاني، وأرسلت في حزيران ١٩٦٣ لواء عسكرياً بقيادة العقيد فهد الشاعر للقتال إلى جانب القوات العراقية.

حاول هلال رئيس شعبة الأمن السياسي في الحسكة، أن يعبّء القيادات الكوردية التقليدية لتطير برقيات تستنكر "مرد البارزاني"، وتعلن وقوفها إلى جانب السلطة العراقية في عملية قمعها،

ونشرها في صحيفة البعث السورية، ولم يحجم عن ذلك سوى الشيخ الخزنوي شيخ الطريقة النقشبندية والمشرف على ثانوية عمر بن الخطاب الذي رفض ضغط هلال عليه بإدانة البارزاني بوصفه بارتياً شيعياً وليس مسلماً، حيث كان الخزنوي مستعداً للدعوة إلى وقف الاقتتال بين المسلمين في العراق، لكنه لم يكن مستعداً لنزع ما أراده ضابط المخابرات من نفي صفة "المسلم" عن البارزاني، ولهذا أخرج الشيخ الخزنوي الضابط وطلب منه إثبات أن البارزاني ليس مسلماً.

أما "البارتي" فتحدى شعبة الاستخبارات، وأصدر في حزيران ١٩٦٣، بياناً يستنكر "الجرائم الوحشية التي تقوم بها الفئة الحاكمة الفاشية [في العراق]، أن الطغمة البعثية المسيطرة على الحكم في سورية لا يمكنها أن تتجاهل الموقف الحقيقي المشرف للشعب الكوردي في سورية من جرائم حكام العراق"، وفي بيان آخر، اتهم "البارتي" الحكام البعثيين في سورية "بأنهم" يشتركون فعلياً في عملية إبادة الشعب الكوردي في العراق، ويمارسون سياسة الاضطهاد القومي ضد كورد سورية". ص ٧٣٧. ومن هنا وضع هلال برنامجه في سياق "الظروف الخاصة التي تمر بها محافظة الجزيرة اليوم" على حد تعبيره، و "خطورة المرحلة الحالية لما للأحداث الجارية في شمال قطرنا العراقي الغالي، من أثر، ومدى تأثير تلك الأحداث على هذه المحافظة المجاورة من أثر". ص ٧٣٧.

٣- حماية الجزيرة و"تطهيرها" من "الأغيار" (الكورد):

يستخدم هلال مصطلحاً قومياً شوفينياً في النظر إلى الكورد، وهو مصطلح "الأغيار"، ولا يمكن فهم السياق الإيديولوجي - النصي لهذا المصطلح في ضوء مقاربات تحليل الخطاب إلا من خلال ارتباطه بالمصطلح الثاني الذي استخدمه هلال بكثرة وهو مصطلح "الشعبوية" الذي يعني في المعجم التداولي القومي التقليدي الشعوب التي تعيش بين العرب وتعايدهم، وتتآمر مع "الاستعمار" ضدهم. ويتحدد الأغيار "الشعوبيون" في هذا السياق النصي بالكورد في إطار منظور: "نحن، وهم"، حيث إن "هم" تعني "الغرباء" و "الأجانب المتآمرين الخطرين" على الكينونة القومية، ويمثلون "الورم الخبيث" في جسدها القومي.. ص ٧٣٨.

تالياً مباشرة: يقول هلال في مقدمة برنامجه: "آن الأوان لوضع خطة راسخة لهذه المحافظة وتنقيتها من العناصر الغريبة كي لا يبقى الأغيار ومن ورائهم الاستعمار يعيشون فساداً في هذه الرقعة الغالية ذات الثروة الكبيرة من الدخل القومي، وخاصة أن روائح البترول قد أخذت تفوح فيها وفي حقول رميلان وقرشوك مما يزيد تعقيد المشكلة، وتتمثل أهمية الجزيرة بحسب رؤية هلال في كونها "مركز الثقل في الدخل القومي" الذي تستوطنه "عناصر غريبة" من "الأغيار" يمثلون "بقايا قوميات مندثرة أكل الدهر عليها وشرب، و "ليست المشكلة الكوردية الآن، وقد أخذت في تنظيم نفسها إلا انتفاخاً ورمياً خبيثاً نشأ أو أنشئ في ناحية من جسم هذه الأمة العربية، وليس له علاج سوى بتره"،

ويرى أن "الخطر الأول والأخير في الجزيرة وشمال العراق فقط، ويهون خطر كل خطر إلى جانب هذا الخطر الذي أخذ طريقاً مشابهاً تماماً المشابهة إلى طريق اليهود في فلسطين" .. ص ٧٣٨.

الفصل الرابع عشر: من "خويبون" إلى البارتي وتفرعاته في أصول تشكل الخريطة السياسية الكوردية السورية المعاصرة وتطورها. ص ٧٤٩.

إيراد ثلاث مراحل في تاريخ الحركة الكوردية السورية، حيث تردُّ الأولى:

أ- المرحلة الأولى، التي انطلقت مع تأسيس جمعية "خويبون" في أواسط العشرينيات وانحسرت في أواخر الثلاثينيات. وفي هذه المرحلة كان مركز جهد "خويبون" متركزاً على العمل في كوردستان تركيا....وقد تلاشت الجمعية في النصف الأول من الأربعينيات منهيّة مرحلة في تاريخ الحركة الكوردية الحديثة.

ب- المرحلة الثانية، التي ترتبط بنشوء الحزب الديمقراطي الكوردي "البارتي" في دمشق في عام ١٩٥٧، وقد اتّسمت بتفاعل المجمع الكوردي السوري مع عودة الملا مصطفى البارزاني إلى العراق في عام ١٩٥٩، وفك تحالفه مع حكم الزعيمين عبدالكريم قاسم في عام ١٩٦١، وقيادته القتال في أيلول ١٩٦١ ضد القوات العراقية، وفي هذه المرحلة يبدأ أول اتصال بين الحزب الفتى والبارزاني في عام ١٩٥٩، وستدشن هذه العلاقة بين تأثر الحزب بانقسامات الحزب الديمقراطي الكوردستاني في العراق بين إبراهيم أحمد الأمين العام للحزبي وصهره جلال الطالباني وبين الملا مصطفى البارزاني. وتنتهي هذه المرحلة في أواسط الثمانينيات بتشرذم "البارتي" الأول إلى ما هو أكثر من (١١) حزباً وحركة.

ج- المرحلة الثالثة، التي اتسمت بتضافر مؤثرين أساسيين "كوردستانيين" في الحركة الكوردية السورية الحديثة هما "الآبوجية" التركية الصاعدة "نسبة إلى عبدالله أوجلان زعيم حزب العمال الكوردستاني "PKK" الذي شن أولى عملياته في عام ١٩٨٥"، ونشوء "حكومة إقليم كوردستان" في شمال العراق أو كوردستان العراق في عام ١٩٩٢ مستفيدة من منطقة الحظر الجوي التي فرضتها قوات الحلفاء على شمال العراق وجنوبه. ص ٧٥٠.

الحديث عن نشاط الشقيقين جلادت وكاميران بدرخان في العمل السياسي الكوردي خلال فترة ١٩٤٩-١٩٥٢، والتركيز على الثاني، لأن الأول توفي سنة ١٩٥٣، وبرز كاميران بارز النشاط متنقلاً بين دول المنطقة وإسرائيل (إذ كان بدرخان يعتقد أن الكورد لن يحصلوا على دولة لهم إلا من خلال إعادة النظر بحدود الدول القائمة، فانغمس في العمليات السرية لعالم الاستخبارات الخفي. ص ٧٥٩).

ثم مباشرة: كانت أفكار بدرخان تلتقي تصورات بن غوريون لإقامة دولة مارونية في لبنان والتي وصفها شاريت في مذكراته بـ"حلمه القديم"، وشكّل كاميران أحد عناصر من وصفتهم "الوكالة اليهودية" بـ"العملاء النافذين لها". وكان كاميران الكوردي الوحيد بينهم، بينما كان البقية من العرب.

ولم يكن ذلك مكشوفاً يومئذ بل كشلاً في ما بعد، وفي عداد ما كشف أن إيران، بواسطة بدرخان أجازت في ستينيات القرن العشرين للأجهزة الإسرائيلية إقامة أول اتصال بالبارزاني.. ص ٧٦٠.

٤- قدري جميل باشا: من "خويون" إلى البارتي (القديم):

أ- من "الغرب" إلى "الشرق" والقطيعة الكوردية - الأرمنية، انهمكت شخصيات الجمعية التي دخلت في مرحلة "الانحلال ولا سيما منها قدري جميل باشا، في ثورة البارزاني في العراق (١٩٤٣-١٩٤٥)، ونشطت في اتصالاتها به، وأرسلت إليه العلم الكوردي ليرفعه فوق جبال كوردستان المحررة، بينما أوفد إلى خويون أستاذ الرياضيات رفيق حلمي أحد مؤسسي "هيووا" ورئيسه وهو الحزب الذي انخرط في ثورة بارزان لتحويلها من حركة عشائرية إلى حركة قومية في عام ١٩٤٤، النقيب الركن عزت عبدالعزيز لبحث الأمور المتعلقة بالقضية الكوردية، والاتفاق على إجراء اتصالات ولقاءات في ما بينهما، لكن لم يحصل بينهما أي اجتماع لاحق. ص ٧٦٢.

كانت صورة "خويون" قد غدت بعد قيام جمهورية مهاباد "غير محببة" في الوسط الكوردي السياسي بسبب اتهامها بأنها "حليفة الغرب وشريكة للطاشق"، بينما "بدأ الكورد ينظرون نظرة امتنان وود وتأييد للاتحاد السوفياتي". وفي هذا السياق حلت الجمعية نفسها، وتحولت متماهية مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني- إيران ثم مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني - العراق، إلى "البارتي الديمقراطي الكوردي في سوريا"، الذي سيحمل في بعض الأدبيات الحزبية الكوردية السورية اسم "البارتي القديم".... ص ٧٦٤.

فقرة معنونة بـ "البارتي" (القديم) و "البارتي" (الجديد) والجمهورية العربية المتحدة، ص ٧٨٥.

إثر قيام الجمهورية العربية المتحدة (٢٢ شباط ١٩٥٨) تبنى الرئيس جمال عبدالناصر سياسة "تفهم المطامح المشروعة للشعب الكوردي، والاستجابة لحقوقه القومية بشكل سلمي"، فمثلت أجهزته القيادات السياسية والتقليدية الكوردية "الوجيهة" في "الاتحاد القومي"، ولا سيما منها عائلة حاجو آغا التي تميزت بإفراز عدة شخصيات منها متعددة الاتجاهات والأدوار تتحاور فيها مع كافة الاتجاهات القومية العربية والشيوعية والكوردية. وكانت أول عائلة آغائية كوردية تعمل على مختلف الاتجاهات والأدوار في إطار قضيتها الكوردية العليا. وقد أوفد عبدالناصر الوزير كمال الدين رفعت للتنسيق مع "البارتي" من جهة ومع مجموعة "البارتي القديم" أو "خويون" السابقة لتطوير التعاون بين أجهزة الجمهورية الجديدة مع "البارتي" لتأسيس إذاعة تبث برامجها باللغة الكوردية، لكن "البارتي" أخذ يتأثر هنا بموقف الحزب الشيوعي السوري من الوحدة، فامتنع عن التعاون، بينما قبلت مجموعة "البارتي" القديم... ص ٧٨٦.

وعلى خلفية من المواجهة بين حكومة الوحدة، وعبر أجهزة السراج، والشيوعيين في سوريا حيث تمت ملاحقتهم والنيل منهم (لكن منظمة الجزيرة كانت الاقل تأثراً بالحملة، فحافظت على تنظيمها، وقد حيدت أجهزة السراج "البارتي" من حملة الاعتقالات المحدودة لمن يشتبه بعلاقته بالشيوعيين، على الرغم من احدام الصراع بين "القوميين" و "العراقيين" في العراق. وقد يعود ذلك إلى أنها حاولت في المرحلة الأولى أن تلعب على وتر الخلاف بين "البارتي" و "الشيوعي" لتحديد الكورد بوصفهم كورداً لا يمكنهم إنكار "جميل" عبدالناصر وليس بوصفهم شيوعيين، فنجت المنظمة ذات الغالبية الكوردية في هذه المرحلة من الضربة الأولى، ولم يتم ضربها إلا حين حدث الاتصال بحركة البارزاني في شمال العراق. ص ٧٨٨.

٥- المحاكمة الأولى وانشقاق "البارتي":

في ١٢ آب ١٩٦٠ فكّكت أجهزة السراج الحزب بسبب ارتفاع وتيرة الاتصالات بالبارزاني في العراق، في مرحلة القطيعة "دموية" بين القوميين والعراقيين في العراق، واعتقلت (٨٠) كادراً من كوادره القيادية، وصادرت منشوراته وأجهزته. ثم أفرجت عن عدد كبير من المعتقلين، مستبقية (٣٢) موقوفاً حوكموا أمام محكمة أمن الدولة العليا بدمشق. وكانت هذه أول محاكمة سياسية لمجموعة قومية كوردية في تاريخ سورية الحديث. واستمرت جلسات المحاكمة من ١٠ كانون الأول حتى ٢٠ شباط ١٩٦١. ص ٧٨٩.

فقرة "حرب الإخوة" وانقسامات "البارتي" السوري. ص ٧٩٠.

حاول الحزب الديمقراطي الكوردي في سورية على الرغم من روابطه الضمنية الوثيقة "الطالبانية" الوقوف على "الحياد التام" في الصراع الداخلي الكوردي - العراقي الذي نشب في عام ١٩٦٤ على خلفية توقيع البارزاني إلى اتفاق وقف إطلاق النار مع الحكومة العراقية (١٠ شباط ١٩٦٤) بين رئيس الحزب مصطفى البارزاني وسكرتير اللجنة المركزية إبراهيم أحمد. ففي حين تبنى البارزاني إعطاء الحكومة العراقية فرصة لإنقاذ وعودها، رأى المعارضون أنها "غامضة، ولا تعترف بحق واضح للشعب الكوردي، ودعوا إلى إنذار الحكومة ما لم تستجب لمطالب الشعب الكوردي في الحكم الذاتي". كان البارزاني قد وقّع هذا الاتفاق مع عارف بصفته الشخصية أكثر من كونه رئيساً للحزب، وقد اعترفت المواد الرئيسية للاتفاق بالحقوق القومية للكورد ضمن الجمهورية العراقية والقبول بإعادة الإدارة الحكومية إلى المنطقة الشمالية، متجنباً استخدام تعبير "كوردستان العراق" وكان أحمد يعتقد بإمكانية استئناف القتال استناداً إلى العلاقة السرية التي أنشأها أو ربما طورها منذ ربيع عام ١٩٦٣ مع "الموساد" والتي كان كاميران بدرخان الذي عمل كنوع من "عميل نافذ" لها قد دخل على خطها، وعاد من اللقاء

بباريس محملاً بعشرين ألف دولار أميركي، وبوعود بالمساعدات بغية مواصلة القتال ضد القوات العراقية". ص ٧٩٠.

ثم مباشرة: في هذا الصراع وقف المكتب السياسي وأغلبية اللجنة المركزية بقيادة أحمد ضد البارزاني وتطور الخلاف إلى اشتباكات عنيفة بين الطرفين نتج عنها لجوء عدد من قادة اللجنة المركزية مثل إبراهيم أحمد وجلال الطالباني إلى إيران مع (٤٠٨) مقاتلاً من البيشمركة. وقد عارض بعض كوادر الحزب "البارتي السوري" هذا الموقف مفسرين إياه بأنه "انحياز" إلى جناح معارضي البارزاني، والتقوا في ذلك مع كتلة عثمان (أوسمان) صبري المتحالف بشكل سري مع سكرتير الحزب الجديد حبيب محمد كريم، بينما كانت رؤية البارتيين السوريين ممن اصطفوا فيمجرى الصراع مع الطالباني، هو تمكينهم من صوغ رؤيتهم المستقلة لوضعية كورد سورية. فقد كان "البارتي" من الناحية الفعلية في انقسام بين كتلة صبري وكتلة عبد الحميد الدرويش.

في ٢٣ أيار ١٩٦٤ استغلت الأجهزة البعثية هذا الخلاف، وشنت حملة اعتقالات جديدة لقيادة "البارتي" في حلب وغيرها، لكن في أواخر عام ١٩٦٥ تطورت الخلافات والتصدعات التي نشأت في السجن في عامي ١٩٦١-١٩٦٢ إلى انشقاق "البارتي" إلى جناحين "يميني" يقوده رشيد حمو وحميد حاج درويش و "يساري" يقوده عثمان صبري.. ص ٧٩١.

تالياً: كانت القضيتان الأساسيتان في الواقع هما قضية التعريف الوطني السوري للشعب "الكوردي" في سورية أم قضية التعريف الكوردستاني له ؟ والموقف من الانقسام بين البارزاني والطالباني في شمال العراق. ص ٧٩٢.

في المحصلة تحولت قضية تعريف كورد سورية بمفهوم "الكوردي" و "الكوردستاني" إلى نوع من ذخيرة ومضاربات إيديولوجية - سياسية تصرف في انقسامات مركبة، ويضطلع فيها الموقف من انقسام القيادة الكوردية العراقية بدور أساسي، وهو ما يفسر أن كافة الأحزاب الكوردية السورية بما فيها تلك التي تتبنى ضمناً التعريف الكوردستاني، قد حملت في أسمائها اسم "الكوردي" وليس "الكوردستاني". ص ٧٩٣.

كان هذا الانشقاق جزءاً من ظاهرة اتخاذ الاستقطابات الاجتماعية- السياسية في المجال الحزبي العام، العربي والكوردي، شكل استقطاب بين يمين ويسار. وما شهدته البارتي في هذا العام على مستوى المجال الكوردي كان شهدته حزب البعث وأخذت تشهده حركة القوميين العرب على مستوى المجال العربي. ولكنه ارتبط هنا بمتغير جديد هو مجريات الانقسام بين الطالباني والبارزاني في شمال العراق سيصل إلى ذروته في عام ١٩٦٦ حين انضم الطالباني إلى قوات الحكومة في الحرب ضد البارزاني. وانعكس هذا الانقسام مباشرة وبشكل مبكر على الانقسامات في الحركة الكوردية في سورية وتركيا، وسارت خارطة التحالفات بين الأحزاب المنشقة وفق خطوط الانقسام الأكبر في الحزب الديمقراطي

الكوردستاني فيالعراق. وكان "اليمين" في المجال التداولي السياسي الكوردي مرادفاً لجماعة الطالباني بينما كان "اليسار" مرادفاً لجماعة البارزاني. ص ٧٩٣.

فقرة: التوتر بين "البارتيين" السوريين "اليمينيين" والكوردستانيين" العراقيين. ص ٧٩٥.

إثر توقيع اتفاق الحادي عشر من آذار ١٩٧٠ بين الحكومة العراقية والقيادة الكوردية بإقامة "حكم ذاتي" للكورد في شمال العراق، ضغطت قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق على الحزبين "اليميني" و "اليساري" للوحدة، وتم تأليف قيادة انتقائية برئاسة دهام ميرو، لكن هذه القيادة التي استبعدت كلاً من درويش وبدرالدين من عضويتها أخفقت في تحقيق الوحدة، ونشأت في المحصلة بحلول نيسان ١٩٧٢ ثلاثة أحزاب هي: الحزب الديمقراطي الكوردي (القيادة الانتقالية برئاسة دهام ميرو)، والحزب الديمقراطي الكوردي (عبدالحميد درويش)، والحزب اليساري الكوردي (صلاح بدرالدين). وبذلك حسم الحزب الديمقراطي الكوردي (البارتي) الصراع الطويل بينه وبين الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق، على استقلاليته وعمله وفق خصائص الواقع الكوردي والوطني السوري بالدعوة إلى "إقامة العلاقات الودية والأخوية مع قيادة الثورة الكوردية والبارزاني، وفي الوقت نفسه يشدد على ضرورة المحافظة على استقلالية الحزب، وقراره السياسي والتنظيمي، ومراعاة الخصائص النضالية للشعب الكوردي في سورية"، وأدى ذلك إلى زيادة التوتر بين قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق والحزب الديمقراطي الكوردي في سورية، وشكلت قضية سعيد الآلجي مجرد ذريعة لفصم العلاقة بين الحزبين وتحولها إلى قطيعة طيلة سنوات ١٩٧١-١٩٨٨. ص ٧٩٥.

ثم: تدهورت العلاقة بينهما خلال السنوات اللاحقة نحو "الأسوأ"، ولا سيما بعد أن فسح البارزاني في ضوء اتصالاته مع الإيرانيين والأميركيين والإسرائيليين في عام ١٩٧٤ اتفاقية "الحكم الذاتي" مع الحكومة العراقية، ورفض قانون الحكم الذاتي الذي أعلنته الحكومة العراقية في ١١ آذار ١٩٧٤، حيث رأى الحزب أن "عودة القتال إلى كوردستان لا يخدم بشيء مصلحة الشعب الكوردي والشعبالعراقي بوجه عام، ولذا فإن قيادة الثورة الكوردية مدهوعة بأن تتجنب التصعيد في الموقف، وأن تلجأ إلى الوسائل السلمية والحوار الهادئ لتسوية الخلافات مع الحكومة العراقية". ص ٧٩٥.

كانت سياسة الحزب الديمقراطي الكوردستاني-العراق بقيادة البارزاني تقوم على استتباع كافة الأحزاب الكوردية إليه، ولم يكسر ذلك سوى الحزب الديمقراطي الكوردي في سورية (البارتي) الذي كان يعرف حقوق الشعب الكوردي في سورية بمفهوم "سوري" وليس بمفهوم "كوردستاني"، ولذلك كان حسابه عسيراً. وكان هذا الحساب مختلطاً بولاءاته "الطالبانية". أثر انهيار الثورة الكوردية بعد توقيع الجزائر بين العراق وإيران (١٩٧٥) تأثيراً كبيراً في دفع دينامية الانقسام في الأحزاب الكوردية الثلاثة، بشكل حكمت فيه ديناميات الانقسام الحياة الحزبية الكوردية السورية، ففي عام ١٩٧٥ كان هناك ثلاثة أحزاب كوردية فقط تتقاسم الخريطة الحزبية الكوردية السورية، لكن بحلول عام ٢٠١٠ وصل

حجم هذه الأحزاب إلى ما لا يقل عن (١٤) حزباً كوردياً سورياً انحدر ما لا يقل عن (١٢) حزباً منها من انقسامات الحزب الديمقراطي الكوردي (الأم) وانقسامات الأحزاب التي نتجت عنه. وكان من الصعب على من هو غير حزبي تمييز هذه الأحزاب التي كانت تحمل الاسم نفسه أو ما هو قريب منه ومختلط معه، وهذه هي حالة أحزاب "البارتي" الثلاثة وغيرها أيضاً. ص ٧٩٦.

روهات ألاكوم : صورة ملا مصطفى البارزاني في الصحافة السويدية

روهات ألاكوم: حركة مصطفى البارزاني في الإعلام السويدي "١٩٥٨-١٩٧٥"



Rohat Alakom

هذا الموضوع له طرافته، وصنعة التاريخ العميق الغور، جهة الاهتمام ومن هم الذين يشغلون الاهتمام هذا.

إنه القادم من السويد، ومن قبل باحث كوردي متمرس في موضوعات كهذه، أي روهات ألاكوم، وهو المقيم في السويد منذ عقود من الزمن. إن ما نقله عن الصحافة السويدية، وبعنوانه المعلوم، يرتقي في أصل نشأته، إلى مرتبة التوثيق، لتاريخ، لم يكن مقطوع الأثر، كما يُظن، إلا في وافية من كان لا يقيم لنفسه وزناً في الاعتبار الاجتماعي والفكري، وليس الوزن للتاريخ، بما أنه محسوب عليه، ويسميه موقعاً وتبيان أثر، من خلال الجهد المبذول في الشأن الثقافي وخلافه.

لقد نقل المقال عن الكوردية، وثبته هنا، لأنه يسهم، إلى جانب إسهامات أخرى، في معرفة الحدث الأيلوليبي وأصدائه في الخارج، وهو ما يشكّل علامة قوة للحدث، بغض النظر عن إطلاق أي حكم قيمة، أو توصيف جانبي: ستوكهولم، ٢٠١٦/٩/١١ - بعد هزيمة جمهورية كوردستان (في مهاباد)، دخل الزعيم الكوردي ملا مصطفى البارزاني أراضي الاتحاد السوفيتي مع قواته. ويمكن القول أن حركة البارزاني كانت موضوع تغطية إعلامية سويدية مع إنشاء جمهورية كوردستان عام ١٩٤٦.

وفي الإعلام السويدي، ولأول مرة، ظهر مصطفى البارزاني في صحيفة سفينسكا داجبلاديت السويدية تحت اسم "ملا مصطفى البارزاني"^(١). أحياناً في بعض الصحف يتم ذكر لقب مصطفى

(١) سفينسكا داجبلاديت، ١٩٤٦/٥/٢٢.

البارزاني كـ "برزان" و "البارزاني" و "بارساني". وفي عام ١٩٣٢ تم استخدام الاسم كـ "Barzah" في صحيفة داغنز نيهتر^(٢).

لقد صنع مصطفى البارزاني (١٩٠٣-١٩٧٩) اسمه في الثلاثينيات. حيث يأخذ مكانه بجوار أخيه الأكبر الشيخ أحمد البارزاني^(٣). ووفقاً لصحيفة Svenska Dagbladet، عبر مئات الجنود الكورد، بقيادة البارزاني، الحدود السوفيتية إلى نهر إيريز بعد مواجهة لقوات كل من تركيا والعراق وإيران^(٤).



"يتكون جيش البارزاني من عشرين ألف جندي (داغنز نيهتر، ١٠/١٦ ١٩٦٢):"

في عام ١٩٤٧، نُشر مقال مطول في صحيفة سفينسكا داجبلاديت، جاء فيه أن ممثل الحزب الديمقراطي الكوردستاني، محمد حلمي بك، كتب إلى الأمم المتحدة عن مأساة تسعة ملايين كوردي يعيشون في تركيا وإيران والعراق. وبحسب أنقرة، فإن روسيا تريد استخدام الكورد كسلاح يحطم جدران الأسوار، أي "خارقين للحائط" (موربراك). وكلمة "جدار" هي اسم سلاح عسكري وتعني "عمود صلب" كان يستخدم قديماً في هدم الجدران. وفي وضع يشبه عارضة أزياء، قاموا بضرب العمود الموجود على جدار الحائط حتى أصبح مجوّفاً. وتقول الصحيفة إن روسيا استخدمت الكورد والأرمن والجورجيين كـ "أسوار" من قبل^(١).

(٢) الشيخ الكوردي أحمد برزة، دجنز نيهتر، ١٩٣٢/٦/٢٥.

(٣) هزم روفارشيك، افتونبلاديت، ١٩٣٢/٦/٢٦.

(٤) القوات تتجمع عند الحدود الفارسية، سفينسكا داجبلاديت، ١٩٤٧/١/٢٩.

(١) الكورد والجورجيين كطوب لروسيا، سفينسكا داجبلاديت، ١٩٤٧/١١/١٤.



"أطول حرب في العالم (اكسبرسن، ١٩٦٩/٨/٢٤):

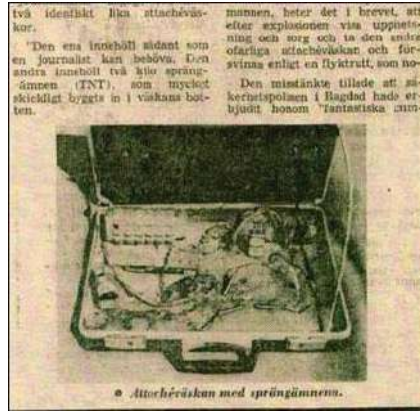
بعد عودة مصطفى البارزاني من الاتحاد السوفياتي ومجيئه إلى كردستان، ازداد دور الكورد في هذا الجزء من كردستان. ويجذب مقال طويل نشر في جريدة Expressen بعنوان: عدم استقرار الكورد (Bêaramiya kurdan (Kurdisk oro): انتباه القراء. إذ تلعب قوة الكورد دوراً رئيساً في سياسات الشرق الأوسط. ويقدم المقال كذلك معلومات موجزة عن الكورد: حيث يعيش ما يصل إلى ٨-٩ ملايين كوردي في تركيا وإيران والعراق، ويعيش حوالي (١٠٠٠٠٠) في الاتحاد السوفيتي. وتساعد روسيا القومية الكوردية على تعزيز مكانتها في المنطقة. وتقول الصحيفة إن اجتماعاً عقد في أوديسا عام ١٩٥٨ لتأسيس دولة كوردية وأن القضية نوقشت. وترأس الاجتماع الشيوعي الكوردي السوري خالد بكداش. وقد قرر الاجتماع تشكيل منظمة تسمى "مكتب الدعاية الكوردية" في براغ. وتتقرب موسكو بغداد من الكورد. وبحسب الصحيفة، فإن هذا التقرب من موسكو وبغداد في الشمال والجنوب سيجعل تركيا وإيران أقرب إلى الغرب والشرق^(١). وعاد مصطفى البارزاني إلى البلاد عام ١٩٥٨ مع أصدقائه. وبين عامي ١٩٦١ و ١٩٧٠ اندلعت حرب كبرى بين الكورد والعرب. وقد حاولت الحكومة العراقية وعملاؤها مراراً اغتيال البارزاني وعزله.

(١) الاضطرابات الكوردية، اكسبرسن، ١٩٥٩/٢/٢٠.

وعلى سبيل المثال، فإنه في عام ١٩٦٣، أعلنت الحكومة أن أي شخص يقتل البارزاني سيكافأ بمبلغ (١٠٠٠٠٠) دينار (١,٥ مليون كرونة)^(٢).

كتبت داغنز نيهتر أن محاولة اغتيال البارزاني حدثت في عام ١٩٧١، مما أسفر عن مقتل البعض وإصابة آخرين^(١). وفي عام ١٩٧٢، اقترب أحد القتلة من البارزاني بنية إجراء مقابلة معه. وبحسب هذا النبأ، فإن البارزاني وقواته الأمنية شكوا في أمره. وعندما فحصوا حقائبه، وجدوا حقيبتين، في حقيبة واحدة وجد في الواقع حمل كيلوغرامين من المواد المتفجرة.

وقال مسئولون بالمدينة إن المهاجم فجر بعد الظهر بقليل أمام مركز للشرطة. كما نشرت داغنز نيهتر صورة للحقيبة^(٢). ونجا البارزاني من كل خطط ومحاولات الاغتيال هذه. ولعب هذا بالطبع دوراً رئيساً في تشكيل أسطورة البارزاني^(٣). وكانت مسيرته المذهلة والبعيدة المدى إلى الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٤٧ قد تسببت بالفعل في قدر كبير من الجدل. تذكرنا مسيرة البارزاني بمسيرة القائد اليوناني والمراسل العسكري زينوفون، الذي استغرقت عودته زمناً طويلاً قبل آلاف السنين إلى مناطق العدو ووصل بنجاح إلى البحر الأسود.



جزء من مقال عن محاولة اغتيال مصطفى البارزاني. صورة حقيبة تحتوي على متفجرات. (داغنز نيهتر، ١٩٧٢/٨/٨).

في السبعينيات حصل الكورد رسمياً على الحق في الحكم الذاتي. لكن بعد فترة، تدهورت العلاقات بين الكورد والعرب مرة أخرى. وفي عام ١٩٧٥، انهارت الحركة الكوردية في العراق. وبعد انهيار الحركة الكوردية في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥، كان هناك جدل واسع في وسائل الإعلام السويدية حول الكورد. ويشارك العديد من الصحفيين في هذه المناقشات: جودرون هيلتي، وستور كارلسون، وبيير جارتون، وجان جيلو، ومارينا ستاغ، وتورد والستروم، ومارتن ديفيرمان، وغوران لوندن، وتوماس هامريبرغ، وهيرمان ليندكفيست، وبيير فاستبرغ ...

(٢) مليون مكافأة لمن قتل زعيم الكورد داغنس نيهتر، ١٩٦٣/٢/١٢.

(١) نجا البارزاني من محاولة اغتيال، داغنس نيهتر، ١٩٧١/١٠/٢.

(٢) محاولة جديدة لقتل زعيم كوردي بقنبلة، داجنس نيهتر، ١٩٧٢/٨/٨.

(٣) إيفور سامويلسون، بورتريه: مصطفى البارزاني، أفق العالم، رقم ١٩٦٦/٥.

تنقسم مجموعة من الصحفيين السويديين إلى مجموعتين. جزء يأخذ إلى جانب العراق وآخر إلى جانب الكورد. كما تبدأ حرب إيديولوجية. فيتهم أنصار الاشتراكية والمعادون للاشتراكية بعضهم بعضاً بالتخلف والتقدم، ويستمر هذا الجدل حول البارزاني.

كانت هذه الآراء المؤيدة للكورد والمناهضة للكورد موضوع بحث مكثف أجريته في عام ١٩٩١ في الصحافة السويدية^(١). غالباً ما ينشر الصحفيون السويديون مقالات ضد بعضهم البعض، مثل الجدل بين بير جارتون وتورد والستروم. بير جارتون في مقالته "تورد والستروم" كـ"صديق كوردي سويدي"^(٢). ويطلق عليه تورد والستروم لقب "الصديق السويدي النبيل"^(٣). وأحد هؤلاء الأشخاص، وهو تورد والستروم، نشر لاحقاً نتائج جولته في كوردستان بعنوان "الجمال فقط هي أصدقاؤنا"^(٤).

ومن المثير للاهتمام أن الصحف السويدية الكبرى أرسلت مراسلين إلى كوردستان لتغطية نضال الكورد وأوضاعهم. وكما يتم نشر صور لهم لأول مرة. فيظهر بعض هؤلاء السويديين في الخطوط الأمامية بملابس كوردية. وأصيب أحدهم، وهو بيتر ستوركين، في إحدى المعارك^(٥). وأرسلت صحيفة سفينسكا داجبلاديت، التي نشرت معظم الأخبار عن حركة البارزاني، مراسلها جوني فلودمان إلى إقليم كوردستان عام ١٩٧١ كمثال على ذلك. وأجرى مقابلة مع البارزاني ونشرها هناك^(٦). وغطى ريتشارد هاس، من صحيفة داجينز نيهتر، أوضاع الكورد بين عامي ١٩٧١ و ١٩٧٤، ونشر العديد من الأخبار والمقالات عن الكورد^(٧).

في عام ١٩٦٩ نُشر مقال طويل يحتوي على معلومات تاريخية في صحيفة Expressen. فيقال عن أن الكورد عاشوا بمفردهم قبل ٢٥٠٠ عام من ولادة المسيح حتى القرن الثامن عشر. ولقد كانوا يقاتلون من أجل حريتهم منذ منتصف القرن الثامن عشر. ثم تقدم الصحيفة معلومات موجزة عن كل جزء من كوردستان. وأخيراً، تركز على الوضع في جنوب كوردستان ويلقبه كاتب المقال بـ"الملا الأحمر"، وهو الاسم الذي أطلق عليه عندما كان في الاتحاد السوفيتي، ويصف كاتب هذا المقال النضال الكوردي بأنه "أطول حرب في العالم"^(٨).

(١) روهاث ألاكوم: موضوعات كوردية في المراجع السويدية. Vejin، ١٩٩١، ص٩٤-١٣٣.

(٢) بير جارتون، صديقنا السويدي الكوردي، سيدسفينسكا داجبلاديت، ١٩٧٥/٦/١٣.

(٣) تورد والستروم: صديق الشعب السويدي، سفينسكا داجبلاديت، ١٩٧٥/٦/٢٠.

(٤) تورد والستروم، الجبال هي أصدقاؤنا الوحيدون، ١٩٧٥.

(٥) إصابة مصور تلفزيوني في الحرب الكوردية، اكسبرسن، ١٩٧٥/٤/١٣.

(٦) جوني فلودمان عضو فرقة إس في دي مع الكورد، سفينسكا داجبلاديت، ١٩٧١/١١/٢٩.

(٧) ريتشارد هاس، كيف نجا البارزاني من حزام القتل الأخضر، داغنز نيهتر، ١٩٧١/١٠/٩.

(٨) ماك لينارت ليندسكوج، أطول حرب في العالم: الكورد يقاتلون من أجل الحرية منذ ذلك الحين. منتصف القرن التاسع عشر- اكسبرسن، ١٩٦٩/١/٤.

وهيرمان ليندكفيست هو أحد الصحفيين السويديين الذين سافروا إلى جنوب كردستان عدة مرات تحت اسم Expressen، واطلع على وضعهم وأجرى مقابلة مع البارزاني^(٩). وانتقل إلى كردستان عام ١٩٧٠ ونشر ثلاثة مقالات طويلة مصورة في (دنغز نيهتر)^(١٠)، فيصف هيرمان ليندكفيست البشمركة في مقال: "كصحفي، رأيت (١٤) حرباً ونزاعاً مسلحاً، أولاً وقبل كل شيء في بيافرا وفيتنام والفلبين. لكنني نادراً ما رأيت مثل هؤلاء الجنود على أنهم مندمجون وواثقون من أنفسهم"^(١١). وأصبح هيرمان ليندكفيست فيما بعد أحد أشهر المؤلفين في السويد ونشر التاريخ السويدي بلغة بسيطة وشائعة.

وعندما ذهب مصطفى البارزاني إلى الولايات المتحدة للمعالجة وتوفي هناك في ١ آذار ١٩٧٩، وبعد يومين من وفاته، كتب هيرمان ليندكفيست مقالاً مهماً للغاية عن حياته. ويذكر في مقاله أن البارزاني لم يجد قط دولة حرة وهو مهاجر إليها^(١٢). ويروي ليندكفيست السنوات الماضية في مذكراته قبل بضع سنوات ويقول إن البارزاني أعطاه خنجراً عندما كان في كردستان وأنه لا يزال يحتفظ به^(١٣).



التقط هيرمان ليندكفيست هذه الصورة للبارزاني (اكسبرسن، ١٩٧٤/١١/١٤).

وقد دافع الصحفي جوران لوندين بنشاط عن القضية الكوردية في السويد في عام ١٩٧٥ في الدوريات، ونشر العديد من المقالات في مختلف الصحف والمجلات. كما أن لديه معرفة واسعة بالكورد، وهو معروف جيداً بين الكورد منذ شهر، وقد أظهر تعاطفاً كبيراً مع النضال الكوردي. في مقال بعنوان "البارزاني الخالد" (Den odödlige Barzani)، وصفه بأنه أقدم مقاتل في العالم^(١٤).

-
- (٩) هيرمان ليندكفيست، افتونبلاديت مع زعيم الحرية الذي فاز بعد ٩ سنوات، افتونبلاديت، ١٩٧٠/٤/٢٤. الآن حققوا فوزهم الأول، افتونبلاديت، ١٩٧٠/٤/٢٥. أسلحة من إسرائيل والشاه ساعدت الكورد على هزيمة العراق، افتونبلاديت، ١٩٧٠/٤/٢٦.
- (١٠) هيرمان ليندكفيست، التقت صحيفة اكسبرسن بالزعيم الكوردي البارزاني، اكسبرسن ١٩٧٤/١١/١٥.
- (١١) هيرمان ليندكفيست، أقوى جنود العالم لا يستطيعون المواكبة، اكسبرسن، ١٩٧٤/١١/٢١.
- (١٢) هيرمان ليندكفيست، حياته كانت حرباً، صحيفة اكسبرسن، ١٩٧٩/٣/٣.
- (١٣) هيرمان ليندكفيست، في منتصف كل شيء، ٢٠١٢، ص ١٤٣.
- (١٤) جوران لوندين، مقاتل حرب العصابات المخضرم في عالم البارزاني الخالد، افتونبلاديت، ١٩٧٥/١/٦.

وفي بعض الأحيان تم نشر بعض النصوص الكوردية المنشورة في السويد. ويذكر مقال صغير كتبه شيوعي كوردي أن الصحف السويدية تضر أحياناً بالقضية الكوردية. حيث ذكرت بعض الصحف أن الكورد يتلقون مساعدات من إسرائيل^(٥)، كما تعرض السفارة العراقية في السويد وجهات نظرها من حين لآخر عبر وسائل الإعلام. وكانت الوفود العراقية تأتي أحياناً إلى السويد لنشر الدعاية ضد الحركة الكوردية. كما ضم الوفد نجل البارزاني الأكبر، عبيدالله، الذي عارض سياسات والده^(٦).



يسرد طالباني الفرص المتاحة لأول مرة في التاريخ الكوردي (داغنز نيهر، ٢٧ نيسان ١٩٦٣). وبلغ عدد الأخبار عن البارزاني والحركة الكوردية أعلى مستوى له في هذه السنوات (١٩٧٤-١٩٧٥)، حيث تم نشر حوالي (١٥٠) خبراً. وعلى سبيل المثال، خصصت صحيفة Svenska Dagbladet التي أعطت أكبر مساحة للكورد، صفحة كاملة للكورد في عددها. ويوضح النص كيف فر مئات الآلاف من الكورد، وماتوا من الجوع والمجاعة في البرد والثلج^(٧). وبعد اتفاق العراق وإيران في ٦ آذار ١٩٧٥، بموجب اتفاقية الجزائر، قطعت إيران جميع المساعدات عن الكورد^(٨).

(٥) الصحف تلحق الضرر بقضية الكورد، اكسبرسن، ١٩٧٤/٤/٢٤.

(٦) البارزاني لا يمثل الكورد، في داغ، رقم / ١٩٧٤.

(١) شعب هارب، سفينسكا داجبلاديت، ١٩٧٥/٣/٦.

(٢) جان غويو-مارينا ستاغ، مصالحة الأعداء السابقين، داغنز نيهر، ١٩٧٥-٥/٦.

Tevgera Mistefa Barzanî di medyaya swêdi de (1958-1975)

موقع مجلة "Nefel" ستوكهولم، ٢٠١٦/٩/١١.

صورة وجدانية لملا مصطفى البارزاني في مرآة أجنبي:

ما أفصح عنه العامل النشط في إطار ما هو إنساني ميخائيل فلاك، يمثّل شهادة على مرحلة، أو نهاية مرحلة مأساوية، وهو يتحدث عن البارزاني، إثر تداعيات صدمة ١٩٧٥ في العراق، وشعور الكورد أنهم أصبحوا على "حديدة التاريخ"، وبصورة خاصة ممن كانوا يمارسون نضالاً، أو مواجهة لأعدائهم، وكيفية منح الكورد الحق الذي يستأهلونه.

إن مقال ميخائيل فلاك: الكورد، ما زالوا يتعرضون للخيانة، Michaël Flaks: Les Kurdes, toujours trahis, www.letemps.ch وبهدوء المسطور، إنما الموجه في التكوين، يمضي بالحدث إلى حيث يتردد صداه. لنكون إزاء اعتبار آخر وهوتاريخي، وفصل آخر، يتبع ما قبله، ويمهد لما بعده في الكتاب الكوردي التاريخي الذي يتضخم زمنياً: رأي، ميخائيل فلاك، السكرتير السابق للجنة السويسرية للمساعدات الإنسانية للشعب الكوردي، تشاركه ذكرياته عن عام ١٩٧٥ ولقائه بالجنرال مصطفى البارزاني، رئيس البيشمركة. هي قصة يتردد صداها في الجوار..

مايكل فلاك: كان عمري ٢٠ سنة. في كردستان، في ٣١ آذار ١٩٧٥، قدم لي الجنرال العجوز ريشة. لكي أكتب عن الشعب الكوردي. في الوحل، البرد، الثلج، عبر الجبال الكوردية، كان النزوح الجماعي في أوج رعبه. مات الأطفال من التعب المضني على الطريق، واللاجئون بالآلاف الذين يحاولون الوصول إلى الحدود الإيرانية المغلقة بالفعل أو الحدود التركية المغلقة بإحكام دائماً، والتخلي عن القرى، والأرض. ومرة أخرى، تعرض الشعب الكوردي للتهديد بالاختفاء القسري والاختفاء الاجتماعي والثقافي، وحكم عليه بالموت من الجوع والبرد. كان عمري ٢٠ عاماً، وكنت عضواً في بعثة الاتحاد الدولي لحقوق الإنسان (FIDH) في كردستان العراق. وكان ذلك في عام ١٩٧٥. في ليلة ٣١ آذار - ١ نيسان، حيث حضر ممثلو المنظمات الإنسانية وشهود عيان على الأحداث الحدود الإيرانية - العراقية في الاجتماع الأخير للمكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني (PDK)، قبل توليه منصبه، ملجأً في إيران. كان هذا أثر احتضان شرقي: في ٦ آذار ١٩٧٥، وقد ضحى شاه إيران وصادم حسين، نائب رئيس العراق آنذاك، في الجزائر العاصمة، على مذبح النفط، بالشعب الكوردي، المدعوم حتى هذا الوقت من قبل شاه الكويت والمملكة العربية السعودية وإسرائيل. وتتألف الأسلحة الكوردية المتنوعة من بنادق تشيكوسلوفاكية قديمة، وأسلحة من الولايات المتحدة، ومدافع رشاشة صينية، تم نسخها من النماذج السوفيتية وباعها الفلسطينيون للكورد، وعدد قليل من صواريخ أرض جو بريطانية الصنع.

الجنرال مصطفى البارزاني:

وفقاً للأسطورة، يُقال إن الكورد من نسل الميديين. وها هم الأربعون مليون كوردي ممزقون اليوم بين العراق وتركيا وإيران وسوريا، أي كوردستان التاريخية الكبرى. وينتشر البعض الآخر في أرمينيا وروسيا وجورجيا وأذربيجان وتركمانستان وقرغيزستان وكازاخستان وإسرائيل وما يقرب من مليون في أوربا. وفي وقت مبكر من عام ١٩٢٤، لم يكن التاريخ الكوردي سوى سلسلة متتالية من التمردات والثورات الدموية ومع ذلك، اعترفت معاهدة سيفر لعام ١٩٢٠ للشعب الكوردي، بعد الحرب العالمية الأولى، بحقه في تقرير المصير. ولم يتم تطبيق هذه المعاهدة أبداً، ونسفت بموجب معاهدة لوزان لعام ١٩٢٣. وأدى تفكك الإمبراطورية العثمانية في النهاية إلى تقسيم الشعب الكوردي بين إيران والعراق وسوريا والاتحاد السوفيتي وتركيا. وفي وقت مبكر من عام ١٩٢٤، كان التاريخ الكوردي يتألف من سلسلة متتالية من التمردات والثورات الدموية. وفي إيران، يعرف الكورد الدولة المستقلة الوحيدة في القرن العشرين: جمهورية مهاباد سريعة الزوال، التي أعلنت في عام ١٩٤٦ تحت رعاية الاتحاد السوفيتي. وتم سحقها بعد بضعة أشهر من وجودها من قبل شاه إيران. حيث تم إعدام قادتها، بمن فيهم رئيس الجمهورية قاضي محمد، شنقاً. وتمكن الجنرال مصطفى البارزاني، قائد القوات الكوردية في مهاباد، من الفرار على رأس بعض الثوار (البيشمركة). قاد التمردات والثورات الكوردية les révoltes et révolutions kurdes في العراق حتى عام ١٩٧٩.

المسئولية المشتركة:

التقيت بالجنرال البارزاني في ليلة ٣١ آذار - ١ نيسان ١٩٧٥ في مقره في مخيم النخودة Nakhuda بالقرب من الحدود العراقية. وقبل أيام قليلة، كان يعلم في طهران في ٦ آذار أن هجوماً عراقياً عاماً قد بدأ لتوه للحد من التمرد الكوردي، بالاتفاق مع إيران. ويستقبل الشاه القادم من الجزائر العاصمة، الجنرال العجوز ويقدم له "الموت الرحيم mort douce" للثورة الكوردية، ويقدم له احتمالين فقط: إما الاستسلام غير المشروط أو اللجوء في إيران، حيث سيتم استقبال السكان الكورد كمضيفين وإطعامهم مثل الإخوة. ويرفض البارزاني ويعلن التخلي عن إيران للجنة المركزية لحزب PDK، التي تجتمع على عجل. وقرر مواصلة القتال في شكل حرب عصابات. وفي ١٣ آذار، أقنعت إيران والجزائر الحكومة العراقية بوقف إطلاق النار. ويجدد صدام حسين عرض العفو عن "الكورد المتمردين" ويحد من الهدنة بثلاثة أسابيع: في الأول من نيسان، ستستثمر القوات العراقية الأراضي التي يسيطر عليها الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وفي ٣٠ آذار، لجأ الجنرال البارزاني، تلاه جميع الموظفين الكورد، على بعد كيلومترات قليلة من الحدود العراقية، في مخيم النخودة، في عمق كوردستان الإيرانية. وفي اليوم التالي، قررت اللجنة المركزية للحزب عدم مواصلة القتال، وانتهت هناك مرحلة طويلة من النضال الكوردي من أجل الحرية في ١ نيسان ١٩٧٥.

صاحب ذكرياتي عن تلك اللحظة الرهيبة درس كبير، وهو رؤية الكورد، وخاصة السنة واليهود والإيزيديون والمسيحيون، رجالاً ونساءً، في وضع القرار. وكما هو الحال اليوم، مرة أخرى، بعد أن تعرّضنا للخيانة والاستغلال والاستشهاد، فإن مسئوليتنا المشتركة كاملة.

مايكل فلاك هو السكرتير السابق للجنة السويسرية للمساعدات الإنسانية للشعب الكوردي^(*). بصدد كلام الشاه الموجه إلى البارزاني، يوضّح محمود عثمان في الحوار السالف معه، هذه النقطة، بشكل أوسع، قال لنا شاه إيران بصراحة تامة أنه أمامنا ثلاثة خيارات إما اللجوء إلى إيران أو العودة للعراق، أو مواصلة القتال لكننا سنغلق الحدود ونوقف دعمنا لكم.

الثورة الكوردية في مرآة محمد حسنين هيكل عبر لقاء لافت "مناقشة مع صقر عجوز من كردستان"

أي محتوى فكري، إعلامي، ثقافي وسياسي لنص مقابلة الرمز الصحافي العربي الكبير محمد حسنين هيكل "مناقشة مع صقر عجوز من كردستان؟ ما الذي كان يعنيه باللقاء، وكيف تمثّل في اللقاء ذلك، وما الذي استخلصه منه ذلك.

هيكل لا يخفي تعاليه على الرجل الكبير عمراً ومقاماً. وهو لا يدخر جهداً للوصول إلى الصورة المرغّبة في واعيته، وهو ما يُستشَف من خطابه الذي يجسّد رؤيته لما هو كوردي وللبارزاني بالذات حين يمارس تقييماً شمولياً له .

لا شيء يشغله في المحيط الخارجي، لا شيء يعن على باله، في لحظة تروّ، لكي يرى في الرجل ما هو أبعد من النظرة المباشرة، أو الإحساس اليومي الذي يمتزج بمشاعر وهواجس وتصورات سائدة، حيث تقوم الحقيقة.

البارزاني في نص مقابلة هيكل، من نوع خاص، وعلى ذمة الصحافي الكبير والشهير، البارزاني آخر: عصبوي، عشائري، متفرد في قراراته، زعيم محلي محدود الأثر. فكيف لرجل كهذا أن خاض أو يخوض غمار السياسة؟

ثمة ما ينقض البنية العميقة لنص المقابلة، في الجانب السّيري للبارزاني، وهو في تحركاته على الأرض، وقوة الحضور في تنقله من مكان إلى آخر، على الأقل في الجانب النفسي وكيفية تلقيه لأي مؤثر، دون إيذاء لصورة الذات:

النص كما ورد، في وقت من الأوقات كنت أريد أن ألقاه عبر الطريق الطويل والخطر.

(*) Michaël Flaks: Les Kurdes, toujours trahis, www.letemps.ch

كان الترتيب أن أذهب إلى ((فيينا)) - عاصمة النمسا - وهناك أضع نفسي تحت تصرف مندوبين له يرتبون أمر سفري - أو تهربني - إلى كردستان لألتقي في قرية من قرى الجبال هناك بالملا مصطفى البارزاني قائد الثورة الكوردية.

كان ذلك منذ سنوات...

لكني أخيراً قابلته، وبأقصر الطرق، وأكثرها أماناً.

قابلته في ضاحية من ضواحي طهران، في بيت جهز خصيصاً لهذا اللقاء، ووصل إليه من حيث يقيم في شمال إيران قبل وصولي بساعة، ووجدته هناك حين دخلت جالساً في ركن من صالون كبير... أقصر قامه مما تصورت... أكثر عصبية مما قدرت... في زي يختلف كثيراً عن الزي الذي رسمته لنا صورته المشهورة التي كانت في يوم من الأيام تملأ صحف العالم... العمامة الملفوفة ضخمة على رأسه، وحزام الرصاص الذي يتمنطق به حول وسطه وعلى أحد كتفيه.

وبادرتة قائلاً:

- لقد طلبت من الإيرانيين أن يرتبوا لي هذا اللقاء معك، واقتضى الأمر أستئذان رئيس الوزراء فيما أظن، والإمبراطور فيما أشك، ولقد انتظروا عدة أيام قبل أن يردوا، ثم جاء ردهم بالموافقة، وعرضت أن أذهب إليك حيث تكون ولكنهم قالوا لي إنك ستجىء إلى طهران لهذا اللقاء، وربما تقبل عذري لإزعاجك !

قال بصوت خفيض وبلهجة عراقية ملكونة بنبرة أظنها من خصائص الشمال العراقي الكوردي:

- بالعكس... إنني كنت أريد أن أراك من وقت طويل... لقد وسطناك منذ سنين لدى الرئيس جمال عبدالناصر وبعثنا لك مندوبين قابلتهم ورتبت لواحد منهم مقابلة الرئيس حتى تضع أمامه، وهو يقود حركة القومية العربية، صورة حقيقية عن أماني الشعب الكوردي وعن حقيقة ثورته، ولقد دعوتك مراراً لتجىء إلينا ولكنك تأخرت...

قلت:

- يبدو أنني تأخرت كثيراً، فإذا نحن هنا في صالون في طهران بدلاً من هناك في جبال كردستان. ونفث دخان سيجارته بشدة وأغرق في صمت عميق راحت عيونه خلاله تتأملني بنظرات صقر جبلي عجوز.

ورحت أنا الآخر أحاول أن أستشف بالنظر ما وراء هذه الملامح التي حفرتها تجارب الدم والبارود عبر سنين ممتدة وشعرت أن عصبته تزداد، وحاول إخفاءها فمد إلى طبقاً مليئاً بالفستق أمامه ثم مد يده بطبق مليء بقطع من الحلوى الإيرانية، ثم قال:

- ربما تفضل القهوة.

والتفت إلى ركن من الصالون جلس فيه قرابة عشرة من أبنائه وأتباعه يطلب القهوة، وأعترف أنني شددت الضغط عليه فقلت:

- شكراً على القهوة، ولكن هل أستطيع أن أرجوك في أن تطلب إلى هؤلاء الإخوة أن يتركوني معك وحدنا؟

ولم أشعر أنه استراح إلى ما طلبت ولكنه استجاب وألقى الأمر إليهم باللغة الكوردية، فخرجوا إلا واحداً.

قلت:

- بقى واحد لم يخرج.

قال:

- هو ابني.

قلت:

- ربما تغفر لي إلحاحي في طلبي بأن أكون معك وحدك.

وتردد الشاب قبل أن يخرج بعد أن ألقى إليه والده بالأمر... ثم خرج!

قلت للملا مصطفى البارزاني:

- أريد أن أفهم منك لغز الثورة الكوردية.

إن كثيرين منا - من الوطنيين العرب - فهموا ثورتك وحاولوا إعطاءك أكبر قدر من التأييد لضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب الكوردي في إطار الوطن العراقي... كان هذا موقفنا حتى سنوات قريبة حين بدأت الأمور تختلط علينا.

لقد قدمت لك الحكومة العراقية عروضاً ومشروعات اعتقدنا أنها كفيلة بضمان الحقوق القومية للشعب الكوردي في إطار الوطن العراقي... أو اعتقدنا على الأقل أنها أساس صالح لاستعادة السلام في شمال العراق، ولكنك رفضت وواصلت الحرب.

ثم بدأنا نسمع روايات غريبة عما يجري في شمال العراق.

لقد قابلت أخيراً ابنك عبيدالله في بغداد وقال لي إن ضباطاً إسرائيليين كانوا هناك عندك في الشمال... قال لي ابنك الأكبر إنه رآهم هناك، وقال لي أنه رأى بعينه محطة لاسلكية على اتصال بالمخابرات الإسرائيلية، وعلى اتصال أيضاً بقاعدة أمريكية للمخابرات في تركيا.

وصاح الملا مصطفى مقاطعاً:

- لا تذكرني بهذا الولد العاق... أعوذ بالله لا أريد أن أسمع اسمه ولا سيرته... هو ذئب في صورة

إنسان... هو أفعى في صورة رجل... هو عقرب أفرغ سمه في، وليس ابناً لي.

- دعني أستكمل حديثي، فمقصدي هو أن أفهم كما قلت لك لغز الثورة الكوردية.

لم يكن ابنك وحده هو الذي قال لي ما ذكرته لك الآن.
قاله لي أحد جنرالائك... الجنرال عقراوي... أكد لي أيضاً حكاية اتصالاتك بالمخابرات الإسرائيلية
والمخابرات الأمريكية... قال لي كذلك أنك كنت تقود الثورة الكوردية بمنطق إقطاعي قبلي حتى إن
خزينة الثورة الكوردية كانت صناديق من المال تحت تصرف ابنك الأصغر الأثير إليك من آخر
زوجاتك... ولم يكن يصرف إلا بأمرك، وكأن الصرف على الثورة قضية عائلية أو حتى قضية شخصية...
وصاح الملا مصطفى مرة أخرى:

- أفاعي وذئاب وعقارب... كلهم أفاعي وذئاب وعقارب... لا تصدقهم، هؤلاء مثوهم "النار وبئس
المصير" صدق الله العظيم.
قلت:

- سوف أواصل حديثي حتى وإن أحسست أنني أثقل عليك.
قل لي كيف تفسر ما حدث أخيراً؟

رفعت الحكومة الإيرانية يدها عن الثورة الكوردية، بعد اتفاق في الجزائر بين شاه إيران وبين
صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقي، فإذا أنت تستسلم... ما هو معنى ذلك... أليس معناه
أن سنك لم يكن من الداخل وإنما كان من الخارج؟

إنني أتذكر - قبل أيام من اجتماع الجزائر بين الشاه وصدام حسين - أنك بعثت إلى القاهرة بأحد
نوابك في قيادة الثورة الكوردية لمقابلة الرئيس أنور السادات، وأتذكر أنني قابلت مبعوثك في القاهرة
وأتذكر أنني نهته إلى اجتماع تم ترتيبه بين الشاه وبين صدام حسين وأن اتفاقاً بين الاثنين يمكن أن
يتم، وأتذكر أنه قال لي: مهما كان أي اتفاق يتوصل إليه الشاه وصدام فإننا سوف نواصل المقاومة...
سوف نواصل المقاومة سنوات بعد سنوات ولن نستسلم...

ومع ذلك فبعد أيام من اتفاق الشاه وصدام كنت أنت تعلن الاستسلام... لكي لا يكون هناك لبس
فإنني سعيد بعودة السلام إلى شمال العراق، ولكن الذي لا أفهمه - وأريد أن أفهمه - هو الحقيقة في
أمر الثورة الكوردية وفي قيادتك لها... ماذا حدث... كيف حدث؟
قال:

- لقد كانت ثورتي حركة قومية ولم يكن للإسرائيليين علاقة بها... ولم أر منهم أحداً... ولم يحدث
اتصال بين قيادتي في كوردستان وبينهم.
لا أنكر أنهم حاولوا الاتصال بنا عن طريق بعض الأصدقاء، ولكنني رفضت كل محاولة قاموا بها،
ولم أسمع منهم مباشرة ولم أتحدث إليهم مباشرة.
وأقول لك أنهم سعداء بما حدث... سعداء بتوقف الثورة الكوردية، إن الثورة الكوردية لم تنته...
ولكنها توقفت في الوقت الحاضر... لقد انتهى دوري شخصياً ولكن الشعب الكوردي باق، وسوف تبرز

له قيادات جديدة تتولى تنظيم مقاومته... أنا شخصياً انتهى دوري... وأما الشعب الكوردي فلا يمكن أن ينتهي وجوده.



قلت: إنني لا أريد أن أعارضك في كل ما تقول ولكني أعرف أنهم في إسرائيل ليسوا سعداء بانتهاء الثورة الكوردية أو بتوقفها على حد تعبيرك... أعرف أنهم لم يشعروا بالراحة تجاه تطورات الشمال في العراق... كانت سياسة الاستعمار وإسرائيل باستمرار هي إلهاء العراق بمشاكله الداخلية وإبعاده عن خط المواجهة، وهناك احتمال الآن أن تقترب المدافع العراقية من خط المواجهة بكل ما يعنيه ذلك من آثار ونتائج، إنني أعرف أنهم طرحوا هذه المشكلة على مراكز الأبحاث الاستراتيجية في إسرائيل، وأعرف أنهم يدرسونها ولا أظن أنهم سعداء.

ومع ذلك، ولكي أكون منصفاً، فهذا شيء لا ذنب لك فيه... النقطة التي أريد التركيز عليها هي: كيف حدث أن إيران رفعت يدها عن مساعدتك، فإذا أنت تستسلم؟
"صائحا: - إنني لم أستسلم... لقد اخترت إنهاء الثورة في الوقت الحاضر... كنت أستطيع الاستمرار في المقاومة بعد إغلاق الحدود مع العراق قال الملا مصطفى ولكني آثرت أن أحقن دماء الشعب الكوردي ودماء الشعب العراقي.

آثرت حقن الدماء... آثرت أن أنهي دوري... دون أن يكون في ذلك نهاية للثورة الكوردية.
لقد كانت إيران تساعدنا... لا أنكر ذلك... كان هناك غير إيران يساعدوننا، لا أنكر ذلك أيضاً... ولكن الشعب الكوردي نفسه هو الذي تحمل العبء الأكبر - بالضرائب - في استمرار الثورة الكوردية".
قلت: - من غير إيران... إنك لم تفصح "

قال: أصدقاء للحرية... العالم لم يخل من أصدقاء للأحرار، ولكني الآن لا أريد أن أخرج أحداً.
واستطرد الملا مصطفى: - إنني لا أخون الأمة العربية... العرب والكورد إخوان... ثم أنا أفهم معنى الحرية... هل تعرف قصة حياتي؟

وواصل حديثه: لقد فتحت عيني على الحياة فإذا أنا أسير... أتذكر أن عائلتي كلها كانت في أسر الأتراك الذين كانوا يحتلون العراق... كنت أسيراً وعمري ثلاث سنوات... حينما بلغت سن الشباب هربت من الأسر واشتغلت بالحركة الكوردية... لجأت إلى إيران ومعى خمسمائة من أفراد قبيلتي..

قامت حركة جعفر بيشفاري في شمال إيران وتعاونت مع جعفر بيشفاري...

وانهارت جمهورية أذربيجان التي حاول بيشفاري إنشائها...

ولجأت إلى الاتحاد السوفيتي...

وعشت هناك سنوات طويلة لاجئاً أحن إلى قومي ووطني...

كان نوري السعيد يطلب رأسي...

يوم أن بدأ الغزو ضدكم في السويس سنة ١٩٥٦ بكيت وذهبت إلى كل مكان أستطيع الذهاب

إليه في الاتحاد السوفيتي... وقابلت كل من استطعت أن أقابل من قياداته طالبا مساعدة مصر.

بعد أيام طلبوني... وسمعت من يقرأ على إنذار بولجانين إلى إيدن وموليه.. بكيت وأنا أسمع

الإنذار... كنت أبكي قبلها من أجل مصر...

قامت الثورة في العراق سنة ١٩٥٨، وقررت العودة، ومررت بالقاهرة وقابلت عبدالناصر.

بعد عودتي حاولت من أجل حقوق قومنا في كوردستان. حاولت بالسياسة وحاولت بالقتال، ولكنهم

كانوا مصممين على إنكار حقوقنا... كنا نتفاهل مع كل تغيير في أوضاع الحكم في بغداد، ولكننا كنا نصدم بعد

أن يستقر أي حكم في بغداد ويظن أنه تمكن ويمكن لنفسه، وقاسينا قاسينا قاسينا... كان يجب أن ترى ما

فعلته الطائرات في كوردستان... ضربونا بما هو شديد الانفجار... وبما هو شديد الحريق... لم يتركوا شيئاً إلا

ضربونا به... لم يكن هناك تكافؤ.

وحين اتفقوا مع إيران سألت نفسي: إلى متى؟

وقلت لنفسي: أريح الناس من العذاب... أحقن الدماء وأمشي خارج العراق.

وسكت الملا مصطفى البارزاني... وغاب في صمت عميق كأنه استنفد كل ما عنده في كل ما قال.

ولم تكن هناك فائدة في الإلحاح عليه !

وعدت إلى فندق الانتركونتنتال الذي كنت أقيم به في طهران وسجلت نقاطا عن مجمل حديثنا،

ثم أضفت إلى ما سجلت مجموعة ملاحظات في دفتر مذكرات أستودعه خواطري.

كتبت يومها في دفتر مذكراتي ما يلي:

١- الرجل مقتنع بما يقول دون شك وقد استسلم لمقاديره ووقع هدنة معها وهو الآن ينتظر النهاية،

ولا أظن أن لدوره بقية ينتظرها هو أو يطلب من غيره انتظارها

٢- إن تجربة قصته تستحق التفكير من زوايا عديدة، ويمكن استخلاص عبر منها ودروس.

تجربة رجل تصرف بمنطق حقق له بعض النتائج في مرحلة من المراحل، ولكن الزمن تغير ولم يتنبه هو إلى حركة الزمن، فإذا هو وراء الظروف وإذا الحوادث تتجاوزه - أول العبر والدروس أن الأسرة تقود ثورة... ثم إن الأسرة لا تصنع - في هذا الزمان - دولة، وإلا فإن القضايا العامة تتحول إلى قضايا شخصية، والعكس صحيح.

- إن الأسلوب القبلي في إدارة الحركات الشعبية يهزم نفسه في النهاية بسبب مجافاته لروح العصر، ذلك أن الزعيم القبلي لا يعرف لمن يطلق الحرية بين أنصاره وعلى من يفرض القيود... وهو في العادة يقيد حرية الذين تتوافر لديهم ملكة القيادة... ويطلق الحرية للمنصاعين والطائعين... ولكن المستعدين للقيادة هم القادرون على خدمة أهداف حركته، في حين أن المنصاعين والطائعين عبء على هذه الأهداف وكتل حديد معلقة بها.

إن المنطق القبلي في إدارة الحركات الشعبية لا يستطيع أن يدير التوازنات الضرورية التي تتحرك من حول أي حركة شعبية... ذلك أن زعماءه يصلون إلى لحظة يقبلون فيها المساعدة من أي مكان متصورين أنها لا تقيدهم في النهاية، وذلك من أوهام السلطة المطلقة، ولهذا فإنهم يقعون في محذور أن تستغلهم قوى لا يعرفونها، بينما يتصورون أنهم القادرون على استغلال هذه القوى.

وعلى سبيل المثال فإنني أعرف يقينا أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تقدم معونات بواسطة واجهات دولية إلى الملا مصطفى... ولكن هل كان الملا مصطفى يعرف من أين تجيء هذه المساعدات?... وعلى فرض أنه عرف أو على فرض أن الشكوك ساورته في مصادر ما يتلقاه، فهل كان في وسعه أن يتوقف وأن يرفض؟

- إن الشرق الأوسط بكل ما فيه من أقليات قومية وطائفية يجب أن يجد صيغة للتوفيق بين المطالب القومية والطائفية المشروعة وبين السلامة الوطنية.

- إن كل حرب أهلية مهددة بالتدويل إذا لم تكن تملك من القوة الذاتية ما يمكنها من حفظ استقلالها... وإذا تم تدويل أي حرب أهلية فإن قياداتها - مهما ادعت - تفقد السيطرة على مقدرات الأمور.

٣- إن كل صديق للحكم الحالي في العراق لا بد أن يخلص النصيحة ويقول له:- إن الملا مصطفى البارزاني قصة نزل عليها الستار... ولكن الشعب الكوردي موجود... ولهذا الشعب حقوق قومية مشروعة في إطار الوطن العراقي، والوعود التي قطعت لهذا الشعب إبان ثورته المسلحة يجب أن توضع للتطبيق وأن يزداد فوقها إذا أمكن.

ذلك حق... ثم إن ذلك ضروري، فإن الحرب الأهلية يجب أن تعود إلى العراق، حتى يستطيع العراق أن يشارك في حرب العرب. ثم...

لعلى لم أتجن على الصقر العجوز الذي كنت أسعى إلى لقائه في جبال كردستان، ثم لقيته في
صالون قصر صغير في طهران. ولعلي لم أتجن على أحد غيره.

ولعلى - أولاً وأخيراً - لم أتجن على الحقيقة!

محمد حسنين هيكل ١٩٧٥/٩/٦ (*)

صورة وجدانية لمام جلال في مرآة أجنبي:

أن يكون للراحل مام جلال حضور في الكتاب هذا، فهذا من حقه واستحقاقه. فهو ينتمي كزعيم
كوردي، إلى تاريخ نضالي وعقائدي، ومن موقعه الاعتباري، يمثّل إحدائية معلومة وجدانياً في الذاكرة
الكوردية السياسية منها، فالثقافية كذلك.

هناك فضاء زمني واسع يستغرقه المقال، وليس هناك من شك، بوجود علاقة مؤكدة بين مبتدأ
الكلام ومختتمه.

إن قراءة ما كتب من جهة سيسيل هينيون: رئيس كوردي للعراق، تعرّفنا على الكوردي عموماً،
وطالباني خصوصاً، جهة الجدارة، أو جهة التمثيل الكوردي لأكثر من لغة وشخصية اجتماعية واختلاف
أثني بالمقابل، في المواءمة بين كل ذلك: تشير بعض الانتكاسات في الموقف إلى أن التاريخ يحب اللعب
مع الرجال ومصيرهم. ومنذ وقت ليس ببعيد، لم يكن أحد يجرؤ على المراهنة بدينار على مستقبل
جلال طالباني السياسي في العراق. وفي كردستان، نتذكر أنه عندما منح صدام حسين، في نوباته النادرة
من التسامح، عفواً عاماً للمقاتلين الكورد المتمردين، كان دائماً يستبعد، ولا سيما زعيمهم، جلال
طالباني. وقد ضحك صحفي كوردي مؤخراً "من كان يتخيل أن صدام، الرجل الأكثر كرهاً للكورد
وإبادتهم، سيضطر يوماً ما إلى الاعتماد على العفو الرئاسي عن طالباني من أجل الهروب من إدانة
الموت؟".

ونحن لم نصل إلى هناك بعد. لكن في سن (٧١)، وتقريباً نفس الوقت الذي يقضيه في القتال من
أجل حقوق شعبه الذي أسيئت معاملته من قبل الحكومات المتعاقبة، يمكن للزعيم الكوردي الآن
تذوق طعم الانتقام اللطيف: إنه رئيس العراق. لقد ولت الأيام التي كان، كما يتذكر، "يندفع - على
الحدود الإيرانية، في الوحل حتى ركبتيه، هرباً من الجيش العراقي". وعليك أن تعود إلى زمن الحروب
الصليبية وصلاح الدين لتجد كوردياً على رأس دولة عربية.

وبصرف النظر عن المخاوف الصحية الصغيرة، الوزن الزائد الذي يفرض نظاماً غذائياً صارماً، تبتسم
الحياة لجلال طالباني. حاجباه اللذان يتجهمان بمجرد أن يتكلم، يعطيه جواً من السخط الأبدي. مظهر

(*) www.kurdipedia.org

مضلل. الجوكر بحسب أصدقائه، ثرثار جدا باعترافه، عاشق الخمور الجيدة والسيجار الكبير يستمتع بالنصر الذي بدأ في اليوم التالي للانتخابات العراقية في ٣٠ كانون الثاني.

جلال طالباني لم ينتظر حتى فرز الأصوات للمطالبة بالرئاسة. لقد عزز إعلان النتائج عزز مزاعمه فقط: بالوصول إلى المركز الثاني، خلف القائمة الشيعية ولكن قبل العرب السنة الذين امتنعوا عن التصويت، يمكن للقائمة الكوردية الموحدة (LUK) أن تطالب بشكل شرعي بمنصب رئيسي.

ألا ينبغي أن تكون الرئاسة، بدورها الاحتفالي إلى حد كبير، محجوزة للطائفة السنية الخاسرة لتشجيعها على المشاركة في الحكومة العراقية الجديدة وتجنيد الدول المجاورة حساسية؟ ونحى جلال طالباني الجدل بنوبة غضب مفاجئة: "الكورد من الدرجة الثانية، انتهى الأمر!" مسألة مبدأ، في نهاية المطاف. أما فيما يتعلق بالطابع الرمزي للوظيفة، فيؤكد الكوردي أنه سيكون "رئيساً قوياً يكون له كلمته". تضيف الألسنة الشريرة، على أي حال، "لطالما كان الطالباني شديد الحساسية للتكريم والإطراء. لذا فإن هذا الموقف يناسبه مثل القفاز".

لقد اعتاد عليه التكرار الطويل والمثابر للمستشارين الأجانب على الصالونات، لكنه قبل كل شيء دربه على فن الدبلوماسية. علاوة على ذلك، لا أحد يجادل في مآثره الحربية أو شجاعته على الأرض. جلال الطالباني، قومي شرس، رجل شغوف وقناعة، هو أيضاً رجل طموح عنيد حقق أهدافه دائماً، حتى لو كان عليه، كما سنرى، أن يتصالح مع الشيطان. يعترف خصومه السياسيون فيه بأنه مثقف مثقف يتحدث، بالإضافة إلى اللغة الكوردية والعربية والفارسية والإنجليزية وبعض أساسيات الفرنسية. واستطاع أن يقرأ في النص آيات من القرآن وأبيات الشاعر العراقي الشهير الجوهري الذي كان من أصدقائه المقربين.

مكتبته، المثيرة للإعجاب بكمية الكتب التي تحتويها، متنوعة مثل طاولتها، التي تعتبر واحدة من أفضل المكتبات في كردستان.

مسيرته السياسية هي انعكاس لتاريخ كورد العراق: طويل، متعرج، يتميز بالتحالفات والخطأ. ففي الأصل، لم يكن هناك ما يبدو أنه يقدر له مستقبلاً سياسياً مشرقاً. ولد جلال الطالباني عام ١٩٣٤ في كويسنجق، وهي بلدة صغيرة زرعت في قلب جبال كردستان العراق، وينحدر من عائلة دينية معروفة ومحترمة، ولكن ليس من قبيلة كبيرة. والفارق الدقيق مهم لأنه في هذه المنطقة، كما في أي مكان آخر في العراق، تحدد الروابط القبلية الوضع الاجتماعي. وسيساعد هذا في تشكيل سمعته كرجل عصامي. وكما أنه أحد العناصر المتقدمة في كردستان لشرح سبب ابتعاد جلال الطالباني لاحقاً عن الحركة الوطنية بقيادة قبيلة البارزاني القوية، مما تسبب في صراع داخلي طويل بين كورد العراق.

تم إرسال الشاب جلال إلى الكلية في كركوك، في ذلك الوقت كانت مدينة غنية وعالمية وذات أغلبية كوردية. وانتهى هذا العصر الذهبي بسياسة صدام حسين للتعريب، والتي دفعت في الثمانينيات أكثر من

(١٠٠) ألف كوردي إلى الفرار واللجوء إلى مخيمات غير صحية في الشمال، حيث لا يزال الكثير منهم يعانون. واليوم تعتمد كركوك على سلطة بغداد، وأصبح اندماجها في إقليم كردستان من المطالب الأساسية لجلال الطالباني، إلى حد تسميتها "القدس الكوردية".

لاحقاً، درس القانون في جامعة بغداد، وأثبت أنه طالب موهوب وناشط سياسي مبكر. بعد إغراءه بالإيديولوجية الماركسية "رأس المال، لا يزال كارل ماركس يحتل مكانة بارزة في مكتبته"، فإن الشاب هو أيضاً من أشد المعجبين بالملام مصطفى البارزاني. ويقدّر الطالب الأفكار السياسية بقدر ما يقدر الشجاعة الحربية لبطل القومية الكوردية، الزعيم الكبير لحزب PDK (الحزب الديمقراطي الكوردستاني)، ثم نفي في موسكو، بعد طرده من العراق وإيران.

لقد وجد طريقه. ومثل البارزاني، سيكون مدافعاً قوياً عن القضية القومية الكوردية. ربما يحلم أيضاً بأن يصبح بطلاً مشهوراً بنفس القدر. حماسه يشير إلى هذا. يتمتع بشخصية كاريزمية وشعبية بين الشباب الكوردي، لم يكن قد بلغ العشرين من العمر عندما أصبح عضواً في اللجنة المركزية لحزب PDK. وتزوج زواجه من هيرو ابنة إبراهيم أحمد أمين عام الحزب صعوده السياسي. يتذكر أحد مواطنيه: "في أوائل الستينيات، كان اسم طالباني بالفعل على شفاه الجميع. ولقد أثار الإعجاب والتعاطف. وفي هذه الفترة حصل على لقب "مام جلال" - العم جلال، باللغة الكوردية -، الذي لم يتركه منذ ذلك الحين".

ولكن بعد فترة وجيزة من عودة الملام مصطفى البارزاني إلى العراق عام ١٩٥٨ لصالح تغيير النظام في بغداد، تدهورت العلاقات بين السيد والتلميذ وانقطعت نهائياً عام ١٩٦٤. وبعد إحدى عشرة سنة في المنفى، "الجنرال" البارزاني يسعى لاستعادة السيطرة على قواته. والجيل القادم، الذي يجسده إبراهيم أحمد وصهره الموهوب، لا يسمعه بهذه الطريقة.

خصومات شخصية؟ صراع على النفوذ بين العشيرة القبلية والنخبة الحضرية؟ كلاهما يجيب عن المتخصصين في التاريخ الكوردي. بينما اندلعت ثورة جديدة للملام مصطفى ضد سلطة بغداد تبدأ الحرب، يختار الطالباني معسكر والد زوجته، حاملاً معه جزءاً صغيراً من حزب PDK.

ثم تأتي "سنوات الهوان années de la honte"، لاستخدام تعبير الكورد القلائل الذين تجرأوا على استحضار عام ١٩٦٦ والسنوات الأربع التالية. تحالف إبراهيم أحمد وجلال طالباني مع الحكومة العراقية، بما في ذلك حزب البعث، الذي وصل إلى السلطة عام ١٩٦٨. ثم أصبح رجالهم الجيش المساعد لبغداد. وهؤلاء المرتزقة الكورد، الذين يُذكرون تحت الاسم المزدرى "الجاهش"، يجمعون بلا رحمة إخوانهم السابقين في أحضان حزب PDK. وهذه، حذر الخبراء، حلقة يجب تجنبها في حضور مام جلال، من قابلية المرض على هذا الخطأ بالطبع.

وفي ١١ آذار ١٩٧٠، قطع الملا مصطفى عن صدام حسين اتفاقاً يعد بالحكم الذاتي لكوردستان. لن يتم الوفاء بالوعد بالكامل، لكن الوضع يتحسن والحركة الكوردية تتصالح. على الأقل ظاهرياً: فور انضمامه إلى الصفوف، تمت دعوة الطالباني الطموح للإبحار في بيروت ثم في دمشق كمثل عن حزب PDK. وخلال هذه السنوات كان يدير السفارات والمكاتب واكتسب مكانة دولية.

وفي غضون ذلك، استؤنف القتال في كوردستان. وفي عام ١٩٧٥ انهارت الحركة الكوردية التي تخلت عنها إيران التي زودتها بالمال والمدافع. اكتملت الهزيمة، ولأول مرة استسلم البارزاني. وطالباني لا يزال يعارض زعيمه ويرفض الهزيمة. وبينما يفر البيشمركة (المقاتلون) عبر الجبال، ينظم مع زوجته وخمسة من المصلين المسلحين الحاجز الأخير للمقاومة الكوردية.

مثاله يحشد قوة صغيرة من المقاتلين الذين تمكنوا من منع تقدم القوات العراقية. وسمح له هذا النجاح بتأسيس الاتحاد الوطني الكوردستاني في ١ حزيران، والذي يجمع أحزاب يسارية صغيرة مختلفة. وبالتالي، ختم الطالباني طلاقه النهائي من حزب البارزاني PDK. قال صحفي محلي: "منذ ذلك الوقت، حافظ الاتحاد الوطني الكوردستاني ومأم جلال على تواجد مسلح في العراق. وعاد رجال حزب PDK للقتال، لكن زعيمهم تم نفيه في إيران. وأثبت الوجود المادي لطالباني على الأرض مكانته بين السكان، ثم أصبح نصيراً للقضية الكوردية".

وسيشارك جلال الطالباني، إذا جاز التعبير، في العودة النهائية لمنافسه. وفي عام ١٩٩٣، اصطحب رفات الملا مصطفى، المدفون في إيران قبل خمسة عشر عاماً تقريباً، إلى قرية بارزان العراقية، احتراماً للرجبة الأخيرة التي صاغها الشخص الذي كان ذات يوم مفكره الرئيس. ولكن المباراة مع حزب PDK لم تنته بوفاة زعيمه. على العكس من ذلك، أصبح متطرفاً مع مسعود البارزاني، نجل الملا مصطفى وريث الحزب.

لقد تطلب الأمر ضراوة حملة الأنفال، التي شنها صدام حسين في ١٩٨٧-١٩٨٨، لكي يتوقف الإخوة الأعداء عن القتال. وفي غضون بضعة أشهر، تم تدمير أكثر من (٧٠٠) قرية وتعرض عدة آلاف من الكورد للغاز في حلبجة. وفي زخم ولد من اليأس، يحاول الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني إنقاذ ما لا يزال من الممكن إنقاذه من خلال توحيد قواتهما داخل جبهة كوردستان العراقية. ولن تستمر هذه المصالحة أكثر من خمس سنوات. ولقد تم تحطيمها في حين أن كوردستان، التي أصبحت منطقة حظر طيران بعد تدخل الحلفاء في العراق عام ١٩٩١، تعيش مع ذلك سنواتها الأولى من الحكم الذاتي.

ومن ١٩٩٤ إلى ١٩٩٧، كانت الحرب الأهلية. وفي عام ١٩٩٦، قرر الاتحاد الوطني الكوردستاني، المتحالف مع إيران، إنهاء البارزاني عسكرياً. واقتناعاً منه بخطر الموت، سيطلب البارزاني مساعدة العدو المكروه: صدام حسين. وفي نهاية هذه المعركة المريرة والقتال بين الأشقاء، سيظهر الزعيمان وقد فقدت

مصادقيتهما لفترة طويلة. والتقارب الحقيقي بين الطرفين لم يحدث حتى عام ٢٠٠٣ عندما بدأ سقوط بغداد حتمياً. ولم يصدر رسمياً حتى ٣ شباط ٢٠٠٥، بعد أيام قليلة من الانتخابات العامة، عندما أعلن مسعود البارزاني وجلال الطالباني رسمياً إعادة توحيد كردستان.

وليس من السهل فهم ما يميز الحزب الديمقراطي الكردستاني عن الاتحاد الوطني الكردستاني. إن قادتتهما الحاليين كلاهما ناجيان قاتلا طوال حياتهما من أجل القضية نفسها: حقوق الكورد. وإذا كانت عشيرة البارزاني هي أول من طالب بالحكم الذاتي لكردستان، فإن الطالباني هو مخترع مفهوم العراق الفيدرالي. وسيكون لاختلافاتهما علاقة أكبر بشخصياتهم. ويحب أنصار الاتحاد الوطني الكردستاني التأكيد على "حادثة" مام جلال. والحادثة التي تتجلى في نظرهم، بقدر ما تتجسد في بدلاته وأربطة عنقه، في معارضة كوفية مسعود البارزاني الخالدة، وموقفه الأقل تحفظاً، خاصة تجاه المرأة. وعلى الرغم من أنه في الممارسة العملية، لا يزال يتعين إثبات هذه الأحكام.

على أية حال، لم يعارض أي معسكر، كوردي أو عربي، بشكل علني رئاسة جلال الطالباني. حتى أن القطيعة الجسدية للأخوين المتنافسين ستكون أفضل ضمانة للوحدة الكوردية. وعلى الأقل هذا ما يقال في كردستان.

أما بالنسبة لبرنامج الرئاسي، فقد أعطى مام جلال الخطوط العريضة: "زيارة دول ضحايا صدام، أي إيران والكويت، والاستغفار نيابة عن العراق، وكذلك المساعدة المالية. إصلاح الشرطة على وجه السرعة. والجيش. وهما يرفضان رفضاً قاطعاً دولة إسلامية، وبالنسبة لضيوفي، وذاك قوله، لدي دائماً في المنزل، في بغداد، زجاجة شمبانيا مبردة!"^(*).

حميد بوزأرسلان: كردستان العراق في ظلها الجيوستراتيجية كردستان العراق اليوم

ربما لم يعد الباحث الكوردي في التاريخ، والمؤرخ حميد بوزأرسلان، بحاجة إلى من يعرفه، وهو المشهود له في الأوساط البحثية، الأكاديمية والمؤسسية الأوروبية ذات الصلة، بطول باعه في مجال كتابات مؤثرة كهذه.

إن تجليات الكتابة المرعية هنا، تتوخى ما هو شاغل لأذهان المعنيين بالمنطقة، وبما هو كوردي. سوى أن المؤرخ والباحث يعول على حقيقة متشكلة جرى تنقيب جغرافي- تاريخي وذهنني اجتهادي، وهي في اعتبار الممثل فيما هو كوردي، يستحيل تجاهله، والدليل المؤكد، هو المتعلق بكردستان-العراق.

(*) Cécile Hennion: Un président kurde pour l'Irak, Publié le 07 avril 2005 , www.lemonde.fr

نعم، هناك العراق. إنما هل يمكن تهجئة العراق دون أخذ "كوردستانه" بعين الاعتبار في أي عملية سياسية، أو مناقشة مصير مستقبلية، أو زاوية اجتماعية منه، وتحديدًا من منظور دول الجوار، والمنشغلين به خارجاً؟

أحسب أن هذا المقال الموزون بلسان المؤرخ المقتدر، والمعزز بالوقائع والأرقام والمصادر المباشرة، وقد نقلته عن الفرنسية، يوسّع دائرة الرؤية، وأن الانتقال من الآن، إلى الوراء، حيث يكون الحدث الأيلولي وما قبله كذلك، يسوّغ له عملياً على الأرض التي تترجم واقعها اليومي من خلال المقيمين فيها، وتحسين الصورة العائدة إلى الكورد هناك.

إن ظلال الحدث الأيلولي الكوردي والتي تمتد كوردستانياً، فاعلة في بنية خطاب المؤرخ. والقراءة ضامنة لذلك: في خطاب الولاء لأسامة بن لادن، الذي لا شك في صحته الآن، اشتكى أبو مصعب الزرقاوي، الزعيم المفترض للإسلاميين المتطرفين في العراق، من أن الكورد قد تخلوا عن طريق النبي ولم يعودوا من الآن فصاعداً لا بدين، ولا قانون. ومع ذلك، لم يكن الزرقاوي قلقاً بشأن هذا الهلاك. وبالنسبة له، كانت الأولوية القصوى هي القضاء على البدع والزنادقة، أي بمعنى آخر الشيعة والشيعة العراقيين^(١).

من الصعب للغاية تقدير عدد المقاتلين بقيادة الإسلامي الأردني والتنبؤ بمستقبله في الفضاء العراقي. وما هو مؤكد، من ناحية أخرى، هو أن هذه الرسالة، وهي رسالة لاهوتية اجتماعية صغيرة حقيقية، تحتوي على جميع علامات التحذير من الفترة المظلمة التي تنتظر العراق، وقد يخشى المرء، جزءاً من الشرق الأوسط. وفي الواقع، كيف يمكننا أن ننكر أن التوترات بين الأديان التي تقوض العراق اليوم تغذيها عملية جعلتهم عرقياً على مر السنين بقدر ما تغذيها الإسلامية السنوية الراديكالية التي لا علاقة لها مباشرة بالقضايا الداخلية للبلاد؟ كيف لا يمكننا أن ندرك أيضاً أن رغبة بعض الوجهاء الشيعة في توسيع لعبة استمالة النخبة الحاكمة لممثلي الطائفة السنوية لم تكن لها في الوقت الحالي نتائج مقنعة جداً؟ أخيراً، بالكاد يمكن للمرء استبعاد الفرضية القائلة بأن التطرف العسكري السنوي، بعمق، "مناهضة الزنديق" لها الأسبقية، سواء في العراق أو في جزء من العالم الإسلامي، على المعركة التي يشنها الإسلام الراديكالي في الولايات المتحدة. يمكن أن يأتي العنف ضد أمريكا بنتائج عكسية على النسيج الاجتماعي لأكثر من دولة في الشرق الأوسط، مما يؤدي إلى تفاقم ديناميكيات الانقسام الداخلي التي تغذيها في السابق. يثبت التاريخ الحديث للمنطقة أن هذا لن يكون جديداً.

علاوة على ذلك، يجب الاعتراف بأن الخيال السياسي لا يزال مشلولاً. وبالتأكيد، حل هوبز، أي نظام قوي بما يكفي لفرض الطاعة من خلال الإكراه ومهارة بما يكفي للحفاظ على المؤسسات الرسمية للديمقراطية، من شأنه أن يحظى بموافقة جزء كبير من الشعب العراقي والمجتمع الدولي. والولايات

(١) راجع جان بيير ميليلي، "نص منسوب إلى الزرقاوي"، المغرب العربي المشرق، ١٨١، ٢٠٠٤، ص ٩٢-١١٠.

المتحدة. ومع ذلك، فإن سيناريو اللويان الديمقراطي يبدو غير محتمل في ظل الظروف الحالية: مثل هذا النظام سوف يتحول إما إلى دكتاتورية أو إلى "استبداد مجزأ"^(٢)... ترويه التوترات المتعددة التي ابتلي بها المجتمع العراقي. وتعيد الديمقراطية كما تفهمها واشنطن^(٣)، أي حكم الأغلبية العددية، سواء كانت مجموعة عرقية أو طائفية، إنتاج الطائفية فقط وتُلزم التمثيل السياسي العراقي بالتححيح المستمر بأجزاء صغيرة من "الاتفاقيات المجتمعية" غير المستقرة. وأما تقسيم البلاد بين مناطق كردية وسنية وشيعية فلن يؤدي إلا إلى إشعال مناطق مختلطة تبدأ ببغداد.

أخبار القضية الكردية في العراق:

ويحدد هذا المنع أيضاً، افتراضياً، الصفقة الجديدة للمسألة الكردية. ولأول مرة منذ تأسيس الدولة العراقية، ورغم الخلافات حول محافظة كركوك التي سأعود إليها، لم يعد الكورد يشكلون "التهديد" الرئيس لـ "وحدة الوطن"، بل مرة أخرى أقل في السلطة. ومن المفارقات، من خلال تزويد العراق، من ناحية، برئيس يدعو إلى الوحدة الوطنية، ومن ناحية أخرى، المجموعة البرلمانية الثانية (٧٧ نائباً)، أصبح الكورد هم الحكام، الحقيقيين أو المفترضين، للسياسة العراقية. والفضاء، بين العرب السنة والشيعية العرب، حيث يشعرون أيضاً بأنهم بعيدون عنها.

خلال انتخابات ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥، حصلت القائمة الكردية الموحدة (تحالف كردستان) على ٩٢٪ من الأصوات في المحافظات الشمالية الثلاث الواقعة تحت السيطرة الكردية منذ عام ١٩٩١. وفي الوقت نفسه، استفتاء غير مصرح به من قبل السلطات السياسية الكردية، ولكن لم يتم حظره أيضاً، تم تنظيمه بمبادرة "خاصة". ووفقاً لنتائجها، التي سارعت السلطات الكردية إلى إعلانها بأنها باطلة قانوناً، فإن أكثر من ٩٠٪ من الكورد كانوا سيؤيدون الاستقلال. ولا شيء يمكن أن يوضح بشكل أفضل المركزية التي اكتسبها كورد العراق منذ حرب عام ٢٠٠٣، سواء في العراق أو في جميع أنحاء المنطقة الكردية في الشرق الأوسط. وإن "إعادة العرقنة" و "إعادة كردستان" عمليتان تسيران جنباً إلى جنب، من خلال الاعتماد المتبادل على الموارد السياسية والرمزية والاقتصادية التي يولدها كل منهما. وكما أنهم يشاركون معاً في إعادة تعريف العراق وبالتالي المجموعة الكردية في ذلك البلد؛ ووفقاً للدستور الذي تم اعتماد صيغته النهائية عام ٢٠٠٥، يُعرّف عرب العراق بأنهم جزء من "الأمة العربية". ومن ناحية أخرى، لم تعد الدولة العراقية بصفقتها هذه دولة عربية^(١). وهذه الصيغة تجعل من الممكن

(٢) حول هذه الفكرة، يراجع. تشارلز تيلي، سياسة العنف الجماعي، كامبريدج، مطبعة جامعة كامبريدج، ٢٠٠٣، ص ٤٢.
(٣) حول التصور الأمريكي للديمقراطية في العراق، ينظر ديفيد باران، "العملية السياسية في العراق أفرغت من محتواها"، تعليقات جمعتها مني نعيم في لوموند، ٥ كانون الثاني ٢٠٠٥.
(١) "العراق بلد متعدد الجنسيات، والشعب العربي في العراق جزء لا يتجزأ من الأمة العربية" (مادة ٧ / ب)، سلطة الائتلاف المؤقتة، قانون إدارة دولة العراق للمرحلة الانتقالية، بغداد، ٨ آذار ٢٠٠٤.

القول، في فراغ، أن الكورد جزء من "الأمة الكوردية" التي تتجاوز حدود الدولة العراقية. وفي إشارة إلى أوقات جديدة، فإن هوشيار زيباري الكوردي، بارون حزب PDK (الحزب الديمقراطي الكوردستاني) ووزير الخارجية، هو الذي يمثل خارجياً هذه الدولة غير العربية رسمياً العضو في جامعة الدول العربية.

بناء القوة السياسية الكوردية:

لكن هل يعني هذا نهاية المشكلة الكوردية في العراق مصدر ثورات لا حصر لها منذ نهاية الدولة العثمانية؟ من دون أن ينخدع الخطاب السائد والتوازنات غير المستقرة، نرى ذلك، من عام ٢٠٠٥، حالة المحافظات الشمالية الثلاث^(١). وبدرجة أقل، صورة محافظة كركوك التي يسيطر عليها الكورد، في تناقض صارخ مع صورة المجتمع الممزق التي تظهرها البلاد ككل. فمنذ نهاية الحرب الأهلية الكوردية الداخلية (١٩٩٤-١٩٩٧)، اختفى الاقتصاد المفترس ونظام الميليشيات، اللذان لم يتركا أي أثر للثقة على حالهما، لإفساح المجال لحيوية اقتصادية (لا تقوم على الإنتاج بل على تداول البضائع والضرائب الجمركية) وجيش موحد من حيث المبدأ، تم تشكيله بعد تعيين مسعود البارزاني في رئاسة المنطقة في حزيران ٢٠٠٥، والذي أصبح الآن وحده هو الذي يسيطر على المنطقة المذكورة. وتم استبدال تقسيم كوردستان بين تشكيلين متنافسين - الاتحاد الوطني الكوردستاني وحزب PDK - بالبناء البطيء وغير المؤكد لإدارة موحدة واللامركزية الداخلية التي لا تتحدث باسمها. ورحيل جلال طالباني زعيم الاتحاد الوطني الكوردستاني إلى بغداد كرئيس جديد، يترك حرية الحركة لحزب PDK، الذي يتمتع بأغلبية في البرلمان الإقليمي، والذي يصبح بالتالي الفاعل الرئيس في التجربة السياسية والإدارية الجديدة، حتى أنه يجب عليه، في عملية متوترة في كثير من الأحيان، أن يختار الأعضاء القياديين في التشكيل المنافس *la formation rivale*.

إلى جانب تحديث الجامعات الكوردية الثلاث، وإعادة إعمار معظم القرى التي دمرت خلال عمليات الأنفال (١٩٨٨)^(١) وسياسة إعادة التشجير، نشهد بالفعل بناء القوة الكوردية التي تشبه، مؤسسياً ورمزياً، دولة (عاصمتها - أربيل -، رئاسة، حكومة، برلمان، جيش، جمارك، علم..إلخ). بينما يقوم على إرث تاريخي، فإن بناء الدولة هذا الذي لا ينطق باسمه يفتح الطريق أمام العديد من الابتكارات. وهكذا، فإن الشراكة الكوردية بين الحزبين، والتي عززتها الحرب الأهلية فقط، لها تاريخ

(٢) هذه هي محافظات دهوك وأربيل والسليمانية.

(١) حول هذه السلسلة من العمليات التي نُفذت بالأسلحة الكيميائية، انظر ميدل إيست ووتش، الإبادة الجماعية في العراق. حملة الأنفال ضد الكورد، باريس، كارتالا، ٢٠٠٣.

طويل يعود إلى عام ١٩٧٥ وحتى الستينيات^(٢)...؛ ولكن، بالإضافة إلى البيشمركة القديمة ("أولئك الذين يواجهون الموت") من الآن فصاعدًا، وهم يرتدون زي الضباط والبيروقراطيين، وفي كثير من الأحيان، رجال الأعمال، يتم الجمع بين الشراكة بين الحزبين والبنية السياسية التي يمكن تعريفها على أنها المخزن^(٣)... على غرار الكوردية، تشكلت حول قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وبطبيعة الحال، فإن المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية الكوردية العراقية، المرنة للغاية، لا تقتصر تمامًا، وكل منها يضم نصيبه من الفاعلين الجدد. لكن كل شيء يشير إلى أنهم منظمون ومترابون معًا من خلال نواة صلبة واحدة، تتكون من قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني، والتي تتمتع بمكانة مهيمنة لا يمكن إنكارها في كل منها. علاوة على ذلك، يمتلك الحزب الوسائل لضمان إعادة إنتاج نظامه: وإذا ظلت مسألة الخلافة مفتوحة داخل الاتحاد الوطني الكوردستاني، الذي لا ينجح في إنتاج "سلالة" وحتى "مكتب سياسي" للأول قادر على تعيين من الواضح أن "الأمين العام"، الحزب الديمقراطي الكوردستاني، تبنى من جانبه مبدأ الملكية. نجل مصطفى البارزاني، البطل القومي وزعيم ثورة ١٩٦١-١٩٧٥، مسعود البارزاني، رئيس كوردستان، يساعده ابن أخيه، نيجيرفان، المعين رئيسًا للوزراء.

ومن الصعب معرفة الاتجاه الذي يمكن أن يتطور فيه هذا النظام السياسي، الذي لا يختلف عن التجربة الأردنية والمغربية^(٤). ومع ذلك، هناك شيء واحد واضح: في الوقت الحالي، النظام ليس ديمقراطيًا ولا استبداديًا. لا ديمقراطي، لأنه في الحالة الأخيرة يعتبر جوهره القوي السلطة مجالًا محميًا: الانتخابات التعددية لا يمكن أن تسمح بالتناوب السياسي وستؤدي، على الأكثر، إلى تقاسم السلطة على الهامش واستمالة النخب من أيضًا. وهوامش الحملة ليست سلطوية، لأنها بعيدة عن ضمان استدامتها من خلال الإكراه، فهي تعتمد بشكل كبير على الموارد التي تجلبها القومية الكوردية لها، ولا تحظر الانتقادات التي تندمج من جميع الأطراف ضدها، ويتم إعادة إنتاجها عن طريق التعاون والموافقة في كل لحظة حاسمة. حتى مشاركة الحزب الديمقراطي الكوردستاني في الحرب الأهلية في ١٩٩٤-١٩٩٧ اليوم تمنحه شرعية لاحقة: إذا تم انتقاده بشدة بسبب دوره خلال الحرب، فقد تم الترحيب به أيضًا لأنه عرف كيفية وضع حد لها، واستقى منها دروس ("لن تتكرر أبدًا") وتمنع كوردستان من الغرق في الفوضى التي تسود بقية العراق. وأخيرًا، يسمح النظام لعدد من الجماعات غير المتحالفة بتجاوزه أو قيادة وجود مستقل. وهكذا، فإنه من

(٢) ينظر، أ.د. عبدالفتاح البوتاني "إشراف" شيرزاد "الحركة الكوردية في العراق: ١٩٧٥-١٩٨٨"، في فيليب ج. كرينبوك، ستيفان سبيرل (محرران)، الكورد: نظرة عامة معاصرة، لندن، روتليدج، ١٩٩٢، ص ١٣٤-١٤٢.

(٣) هذا المصطلح المستعار من المفردات السياسية المغربية يحدد مساحة طاعة الدولة وإعادة إنتاجها من خلال الضرائب، والاستيعاب وإعادة التوزيع، وكلها مبنية حول الملكية.

(٤) لمزيد من المعلومات، راجع. حميد بوزارسلان، "إعادة تشكيل الصراع الكوردي في العراق"، ليظهر لدى محمد النور، مارتينا ريكو، ما بعد الصراع وإعادة تشكيل المكان والفضاء: الاقتصاديات والمؤسسات والشبكات، القاهرة، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ٢٠٠٦، (النسخة الفرنسية لتظهر في مراجعة Outre-Terre، ١٢، ٢٠١٢).

بين القبائل التي كانت خاضعة في السابق لبغداد، بعضها تابع، والبعض الآخر تم تجاهله ببساطة. وتمتع الجماعات، التي لا تسيطر سلطة أربيل على إستراتيجياتها، بهامش حقيقي من الحكم الذاتي، لكنها غير قادرة على المنافسة سياسياً. ولا يبدو أن هذا المخزن بالذات يواجه الكثير من المتاعب في إدارة مسقط رأسه السبية، ومنطقة العصيان الخاصة به، وحتى المعارضة.

مسألة كركوك:

تشكل كوردستان اليوم مساحة سياسية فريدة داخل العراق. ومع ذلك، وكما يشهد على تواتر النزوح، لا توجد حدود ضيقة بين العراق العربي وكوردستان العراق. وبالمثل، مهما كانت استثنائية، فقد أظهرت هجمات آذار ٢٠٠٤ (ما يقرب من ٢٠٠ ضحية، بما في ذلك العشرات من كبار الشخصيات) وأيار ٢٠٠٥ (حوالي ٤٥ ضحية) في أربيل استحالة اعتبار كوردستان "حصناً". وليس من المؤكد أن ديناميكيات العنف في العمل في بقية البلاد لن يتم، في مرحلة ما، تصديرها إلى الأطراف الكوردية. ودعونا لا ننسى أن فصيل أنصار الإسلام (المدافعون عن الإسلام)، الذي أعيد تسميته بأنصار السنة^(١)، نشط للغاية ووقع العديد من الهجمات في أربيل. إنهما في الوقت الحالي، تتركز التوترات على كركوك، وهي قضية مركزية في الاحتجاج الكوردي منذ ثورة مصطفى البارزاني في عام ١٩٦١، وعلى الموصل، وهي مدينة لا يدعي الكورد أنهم يسيطرون عليها ولكنهم يسيطرون عليها، مما يريح القوات. والأمريكان - وإلى استياء الحركات المتمردة. القوات العراقية في الموصل ذات أغلبية كوردية، مما يوجب الاستياء بين الأغلبية العربية السنية هناك، ويعززها وحدات شبه عسكرية يجندها الجيش الأمريكي من بين الكورد. ولكن بصرف النظر عن الأحياء التي يعيشون فيها، فإن المدينة ليست قضية لهم^(٢)... أما بالنسبة لكركوك^(٣)... التي مرت تحت سيطرتهم منذ الأيام الأولى للحرب القصيرة عام ٢٠٠٣ وحيث يتم الاعتراف بسلطة حكومة إقليم كوردستان في الدستور المؤقت الصادر في آذار ٢٠٠٤^(٤)... فإن المخاوف - عبر عنها الكثير من المراقبين - لرؤيتها تشتعل وتصبح مسرحاً لحرب بين الأعراق، ثبت حتى الآن أنها لا أساس لها من الصحة. في الواقع، على الرغم من العديد من الهجمات الدموية، لا تزال المدينة أكثر هدوءاً نسبياً من جارتها الموصل.

(١) هذه المنظمة، الكوردية في الأصل، أسسها الملا كريكار، وهو من قدامى المحاربين في الحرب الأفغانية. وهي الآن ذات أغلبية عربية ويبدو أنها خاضعة لسيطرة أبو مصعب الزرقاوي.

(٢) لكن العديد من ممثلي المناطق المسيحية والإيزيدية في هذه المحافظة يطالبون بالارتباط بكوردستان.

(٣) حول تاريخ هذه المدينة وتحدياتها الحالية، ينظر، مارتن فان بروينسن: "العراق: التحديات الكوردية"، قريباً.

(٤) "حكومة إقليم كوردستان معترف بها على أنها الحكومة الرسمية للأراضي التي كانت تدار من قبل تلك الحكومة في ١٩ آذار ٢٠٠٣ في محافظات دهوك وأربيل والسليمانية وكركوك وديالى ونيوى. وتشير عبارة (حكومة إقليم كوردستان) الى المجلس الوطني الكوردستاني ومجلس وزراء كوردستان والسلطة القضائية الإقليمية في إقليم كوردستان (المادة ٥٣/أ). وبحسب هذا الدستور المؤقت، سيتقرر وضع كركوك المستقبلي بناء على نتائج التعداد السكاني القادم.

وإلى جانب ثروتها النفطية^(٥) والقضايا الاقتصادية التي تنبثق عنها، تجعل كركوك المشاعر القومية للكوورد تهتز بألف واستعارة. أقوى لها، القدس الكوردية (قدسا كوردستان) تشهد على ولائهم لـ "أرض قومية" مقدسة. ولكن في مكان آخر يتم تفسيره حتماً في ضوء سجلات الإسلام والعروبة. ومن المؤكد أن الشيعة، الذين يشكلون الآن الأغلبية السياسية في البلاد، لا يولون أهمية كبيرة لهذه المدينة ويبدو أنهم مستعدون، باستثناء قوات مقتدى الصدر، للتصالح بشأن هذه القضية. وبالمثل، يشير كل شيء إلى أنه بالنسبة للإسلاميين الراديكاليين، الذين يؤيدون منطق الحرب غير الإقليمية، فإن كركوك ليست أكثر من قطعة أرض قابلة للتبادل، من الناحية العسكرية، مع أي دولة أخرى. ومع ذلك، فإن هذا ليس هو الحال بالنسبة لجزء كبير من القوميين العرب السنة، المنخرطين أيضاً في حركات التمرد، الذين يرون في صورة "القدس الكوردية" شبح تحول كوردستان إلى "إسرائيل ثانية". تشكلت داخلها "العالم العربي". في أعقاب ثورة مصطفى البارزاني عام ١٩٦١، كانت كركوك مسرحاً للموجات الأولى من طرد الكورد. وكان رفض بغداد إجراء إحصاء نزيه واستمرار تعريب المدينة من الأسباب الرئيسة لاستئناف الثورة عام ١٩٧٤^(٦). ... خلال الثمانينيات، مع استمرار سياسة التعريب، تمت دعوة الشباب الكورديات، من خلال حوافز مالية، للزواج من عرب^(٧). ... احتلت المدينة لفترة وجيزة من قبل المتمردين الكورد في أعقاب حرب الخليج عام ١٩٩١، وشهدت المدينة أهم موجة من التعريب في تاريخها بين عامي ١٩٩١ و ٢٠٠٢. وبينما تلاشت خطة صدام حسين لتشجيع الفلسطينيين على الاستقرار في المدينة، تلاشت العائلات العربية من جنوب العراق. التي تم ترحيلها، تم توطينها على نطاق واسع هناك، خاصة بعد جفاف الأهوار. وطبقاً لمراقب تحدث إلى مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في عام ٢٠٠١: "في كركوك وحدها، تم تهجير (١٠٨٠٠٠) كوردي منذ عام ١٩٩٢ [و] لم يتخذ المجتمع الدولي أي إجراء لحماية هؤلاء النازحين"^(٨). وفي معظم الحالات، تم إعطاؤهم وثيقة إخلاء مناسبة وتم إنزالهم ببساطة عند نقطة التفتيش التي فصلت المنطقة الكوردية عن المناطق التي تسيطر عليها الحكومة المركزية.

كانت استعادة الوضع قبل عام ١٩٩١، من خلال تهجير العائلات العربية التي تأسست مرة أخرى منذ عام ١٩٩١ وإعادة توطين العائلات الكوردية، منذ عام ٢٠٠٣ هي القضية الرئيسة في المفاوضات

(٥) المدينة هي موقع الإنتاج الثاني في البلاد بعد المنطقة الجنوبية.

(٦) ينظر إليزابيث بيكار، "العراق: السؤال الجوهرى للحكم الذاتي"، لدى إ. بيكار "تحرير" المسألة الكوردية، بروكسل، مجمع، ص ٧٩-٩٥.

(٧) محمد م. أحمد، "المشاكل المزمنة للاجئين الكورد والكورد المهجرين داخلياً في جنوب كوردستان العراق"، لدى محمد م. أحمد، مايكل غونتر، النزوح الكوردي: من النزوح الداخلي إلى الشتات، شرعون (ماجستير)، مؤسسة أحمد للدراسات الكوردية، ٢٠٠١، ص ٣٢.

(٨) شهادة غيوم بوندي أمام لجنة حقوق الإنسان، ١٢ نيسان ٢٠٠١ (ينظر البيان الصحفى للجنة حقوق الإنسان، يراجع: // www.unhcr.org/factsheets/fs101.html / الإحصار / الإحصار. 37D C 310026 AAC 1256A 5 EDC 7128598103 / view01 / nsf / opendocument ؟)

(تمت الزيارة في ٢٠ نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٠٥).

بين الكورد والأطراف العراقية الأخرى. وقد اتخذت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه عندما حصل الكورد المطرودون، بعد مفاوضات شاقة مع الأمريكيين والقوى الشيعية - بدءاً بآية الله السيستاني - على حق التصويت في مدينتهم الأصلية. وشارك في انتخابات عام ٢٠٠٥ قرابة (١٠٠) ألف منهم (من أصل ٣٦٠ ألف ناخب كل الانتماءات)، أما رحيل العائلات العربية فكان موضوع عمل عدة لجان. وفي الوقت الحالي، يبدو أن السياسة الكوردية (التي يدعمها الأمريكيون أحياناً، ويعارضها الأمريكيون أحياناً) تتمثل في تقديم تعويض مالي يصل إلى (١٠٠٠٠) دولار لكل عائلة توافق على إعادة التوطين في منطقتها الأصلية.

كركوك هي أيضاً نقطة توتر بين الكورد وتركيا. وقد قدرت أنقرة عدد التركمان في العراق بثلاثة ونصف، أو حتى أربعة ملايين، وتذكر بواجبها "التاريخي" في حمايتهم من "ابتزازات الكورد"، وحددت أنقرة، قبل حرب عام ٢٠٠٣، أنه اعتبرها دخولاً. ومن القوات المسلحة الكوردية إلى المدينة كسبب للحرب. وبعد أن استقرت القوات الكوردية المتحالفة مع الأمريكيين في المدينة المرغوبة، تحرك "الخط الأحمر" التركي باتجاه منطقة إعادة توطين المدينين الكورد: أصبحت الآن أي محاولة كوردية "لتغيير النسيج" الديموغرافي. المدينة "التي تم تعريفها على أنها سبب الحرب".

ومع ذلك، كانت انتخابات كانون الثاني ٢٠٠٥ اختباراً واقعياً لكلا الجانبين: القائمة التركمانية (تحالف الجبهة التركمانية) المدعومة من تركيا، حصلت على ١٪ فقط من المقياس العراقي، وهو بالكاد أكثر من الإسلاميين الكورد وبعيداً عن القائمة الكوردية الموحدة (٢٥,٧٪). في كركوك نفسها، حصل الأخير على ٥٨٪ من الأصوات، مقابل ٢٠٪ لقائمة الشيعة أو العلويين^(١)، و ١٦,٤٪ فقط لتحالف الجبهة التركمانية. إن تصويت الناخبين الكورد المصرح لهم بالمشاركة في الانتخابات يفسر فقط هذه النتيجة الضئيلة على الهامش، لأنه وفقاً لمراقب - ملتزم، هذا صحيح -، فإن القائمة التركية بالكاد كانت ستتجاوز ٢٣٪ إذا لم يفعلوا ذلك. ولم تشارك في التصويت^(٢). بالإضافة إلى ذلك، فضل جزء من المجتمع التركماني، في كركوك والموصل وتلعفر وأربيل وأماكن أخرى، القوائم الكوردية أو الشيعية على قائمة تحالف الجبهة التركمانية، الذي انتخب (٣) فقط، مقابل (٩) على القائمتين الآخرين. ولتجاهل التوترات بين أنقرة وكورد العراق، فضل المجتمع التركماني الانتماءات العراقية الداخلية ومنطق التحالفات. وفي مواجهة الضعف الديموغرافي والانتخابي للجبهة التركمانية، وخوفاً من أزمة جديدة مع واشنطن، قررت أنقرة بعد ذلك، بتحريض من وزير الخارجية عبدالله غول، تغيير الاستراتيجية والقبول على مضم بالتعاون مع الكورد. وبعد ثلاثة أشهر، غرقت الجبهة التركمانية في انقسامات داخلية^(٣).

(١) على التوالي: التحالف العراقي الموحد والقائمة العراقية.

(٢) عادل البغدادي، "لحظة الحقيقة للجبهة التركمانية غير العراقية" (تمت الزيارة في ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٠٥).

(٣) ينظر، انقسام التركمان "بالتركمانية" ميليت، ٢٣ نيسان ٢٠٠٥.

مرجعية كوردية خارج العراق:

والوضع النهائي لكركوك بعيد كل البعد عن أن يكون ثابتاً: الاندماج النهائي في الدولة الكوردية الفيدرالية، دولة فدرالية كاملة في عراق لا مركزي على النمط الأمريكي، نموذج "بروكسل" ... وتتم دراسة عدة خيارات. فيما وراء هذه التسوية المستقبلية، فإن "التدويل" القصير لحصّة كركوك يوضح أنه على الرغم من رغبتها الشديدة في الاستقلال، فإن الأحزاب الكوردية الرئيسة لا ترغب في مغادرة الحظيرة العراقية، التي أصبحت دولة ملاذ في مواجهة ميول التدخل من الدول المجاورة. ولقد أوضحت الأزمة بالفعل أن التهديدات للتجربة الكوردية المستمرة قد تأتي من الشهية التي تظهر خارج الحدود أكثر مما تأتي من داخل العراق نفسه.

منذ عشرينيات القرن الماضي، التي شهدت إنشاء حدود جديدة وعسكرة، استمر الصراع الكوردي في الظهور على مستويين متفاعلين: "قومي" وإقليمي. تأثر كل جزء من كوردستان بكل من ديناميكيات البلد الذي ينتمي إليه وديناميكيات المجال الكوردي على نطاق شرق أوسطي. ولم تكن الدول نفسها قادرة على تجاهل هذه الحقيقة: لقد تعاملت معها بعدة طرق، بما في ذلك من خلال سياسة القمع الجماعي. في الوقت الحاضر، ما وراء كوردستان العراق، فإن الفضاء الكوردي بأكمله - في سوريا وتركيا وإيران وفي الشتات في أوروبا - يمر بتوترات متعددة وتحركه آمال كثيرة. وهكذا في سوريا، بينما لا تزال ذكرى أعمال الشغب الكوردية في آذار ٢٠٠٤ - التي أودت بحياة ما يقرب من (٥٠) ضحية - حية للغاية، بدأ الربيع الكوردي "السري" بالظهور. ففي إيران، الكورد السنة - الذين يشكلون ما يقرب من ٧٥٪ من الجالية الكوردية في ذلك البلد - شبه معارضة مفتوحة ونأمل في انتظار التغييرات التي يمكن أن تجلبها الضغوط الأمريكية المتزايدة إلى المنطقة. في تركيا، بينما نشهد استخفاف القومية العرقية التركية، استأنف مقاتلو حزب العمال الكوردستاني، الموقوف منذ عام ١٩٩٩، مما أسفر عن مقتل أكثر من (٥٠٠) شخص منذ عام ٢٠٠٤.

بالطبع، هذا التنشيط للمجال الكوردي العابر للحدود هو استمرار للاضطرابات التي عرفها الشرق الأوسط منذ الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ وحرب الخليج الأولى (١٩٨٠-١٩٨٨). ومع ذلك، هناك نوعان من المستجدات. الأول هو أنه على الرغم من تعدد الفاعلين الذين يؤلفونها، فإن هذا الفضاء الآن به مرجعية ونموذج وأرض يسيطر عليها الكورد أنفسهم. والثاني أنه يتواصل الآن من خلال وسائل الإعلام الجديدة، مثل القنوات الفضائية والإنترنت، والتي تكون آثارها الحركية شبه فورية. مهما كانت القيود التي تفرضها الدول، فإن الحدود - وهي بالفعل سهلة الاختراق من الناحية العملية، ولكنها أصبحت كذلك في الأذهان - تقارب كورد إيران وسوريا وتركيا نحو كوردستان العراق. وإن الآلاف من سائقي الشاحنات الذين يعبرون الحدود التركية العراقية بشكل يومي لا ينقلون البضائع الاستهلاكية والنفط

فحسب ، بل ينقلون بضائعهم ونفطهم. كما أن تلك الشاحنات تنقل الأفكار والمعلومات والقصص والشائعات. وزاخو، على بعد عشرين كيلومتراً من الحدود، هي الآن مدينة في كردستان التركية كما هي في كردستان العراق. وفي سوريا، تم التلويح بصور البارزاني وطالباني خلال اشتباكات مفتوحة بين الشباب الكورد والشرطة "ضد" صور صدام حسين، التي كانت مكروهة ذات يوم ولكنها الآن رمز قومي قوي في بعض الأوساط العربية. وأخيراً، في حين أن عشرات الآلاف من الكورد الذين لجأوا إلى إيران منذ فشل ثورة البارزاني في عام ١٩٧٥ أو منذ طردهم في عام ١٩٧٩ يعودون للاستقرار في كردستان العراق، فإن كورد إيران يشيرون أكثر فأكثر بصراحة إلى "النموذج الكوردي العراقي".

عدم اليقين والمدة كموارد سياسية:

وهكذا أصبح الكورد فاعلين مركزية مزدوجة، داخل العراق وداخل عراقي. ومع ذلك، فهم ليسوا سادة مصيرهم ولا يمكنهم تصور استراتيجيات متوسطة المدى أو حتى قصيرة المدى. بقدر ما يبدو الأمر مستبعداً اليوم، فإن الانسحاب الأمريكي أو تشكيل محور أنقرة - دمشق - طهران سيضعهم في موقف صعب، على أقل تقدير. علاوة على ذلك، إذا كانت المحافظات الشمالية الثلاث محمية نسبياً من تداعيات العنف، فإن الأمر نفسه لا ينطبق على كركوك والأديان والأعراف والموصل، حيث يتم تجنيد العديد من المقاتلين العرب السنة، ولكن أيضاً الكورد.

وبعد فشلهم في التغلب عليها، يحول الفاعلون الكورد هذه الشكوك إلى موارد رمزية وسياسية تسمح لهم بتعزيز الشعور "بالتماسك الوطني" وإضفاء الشرعية على بنائهم الحالي للسلطة. وفي استمرارية مفاهيمية قيمية *conceptuel et axiologique* مع الجهات الفاعلة الحكومية في الشرق الأوسط، يستخدمون الوقت، بمعنى آخر قدرتهم على الترسخ على المدى الطويل^(١) كمورد سياسي. وإذا تمت صياغتها في أغلب الأحيان كاستجابات للقيود غير الخاضعة للرقابة^(٢)، فإن الاستراتيجيات التي تضعها لا تخضع لمديتين زمنييتين متكاملتين: واحدة، قصيرة، أو حتى فورية، شبه إدارية وتحمل علامة العقلانية من خلال إفتراضي؛ والآخرى، طويلة، في استمرارية القومية الكوردية، من المرجح أن تؤدي في الوقت المناسب إلى الاستقلال. وتعمل الفترة الزمنية القصيرة في مجالات إضفاء الطابع المؤسسي، والانتقال، والتمزق بين الأجيال، وتحويل الفضاء، من حيث التخطيط المكاني وكذلك النسيج الحضري

(١) حول هذه الفكرة، ينظر: فوير عادل دويشا، ويليام زارتمان (محرران)، ما وراء الإكراه. متانة الدولة العربية، لندن، كروم هيلم، ١٩٨٨.

(٢) الوضع ليس غير مسبوق. تم تأجيل المجتمع العراقي بشكل فعال منذ حرب ١٩٩١. راجع فرانسواز ريغو، "العراق: الوقت المعلق للحظر"، النقد الدولي، ١١ نيسان ٢٠٠١، ص ٢٤-١٥. Hamit Bozarslan: Le Kurdistan d'Irak aujourd'hui, Dans Critique internationale 2005/4 (no 29)

للعديد من المدن. وتنتج الاستراتيجيات المخصصة، التي ليس لها أفق غير المستقبل القريب، مع ذلك تأثيرات بنوية حقيقية ودائمة. ويمكننا أن نرى أن فترة زمنية قصيرة جداً، مرادفة للتأجيلات المستمرة منذ عام ١٩٩١، تتوافق أيضاً مع ظهور أجيال جديدة، أصبحت الآن من البالغين، كورد بشكل حصري تقريباً، وهم يعتبرون العراق العربي بالفعل جزءاً من الماضي. ألم تنزل الأخبار التلفزيونية الكوردية أخبار الأوضاع في العراق إلى المرتبة الخامسة في موضوعاتها، بعد أجندة "الرؤساء"، والأخبار العالمية والمحلية، والرياضة؟

اي درس للعراق؟:

هذا اللجوء إلى الوقت الفوري باعتباره الإطار الوحيد للمستقبل سيكون مستحيلاً بدون الرجوع المستمر إلى التاريخ الكوردي في العراق والشرق الأوسط. ومع ذلك، فإن هذا التاريخ، المشحون بالعديد من النزاعات، ذو شقين، بمعنى أنه يشير إلى "المقاومة الوطنية"، الموجودة في كل مكان والمستوطنين من خلال ألف صورة ورمز، وإلى الحرب الأهلية من ١٩٩٤ إلى ١٩٩٧. على عكس البيشمركة في النضال الوطني، الذي يكرمه ويمجده، لا يمكن اعتبار مقاتلي الحرب الأهلية - التي قيل إنها أودت بحياة (٤٠٠٠) ضحية - "شهداء" الأمة، التي تفرز نفسها في وحدة وليس في انقسام. ومع ذلك، يتم إحياء ذكرى قتلى الحرب الأهلية كضحايا تضحيات للأخطاء والعواطف التي تشوه "تاريخ الأمة" بشكل لا يحى. الضحايا، هم أيضاً شهود، يتذكرون، من خلال تضحياتهم وانسحابهم بعد وفاتهم في قلوب الأحياء، أن الهاوية ليست بعيدة جداً أبداً.

هل يمكن للخروج الكوردي من الحرب الأهلية بدمج قياداتها وقواتها العسكرية، ولكن يشكل دفن الضحايا أيضاً في حميمية مؤلمة يشكل نموذجاً لبقية العراق؟ من المؤكد أن الديناميكيات المذهبية، التي تمنح الطائفتين السنية والشيعية، التي أصبحت الآن عرقية، بموارد مقدسة، غائبة تماماً في الحرب الكوردية الداخلية، التي عارضت أيضاً عدداً محدوداً من الأبطال. ولم يفقد الحزبان، الاتحاد الوطني الكوردستاني وحزب PDK، السيطرة على قواتهما وقد نجحا، كقوة أولية للعنف، في احتواء الميليشيات المستقلة. وبالإضافة إلى ذلك، قبلاً تحكيم واشنطن، التي استمرت في ممارسة ضغوط هائلة عليهما لإنهاء الأعمال العدائية. وبعيداً عن هذه الخصوصيات، يجب أن نتذكر أن تدخل المجتمع الكوردي لعب دوراً حاسماً في إنهاء الحرب الأهلية. ولولا هذه الآلاف من المعلمين والطلاب والأطباء الذين تحدوا الحدود الداخلية يومياً، وبدون هذه الملايين من اللغات الحرجة التي رفضت تقييد نفسها في مواجهة الخوف، لما كان الطرفان لينجحا في إنهاء الحرب والحاضر. وهذا القرار كدليل على "الحكمة".

لقد أوضح لي أستاذ من جامعة السليمانية أن الحرب الأهلية بين الكورد لم تكن حرباً بين الأشقاء، بل كانت حرباً من نوع (قتل النفس). العديد من حرب الأخوة birakuzi هم في الواقع قتل النفس

xwukujî. وبالرغم من تواضعه، قد يكون هذا الدرس هو الدرس الوحيد الذي يستطيع النموذج الكوردي تقديمه لبقية العراق اليوم.

استمرار للظلال وحركتها كوردياً:

في مقابلة مع حميد بوزأرسلان، بعنوان "مائة عام من النضالات القومية" يمكن اختصار العلاقة، في بضع كلمات، وهي أن الأجوبة التي تقرأ في الكتاب، تضيء ما تقدم، وكما يمكن أن يقرأ طي نصوص أخرى تالياً، كما تعطي فكرة أوسع عن موقع الكورد عموماً، وفي كوردستان- العراق خصوصاً. وللمقابلة عنصر تشويقي، كما لو أن المؤرخ يتحدث، شعوراً بأهمية المادة، وحيويتها، وبالتالي، كان هذا النقل للمقابلة عن الفرنسية، لتجد لها موقعها في خانة الكتاب: الكورد الآن هم الحلفاء الأكثر أماناً في التحالف ضد داعش وأصبحت مقاتلاتهم أيقونات. هل هي أخيراً فرصة خوض معركة وطنية لم يتخلوا عنها أبداً؟

التاريخ: هل فشل مشروع كوردستان المذكور في معاهدة سيفر عام ١٩٢٠ لم يضع حداً للقومية الكوردية؟

حميت بوزأرسلان: بالطبع لا. تأسست هذه الحركة الوطنية بالفعل في نهاية القرن التاسع عشر. وبعد الفرصة الضائعة للدولة الكوردية في عام ١٩٢٠ (يراجع جوردي تيجيل، ص٤٤)، انقسم الكورد بين أربع دول (تركيا، العراق، إيران، سوريا). لكن التمردات تتكاثر خلال فترة ما بين الحربين. كانت الثورة الأولى هي ثورة الشيخ سعيد الذي دعا في عام ١٩٢٥ إلى انتفاضة ضد إلغاء الخلافة* على يد مصطفى كمال. أسبابه دينية بقدر ما هي وطنية. ومن ثم فإن المثقفين هم من ينفذون مشروع الاستقلال الذاتي. لكنهم ما زالوا منقسمين.

في عام ١٩٢٧، في سوريا ولبنان هذه المرة، تم إنشاء حزب مؤيد للاستقلال، خويبون (والذي يعني "الاستقلال"). حيث ينتمي بعض الأعضاء إلى بَنَى قديمة، مثل KTC (لجنة استعادة كوردستان)، بالإضافة إلى اثنين من الأخوين بدرخان خان، وهي عائلة كبيرة حملت تطلعات وطنية منذ نهاية القرن التاسع عشر. ومن الأرمن وهم أيضاً جزء منه، مثل فاهان بابازيان. كانوا يريدون معاً إقامة دولة كوردية في القوقاز Caucase "تصويب: آارات". لكن في نهاية عام ١٩٣٠، سحق الجيش التركي تمرد الذي حشد عدة آلاف من الأشخاص.

حدثت اللحظة الرئيسية الثانية في عام ١٩٤٦، مع الاضطرابات الناجمة عن نتيجة الحرب العالمية الثانية. فتأسس في إيران حزب يجمع الكورد العراقيين والإيرانيين، الحزب الديمقراطي الكوردستاني (PDK). وشخصياته المركزية هم قاضي محمد، رجل دين كوردي إيراني، ومصطفى البارزاني. حيث إن

عائلة الأخير لديها العديد من المشايخ ولها تاريخ طويل في القتال ضد العثمانيين، ثم ضد العراق (وهو أيضاً والد الزعيم الحالي لكوردستان العراق).

في ذلك الوقت اندلعت ثورة كبيرة في إيران، عندما كانت البلاد جزئياً تحت الاحتلال السوفيتي. وتشكل جمهورية أذرية وجمهورية كردية. وقد أنشأ هذا عاصمتها في مهاباد. وقاضي محمد هو الرئيس. وأصبح مصطفى البارزاني، الذي انضم إلى الثورة بعشرة آلاف رجل، أحد جنالاتها الرئيسين. وعندما انسحب السوفييت في كانون الأول ١٩٤٦، انهارت الجمهوريتان. ولتجنب الحرب يستسلم قاضي محمد. سوى أنه أعدم علناً في مهاباد. فمضى البارزاني إلى المنفى في الاتحاد السوفياتي. وسيستمر هذا الكيان الكوردي المستقل الأول أحد عشر شهراً. ليبقى مرجعاً لجميع الحركات الكوردية اللاحقة.

كيف نفسر هذه الثورات المتواصلة؟ هل يتم قمع الكورد بشكل منهجي؟

نعم، منذ عشرينيات القرن الماضي وحتى الأربعينيات من القرن الماضي، كان الكورد مضطهدين في كل مكان، باستثناء سوريا تحت الانتداب الفرنسي على الأرجح: تحمي فرنسا الأقليات، بل وتعتمد عليها. ويتم الترحيب باللاجئين هناك. ويتم الحفاظ على الثقافة الكوردية: على سبيل المثال، يعمل الجنرال بيير روندو بحيث يتم نسخ اللغة بالأبجدية اللاتينية. ومن ناحية أخرى، في تركيا، تم قمع الكورد باستمرار. واللغة ممنوعة. كما تتم إدارة أراضيهم وفقاً لنظام إداري منفصل: يرسلون "مفتشين عامين" يقدمون تقاريرهم مباشرة إلى الرئيس ويتمتعون بصلاحيات كاملة. ولا يتم تطبيق العديد من القوانين التركية هناك. على الفور، تهيمن لعبة المحسوبة على الأطر القبلية والأخويات التي لا تزال قوية.

ومن عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٤٧، يمكن القول إن الأمور في تركيا تعود إلى طبيعتها إلى حد ما. فتسمح التعددية السياسية لبعض الفاعلين بالدخول في منافسة انتخابية. ولفترة بدون ثورات تفتح للكورد في الدول الأربع - وتستمر حتى عام ١٩٥٨. فيما أسميه "فترة الصمت". نلاحظ إرهاباً للمسلحين، والحاجة إلى مداواة جراحهم، وتقليل القمع - غالباً على حساب إسكات هويتهم الكوردية - ولكن أيضاً ظروف معيشية أفضل.

بعد فترة "الصمت"، أصبح الكورد هدفاً للقمع البوليسي. منذ متى؟

ذلك يعتمد على البلاد. في إيران، استؤنفت في عام ١٩٥٣، بعد الإطاحة برئيس الوزراء التقدمي

مصدق. وبعد ذلك سيختبئ القوميون الكورد تدريجياً.

في العراق، تغير الوضع عندما تمت الإطاحة بالنظام الملكي العراقي عام ١٩٥٨: عاد مصطفى

البارزاني من المنفى. في وقت قريب من رئيس الوزراء العراقي قاسم، الذي يقول إنه إصلاحى وحساس

للمسألة الكوردية، ينتهي الأمر بالبارزاني بالقلق من القدرة الجديدة: الكورد يتعرضون للقمع مرة

أخرى ويبدأ البارزاني في حرب العصابات guerilla في عام ١٩٦١، "واحدة من الأكثر ثباتاً وأفضل تنظيمياً

في الستينيات «، selon Gérard Chaliand¹، وفقاً لجيرارد تشاليان ١. البارزاني يصبح من أعظم الشخصيات في الحركة الكوردية وتمردها مرجعاً Barzani devient une des grandes figures du mouvement kurde et sa rébellion, une référence..

الكورد أصبحوا مسيحين. إنهم يلتزمون الآن بالإيديولوجية الماركسية اللينينية ويظهرون قوة نضالية: الدفاع عن القضية الكوردية ممزوج بمطالب اليسار. تشارك النساء، وخاصة المسيحيين. المثقفون ينضمون إلى الحركة. وهذا لا يمنع البارزاني من أن يكون لديه مناصب محافظة في الأمور الاجتماعية أو الدينية. إنه يتحدث ضد الإصلاح الزراعي ولا يريد أن يسمع عن الصراع الطبقي أو الثورة العالمية.

وفي نهاية المطاف، كان البارزاني نفسه هو من أوقف حرب العصابات عام ١٩٧٥ لمنع المذبحة. في غضون ذلك، سحبت الولايات المتحدة وإسرائيل وإيران، التي دعمتها لأسباب سياسية واقعية، دعمها لها - طهران، على وجه الخصوص، حسمت نزاعاتها الحدودية مع بغداد. يعزو العديد من الكورد هذه الهزيمة إلى خيانة الولايات المتحدة وخيانة "الإقطاعي" الكوردي، بما في ذلك في المقام الأول، البارزاني. لم يمنع هذا الفشل التمرد من استئنافه بعد بضعة أشهر وأدى إلى تطرف القوميين الكورد، الذين سيكونون هدفاً لقمع شرس في عهد صدام حسين - نتذكر مقتل (٥٠٠٠) من حلبجة، رجال ونساء ورجال. أطفال. اختنق عمداً بالأسلحة الكيماوية عام ١٩٨٨ على يد الدكتاتور العراقي الذي استغل غطاء الحرب ضد إيران للقضاء على الاحتجاج الكوردي بشكل نهائي.

وفي السبعينيات، استؤنف الصراع أيضاً في تركيا، مع تأسيس حزب العمال الكوردستاني. وهكذا انتقلت المطالب والانتفاضات من دولة إلى أخرى، لتُشعل النار في كوردستان بأكملها في الثمانينيات.

ما هي خطة حزب العمال الكوردستاني؟

تأسس حزب العمال الكوردستاني، رسمياً في عام ١٩٧٨، ومن بين الأعضاء المؤسسين عبدالله أوجلان. ولد هذا الحزب اليساري الراديكالي، من جهة، من الصدمة التي أحدثتها هزيمة البارزاني في العراق عام ١٩٧٥، ومن جهة أخرى، كورد فعل على الانقلاب العسكري في تركيا عام ١٩٧١، الذي قضى على اليسار. والمثقفين وأسباب عودة الإرهاب إلى كوردستان. إن حزب العمال الكوردستاني هو رد فعل ضد الطبقة السياسية الكوردية القديمة، التي تمثلها البارزاني، وضد المثقفين الذين اعتقدوا أنه من الممكن الترويج لقضيتهم ضمن الإطار الدستوري.

يظهر جيل جديد من المناضلين: لم يعودوا النخبة المثقفة أو الزعماء التقليديين للقبائل، ولكن السكان المتحضرين، الشباب (في بعض الأحيان صغار السن، ١٥-١٦ سنة)، عامة الشعب. ويراجع حزب

العمال الكوردستاني تاريخ الكورد: إذا أصبحوا عبيداً فهم مسئولون عن ذلك. فقط العنف هو الذي سيجعل من الممكن الخروج من هذه الحالة، حتى لو كان ذلك يعني التضحية بالنفس من أجل القضية. وحزب العمال الكوردستاني، الذي تسلم زمام الأمور من المقاتلين العراقيين، يعتبر نفسه القوة الديناميكية الجديدة للثورة الاشتراكية في جميع أنحاء الشرق الأوسط، وهو دور مشابه إلى حد ما لدور الفلسطينيين. وفي مشروع التحرر العالمي هذا، يصبح الطلب على كوردستان المستقلة ثانوياً. وعلاوة على ذلك، فهو بالأحرى اتحاد في الشرق الأوسط لا يزال يفضل الحزب حتى يومنا هذا، وهو اتحاد يضم الكورد والعرب والأتراك والأرمن ...

في حزب العمال الكوردستاني "الماركسي اللينيني" الحازم، تسود حزب العمال الكوردستاني عبادة الشخصية لصالح أوجلان، القوة المطلقة للحزب، وهو نظام انضباطي. وكانت الثمانينيات تلك عمليات التطهير الدموية. ويقود حزب العمال الكوردستاني الكفاح المسلح على حساب المجازر أحياناً. والضحايا الأوائل هم أسر الكورد الذين يعملون مع أنقرة ويعتبرون "متعاونين".

وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، استبدل حزب العمال الكوردستاني مذهبه الماركسي اللينيني بأطروحات موراي بوكشين (وهو أميركي ليبرالي بيئي، ألهم كلاً من الزاباتيسا وحركة الوقوف الليلية الباريسية). عبدالله أوجلان في السجن منذ عام ١٩٩٩ (تم تخفيف حكم الإعدام الصادر بحقه إلى السجن المؤبد بعد إلغاء عقوبة الإعدام في تركيا). لكن يتم الحفاظ على الانضباط العسكري داخل المنظمة.

يبلغ عدد نواة الحزب حالياً عدة آلاف من المسلحين. وتدعمها قوة عسكرية قوامها (٥٠٠٠) رجل يمكن أن ترتفع، في حالة التعبئة، إلى (٥٠٠٠٠ أو ٦٠,٠٠٠) شخص. وله روابط قوية مع حزب الشعوب الديمقراطي (HDP)، وهو حزب أغلبية ناخبيه من الكورد، والذي حصل على ١٣٪ من الأصوات في الانتخابات التشريعية لعام ٢٠١٥ والذي يجمع العديد من النساء والشباب. اللاعب الرئيسي في تركيا يظل حزب العمال الكوردستاني. هو وحده القادر على جعل الأشياء تحدث وتعديل المواقف.

في هذه الأثناء، ماذا يحدث في إيران حيث اندلعت الثورة عام ١٩٧٩؟

ينشط كورد إيران بشكل كبير في ثورة ١٩٧٩ التي أدت إلى سقوط الشاه. لكن سرعان ما تصطدم رغبتهم في التحرر الوطني مع برنامج آية الله الخميني. لا يريدون "ثورة خضراء" (إسلامية) تطبيق الشريعة. بالإضافة إلى ذلك، تدافع القوة المركزية عن وحدة البلاد والإسلام، وبالتالي ترفض أي حكم ذاتي إقليمي. في ١٩٧٩-١٩٨٠، شن النظام الجديد الحرب ضد الكورد: قصف، إعدامات، مذابح... خلف الصراع (٤٠) ألف قتيل بين السكان الكورد. محمود أحمددي نجاد (الرئيس الإيراني السابق) هو أحد المسؤولين عن هذه المجزرة.

أفسح قتال الكورد، الذين انسحبوا بعد ذلك من المدن، الطريق لحرب عصابات كلاسيكية. كما يتطور قطب قوي للمقاومة المدنية، ولا سيما من خلال الثقافة. في السنوات ١٩٩٠-٢٠٠٠ حشدت قضية الكورد المسرح والموسيقى والسينما. عباس كيياروستامي، دون أن يكون كوردياً، يقدم هذا الشعب في أفلامه (الريح ستأخذنا بعيداً، عام ١٩٩٩، تم تصويره في قرية في كوردستان). يصل المخرج الكوردي بهمن غبادي إلى الجمهور العالمي بفيلم "حان وقت سكر الخيول" (٢٠٠٠).

كيف تنسق الحركات القومية في الدول المختلفة؟

إنهم يؤثرون على بعضهم بعضاً - لقد رأينا ذلك مع البارزاني. وحالياً، حزب العمال الكوردستاني يلقي بثقله على الحركة السورية. وحدود الشرق الأوسط مليئة بالثغرات والناس تتحرك. ويمكن بناء التضامن الإنساني والمالي وحتى العسكري. ومع ذلك، لم ينجح الكورد أبداً في إنشاء إطار موحد بين الحدود الوطنية، أو داخل هذه الحدود. وفي السنوات ١٩٨٠-١٩٩٠، اندلعت أعمال عنف بين الكورد. واليوم، كما في الأمس، يمر العالم الكوردي بالانقسامات، كما هو الحال مع القوى الموحدة.

في عام ١٩٩١، بدأ أن نهاية الحرب الباردة وحرب الخليج قد غيرت الوضع. لماذا؟

هذه أول لحظة تمزق. صدام حسين يستغل نهاية حرب الخليج لسحق الكورد الذين يفرون إلى إيران وتركيا. لكن الكاميرات موجودة - على عكس الجنوب، حيث يتم إعدام (١٠٠٠٠٠) شيعي، بعيداً عن أعين الغرب. ثم ناشد الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران نظيره الأمريكي، جورج بوش، لإنشاء "منطقة حماية" كوردية في العراق. وهكذا يصبح جزء من كوردستان (٤٠,٠٠٠ كم٢) منطقة محمية من قبل جيوش الحلفاء. في عام ١٩٩١، بموجب قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٨، تم حظر القوات العسكرية العراقية هناك. لأول مرة، لم تعد الأراضي الكوردية خاضعة لقمع السلطة. في ١٩٩٤-١٩٩٦، كانت المنطقة هدفاً لحرب بين الأشقاء بين مجموعتين متنافستين. لكن الأمور تهدأ وتنظم الانتخابات هناك، ولا سيما في عام ٢٠٠٥، مما يسمح بالتطبيع وتشكيل حكومة ائتلافية فيما يصبح جوهر كيان فيدرالي حقيقي.

في عام ٢٠١٤، امتدت منطقة الحماية إلى كركوك: انسحبت الدولة العراقية التي كانت مهددة من قبل داعش. اكتسبت كوردستان العراق تدريجياً سلطات دولة شبه مستقلة: فلديها الآن حكومتها، وبرلمانها، وإدارتها، وجيشها، ودائرة الجمارك، وعاصمتها أربيل. مسعود البارزاني، نجل مصطفى، هو رئيسها.

اليوم، الكورد يجسدون القتال ضد داعش. كيف وصلنا إلى هنا؟

على مرحلتين: الأولى في ١٩ تموز ٢٠١٢. وفي اليوم السابق، تعرضت دمشق لهجوم أدى إلى تهديد رأس السلطة، وقاد سوريا إلى الحرب الأهلية. والنظام ينسحب من المناطق الكوردية: لم يعد لديه

الوسائل للدفاع عن المنطقة بأكملها. ومن خلال تفويض حزب الاتحاد الديمقراطي (حزب الاتحاد الديمقراطي الكوردي)، وهو "حزب شقيق" لحزب العمال الكوردستاني، بالسيطرة على هذه المنطقة، فإنه يريد أيضاً "معاينة" تركيا التي تدعم المعارضة السورية المسلحة. وهكذا يتطور كيان كوردي جديد مستقل في شمال البلاد، يسيطر عليه هذا الحزب وجناحه المسلح، وحدات حماية الشعب.

لكن العام الحاسم بالطبع هو ٢٠١٤: إعلان داعش الخلافة في حزيران؛ مذبحه للكورد اليزيديين (والمسيحيين) في بلدة سنجار في آب. أخيراً، معركة كوباني. من ١٣ أيلول ٢٠١٤ إلى ١٤ حزيران ٢٠١٥، قاتل كورد وحدات حماية الشعب هناك ضد القوات الجهادية التابعة لداعش (المدعومة سراً من تركيا والتي تسمح لهم بعبور الحدود)، وانتصروا في النهاية. في المجتمع الدولي، يبدو أن الكورد هم رأس الحربة في القتال ضد داعش، سواء كانت وحدات حماية الشعب في سوريا أو البيشمركة في العراق. بدون الكورد، كان يمكن لداعش أن يثبت وجوده على أرض مستمرة على طول الحدود التركية.

وبالنسبة للكورد، إنها ثورة شاملة: العدو لم يعد دولة، لم يعد بغداد ولا دمشق، بل قوة لا نعرفها ولا حدود لها. منذ هذا التاريخ عادت الحركة الكوردية إلى التسليح. خاصة أنه في تركيا أيضاً، في صيف ٢٠١٥، استأنفت السلطات القتال ضد المقاتلين الكورد.

أين القضية الكوردية في تركيا اليوم؟

في عام ٢٠١٥، قطعت تركيا بقيادة رجب طيب أردوغان عملية السلام التي بدأت قبل عامين مع حزب العمال الكوردستاني. وباسم الدفاع دائماً عن "التركية" والمنطق القومي؛ وهو أيضاً نتيجة تصلب الرئيس. فالبلد في الحقيقة يظهر هشاشة هويته بهذه الطريقة. وتعتبر خطابات قادتها عن التخوف من أن تختفي تركيا برمتها مع خسارة المناطق الكوردية. لاحظ أن تركيا ليس لديها مصلحة اقتصادية في هذه المنطقة شديدة الفقر. في ٢٠١٥-٢٠١٦، تم تدمير المدن الكوردية في شرق الأناضول (حول ديار بكر)، حيث حصل حزب الشعوب الديمقراطي على ٨٠-٩٠٪ من الأصوات، بشكل كبير. من وجهة نظر أنقرة، فإن الأوروبيين، من خلال مساعدتهم للكورد، سيسعون إلى تفكيك البلاد، لأن هدفهم الرئيس خلال الحرب العالمية الأولى كان تقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية.

مستغلة التزامها ضد الجهاديين في سوريا، تقصف تركيا المناطق الكوردية في سوريا. لكنها في الوقت نفسه تحافظ على روابط مع كوردستان العراق، طالما أن الأخيرة لا تقترب من حزب العمال الكوردستاني.

ما هو الموقف الجيوسياسي للكوورد اليوم؟

وهي تختلف باختلاف الحركات والبلدان. هناك لاعبان رئيسيان اليوم: كوردستان العراق بقيادة مسعود البارزاني وحزب العمال الكوردستاني. الأول هو أكثر تعددية من الثاني. إنه يسعى للتفاوض مع تركيا، ومن هنا يأتي الصراع مع حزب العمال الكوردستاني، الذي تم تنظيمه حتى الآن دون عنف. حزب العمال الكوردستاني من جهته يعتمد على أحزابه الشقيقة في سوريا (PYD) وإيران (PJAK). حزب الحياة الحرة في كوردستان). إنه يدعو إلى الديمقراطية المباشرة والحكم الذاتي بدلاً من دولة مستقلة.

كيف ترى مستقبل الكورد؟ هل من الممكن أن تكون كوردستان موحدة ومستقلة؟

قبل ثلاثين عاماً، في الثمانينيات، لم يكن أحد متأكداً من بقاء الكورد كمجتمع. اليوم، هناك "تمكين"، ارتفاع في قوة هذه الشركة. لا أحد يجادل، على سبيل المثال، في وجود وشرعية كوردستان العراق، بدعم خاص من الولايات المتحدة وأوروبا وحتى روسيا والصين. وتبقى الحقيقة أن هذا الكيان هو فريسة الصراعات الداخلية (وعلى الموقف تجاه تركيا) والضغوط الخارجية (من تركيا أو إيران).

لا يزال وضع جميع الكورد غير مؤكد "أثناء التنقل". من المستحيل التنبؤ بالمستقبل. الدولة الوحيدة القوية اليوم هي إيران، لكن هذا التوازن قد يكون مضللاً. العراق مجزأ ودولة مركزية ليست مركزية تماماً ولا هي "مركزية". تركيا عبارة عن قارب مخمور يمر بـ "نزاع الطابع المؤسسي" (المؤسسات أفرغت من وظيفتها)، حيث يتم نقل الشرعية إلى رجب طيب أردوغان - الرئيس القوي الذي يخشى هو نفسه. سوريا في حالة انهيار كامل والحرب تغير وجهها باستمرار.

من الضروري للغاية تعزيز الكيانات الكوردية العراقية والسورية، وهما قطبان الاستقرار في منطقة غير مستقرة للغاية. دعونا نتذكر أنه إذا نجح داعش بشكل جيد، فذلك لأنه فرض نفسه في مجتمعات مفتتة ومفتتة بشكل متزايد: في سوريا، في عام ٢٠١٣، كان هناك (١٣٠٠) ميليشيا!

كل السيناريوهات ممكنة في المستقبل. الأعمق: تصاعد التوترات بين إيران وتركيا والمملكة العربية السعودية، ويمكن أن يشتعل الشرق الأوسط بأكمله. الأكثر تفاقلاً: إذا قامت تركيا بتهدة نفسها، وإذا بدأت مرة أخرى عملية سلام مع الكورد، فإن وضعهم في تركيا وسوريا سيستقر. علاوة على ذلك، يمكننا أن نحلم بظهور فيدرالية كوردية تعددية لا تسعى إلى محو الخلافات الكبيرة بين الكورد، حتى لو كان ذلك يعني الحفاظ على الحدود الحالية، ولكن على حدود مرنة. كوردستان، سويسرا الجديدة للشرق الأوسط؟ ما زلنا بعيدين عن ذلك.

(مقابلة أجرتها صحيفة L'Histoire).

١. جي شاليان، استراتيجيات حرب العصابات. مختارات تاريخية، من المسيرة الطويلة حتى يومنا هذا، غاليمارد، ١٩٨٤.

٢. يتم تنفيذ ذلك بشكل ملحوظ من قبل حزب PDKI، الذي اغتيل زعيمه الكاريزمي عبدالرحمن قاسملي في فيينا من قبل الأجهزة الإيرانية^(*).

مع جيرار شاليان "مقابلة": "المطالبة بالحكم الذاتي الكوردي تأجلت متأخراً":

ثمة شهادة تاريخية وصحافية للباحث الفرنسي المخضرم جيرار شاليان، ومن خلال طبيعة اهتماماته بالقضية الكوردي، في تداعياتها السياسية ومآلاتها المحلية، الإقليمية والدولية. تستحق أن تتموضع هنا.

في الجمع الغفير والذي يضم شعوباً وأمماً ولها هوياتها القومية، كما في حال الكورد، تجري التسميات، سوى أنه في الجمع المنكسر تاريخياً، والفصل القسري فيما بينها، تحت وازع القوة الموجهة، لا يعود المفرد نفسه قائماً، ولا إمكانية للحديث عن مكانه وزمانه، وقد استلب منهما. وشاليان، فيما يقوله، يعزز هذا البعد التاريخي الموهل بجذوره في السياسة الدولية، وانعكاسات كل ذلك على الكورد، وفيما بينهم، والمسافات القيمة تلك التي تفصل بينهم، وهم مقسمون، ومنقسمون على أنفسهم، ونوعية التحول السياسي المميزة لكل منهم، ولا بد أن المشترك السياسي العراقي معزز بدمغته الجغرافية الموسومة، وتردد أصدائها في الجوار، وما يشغل كل جواب من اعتبار ثقافي، ويشغل الأجوبة كلها في وحدتها، من اعتبار تاريخي متفاوت، واختلاف الموقف خارجاً: روزا موسوي، المتخصصة في العلاقات الدولية والاستراتيجية، جيرار شاليان، الجيوسوليتولوجي والمتخصص في النزاعات المسلحة، خصص العديد من الكتب للمسألة الكوردية. يحلل العقبات، على المدى الطويل، أمام ظهور دولة موحدة أو حتى مناطق الحكم الذاتي.

لطالما تمتع الكورد بإمارات مستقلة نسبياً داخل الإمبراطورية العثمانية. ما المكان الذي احتلوه في هذا التكوين السياسي؟

جيرار شاليان مثل الألبان والعرب والأترک، كانوا يعتبرون أحد مكونات الأمة، مجتمع المؤمنين. لم يكن هناك الكثير من العدا. سارت الأمور بهذه الطريقة حتى القرن التاسع عشر. مع انهيار الإمبراطورية وتأكيد الفكرة القومية، حاول سلطان التحديث، عبدالحميد الثاني، القضاء على جميع الإمارات الكوردية، المشتبه في رغبتها في تحرير نفسها. تم تفكيك واحدة من أهمها وأكثرها تنظيماً، وهي منطقة بوتان، بقيادة بدير خان، في عام ١٨٤٨. وكانت نقطة التحول هذه علامة على ظهور وعي وطني لا يزال غامضاً.

(*) Hamit Bozarslan: Cent ans de combats nationalistes, 12-2016, www.lhistoire.fr

في وقت لاحق، عندما بدأ الانهيار حتمياً، أدرك مصطفى كمال، الذي غذى نفسه بالأفكار الحديثة من خلال التردد على مفترق الطرق الفكرية التي مثلها سالونيك آنذاك، وحده أنه من أجل إنقاذ قلب الإمبراطورية، من الضروري التحول إلى أمة -حالة. لم يفهم الكورد في عام ١٩٢٠ ما كان يجري: نصف رأسهم عثماني والنصف الآخر مسلمون. لقد قاتلوا إلى جانب الأتراك ضد الإغريق، وتم تجنيد القبائل في الإبادة الجماعية للأرمن، وشاركوا في إنشاء تركيا الحديثة. شجعت التبادلات بين السكان اليونانيين والأتراك المصادق عليهم بموجب معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ مصطفى كمال على إصدار مرسوم بعد عام بأن تركيا هي بلد الأتراك وحدهم.

كيف يمكن تفسير الدفن بمعاهدة لوزان، التي تحدد حدود تركيا الناتجة عن تفكيك الإمبراطورية العثمانية، من الوعد بكوردستان المتمتعة بالحكم الذاتي، التي تضمنتها قبل ثلاث سنوات في معاهدة سيفر؟

هل المركزية المهيمنة على بناء الدولة القومية الحديثة في تركيا الكمالية تساعد على ترسيخ الحقيقة القومية الكوردية؟

جيرار شاليان: نعم، لكن متأخر. الكورد في الواقع يعانون من التخلف التاريخي الذي أخذوه في القرن العشرين. يجب القول إنهم لا يستطيعون الاعتماد، مثل الأتراك أو الفرس، على تقاليد الدولة. ومن هنا جاءت الانقسامات، مشاجرات المآذن، القبلية التي طالما أعاقت تأكيد حقيقة وطنية. كما أعاقت القيود الخارجية ولادة دولة كوردية موحدة طوال القرن العشرين. كيف تبلورت مطالب الحكم الذاتي والاستقلال بتعبيرها الحديث في هذا الشعب المنتشر في أربع دول؟

جيرار شاليان: هذه الادعاءات حديثة نسبياً. في تركيا نفسها، حمل حزب العمال الكوردستاني، الذي تأسس عام ١٩٧٨، السلاح عام ١٩٨٤، بعد أكثر من ستين عاماً على ولادة تركيا الحديثة. شارك كورد العراق في عدة ثورات إبان فترة الانتداب البريطاني، وتم سحق الجميع. في عام ١٩٦١ فقط أعرب مصطفى البارزاني عن مطالبته بإقامة منطقة حكم ذاتي كوردي داخل العراق، والتي تم تشكيلها كدولة في عام ١٩٢٠. وفي إيران أيضاً، تم تسجيل الكورد في تاريخ طويل. في عام ١٥١٤، واجه جيش السلطان العثماني سليم الأول، السني، في جالديران (كادران الحالية، بالقرب من بحيرة فان، في تركيا - ملاحظة المحرر) لشاه فارس إسماعيل الأول، مؤسس السلالة الصفوية الشيعية. خسر الفرس المعركة بفارق ضئيل، واستولى العثمانيون على أرض النهرين. تم ضم شرق الأناضول وشمال العراق الحالي، أي كوردستان الحالية، إلى الإمبراطورية العثمانية. تم طرد الشيعة من السلطة هناك لصالح السنة. القبائل الكوردية، على الرغم من قربها من الإيرانيين في الأصل واللغة الهندو أوروبية، ظلت موالية للسنة منذ ذلك الحين. لطالما تركتهم طهران حقوقهم اللغوية. بطريقة ما، كانوا أقل تنمراً من أي مكان آخر، إلا عندما تُركوا كثيراً. في عام ١٩٧٩، أيد زعيم الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني، عبدالرحمن

قاسموا، الثورة التي أدت إلى سقوط الشاه، بينما كان يحمل مطلباً - سرعان ما خنق - بإقامة منطقة حكم ذاتي كوردية في إيران ديمقراطية. في النهاية، نجح الكورد العراقيون فقط في تأمين حكمهم الذاتي. في عام ١٩٩١، في وقت حرب الخليج الأولى، تم إنشاء منطقة حكم ذاتي لحمايتهم من السحق الذي وعد به صدام حسين. ثم، في عام ٢٠٠٣، عندما وجد الأمريكيون حلفاء في أنفسهم، استغلوا مساعدة واشنطن وغطاءها. لقد أصبحوا هم المستفيدون الهامشيون من هذا التدخل، وهم الآن يلعبون لعبتهم بمفردهم.

لماذا لم يتم تطعيم هذا النموذج من الحكم الذاتي الإقليمي في البلدان المجاورة؟

جيرار شاليان في تركيا، لم يكن عبدالله أوجلان، زعيم حزب العمال الكوردستاني، يطالب في البداية بالحكم الذاتي، ولكن الاستقلال. في دولة مركزية، كان هذا هو الشروع في طريق الحرب الأهلية. في وقت لاحق، انضم إلى احتمالية الحكم الذاتي، لكن الأتراك غير مستعدين تماماً للتنازل عن أي شيء لحزب العمال الكوردستاني، الذي يعتبرونه حركة إرهابية، عندما يكون قبل كل شيء حركة حرب عصابات. في إيران، عارض آية الله الخميني مطالب الكورد بالحكم الذاتي حتى النهاية، باسم وحدة المسلمين وقبل كل شيء خوفاً من رؤية البلوش أو عرب مقاطعة خوزستان المنتجة للنفط يستعيرون نفس المسار. أخيراً، في العراق، يجب أن نتذكر أن السلطة المركزية استعادت السيطرة على محافظة كركوك المنتجة للنفط بعد الفوز بنعم في الاستفتاء على الاستقلال الذي أجري في ٢٥ أيلول في كوردستان العراق. كانت الرسالة، "كوني هادئة في ركنك. الرئيس الحالي لمنطقة الحكم الذاتي نيجيرفان البارزاني يتمسك الآن بتطبيع العلاقات مع بغداد".

في هذا السياق، ما هي خصوصية تجربة الحكم الذاتي التي انطلقت في روج آفا شمال شرقي سوريا؟

جيرار شاليان يزعم كورد حزب الاتحاد الديمقراطي، الفرع السوري لحزب العمال الكوردستاني، أنهم "جماعة ديمقراطيون"، وهو ما يطالب به الآن عبدالله أوجلان، في إشارة إلى الأمريكي موراي بوكين. ومع ذلك، لا تزال هذه الحركة مركزية للغاية ومنضبطة للغاية وحتى سلطوية. كانوا يرغبون في إنشاء منطقة حكم ذاتي في هذا الجزء الشمالي الشرقي من سوريا. عارض بشار الأسد ذلك، فقد كان مصمماً على استعادة السيطرة على أكبر قدر ممكن من البلاد. وبفضل التحالف مع روسيا وإيران، كاد أن يحقق هذا الهدف. من ناحية أخرى، كان إنشاء إدارة مستقلة يسيطر عليها الكورد في الشمال الشرقي موضع نزاع من قبل تركيا، التي اعتبرتها قاعدة خلفية لحزب العمال الكوردستاني، امتداداً لمنطقة نفوذها. أردوغان في منطق المواجهة مع هذه الحركة التي يريد اختفائها: هذا هو اتجاه هذا الهجوم. هل الصفقة التي أبرمها الكورد السوريون مع دمشق لوقف الغزو التركي ودفن مشروعهم للحكم الذاتي الدائم؟

جيرار شاليان بالتأكيد. إن الدافع وراء إبرام هذه الاتفاقية هو مسألة البقاء.
ما الذي قد يحمله المستقبل لكورد المنطقة؟

جيرار شاليان الكيان الوحيد المستقر هو كوردستان العراق. لا يوجد تهديد خطير على هذه المنطقة المتمتعة بالحكم الذاتي. فهي تحميها واشنطن، ولا تتعارض مع المصالح الروسية، وتقبلها بغداد. إنها منطقة غير ساحلية لا منفذ إلى البحر: يمر نفطها عبر تركيا عبر خط الأنابيب الذي يربط العراق بجيهان، مما يضع أنقرة في موقع قوة. المصالح المتقاطعة لا تتوقف عند هذا الحد: تم تأسيس أكثر من ألف شركة تركية في كوردستان العراق. أما البارزاني الذي يهيمن على الحياة السياسية في هذه المنطقة، فهم معارض لحزب العمال الكوردستاني. لذلك من المرجح أن يستمر هذا الوضع الراهن. في روجافا المجاورة، على العكس من ذلك، يتم تنفيذ عملية بقاء. مع انسحاب القوات الأمريكية، زرع دونالد ترامب الفوضى هناك. وينتقد هذا القرار حتى في معسكره. يرى وزير الدفاع السابق جيمس ماتيس (الذي استقال في عام ٢٠١٨ بعد إعلان دونالد ترامب انسحاب القوات الأمريكية من سوريا - ملاحظة المحرر) أن الفرصة لـ "الدولة الإسلامية" هي أن "تولد من جديد". هذا الوضع الرهيب سوف يفيد أولاً وقبل كل شيء الناجين من مختلف الحركات الإسلامية، المبتهجين بفرصة الانتقام من الكورد الذين هزموهم^(*).

بيريفان أدليج: كوردستان العراق

ثمة درس سياسي وجغرافي وثقافي في مقال بيريفان أدليج. ولعل السير معه من ألفه إلى يائه، يغير في مفهوم الحدث الأيلولي، وصورة الكورد في العراق، وما عليه "كوردستانهم"، دون أن تفارق العين مشهدية الحدث ذاك، لمعرفة خاصة المتغير في الزمان والمكان، لكل طارئ أو مستجد في النطاق الجغرافي-السياسي العراقي.

مكاشفة تاريخية واستقصائية ونقدية في آن، تمنح قارئها فرصة مفيدة، لاستشراف الحدث، ومعرفته بصورة أفضل: منذ التدخل الأمريكي في العراق عام ٢٠٠٣، شهدنا تطوراً سياسياً في كوردستان العراق، والمنطقة التي كانت في حالة حرب مستمرة منذ بداية القرن العشرين. ولتتمتع المنطقة الكوردية اليوم باستقرار أمني حقيقي لدرجة أن بعض المراقبين يتحدثون عن "ملاذ سلام havre de paix" يتناقض بشكل صارخ مع الفوضى السائدة في باقي أنحاء العراق. وشهدت الأراضي الكوردية في العراق ازدهاراً حقيقياً منذ عام ١٩٩١، عندما تم إنشاء منطقة الحماية الجوية في أعقاب حرب الخليج.

(*) Gérard Chaliand : «La revendication d'autonomie kurde s'est affirmée tardivement» 16-10-2019, www.humanite.fr

وطبيعة منطقة الحماية الجوية هذه هي نتيجة الطيران البريطاني والأمريكي الذي عمل من ١٩٩١ إلى ٢٠٠٣ لمنع جيش صدام حسين من التدخل ضد الكورد الذين ثاروا ضده خلال حرب الخليج. ونحن نعلم أن "المنطقة الكوردية الموحدة" تتمتع باستقرار سياسي غير منتظم بسبب التنافس على السلطة بين حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني، الحزبين السياسيين الكورديين الرئيسيين في العراق. وفي الواقع، فقد نشبت حرب أهلية بين حزب العمال الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني في الفترة من ١٩٩٤ إلى ١٩٩٨، مما أدى إلى مقتل ما يقرب من (٤٠٠٠) كوردي. وخلال هذا الصراع، لم يتردد ممثلو هذين الحزبين السياسيين الكورديين في طلب المساعدة من إيران (للاتحاد الوطني الكوردستاني) وصدام حسين (لحزب PDK). وإن فهم هذين التكوينين السياسيين أمر صعب نسبياً ولكنه ضروري لأن PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني، هما السادة بلا منازع في المنطقة الكوردية في العراق. تُرى، فما هي النوايا الحقيقية لقادتهما، ولماذا يعارضون وكيف يتفاعل الجيل الجديد مع هذه الخصومات القديمة؟

التنافس بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني الأصل

أنشأت بريطانيا العظمى في ٢٣ آب ١٩٢١ نظاماً ملكياً دستورياً في العراق، وعينت على رأسه الملك الهاشمي الملك فيصل بن الحسين. والكورد، الذين يركز تنظيمهم الاجتماعي على البنى القبلية، يحرمونه من أي شرعية، وبالتالي يتكون الشيخ محمود البرزنجي (من قبيلة البرزندجي)، ممثلاً لمزاعم الكورد، فيعلن نفسه ملكاً على كوردستان في تشرين الثاني ١٩٢٢. والأخير لديه طموح لتحرير الجميع. كوردستان. وقد وضع البريطانيون حداً لهذه الانتفاضة، لكن الكورد واصلوا أعمالهم من خلال إنشاء حركات قومية أخرى، بقيادة شخصيات كوردية أخرى.

ولا ينفصل حزب PDK، الذي تأسس في ١٦ آب ١٩٤٦، عن شخص الملا مصطفى البارزاني. وكان شقيقه الأكبر (الشيخ عبدالسلام الثاني) قد لعب بالفعل دوراً مهماً في الحركة القومية الكوردية وقاد الثورات الكوردية حتى عام ١٩١٤. وأعدم مع جميع مرافقيه من قبل الإمبراطورية العثمانية في الموصل أثناء استدعائهم للمفاوضات. وتولى الحكم الأخ الثاني للملا مصطفى (الشيخ أحمد) وأصبح المحرض على ثورات أعوام ١٩١٩ و ١٩٢٢ و ١٩٣١ و ١٩٣٢.

وتولى الملا مصطفى البارزاني مسؤولية قبيلة البارزاني في عام ١٩٣٣. واعتقله البريطانيون وتم نفيه إلى جنوب العراق. ثم ظل رهن الإقامة الجبرية في السليمانية حتى عام ١٩٤٣، عندما هرب بمساعدة بعض المنظمات القومية الكوردية لمواصلة الثورة حتى عام ١٩٤٥. وقد أجبر قمع ثوراته الملا مصطفى

البارزاني على مغادرة العراق إلى إيران من أجل المشاركة في جمهورية مهاباد الكوردية، والتي أصبح أحد "الجزالات" فيها. وأعلن قاضي محمد جمهورية مهاباد في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦ وانتهت فجأة في كانون الأول من العام نفسه. ثم هرب الجنرال البارزاني مع معظم قبيلته إلى الاتحاد السوفياتي السابق. وهم يعبرون ما يقرب من ٥٠٠ كم من الطرق الجبلية حيث تعقبهم الجيوش التركية والإيرانية والعراقية. واستمرت الرحلة (٥٢) يوماً، ولم تفقد سوى رجلين (غرقا في نهر بين إيران والاتحاد السوفيتي السابق). وسيعود ملا مصطفى البارزاني إلى كردستان العراق عام ١٩٥٨ مع وصول قاسم إلى السلطة، حيث سيعلن عفواً عاماً.

واستمر حزب PDK، الذي تأسس عام ١٩٤٦ في مهاباد، في أنشطته في كردستان العراق أثناء نفي الجنرال البارزاني. وفي عام ١٩٥٠ انتخب ابراهيم احمد المفكر من السليمانية أميناً عاماً للحزب. وسيعدل هذا الأخير الاتجاه السياسي للحزب، الذي كان هدفه في البداية الدفاع عن المصالح القومية للشعب الكوردي، ليصبح حزباً "ماركسياً لينينياً" من خلال إعطاء الأولوية للنضال "المعادي للرجعية والمناهض للإمبريالية". ولم يكن لدى حزب PDK بعد ذلك أيديولوجية قومية خاصة به، ولم يكن يعرف تماماً ما الذي يفصله عن الحزب الشيوعي العراقي (كوتشيرا، ١٩٩٧). وستشكل عودة الملا مصطفى البارزاني، مع وصول قاسم إلى السلطة في العراق عام ١٩٥٨، نقطة تحول في تاريخ حزب PDK لأنه سينتخب رئيساً للحزب عام ١٩٥٩. ويعدّ نظام قاسم، تحت تأثير أيديولوجي شيوعي، الكوردَ بالاعتراف بهم ككيان ويمنع أي تمييز ضدهم. سوى أن الغموض الذي يكتنف هذا النظام سيظهر في وقت مبكر جداً عندما يقرر عبدالسلام عارف، نائب رئيس وزراء قاسم، دمج العراق في "الجمهورية العربية المتحدة" التي ولدت في شباط من اندماج سوريا ومصر. وسيبدأ حزب PDK "ثورة ١١ أيلول ١٩٦١".

أصول الانقسام:

قرر جلال الطالباني، الملازم السابق للملا مصطفى البارزاني، الانفصال عن حزب PDK في عام ١٩٦٤ باتباع والده الروحي وكذلك زوج والدته إبراهيم أحمد ، لكنه لم ينشئ تشكيلته السياسية الخاصة حتى عام ١٩٧٦، الاتحاد الوطني الكوردستاني.

والأسباب التي قدمها المنشق الجديد، جلال الطالباني، أيديولوجية. حيث يدعي الأخير أنه يريد إقامة نظام لامركزي لتجنب احتكار السلطة في يد رجل واحد. وهو يتذرع بحقيقة أن حزب PDK هو قبلي في الأساس، وفي هذه الحالة يقود الحزب عشيرة البارزاني المكونة من خمس قبائل كوردية (قبائل دولاماري وميزوري وشرواني وباروجي ونزاري). واشتقاقياً، تعني كلمة "البارزاني" من ينحدر من قرية برزان الواقعة بين دهوك وأربيل.

ووفقاً لبعض المراقبين، لطالما أضفى البارزانيون الشرعية على مكانتهم القيادية من خلال الانتماء إلى الجماعات الصوفية، مما أدى إلى تشويه سمعة أي معارضة. وهذا التشدد سيخلق توترات أو حتى معارضة ضد البارزاني، مثل معارضة بعض القبائل الكوردية أو رحيل أعضاء سابقين في حزب PDK من مجموعات سياسية معارضة أخرى، وأهمها الاتحاد الوطني الكوردستاني للطالباني.

ومن المفيد توضيح الطبيعة الدينية المزعومة للحركة القومية الكوردية. فكثيراً ما يُقال إن لمعارضة الاتحاد الوطني الكوردستاني / الحزب الديمقراطي الكوردستاني بُعداً دينياً أيضاً، حيث ينتمي البارزانيون إلى الأخوة السنية في النقشبندية بينما ينتمي الطالبانيون إلى الأخوة السنية للقادرية. ومع ذلك، من الضروري الإشارة إلى أن هذين التشكيلين السياسيين لم يُعَارِضا بأي حال من الأحوال بسبب عضويتهم في هذه الجماعات الأخويات confréries. حيث تنتمي عشيرة البارزاني إلى الأخوة النقشبندية منذ أن انضم تاج الدين (الجد الأكبر للجنرال البارزاني) إلى هذه الحركة في بداية القرن التاسع عشر. نتيجة لذلك، وحتى قبل النضال القومي الكوردي، كان شيوخ برزان يتمتعون بمكانة وتوقير من القبائل المجاورة. وبلغ تعداد عشيرة البارزاني (٧٥٠) عائلة فقط في عام ١٩٠٦، وانضمت إليها قبائل أخرى لأن شيوخها كانوا يعتبرون مرشدين دينيين: تنتمي قبائل الشرواني والميزوري والباروجي والدلاماري إلى عشيرة البارزاني منذ بداية القرن العشرين. ومن وجهة نظر رسمية، لم يكن شيوخ بارزان ممثلين للأخوة النقشبندية أمام الحكومة المركزية، حيث كان هذا الدور يقع على عاتق سلالة النقشبندية. وقد أقيمت الأخيرة في شمال كوردستان العراق منذ القرن التاسع عشر وأقام شيوخها مراكز دينية وثقافية حقيقية، بدعم سياسي ومالي من السلطة المركزية في بغداد، وكان ذلك في جميع أنحاء النظام الملكي العراقي.

وهكذا، كان لورثة الأسرة التأسيسية لأخوية النقشبندية، التي ينتمي إليها البارزانيون من بين آخرين، علاقات جيدة جداً مع بغداد. ولكننا نعلم أن البارزانيين حاربوا وقاوموا دائماً السلطة المركزية بهدف تحقيق هدف سياسي واضح: الاستقلال الذاتي لكوردستان العراق. ولهذا، فإنه في عامي ١٩٤٠ و ١٩٥٠، يمكن للمرء أن يميز في مناطق معينة من كوردستان العراق تأثيرين: أنصار الشيخ النقشبندي المؤيدين للنظام الملكي، وأنصار البارزاني الذين ناضلوا من أجل الحكم الذاتي الكوردي.

وبالتالي، فإن الادعاء بأن البارزانيين لطالما شرعوا سلطتهم من خلال الاعتبارات الدينية والصوفية خطأً تاريخي، خاصة وأن العديد من القبائل الكوردية المنتمية إلى أخويات أخرى قد احتشدت تحت رايته. والأكثر دقة أن نقول إن الشخصية الكاريزمية للملا مصطفى البارزاني، التي تعتبرها غالبية الشعب الكوردي "بطل النضال الكوردي ضد المستبد"، هي التي جلبت السكان الكورد، والأخوة النقشبندية أو القادرية. أو أيا كان، إلى "عبادته" حتى الآن.

وينطبق هذا التحليل أيضاً على الاتحاد الوطني الكوردستاني برئاسة جلال الطالباني، حيث أكد الأخير دائماً أهدافه السياسية دون أي شرعية دينية مرتبطة بأخوة القادرية^(١). ولا يمكن تفسير التنافس بين الحزبين الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني من خلال التنافس الأخوي وإنما لأسباب أكثر تعقيداً.

وظهرت الخلافات الأولى داخل حزب PDK في الستينيات، لدرجة أنه في عام ١٩٦٤ انقسم الحزب بين اتجاهين: تيار الملا مصطفى البارزاني الذي دعا إلى المقاومة بالسلاح من أجل حقوق الشعب الكوردي. وأن إبراهيم أحمد، الأمين العام لحزب PDK الذي سيصبح أيضاً ممثل حزب PDK في بريطانيا العظمى، والذي يرغب في تفضيل المفاوضات مع بغداد، ولكن قبل كل شيء لإعطاء الأولوية للمسألة الاجتماعية على القضية الكوردية.

والسبب الرسمي للخلاف الذي تذرعه به المكتب السياسي، المؤلف من بين آخرين، أحمد وجيه الطالباني، هو أن الجنرال البارزاني وقع اتفاق وقف إطلاق النار مع بغداد دون إخطار المكتب السياسي. لكن السبب مختلف تماماً لأن هذا الحدث ليس سوى ذريعة لخلق أزمة داخلية في وقت يعتقد المكتب السياسي أن نفوذه أكبر من نفوذ الملا مصطفى البارزاني. ففي وقت مبكر من عام ١٩٦٢، كان إبراهيم أحمد قد أعلن للمراسلين الأجانب أن "الأرستقراطي ورئيس الحزب كان ديغول كوردياً حريضاً على السلطة الشخصية، ومحافظاً مشبعاً بالقبلية". وعندما وقع الملا مصطفى البارزاني على وقف إطلاق النار عام ١٩٦٤ دون موافقة المكتب السياسي، اتهم بعض أعضاء المكتب الجنرال بخيانة الثورة وقرروا مواصلة الثورة ضد بغداد. ثم اتخذ اللواء البارزاني قراراً بإقالة خمسة أعضاء سابقين في المكتب السياسي، من بينهم إبراهيم أحمد، لكن ليس جلال الطالباني، الذي ما زالت لديه آمال كبيرة، لكنه قرر في النهاية الانضمام إلى "المطرودين". وكان الخمسة المطرودون قد أطلقوا في ١٠ تموز ١٩٦٤ نداءً من قبل إذاعة "صوت كوردستان" لدعوة البشمركة (المقاتلين) للتمرد على الجنرال البارزاني واللجنة المركزية الجديدة للحزب. سوى أن معظم مقاتلي الجيش الثوري الكوردستاني ظلوا مواليين للبارزاني وذهب النداء أدرج الرياح. واندلع قتال بين اللجنة القديمة والجديدة، مما أجبر الأولى على اللجوء إلى إيران مع (٥٠٠) من رجالها. وبين عامي ١٩٦٤ و ١٩٧٥، تخلى حزب PDK تماماً عن الأفكار اليسارية ليصبح أكثر تحفظاً. وعند عودتهم إلى كوردستان العراق، أعاد الجنرال البارزاني البيشمركة الذين فروا مع اللجنة القديمة، لكنهم وضعوا أحمد والطالباني رهن الإقامة الجبرية. وسوف يهرب الآخرون بالتعاون

(١) مؤسس الأخوية الصوفية للقادرية هو الشيخ عبدالقادر الكيلاني (١٠٧٨-١١٦٦). وقد هذه الأخوة إلى كوردستان من خلال نجله عبدالعزيز، فالتحق العديد به من القبائل الكوردية، مثل قبائل الطالبان، والبرزيدجة، والنهري، والزناكنا. وسرعان ما انتشرت هذه الأخوة حيث يستمد أتباع هذا النظام منفعة اجتماعية واقتصادية من عضويتهم. واستجاب القادري لنداء العثمانيين لشن الجهاد ضد البريطانيين.

مع بغداد من خلال تشكيل ميليشيا بعثية مع بضع مئات من المتعاطفين معهم لمحاربة PDK حتى عام ١٩٧٠.

وفي عام ١٩٧٠، فشل صدام حسين في إنهاء المقاومة الكوردية، وسيقوم بإبرام اتفاقية مع حزب PDK البارزاني وحل الميليشيات المناهضة للكورد، مما أجبر إبراهيم أحمد وجلال الطالباني في المنفى حتى عام ١٩٧٤، "كان خطأ المفكرين اللامعين، إ. أحمد و ج. الطالباني، رفض الاعتراف بأن الجنرال البارزاني جسد في شخصه الحركة القومية الكوردية، وذلك خارج حدود العراق وتركيا وسوريا[.]. المثقفون الكورد العراقيون (مثل إ. أحمد وجيه الطالباني) حرموا أنفسهم تمامًا من هذه القبائل الكوردية التي تشكل، سواء أحببنا ذلك أم لا، جماهير الشعب الكوردي"[كوتشيرا، ١٩٩٧].

إليك كيف يحلل عصمت شريف فانلي، الممثل السابق لحزب PDK في باريس، مواقف الدكتاتورية العسكرية التي حاربوها ببراعة تحت حكم قاسم، أو حتى من خلال التظاهر بمعارضة سياسية وديمقراطية داخل الثورة نفسها.

وعد صدام حسين في اتفاق آذار ١٩٧٠ بمنح الحكم الذاتي لكورده وفق برنامج سينتهي في نهاية المطاف في غضون أربع سنوات. مع قليل من الإدراك المتأخر، ندرك بشكل أفضل نطاق هذه الاتفاقية التي سمحت في الواقع لحسين بكسب الوقت "لتسوية" المشكلة الكوردية بطريقته الخاصة. أدى افتقار الكورد إلى النضج السياسي إلى الثقة بسذاجة في نظام أظهر بوضوح، بمجرد وصوله إلى السلطة، موقفه من الكورد.

وبعد أن تعافى العراق اقتصادياً وعسكرياً، قرر صدام العودة من جانب واحد إلى شروط اتفاقية ١٩٧٠، واستبعد من المنطقة الكوردية المدن النفطية الرئيسة: الموصل وكركوك وخانقين وسنجار. وقد استؤنفت حركة المقاومة الكوردية في عام ١٩٧٤ ضد النظام البعثي الذي فشل مع ذلك في قمع الحركة الكوردية المسلحة من قبل إيران. لذلك شرع صدام في التوقيع على اتفاق الجزائر لعام ١٩٧٥ مع إيران لزعزعة استقرار الثورة الكوردية العراقية.

وفي كوردستان العراق، بلغ القمع إلى درجة أن الملا مصطفى البارزاني قرر وضع حد لـ "الثورة الكوردية" ويذهب إلى المنفى. وينظر إلى صمت الولايات المتحدة على أنه خيانة للغرب بالنسبة للدوائر الكوردية التي تنضم الآن إلى النظام الاشتراكي، والماوية جزئياً لأن موسكو تدعم بغداد بوضوح. وللاستفادة من هذا الفراغ، قرر جلال طالباني إنشاء حزبه السياسي في عام ١٩٧٦ من خلال حشد الفروع السياسية الكوردية اليسارية المتطرفة الأخرى: Komalayî Rendjderanî Kurdistan (لجنة الجهود الكوردستانية)، Partiya sosyalîsta Kurdistan (الحزب الاشتراكي الكوردستاني).

كان الاتحاد الوطني الكوردستاني ناجحاً للغاية في أيامه الأولى حيث حشد كل البيشمركة والناشطين الذين خاب أملهم من استسلام الملا م. البارزاني ومستعدون دائماً للقتال. ووفقاً لبعض

أعضاء حزب PDK، فإن الاتحاد الوطني الكوردستاني كان سيلعب كثيراً بورقة "الاختلافات الجدلية الكوردية" لجذب جزء كبير من الكورد الذين يتحدثون باللهجة السورانية، تماماً مثل جلال الطالباني، بينما يتحدث البارزانيون باللهجة الكرمانجية. وحالياً، تقع معظم بلدات "سوران" في منطقة نفوذ الاتحاد الوطني الكوردستاني، بينما تقع بلدات "كورمانج" في منطقة حزب PDK. ويبدو أن المناطق الكوردية، أو تلك التي تضم جالية كوردية كبيرة وغير مرتبطة رسمياً بالأراضي الكوردية، مثل خانقين وكركوك والموصل، تتبع هذا المنطق باللهجة على سبيل المثال خانقين وكركوك، حيث يكون السكان كورداً. ويتحدثون باللهجة السورانية، ولديهم أنصار من الاتحاد الوطني الكوردستاني أكثر من حزب PDK، بينما اختار كورد الموصل، ومعظمهم من كورمانج، حزب PDK.

وخلال منفاه، عزز ج. الطالباني علاقاته مع سوريا وفلسطين. حتى أنه سيصبح عضواً في المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مما سيمكنه من ضمان الدعم اللوجستي العسكري لحركته. وعلاوة على ذلك، سيستأنف الاتحاد الوطني الكوردستاني المفاوضات مع بغداد في عام ١٩٧٧ بتحريض من الفلسطينيين: وحتى لو انتهت هذه المفاوضات بالفشل، فإن نطاق التدخل الفلسطيني لا يُستهان به. وبحسب س. كوتشيرا، سيحتفظ ج. الطالباني منذ ذلك الوقت بالقناعة بأن تحرر الكورد يمر عبر اتحاد هذه الأفكار الرئيسة الثلاثة: القومية الكوردية، وحركة التحرر الوطني العربي، والتقدمية. وتعتمد استراتيجية الاتحاد الوطني الكوردستاني على مشاركته في "إعادة التجمع الوطني العراقي" [كوتشيرا، ١٩٩٧].

وهذا التحليل تؤكد أنه الآن حقيقة أن جلال الطالباني هو رئيس العراق وأنه يريد أن يكون "موحداً" لمختلف الطوائف العراقية، وهو ما يمكن أن يفسر موقفه المرن نسبياً تجاه وضع كركوك أثناء فترة حكم كركوك. والغالبية العظمى من الكورد يريدون لم شملهم مع بقية منطقتهم الفيدرالية.

قائمة:

وفي ١ آذار عام ١٩٧٩، توفي الملا مصطفى البارزاني في المنفى، وتولى ابنه إدريس ومسعود البارزاني قيادة حزب PDK. وفي نهاية تشرين الأول ١٩٧٥، قرر سامي عبدالرحمن ونوري شاويس ومسعود البارزاني إنشاء "قيادة مؤقتة جديدة" لحزب PDK. واستأنف الحزب الديمقراطي الكوردستاني الكفاح المسلح رسمياً في ٢٦ أيار ١٩٧٦ مع عودة كادرين سابقين، كريم السنجاري وسليم، اللذين تولى قيادة حوالي (٣٠٠) من البيشمركة. وفي وقت مبكر من عام ١٩٧٨، اندلعت اشتباكات بين حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني. وفي الواقع، أدى وصول الاتحاد الوطني الكوردستاني إلى توزيع جغرافي جديد للمنطقة الكوردية، مقسمة الآن إلى قسمين: في الجنوب، الاتحاد الوطني الكوردستاني، وفي الشمال PDK. وهذا الأخير، الذي يسيطر بالتالي على الشمال، يمنع الاتحاد الوطني الكوردستاني من

استعادة إمداداته العسكرية في سوريا؛ لذلك أرسل طالباني عدة مئات من البشمركة التي ينتمي إليها، وبعضهم ينتمي لفرع الحزب الاشتراكي الكوردستاني (PSK)، من أجل "تنظيف بهدينان" والبحث عن أسلحة في سوريا. ووقعت اشتباكات عنيفة بين هؤلاء الرجال وحزب PDK. وفاز حزب PDK على حزب العمال الاشتراكي، الذي أحصى حوالي (٥٠) قتيلًا وعدة مئات من السجناء في صفوفه.

وقرر "الناجون rescapés" من الحزب الاشتراكي الكوردستاني التخلي عن جلال طالباني والانضمام إلى اللجنة التحضيرية للدكتور محمود عثمان ليؤسس، في آب ١٩٧٩، الحزب الاشتراكي الكوردستاني الموحد الذي سيواجه كلاً من بغداد والاتحاد. وتلهم الثورة الإسلامية في إيران آمالاً جديدة لحزب PDK الذي سيرم اتفاقاً حقيقياً مع نظام الخميني. وستمنح الأخيرة أسلحة للحزب الديمقراطي الكوردستاني ومساعدات مالية وتحسين الظروف المعيشية للاجئين الكورد العراقيين في إيران. وفي المقابل، سيساعد حزب PDK طهران على محاربة PDKI بقيادة أ. قاسملو، بالقرب من جلال طالباني. ويغضب هذا التحالف مع آيات الله، سامي عبدالرحمن الذي يغادر حزب PDK. وفي عام ١٩٨١، أنشأ حركته الخاصة، حزب الشعب الديمقراطي الكوردستاني، والتي واجهت حزب PDK وبغداد. وسيكلف تحالف PDK مع طهران في خضم الحرب العراقية الإيرانية البارزانيين غالباً؛ ما يقرب من (٨٠٠٠) منهم سيكونون ضحايا لاعتقال كبير نظمه صدام حسين. وسيتم إعدامهم جميعاً في معسكر للتعذيب بالقرب من بوسيا Bussia بالعراق.

سيحاول الاتحاد الوطني الكوردستاني التفاوض مع بغداد ضد آيات الله الإيرانيين الذين يرى أنهم يشكلون تهديداً، وهذه الإستراتيجية لم تقبل بالإجماع من قبل أعضائه. ويريد جلال طالباني التفاوض مع بغداد على أساس اتفاق آذار ١٩٧٠، لكن المفاوضات تنتهي عام ١٩٨٤. ويدرك رئيس الاتحاد الوطني الكوردستاني أنه لن يحصل على أي شيء من بغداد، لذلك يتجه إلى إيران التي يذهب معها إلى أبعد من PDK في تحالفه. وأخيراً، في تشرين الثاني ١٩٨٦، وقع الحزبان الكورديان اتفاقاً مشتركاً في طهران مع النظام الإسلامي، إيذاناً ببدء وقف إطلاق النار الذي سيستمر حتى عام ١٩٩٤ [شاليان، ١٩٩٢].

وخلال الحرب العراقية الإيرانية، سيسمح الاتحاد الوطني الكوردستاني لحراس الثورة الإسلامية (الباسدار)، بدخول الأراضي العراقية، غير البعيدة عن حلبجة، لمهاجمة الجيش العراقي وجهاً لوجه. وسينتقم صدام حسين لنفسه بقصف المدينة الكوردية بالقنابل الكيماوية في ١٦ و ١٧ آذار ١٩٨٨. وفي الواقع، فقد قرر صدام حسين، رئيس العراق منذ ١٧ تموز ١٩٧٩، مهاجمة إيران في ٢٢ أيلول ١٩٨٠. وقبل بضعة أيام، في ١٧ أيلول ١٩٨٠، خرق الأخير علناً على شاشة التلفزيون العراقي اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥، والتي اعتبرت إهانة حقيقية. منذ ما يقرب من عامين، دافعت إيران عن نفسها ضد الهجمات العراقية قبل أن تتخذ موقفاً هجوماً حتى نهاية الحرب مع الإرادة لإسقاط نظام "كافر mécréant".

كما مكّنت حرب الخليج عام ١٩٩١ الكورد من ترسيخ موقفهم، المغطى الآن بمنطقة الحماية الجوية، فضلاً عن تنظيم انتخابات حرة في منطقتهم اعتباراً من عام ١٩٩٢. وبعد هذه الانتخابات، التي جرت بسلاسة، انتصر حزب PDK على الاتحاد الوطني الكوردستاني من خلال (١٥٠٠٠) صوت فقط. وعندما يتعلق الأمر بانتخاب الزعيم، يفوز مسعود البارزاني على جلال طالباني بـ (٥٠٠٠) صوت فقط. فالأخير سيرفض لعب الدور الثاني من خلال التهديد بـ "الصراع"، وفي النهاية، في نهاية الإجماع، سيقرر الطرفان تشكيل حكومة بأجزاء متساوية، ولكن من دون تعيين رئيس. وسيؤدي عدم وجود رئيس له سلطة على جميع مواطنيها إلى إثارة الأحداث التي نعرفها: الحرب الأهلية بين حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني.

الحرب الأهلية ١٩٩٤-١٩٩٨ وعواقبها

حادثة تافهة وقعت في الأول من أيار ١٩٩٤ في مدينة قلعة دزه، شملت نزاعاً ميدانياً بين أنصار حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني، ستؤدي إلى مقتل اثنين من هؤلاء، وستكون بداية الحرب الأهلية [برزمني، ٢٠٠٦]. وستستمر الحرب الأهلية أربع سنوات، وتؤدي إلى مقتل (٤٠٠٠) كوردي من الجانبين. هذه الحوادث هي في الحقيقة مجرد صراعات على السلطة بين هاتين الحركتين، وجوهر هذه الحرب هو المال. في الواقع، في خضم الحرب الأهلية في كانون الثاني (يناير) ١٩٩٥، قرر الاتحاد الوطني الكوردستاني اقتحام أربيل، عاصمة كوردستان ومقر الحكومة. يريد الاتحاد الوطني الكوردستاني من حزب العمال الكوردستاني أن يدفع له نصف دخله الناتج عن معبر إبراهيم خليل الحدودي، المعروف أيضاً باسم الخابور. هذه الإيرادات هي مجرد تعريفات جمركية على الواردات إلى العراق. وبالفعل، عند تشكيل الحكومة الجديدة، تم الاتفاق على أن يستفيد كل طرف من ٣٠٪ من الدخل من المراكز الحدودية في منطقة نفوذه. ومع ذلك، فإن الاتحاد الوطني الكوردستاني، الذي له منطقة نفوذه في جنوب المنطقة الكوردية، لديه فقط نقاط حدودية مع إيران والتي لا تدر سوى دخل منخفض. بينما يستفيد حزب PDK، الواقع في الشمال، من عائدات كبيرة من جمارك الخابور على الحدود التركية.

PDK لا يستسلم. في ١٧ آب ١٩٩٦، شن الاتحاد الوطني الكوردستاني هجوماً على منافسه على طريق هاملتون بدعم لوجستي وعسكري من إيران لمحاصرة مسعود البارزاني. وهذا الأخير الذي يدرك أن سقوطه وشيك، يقرر دعوة صدام حسين لنجدته. وشكلت لعبة التحالفات هذه وهذه الصراعات الداخلية ضربة قاسية جدا للحركة القومية الكوردية. فيستعيد مسعود البارزاني أربيل بمساعدة الجيش البعثي، ثم بمساعدة وساطة دولية، يعود الطالباني إلى منطقة نفوذه بالاستقرار في السليمانية. وأخيراً، ستضع اتفاقيات واشنطن، الموقعة في أيلول ١٩٩٨، حداً لهذه الصراعات بين الكورد، وقد قامت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى بالفعل بعدة محاولات للمصالحة. يبدو من الأحداث الجارية أن مثل هذه المصالحة بين الحزبين السياسيين كانت ضرورية للسياسة الخارجية الأنجلو أمريكية في الشرق الأوسط.

وعلى الرغم من هذه المصالحة، لم يتحد حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني لتشكيل إدارة واحدة: فمن وجهة نظر تشريعية، أنشأ حزب PDK البرلمان في عاصمته أربيل؛ في المنطقة التي يسيطر عليها الاتحاد الوطني الكوردستاني، تدخل جلال طالباني مباشرة من خلال المراسيم الرئاسية. تشير طريقة العمل هذه إلى الرغبة في حكم كل شيء، وبالتالي الانحراف عن المبادئ التي تم وضعها أثناء الفصل. وفي كوردستان المتمتعة بالحكم الذاتي، كان لدينا وزيران للداخلية ووزيران للخارجية ... إلخ.

ومع ذلك، فإن الحرب الأهلية لم تتلاش تماماً من الذاكرة، واليوم يحمل العديد من كورد العراق ضغينة ضد الحزب الذي واجهوه في الماضي. كان الحادث الذي أطلق النار في الحقيقة مجرد ذريعة لتفجير الخلافات الحزبية التي غذتها خطابات القادة السياسيين. ولعب الاتحاد الوطني الكوردستاني كثيراً على الاختلافات في اللهجات من أجل "كسب" *gagner* المؤيدين بسبب الطبيعة "المحكمة" لعشيرة البارزاني. لا يمكننا أن نستنتج أن كل كورمانج ينتمون إلى حزب PDK وأن كل سوران ينتمون إلى الاتحاد الوطني الكوردستاني، إنما الغالبية منهم.

وإذا لم يظهر القادة الكورد الحاليون الحكمة في الاعتراف بأخطاء وإهانة كل طرف من هذه الحرب الأهلية، فلن يتمكن الناس من الحداد على "موتاهم" وسيؤجج الاستياء.

ويبدو أن وحدة كوردستان الموحدة تعمل على تهدئة الأرواح وتقريب المعسكرين مع زيادة حركة الناس من المنطقتين الجغرافيتين. ففي معسكر حزب PDK، لا يتردد الناس في الإشادة بمزايا "الليبرالية" السائدة في مدينة السليمانية، معقل الاتحاد الوطني الكوردستاني، بينما يدينون التقاليد العنصرية لمدينة أربيل، معقل حزب PDK. ولا يبدو أن الجيل الكوردي الجديد يلتزم بشكل أعمى بـ "أحزاب آبائهم *partis de leurs pères*" ولا يؤيد جميع القرارات السياسية للحزبين الكورديين الرئيسيين. وبالفعل، لا يتردد الشباب في إبداء رأيهم وخاصة خلافاتهم حول نقاط محددة، لا سيما بمقاطعة الانتخابات أو التظاهر في الشوارع.

ولذلك، فإن الخطاب الحزبي والإيديولوجي للاتحاد الوطني الكوردستاني وحزب PDK لا يهتم الجيل الجديد، الذي يطالب بمزيد من الحرية والانفتاح والتقدم وتحسين ظروفهم المعيشية. وتثير حالات فساد القادة السياسيين غضباً أكثر من أي وقت مضى على السكان الكورد الذين يستنكرون عن طريق الصحافة أو في الشوارع، هذه الممارسات. بل إن بعض المراقبين المحليين يتحدثون عن "أعمال شغب *émeutes*" ضد القادة.

ولا يزال القادة، ومعظمهم من الجيل الأكبر، يصرون على الاعتراف السياسي والهوية بالشعب الكوردي ككيان متميز عن شعوب الشرق الأوسط الأخرى، وبالتالي حقهم في تقرير المصير. بالنسبة للجيل الكوردي الجديد، الذي لا يستطيع التحدث باللغة العربية، والذي لطالما تحدث باللغة الكوردية ودرسها وكتبها، فقد اكتسب هذه الحقوق وهو يحتقر أكثر من أي وقت مضى "عراق العرب هذا الذي كان سبب مصيبتهم". وعلاوة على ذلك، فإن الجيل الجديد يريد الاستقلال أكثر من النظام الفيدرالي

الذي ينادي به الحكام. ولذلك يمكننا أن نفترض أن هناك نوعاً من التحول العقلي بين الجيل الكوردي الجديد والقادة الكورد، الذين يعتبرون أكثر براغماتية، لكنهم متخلفون في إرادة الكورد لتقرير المصير.

إعادة توحيد حزب العمال الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني

تعدّ إعادة توحيد الحكومتين الكورديتين، حكومة حزب PDK بمقره في أربيل وحكومة الاتحاد الوطني الكوردستاني في السليمانية، حدثاً تاريخياً للكورد، لكنه لم يلاحظه أحد في جميع أنحاء العالم. تعود بدايات هذه الرغبة في التوحيد إلى الاتفاقية الانتخابية في ١ كانون الأول ٢٠٠٤، المبرمة بين قادة حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني، وهي اتفاقية نصت على أن يشغل ج. وسيتولى البارزاني رئاسة كوردستان. أما بالنسبة للانتخابات البرلمانية الكوردية، فقد وضع حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني قائمة مشتركة تحت اسم AUK (التحالف الكوردستاني الموحد) وتقاسموا عدد المقاعد بشكل عادل (٢٨) مقعداً لكل منهما^(١).

وفي بداية عام ٢٠٠٥، أعلن حزب العمال الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني أنهما سيضعان قائمة مشتركة تحت اسم AUK للانتخابات الوطنية العراقية. وأعطت الانتخابات العامة العراقية في ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥ للشيعية أغلبية مطلقة. وجاء الكورد في المرتبة الثانية، والعرب السنة هم الغائبون الأكبر، وممثلوهم طالبوا بالمقاطعة. سوف يدعم الكورد الحملة الرئاسية لجهة الطالباني، كما تم الاتفاق عليه، في ظل الاتحاد الأفريقي: سيتم انتخاب الأخير رئيساً للعراق في ٨ نيسان ٢٠٠٥ لمدة أربع سنوات. ومع ذلك، فإن التوترات بين حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني لم تتوقف، لأن انتخاب الزعيم الكوردي في بغداد لم يجعل ذلك سعيداً داخل الاتحاد الوطني الكوردستاني، ولا سيما في الجناح اليساري الذي عارض مثل هذه المبادرة، معتقداً أنها كانت حيلة حزب PDK، حريصة على إزاحة الطالباني وبالتالي احتكار اتجاه كوردستان. وفي هذا السياق، طالب المكتب السياسي للاتحاد الوطني الكوردستاني بانتخاب السيد البارزاني من قبل البرلمان وليس بالاقتراع العام المباشر كما أراد الحزب الديمقراطي الكوردستاني.

استمرت المفاوضات بين الطرفين حتى فرض ج. الطالباني رئاسة البارزاني على الاتحاد الوطني الكوردستاني تحت طائلة الاستقالة. في ١٢ يونيو ٢٠٠٦، تم انتخاب السيد البارزاني بشكل استثنائي من قبل البرلمان بالإجماع رئيساً لكوردستان لولاية مدتها أربع سنوات، وكان مؤهلاً لإعادة انتخابه مرتين بالاقتراع العام المباشر. منذ ذلك الحين، عمل الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني معاً لعدة أشهر لتحقيق إعادة توحيد الحكومتين. في ٧ كانون الثاني ٢٠٠٦، أعلن الرئيس م. البارزاني إعادة توحيد

(١) وفي برلمان إقليم كوردستان حصل التركمان على (٨) مقاعد، والآشوريون على (٥) مقاعد، والرابطة الإسلامية الكوردستانية على (٨) مقاعد، والحزب الشيوعي على مقعدين، والحزب الاشتراكي الديمقراطي الكوردستاني على مقعد واحد، والجماعة الإسلامية على (٦) مقاعد، والحزب البروليتاري على مقعد واحد. المقعد، والمقاعد الأربعة الأخرى يشغلها مستقلون مقربون من حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني. وفي المجموع، هناك (١١١) مقعداً في برلمان أربيل.

الإدارتين الكورديتين في حكومة واحدة، والتي من الآن فصاعداً بقيادة نيجيرفان البارزاني، ابن شقيق وصهر السيد البارزاني، لمدة عامين، لإفساح المجال لعضو الاتحاد الوطني الكوردستاني، الذي سيتعين عليه أيضاً المغادرة بعد عامين بفضل نظام التناوب. وهكذا، فإن رئاسة كوردستان تذهب إلى حزب PDK، ومنصب رئيس الوزراء يذهب إلى حزب PDK ورئاسة البرلمان تذهب إلى الاتحاد الوطني الكوردستاني. وفي اتفاق التوحيد المبرم في ٢١ كانون الثاني ٢٠٠٦، يبدو أن القادة الكورد قد أدركوا القيمة التاريخية لهذه الفرصة، والتي ربما لم تعد موجودة. في الواقع، من خلال إعادة التوحيد هذه، أراد الكورد تأكيد سيادة مصالح الشعب الكوردي خارج الانقسامات السياسية أكثر منها الإيديولوجية. وبالفعل، فإن هذا الاتفاق بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني يوصي "بأن يضمن للشعب الكوردي الأعمال الكاملة لحقوقه من خلال تطبيق الدستور الدائم وتحقيق عراق ديمقراطي وفيدرالي حقيقي، والسماح بانضمام الكورد الذين تم تعريضهم". مدن مثل كركوك وخانقين وسنجار ومخمور. وهذا يثبت أن الكورد يولون مطالبهم الوطنية أهمية أكبر من اهتمامهم بنضالهم السياسي الحزبي، على الأقل في الوقت الحالي. ومع ذلك، فإن المهمة ستكون صعبة للغاية لأن التشكيلتين السياسيتين قسمتا مختلف الوزارات الإقليمية الكوردية بين حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني^(١).... وما زلنا بعيدين عن نظام سياسي ديمقراطي، لكن إعادة التوحيد هذه يمكن أن تكون خطوة ضرورية نحو تحقيقه، مع العلم أن السلطات الإقليمية الكوردية تتقدم على بقية العراق.

ظهور حزب سياسي كوردي ثالث قوي؟

منذ سقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣، تغيرت بُنى الأحزاب السياسية الكوردية وتنظيمها كثيراً. وهذا التطور هو نتيجة السكان أكثر من القادة أنفسهم. وبالفعل، فإن الأخبار التي تمثلها رحيل صدام حسين قد أثارت آمالاً كبيرة بين السكان وبين القادة على حد سواء بمستقبل أفضل. لكن بحسب الانتخابات السابقة والرأي العام للسكان هناك بعض السخط وخيبة الأمل. يبدو أن الحزبين الكورديين، الحزب الوطني الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني^(١)، قد وجدا حل وسط في هذا العراق الجديد: جلال الطالباني هو رئيس العراق الفيدرالي بينما مسعود البارزاني يصبح رئيساً للحكومة الإقليمية في كوردستان.

(١) اتفاق إعادة توحيد الإدارتين الكورديتين في ٢١ كانون الثاني ٢٠٠٦، متاح باللغة الإنجليزية على الموقع الرسمي لحكومة إقليم كوردستان: www.pdk.org.

(١) توزع هذه الاتفاقية الوزارات على النحو التالي: وزارة الداخلية، والعدل، والتعليم، والصحة، والشؤون الاجتماعية، والشؤون الدينية، والموارد المائية، والنقل، والإعمار، ووزارة المشاريع، ووزارة حقوق الإنسان. يتم تعيين وزارات المالية والتعليم العالي والزراعة والشهداء والثقافة والكهرباء والموارد الطبيعية والبلديات والرياضة والشباب ووزارة الشؤون إلى حزب PDK.

يبدو أن هذه التسوية ترضي القائدين اللذين خاضا نضالاً لا يرحم لقيادة الحركة القومية الكوردية. ولكن هذا لا يعجب السكان الكورد على الإطلاق، لدرجة أننا نرى ظهور "رأي عام كوردي" دون أي اعتبار إيديولوجي أو حزبي. ولم يعد الكورد يترددون في التعبير عن "سئهم" وخيبة أملهم من قاداتهم: فالناس يعبرون عن وجهة نظرهم ويوجهون انتقاداتهم في الشوارع أو في الصحف أو في التلفزيون. لم يكن الانقسام بين UPK / PDK في الحرب الأهلية كما كان عليه من قبل، ولم نعد نسعى للدفاع عن زعيم على حساب آخر. ويصرح الناس بوضوح أن ما يتوقعونه من قاداتهم، هو توفير مستقبل أفضل لأطفالهم، للحصول على ظروف معيشية أفضل.

وحتى الآن، ألفت الأحزاب السياسية الكوردية باللوم في الحرب والبيّس على النظام البعثي، لكن الكورد لم ينخدعوا ويتوقعون الآن من قاداتهم وضع حد لممارسات الفساد. وبينما ينتشر السخط الشعبي، يجب الاعتراف بأن هذا الوضع أكثر وضوحاً في منطقة نفوذ الاتحاد الوطني الكوردستاني، والتي تمر حالياً بأزمة داخلية عميقة.

وجلال الطالباني، الذي قاد الحزب منذ إنشائه عام ١٩٧٦، هو حالياً رئيس العراق، ورئيس الاتحاد الوطني الكوردستاني، ورئيس أركان الاتحاد الوطني الكوردستاني، ورئيس الشؤون المالية والاقتصاد للاتحاد الوطني الكوردستاني، إلخ. لذلك فهو يسيطر على كل شيء تقريباً داخل حزبه، بالإضافة إلى الرئاسة العراقية. ولا يشتكي أنصاره من هذا الوضع، لأسباب ليس أقلها الخلاف الداخلي حول "خلافة" جلال الطالباني (الذي بلغ بالفعل سن الثالثة والسبعين ويقال أنه يعاني من مشاكل صحية). وبحسب مسؤولين في الاتحاد الوطني الكوردستاني، فإن الحزب كان يسعى إلى إجراء إصلاحات منذ ثماني سنوات من أجل "اللامركزية"، لكن الظروف حالت دون حدوث ذلك. إن مثل هذه التأكيدات تثير الدهشة لأن السبب الذي قدمه مؤسسو الاتحاد الوطني الكوردستاني لمعارضة حزب البارزاني الديمقراطي الكوردستاني كان الافتقار إلى اللامركزية، في حين أن مؤسسه لا يزال على رأسه بعد ثلاثين عاماً من إنشائه.

والهدف من مقاربتنا ليس اتخاذ موقف لصالح هذا الحزب أو ذاك، ولكن لفهم الأسباب التي دفعت حفنة من المعارضين للانفصال عن حزب PDK. من الواضح أنه لا ينبغي تشجيع الحزب الواحد، لأنه لا يمكن أن يكون ممثلاً لشعب بأكمله، وبالتالي يمثل مخاطر الانجراف الاستبدادي. لكن التنافس الشديد بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني دفع بعض المراقبين إلى القول بأنه لا يوجد شيء اسمه صراع قومي كوردي بالمعنى الحرفي للكلمة، ولكنه أكثر من مجرد صراع على السلطة بين رجلين دافعا عنهما. اهتمامات شخصية.

بعد فوات الأوان، يمكننا القول أن الأسباب الحقيقية لهذا الانقسام لم تكن إيديولوجية حقاً: فقد ادعى مؤسسو الاتحاد الوطني الكوردستاني أن حزبهم السياسي الجديد كان مستوحى من الشيوعية

(وبشكل أدق من الفرع الماوي)، في حين أن حزب العمال الكوردستاني كان أكثر تقليدية. ومع ذلك، يجب ألا ننسى أنه عندما تم إنشاء PDK، ادعى هذا الحزب أنه مستوحى من الماركسية اللينينية، وهو الأمر الذي أعيد تأكيده في عام ١٩٧٦، حتى لو كان حزب PDK اليوم أكثر من حزب محافظ.

الاتحاد الوطني الكوردستاني اليوم ليس حزباً شيوعياً، على الرغم من أنه مصنف على يسار حزب PDK. إن ظهور عدة أحزاب سياسية كوردية أمر إيجابي بقدر ما يمكن أن يرتبط كل منها بتيار سياسي. إلا أنه يصبح إشكالياً بالنسبة لـ "القضية القومية الكوردية" عندما تتحالف بعض هذه الأحزاب مع "العدو" ضد "عدوهم". ولسوء الحظ، فإنه في التاريخ الكوردي الحديث، وضع بعض القادة السياسيين مصالهم الشخصية قبل "المصلحة القومية الكوردية": خطأ لا يغتفر لشعب بلا دولة.

أما الأزمة الداخلية داخل الاتحاد الوطني الكوردستاني فهي تعود لوجود تيارين داخل الحزب وبالتالي صراع بين رجلين. من ناحية، كُسرت، رئيس أركان البيشمركة السابق والنائب الحالي لرئيس حكومة إقليم كوردستان. إنه ذو تعليم متواضع وقد أثبت نفسه بشكل خاص في القتال. وقد اعترض حزب PDK بشدة عليه وهو متهم بوضع ٢٠ كيلوغراماً من مادة تي إن تي في انفجار سيارة مفخخة في زاخو بمنطقة حزب PDK، مما أسفر عن مقتل أكثر من (١٠٠) شخص خلال حرب "الأشقاء". ومن ناحية أخرى، يحظى نور شروان، الصحفي والكاتب، بالاحترام على نطاق واسع لمنحه الدراسية و "صدقه"، وكذلك من قبل أنصار الحزب الديمقراطي الكوردستاني. ميزته هي أيضاً عيبه: تجربته، وبالتالي تقدمه في السن.

لذلك، لكل هذه الأسباب الداخلية، فإن شعبية الاتحاد الوطني الكوردستاني آخذة في التراجع. وهذه الصراعات الداخلية تشمل كل التقدم: والطالباني مشغول في بغداد والحزب مبتلى بالانقسامات الداخلية. فيلجأ البعض المحبطين إلى الحزب الديمقراطي الكوردستاني، الذي يعتبر "في أفضل حالاته". في الواقع، تم تقدير موقف مسعود البارزاني الثابت لدرجة اجتذاب الدعم خارج منطقة نفوذه. لم يقدم مسعود البارزاني، خلال عملية إعادة الإعمار هذه، أي تنازلات بشأن كركوك، والوضع الفيدرالي للعراق، ومنح كوردستان صلاحيات واسعة. كما تلقى الصحافة الجيدة عندما رفض أي تفويض لمنصب في الحكومة المركزية. وبالفعل، أصيب العديد من أنصار جلال طالباني بخيبة أمل لأن زعيمهم أراد ووافق على أن يكون "رئيس العراق"، "هذه الدولة المسئولة عن محتهم منذ نشأتها".

وعلى الرغم من الصعوبات التي يواجهها الاتحاد الوطني الكوردستاني، إلا أنه لن يختفي تماماً. سيكون هناك دائماً نواة صلبة، بما في ذلك في حالة حدوث سيناريو كارثة. يقول البعض إن وفود الاتحاد الوطني الكوردستاني في فرنسا تنظم اجتماعات أزمة لمناقشة احتمال تفكك حزبهم. بصرف النظر عن الخلاف بين الرجلين الرئيسيين في الاتحاد الوطني الكوردستاني، يبدو أن جلال الطالباني قد وجد حلاً لخلافته: ابنه قوباد الطالباني، الممثل الحالي للاتحاد الوطني الكوردستاني في واشنطن. أو ابنه الأكبر،

بافيل، الذي قدمه بشكل محرج للصحافة من قبل والده، الذي كان سيتبعه في كل مكان ليكون خليفته. ألا يمكن أن يكون هذا السيناريو الأخير هو سبب صمت جلال الطالباني في الصراع بين كوسرت و نوشيروان، وتقديم ابنه على أنه "منقذ" الحزب؟ يجب طرح السؤال.

عين مسعود البارزاني ضمناً ابن أخيه وصهره نيجيرفان البارزاني - ابن إدريس البارزاني - خلفاً له بمنحه منصب رئيس وزراء حكومة إقليم كردستان. هذا الأخير شاب وطموح، حريص على إجراء إصلاحات ونقل صورة "حديثّة" للحزب. من خلال مبادراته، أظهر الحداثة (مثل حظر تعدد الزوجات) ولكن يبدو أنه لا يزال يعوقه تردد "كبار السن" في الإصلاح^(١).

القادة الكورد على علم بهذه التطورات. "اليوم، الحكومة والحزب، في أربيل كما في السليمانية، الأمر نفسه يؤكد زعيم حزب PDK الواضح بشكل خاص، ولكن في المستقبل، عندما تكون هناك انتخابات، فإن الأحزاب المهيمنة حالياً تخسر. ماذا سيحدث لحزب ليس لديه المزيد من الموارد؟ إذا أردنا الفوز في انتخابات الغد، يجب علينا جلب المستثمرين، وخلق فرص العمل، والعمل في المجال الاقتصادي والاجتماعي. باختصار، أن يكون لديك برنامج، وأن تتصرف كحزب حقيقي، وليس كالمليشيا. تميل حركات التحرير التي تصل إلى السلطة أحياناً إلى التصرف كديكتاتور من أجل الحفاظ على هذه القوة. ربما يكون وجود الأمريكيين هو حظنا: فهو سيمنعنا من الوقوع تحت ديكتاتورية كوردية^(٢). ويشير هذا الزعيم بالتأكيد إلى نظام المحسوبية الذي أقامته الأحزاب السياسية الكوردية التي ترغب في جذب المزيد والمزيد من المؤيدين عن طريق الدفع بدل شهري، أو من خلال إمكانية الحصول على وظيفة في الإدارة المحلية، أو حتى الالتحاق بميليشيات البيشمركة.

ولم يعد المجتمع الكوردي ما كان عليه من قبل، وكما ذكرت، يظهر رأي عام خارج الانقسامات الكلاسيكية التي هيمنت على تقارير الأحزاب السياسية الكوردية المختلفة. فالجيل الكوردي الجديد هو ثمرة سياق معين، فريد من نوعه في العالم: لقد ولدوا ونشأوا في منطقة تُدار كدولة: كردستان، دولة داخل دولة العراق. إن الغالبية العظمى منهم لا يتكلمون العربية، أن يكونوا قد أكملوا جميع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي في اللغة الكوردية، وبالتالي يكون قد اكتسب الوعي الوطني أعلى بكثير من الأجيال السابقة^(٣).

(١) على سبيل التوضيح، يمكننا الاستشهاد بحقيقة أن فتاة من عشيرة البارزاني لا يمكنها الزواج من "سوران" كوردي أو بالكاد من "كورمانج" من قبيلة أخرى.

(٢) موقع الويب www.kris.kurdistan.gov.krd. كريس كوتشيرا. كوم.

(٣) وفقاً لاستفتاء نظّمته هيئة مستقلة، شكك أكثر من ٩٠٪ من السكان الكورد في أنهم يريدون الاستقلال الكوردي بدلاً من الفيدرالية

Berévan Adlig:Le Kurdistan irakien,Dans Hérodote 2007/1 (no 124)

وفي ضوء هذه العناصر، يبدو أن جميع المقومات قد وُضعت لتشهد ظهور حزب سياسي ثالث قوي يجمع بين المحبطين وأفكار جيل جديد لا تنعكس في قيم الأحزاب الحالية. وسيكون لهذا الحزب السياسي الجديد، الأقل رأساً، تطلعات أكثر تقدمية وسيتم بناؤه على أسس متطابقة أو حتى مماثلة للأحزاب السياسية الحديثة. لكن خيبة الأمل وغضب السكان يمكن أن تخدم أيضاً الأحزاب المتطرفة، مثل الحزب الإسلامي. مدينة السليمانية (معقل الاتحاد الوطني الكوردستاني)، التي تعتبر المدينة الثقافية الأكثر اعتدالاً في كوردستان العراق، بها عدد كبير من "الإسلاميين". في الانتخابات الأخيرة، فاز الحزب الإسلامي بنحو ١٥% من الأصوات في مدينة السليمانية وحدها، وهي درجة عالية فاجأت كوردستان كلها. في أربيل، معقل حزب PDK، فاز الإسلاميون بحوالي ٧% من الأصوات بينما تشتهر المدينة بأنها محافظة أكثر من السليمانية.

وفي الوقت الحالي، يتمتع حزب PDK بوضع جيد وقد أثبت لجميع الكورد أنه يظل وظيفياً لأهدافه، وقد أظهر أنصاره "ضميراً وطنياً" عظيماً لا يمكن لأحد أن يناقضه في الوقت الحالي، حتى بين خصومهم. هناك عنصر آخر يعمل لصالحه وهو أن حزب العمال الكوردستاني موحد جداً وأن قيادته ليست موضع نزاع أو منافسة.

ومع ذلك، فإنه على المدى الطويل، من المحتمل جداً أن تطالب الأجيال الجديدة بمزيد من الانفتاح من حزب PDK، الذي تقوده عشيرة البارزاني وحدها. اليوم، لم تعد الظاهرة القبلية كما كانت في كوردستان، بحيث أن ٢٠% فقط من السكان يعرفون أنفسهم على أنهم ينتمون أولاً إلى قبيلة، وهو عامل قد يسمح للجيل الجديد بالتغلب على الخصومات بين حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني.

جولي جوتيه: سوريا: العامل الكوردي

يعتبر هذا المقال مهماً، وذلك لارتباطه المباشر بمجريات الأحداث في كوردستان - العراق، كما هو منوّه إليه منذ السطور الأولى، وهذا يعزّز في نشره ضمن الكتاب، إذ تشكل فكرة أكثر بانورامية، بمكوّنها الجغرافي - الديموغرافي، إلى جانب الإرهاسات السياسية، ولعبة المؤثرات الدبلوماسية ومعززاتها في العمق الحدودي الفاصل، وما يصل الجهة الكوردستانية بسواها.

هناك ما هو مستجد في كتابة المقال، من خلال مفاهيم احترافية معلومة، دون تجاهل القيمة المركّبة لأي مفهوم، أي ما يصل ما بين السياسي والاجتماعي، تقعيدياً لأس العلاقة هذه: إذا كانت سوريا قد نجحت حتى الآن في إخفاء قضيتها الكوردية، فإن "انتفاضة intifada" قامشلو في آذار ٢٠٠٤ كانت بمثابة الانفجار الوحشي وغير المسبوق للاحتجاج الكوردي في الأراضي السورية وأظهرت بوضوح تداعيات الأزمة العراقية وآثارها المزعزعة للاستقرار. المظاهرات العنيفة التي اندلعت خلال هذه الفترة

المناطق الكوردية في البلاد، ولكن أيضاً مدنها الرئيسية، سمحت بعرقلة المشهد السياسي لفاعل لم تكن قدرته على التعبئة غير معروفة حتى ذلك الحين. لقد قوّض حجم التمرد، الذي أجبر الرئيس بشار على الاعتراف بوجود الكورد في سوريا في برنامج تلفزيوني، بالمقابل، الإنكار الرسمي لمكونات عرقية أخرى للأمة السورية التي تُعرفها حصرياً بعروبيتها. وبالتالي، فإن "انتفاضة" قامشلو تكرر بطريقة ما ظهور "المسألة الكوردية" في سوريا كقضية جديدة، من المرجح أن تثير التساؤل ليس فقط عن تقاسم السلطة، ولكن الأسس الأيديولوجية للدولة السورية.

يبدو أن الظهور الجديد للمجتمع الكوردي في سوريا أكثر وحشية لأنه لم يكن، حتى ذلك الحين، قادراً على تحويل ثقله الديموغرافي إلى قوة سياسية. صحيح أنها مع (٢,٥) مليون أعضائها أصغر من تلك الموجودة في تركيا والعراق وإيران. لكن على المستوى السوري، فإن الرقم بعيد كل البعد عن السخرية مقارنة بنسبة ١٠٪ من العلويين أو المسيحيين.

ومن ناحية أخرى، فإن توزيعهم الجغرافي هو الذي يمكن أن يفسر المحو السياسي للكورد. وهم في الواقع موزعون بشكل غير مستمر في الجزء الشمالي من البلاد، على طول الحدود التركية، في عدة "جيوب" تفصلها مناطق ذات أغلبية عربية: منطقة عفرين أو كورداغ، شمال غرب حلب، يبلغ عدد سكانها (٢٥٠) ألف نسمة على الأقل. ويقدر عددهم في كوباني أو "عين العرب" الواقعة على بعد ١٥٠ كيلومتراً شرقاً بنحو (٨٠٠٠٠) ألف نسمة. في جزيرة الجزيرة، أخيراً، على حدود الحدود التركية العراقية، قد يصل عددهم إلى مليون ... ولكن هذه التجمعات السكانية، التي تشكل الامتداد الغربي لـ "كوردستان"، بعيدة كل البعد عن احتواء كل الكورد المنتشرين في مستعمرات في مدينتي حماة ودمشق، حيث يعود تاريخ إنشائها إلى زمن صلاح الدين الأيوبي. وأدى النزوح الجماعي من الريف مؤخراً إلى إعادة تجميع مجتمع كوردي حقيقي في حلب، قوامه (٣٠٠) ألف شخص على الأقل. والوضع اللامركزي، لا سيما جيوب عفرين وكوبان، والتشرذم الداخلي للمناطق الكوردية، وديناميات التنوع المكاني في المدن العربية الكبيرة، وغياب التقسيمات الإدارية المحددة بشكل عام، يحرم المجتمع الكوردي من المراجع الإقليمية بشكل واضح. ومتميزة في الفضاء السوري. وعلاوة على ذلك، فإن البعد الإقليمي، كمورد لتحديد الهوية وموضوع تعريف وطلب، لطالما طرح مشكلة محددة للقومية الكوردية السورية.

الكورد في سوريا الجديدة

إذا كان الانتداب الفرنسي قد أسهم في التنمية الاقتصادية للمناطق الكوردية، فإنه لم يلعب في اتجاه الاعتراف بالحقيقة العرقية في سوريا. وفي الواقع، اهتمت فرنسا بالكورد كأقلية لتتكئ عليها أحياناً: من الخارج ضد تركيا، من الداخل ضد القومية السورية. لكن على عكس المجتمعات الأخرى، لن تضعهم باريس في قلب سياستها الاستعمارية.

ومع ذلك، على الرغم من أن الحدود التركية السورية قد تم ترسيمها بموجب اتفاقية أنقرة في أكتوبر ١٩٢١، إلا أن الخلاف لا يزال قائماً حول الاندماج في المنطقة الفرنسية من الطرف الشمالي من الجزيرة، الأمر الذي سيعجل بتحالف لمرة واحدة مع بعض الكورد الأعيان. ومن بين هؤلاء، نجد زعماء قبليين تم تنصيبهم في الشمال بعد الثورة الكوردية الكبرى للشيخ سعيد، في تركيا، في شباط ونيسان ١٩٢٥، مثل حاجو آغا، بالإضافة إلى جهات فاعلة أخرى من اللاجئين المثقفين القوميين. دمشق أو لبنان، مثل عائلة بدرخان الأميرية؛ علاوة على ذلك، كان بمبادرة جلادت بدرخان وتحت النظرة الخيرية لسلطات الانتداب، أنه تم إنشاء جمعية خوييون في بيروت عام ١٩٢٧، والتي يعتبرها البعض أول منظمة كوردية حديثة، هدفها حشد القبائل إلى الثورة الكوردية الكبرى الثانية في أارات في تركيا. لكن إذا تسامحت فرنسا مع خوييون، فذلك لأن هذا يسمح لها بالحفاظ على بؤرة معارضة على حدود تركيا. ومن ناحية أخرى، تضمن عدم امتداد أنشطتها إلى الأراضي التركية، وبمجرد إغلاق قضية الحدود مع هذا البلد نهائياً، في عام ١٩٣٠، ستمثل باريس لمطالبات أنقرة وستزيل من الجزيرة. العناصر الأكثر نشاطاً في الجمعية. وبالمثل، وبتزايد تهديد القومية العربية، خاصة منذ عام ١٩٣٦، ستحاول فرنسا جني مكاسب انتخابية من دعم زعماء القبائل المقربين من خوييون، لصالح الحفاظ على وجودها.

ومع ذلك، تجاهل الفرنسيون المطالب الكوردية بالحكم الذاتي. وفي عام ١٩٢٧، لم يسمحوا للبرلمانيين الكورد بتقديم مذكرة إلى الجمعية حول التعليم باللغة الكوردية وزيادة المشاركة في الإدارة. وبالمثل، فإن الاقتراح الذي صاغه زعماء القبائل في عام ١٩٣٨ لإنشاء دولة كوردية في الجزيرة على نموذج دولة جبل الدروز والدولة العلوية ١٩٢١-١٩٢٢ سوف يذهب أدراج الرياح ... وفي كلتا الحالتين، على الرغم من أن النخب الكوردية في سوريا قد تعرفت على الأفكار القومية من خلال الشتات المسييس للغاية، إلا أن تأثيرها لا يزال مقصوراً على الجزيرة والمراكز الحضرية في دمشق وحلب. ونظراً لأن لديهم القليل من الجذور في المجتمع السوري، فلن يكون من الممكن لهم التفاوض بشأن فوائد ملموسة لمجتمعهم، مثل إنشاء مؤسساتهم الخاصة أو الاعتراف بها من خلال التقسيم الإداري: إن عملهم موجه بشكل أساسي ضد تركيا. الثورة التي تعتبر الأراضي السورية في نظرهم القاعدة الخلفية فقط.

إن التكوين الحالي للمناطق الكوردية في سوريا ناتج عن عدة اتفاقيات بين فرنسا وإنجلترا وتركيا. وإن ارتباطهم بالمجموعة الجديدة سيميز هذه المناطق غير المتجانسة والريفية العميقة بدرجات متفاوتة. وكان كيان عفرين الزراعي، وهو كيان اجتماعي واقتصادي حقيقي، يسكنه فلاحون مقيمون، أقل تأثراً من المساحات البكر العظيمة في الجزيرة، حيث كانت البدو لا تزال سائدة. وإن إنشاء الحدود سيعطل بالفعل ويضعف البنى القبلية من خلال الانقسام على جانبي خط الترسيم. ولاستبدال

القطبين المدينيين، ماردين وأورفة، اللذان بقيا في تركيا، شرعت السلطات الإلزامية في تأسيس مدن جديدة مثل عفرين، في كورداغ، أو قامشلو، في الجزيرة. وكما أطلق الفرنسيون خطة استعمار زراعي لتعزيز توطين الكورد. وهذه الأرض الغنية، غير المستغلة إلى حد كبير، المتنازع عليها من قبل القبائل الكوردية والعربية، ستتحول بسرعة كبيرة إلى مركز اقتصادي حيوي لسوريا.

عتبة ثانية تميزت بمصادرة عدد لا بأس به من الملاك الكورد ونقل أخصب الأراضي الزراعية الواقعة على طول الحدود التركية والعراقية إلى المستوطنين العرب منذ عام ١٩٦٦: هذه هي استراتيجية "الحزام العربي". وإلى جانب الإصلاح الزراعي. وكان الهدف هنا هو تقليل الوزن الديموغرافي والاقتصادي للكورد وبالتالي تعديل التوازنات الاجتماعية والجغرافية للمنطقة. وكانت هذه الإجراءات في الأصل جزءاً من خطة شاملة تستهدف الجزيرة بأكملها: التهجير التدريجي للقبائل "الخطرة"؛ حملة الانقطاع عن الدراسة؛ الترويج للحروب المحلية من خلال القبائل العربية "الوطنية". حتى لو لم يتم تنفيذها، فإن حقيقة وجود هذه الخطة تشير إلى إغراء بـ"حل" كوردي على شكل إبعاد، أو عسكري، أو حرب أهلية، أو حتى القضاء. في سوريا في الستينيات: كان التخلي عن أو على الأقل انعكاس السياسة "التقليدية"، القائمة بالأحرى على استيعاب الأقليات - غياب حقوق معينة، ولكن إعادة التوزيع الزبائني - بمعنى المنطق الجديد للتمييز والتهميش للمجتمع الذي يتم تقديمه الآن على أنه مختلف بشكل غير قابل للاختزال والعداء.

وبالمقابل، أظهرت دراسة محمد طالب هلال بشكل متناقض اهتماماً جديداً بالمجتمع الكوردي الذي أحدثته ككيان جماعي له خصائص هويته الخاصة وموقعه في المنطقة وأهميته الديموغرافية. بطريقة ما، كانت الدولة تكتشف وجود "قضية كوردية"، بدأت تأخذ في الحسبان البعد الاستراتيجي لها.

وبشكل عام، يشير استيلاء حافظ الأسد على السلطة في عام ١٩٧٠ إلى توجه أكثر براغماتية يتناقض مع القومية الخبيثة والمزايدة العربية على البعث في الستينيات. والأفضل من ذلك، أن تسلل العلويين إلى السلطة شجع الجهاز الجديد السعي إلى ولاء قطاعات الأقلية لموازنة الأغلبية السنية المعادية بشكل متزايد.

وفي سياق الصراع الذي عارضه الإخوان المسلمون منذ نهاية سبعينيات القرن الماضي، ضاعفت السلطات بوادر التهدة في اتجاه المجتمع الكوردي، الذي يمكن أن يكون حياده، إن لم يكن دعمه، مفيداً لهذه الغاية. وهو أكثر قيمة لأن الكورد هم أيضاً من السنة. فمن ناحية، ينتقل إلى اختيار بعض الشيوخ الكورد مثل البوطي، الذي سمي لاحقاً المفتي العام، وأحمد كفتارو، المسؤول عن تدريب رجال الدين، وفي النهاية أيضاً المفتي العام، الذي سيكون بمثابة ضمان النظام من خلال تجسيد الإسلام الرسمي. من ناحية أخرى، فإنه يعطي مساحة أكبر للأحزاب الكوردية المختلفة، أو بالأحرى "مجموعات

صغيرة" من حزب PDKS، مع إبقائهم في الظلام ويحد من نشاطهم. وعلاوة على ذلك، ستلاحظ الأحزاب الكوردية آلية الإدارة الجديدة هذه، ولأنها تريد تجنب المواجهة مع السلطة التي قد تهدد وجودها الهش بالفعل، فإنها ستقبل وظيفة محددة جيداً للإشراف الثقافي للمجتمع^(*).

بيير جين لوزارد: الديمقراطية غير المحتملة في العراق: فخ الدولة القومية

في المقال المعنون أعلاه، يتشكل تاريخ، كما يتجلى حضور مجتمعي، ومن ثم حضور قانوني، وتلك التجربة التاريخية العميقة، والمديدة، إلى جانب الإشكالات الكبرى لأي إجراء قانوني يخص مفهوم "الديمقراطية" في سياقها الدولي المسمى: العراق، وآلية العمل بالمفهوم الظاهر، وصلاً له تالياً بـ"فخ الدولة القومية".

لست متردداً في الحالة هذه، في أن تأكيد مقولة فكرية ومعرفية طبعاً، وهي استثنائية المقال بمحتواه. حيث إنه في مقدور الباحث في بنية التاريخ المعمد سلطوياً في بلدان المنطقة، أن يتحرى سلسلة الأنساب ذات الدمغة العنصرية، على صعيد الممارسة اليومية، وفي الأنشطة المتناهية الصغر، وتلك البسيطة، وأتاوات مدفوعة جانبياً، تعبيراً عن أي مرجعية قانونية يُحتكم إليها بصواب، حيث يستحيل التقريب بين الديمقراطية في مفهومها المؤسسي، وسطوة العشائريات ذات التنوع الفولكلوري المتجذر في مفاصل المجتمع، حتى بالنسبة لباعة "الأرصفة" والعمال اليوميين، عبر شبكة متصلة مع بعضها بعضاً، تمرر مؤثراتها، وتثبت نفوذها بصيغة محاصصاتية، أو متفق عليها مسبقاً، فلا يكون في المقابل ذلك التاريخ الذي بمقدار ما يتجدد، يخرج من جسده خلافه، ناقداً نفسه، ومنتقداً ومنقوداً، تعبيراً عن مجتمعه المفتوح.

وهو التعبير الأكثر ديناميكية في مصادقة الآتي، والتحرك نحوه، ضمان أمن وسكينة وانبناء قيمي من الداخل طبعاً.

وفي الاهتمام القاعدي والمحيطي، ما يعين على التقاط الخفي، والمؤثر في مسيرة الدولة، وتلونها في العمق: يبدو أن الحديث عن عملية الديمقراطية الحالية للعراق غير ملائم. وبالإضافة إلى صعوبة تحديد الحياة السياسية المعقدة والمثيرة، فإن هذا البلد يفضل الانقلابات والعنف السياسي والقمع الدموي وغياب الإجماع الوطني. ولأنه لا يمكن للمرء أن يثير مسألة الديمقراطية في العراق، دون تسليط الضوء على الطبيعة العميقة المناهضة للديمقراطية لدولة، فقد أقيمت باسم أمة تم فرضها بشكل مصطنع في بلد متعدد المجتمعات.

(*)Julie Gauthier: Syrie : le facteur kurde, Dans Outre-Terre 2006/1 (no 14)

المقال مختصر، مشدّد على نقاط تخص محتوى الكتاب بالذات

إن تكريس الأمة إلى مرتبة موضوع القانون، وصاحب السيادة، ومصدر كل السلطات، والسلطة الشرعية فقط منذ تأسيس السلطة، هو مفهوم أوروبي حديث. ولقد كانت مسألة قطع مع ماضٍ تميز بالعالمية الدينية والعالمية الأرستقراطية، ولكن ضد الرمز الملكي، المنافس الرئيس للطبقات البرجوازية في صعود كامل على أرض الإيديولوجية الوطنية. وإن انتصار الفكرة القومية بشكلها المتفاهم، القومية، جعلها تتعارض بشكل مطلق مع المطلقات الأخرى. في ظل أسلوبه الاستعماري، أراد التوسع الرأسمالي الأوروبي الذي يحمل هذه الأفكار، أن يفرض، في نفس الوقت الذي تفرض فيه هيمنته السياسية والاقتصادية والعسكرية، نموذج الثقافة ومفهومه المعين للدولة.

وهذا هو المفهوم الذي أراد البريطانيون تطبيقه على العراق. حيث أسسوا، على أنقاض ولايات بلاد ما بين النهرين العثمانية الثلاث، دولة تحاول تلبية المعايير الأوروبية للدولة القومية، على أساس فكرة العروبة التي كانت غير موجودة عملياً في البلاد. وهل يلزم أن يقال إن هذه الدولة لا تتوافق إطلاقاً مع المفاهيم السائدة آنذاك في المجتمع العثماني لبلاد الرافدين؟

الدولة القومية مقابل فسيفاء من المجتمعات ذات الغالبية المسلمة

العراق الحالي كياناً تأسس في زمن الانتداب البريطاني. كانت القوى الأوروبية العظمى هي التي رسمت حدودها في نهاية الحرب العالمية الأولى. وتم تطبيق اسم العراق ذاته على البلد بأكمله منذ ذلك الحين. يشير تعبير "العراق العربي" المستخدم في العصر العباسي حصرياً إلى منطقة وسط وأسفل بلاد ما بين النهرين بين بغداد والبصرة، ومع ذلك امتد شمال بغداد إلى سمارا سور دجلة وغرباً إلى هيت على نهر الفرات. وفي الأساس، هي الدولة الشيعية الحالية مع جزء من المنطقة العربية السنية في الشمال. لم تكن الجبال الكوردية والجزيرة والصحاري في الجنوب الغربي من بينها. وهكذا، سيشعر أهل تكريت، الواقعة على الحافة الجنوبية للجزيرة، بأنهم أقرب إلى أهل الموصل ودير الزور في سوريا من شيعة الجنوب. وسيشعر شيعة الجنوب بأنهم أقرب إلى العرب الشيعة في الساحل الشرقي لشط العرب، عربستان الإيرانية، من البدو، أصحاب الإبل السنة الكبار، إلى صحاري شبه الجزيرة العربية.

إنه كيان سياسي منفصل ومستقل قبل القرن العشرين. باستثناء العصور البعيدة لسومر وأكاد، ثم بابل وآشور، حيث تم تقسيمها إلى ممالك متجاورة معادية لبعضها البعض، كانت أراضي العراق الحالية دائماً ملفوفة في إمبراطوريات أكبر لم تثبت عاصمتها هناك فقط أثناء عهود السلوقيين والبارثيين وبعد ذلك العباسيين. وفي بقية الوقت، اعتمدت الجماهير العراقية على قوة مركزية خارجية، مثبتة إما في بلاد فارس، أو بيزنطة، أو في مكة، أو في دمشق أو في تركيا. وإن محاولة ربط التراث التاريخي للعراق الحديث، الدولة القومية، بهذه الأمجاد الماضية هو أمر خيالي، ولدته الأساطير القومية العربية.

وقد كرست عودة المقيم البريطاني السابق السير بيرسي كوكس إلى بغداد في ١١ تشرين الأول ١٩٢٠ انتصار أطروحات المكتب العربي في القاهرة، والمواتية لإنشاء إدارة محلية "ذات واجهة عربية à façade arabe"، وإحلال السلطة البريطانية المباشرة. وكانت الخطوة الأولى نحو إقامة دولة محلية هي تشكيل "حكومة وطنية مؤقتة" في عام ١٩٢٠، وقد عهدت قيادتها إلى عبدالرحمن الكيلاني، وهو من الشخصيات السنية البارزة وزعيم الأثرا في بغداد. وفي ١١ تشرين الثاني ١٩٢٠، أعلن السير بيرسي كوكس الدولة العربية المحلية حيث تكون وريثتها الدولة العراقية الحديثة. وجلب المقيم البريطاني إلى المجلس الاستشاري شخصيات تنتمي إلى أكبر العائلات السنية في البلاد.

واحتاجت هذه الحكومة إلى رئيس كان في الوقت نفسه يرمز إلى رئيس الدولة. واختارت الحكومة البريطانية، من بين العديد من المرشحين، الأمير فيصل، أحد أبناء الشريف حسين في مكة، ملكاً على العراق. وكان السير ونستون تشرشل هو من رشح رسمياً فيصل في ١٢ آذار ١٩٢١ في مؤتمر القاهرة كأفضل مرشح لعرش العراق. أما بالنسبة للجيش العراقي، فقد اتخذت الحكومة المؤقتة أيضاً قرار دستوره في ٦ كانون الثاني ١٩٢١، وإنما تم تشكيلها رسمياً أيضاً أثناء مؤتمر القاهرة. وكان على الإدارة الإلزامية حينها العمل على تشكيل مجلس عراقي، حيث أسندت إليه مهمة التصويت على القانون الأساسي، الدستور، قانون مجلس النواب، ثم المصادقة على المعاهدة الأنجلو-عراقية. وفي ٢ آب ١٩٢٤، تم حل المجلس عندما صادق للتو على قانون الانتخابات، وكانت آخر قطعة مفقودة من الصرح الدستوري الذي كان سبب وجوده إضفاء الشرعية على الانتداب.

على عكس ما سيحاول القوميون العرب دعمه في التاريخ، فإن دستور الدولة العراقية لم يكن انتصاراً على البريطانيين، نتيجة لثورة عام ١٩٢٠ التي لم يكونوا فيها، علاوة على ذلك، حزباً. إن بناء هذه الدولة كرس، على العكس من ذلك، السياسة العربية لجزء من الحكومة البريطانية، وكذلك انتصار أطروحات القاهرة على أطروحات الهند. صُممت هذه الدولة على النموذج الغربي لتكون ناقلاً متميزاً للتأثيرات الأوروبية وأداة للهيمنة البريطانية. لقد كرس النموذج الوطني الذي ستستثمر فيه الحركة العربية المؤممة نفسها لاحقاً، والتي اعتبرت منذ البداية سيطرة الدولة هي الرهان الحقيقي في نضالها. ورفضت طائفتان من أكبر الطوائف في البلاد، الشيعة والكورد، إقامة الدولة الجديدة بالسلاح في أيديهم. والكورد بدافع العداء لربط أنفسهم بدولة عراقية عرفت نفسها على أنها عربية. وقد أدرك الشيعة، الذين شكلوا أقوى قوة مقاومة للمشاريع البريطانية، لأن قاداتهم السياسيين والروحانيين، المجتهد، أن مثل هذه الدولة القومية المرتبطة ببريطانيا العظمى ستخضع البلاد لأوروباً لفترة طويلة. وسيكون خطراً على الإسلام. وبعد هزيمتهم عسكرياً على يد بريطانيا العظمى في ثورة ١٩٢٠، واصل الشيعة، من خلال قاداتهم الدينيين، معارضة بناء دولة عربية تحت الانتداب. ولا يمكن بناء الدولة العراقية إلا بقوة السلاح البريطاني وبعد نفي أكبر مجتهد إلى إيران في عام ١٩٢٣.

واحتكرت البرجوازية العربية السنية معظم المناصب الرئيسية داخل الدولة العراقية الجديدة، مقتنعة بأنها كانت تلعب دوراً كان من حقها بسبب ماضيها العباسي والعثماني. وغالبية العراقيين، وخاصة الشيعة، الذين لم يتصوروا السلطة بدون الدين، استمروا في النظر إلى الإسلام السني كأساس للنظام السياسي الجديد. ومع ذلك، احتفظ المجتمع العراقي بتقسيمه البنيوي إلى ثلاث كتل غير متساوية الحجم: ٥٥% شيعة، والكورد والعرب السنة متساوون تقريباً، حوالي ٢٠% لكل منهما. وهذه الانقسامات، التي تعقدت بسبب حقيقة أنها عرقية ودينية على حد سواء، كانت أكثر من ذلك من خلال التكوين الجغرافي حيث يتم دعم كل من هذه المجتمعات الكبيرة، خارج الحدود، إلى المناطق التي تشكل فيها الأغلبية. إيران للشيعة، والمحافظات الكوردية في تركيا وإيران للكورد، والمحافظات الشرقية ومصر للعرب السنة. وفي أرض نهري دجلة والفرات، ما كان الإسلام أو العروبة عامل وحدة. والمطلق القومي، الذي سيطر عليه النظام الهاشمي ثم القوميون، كان يطبق بصرامة على مجتمع كان عبارة عن فسيفساء من المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة. وفي ظل الدولة الجديدة، عمل الكورد والشيعة، الذين يشكلون أكثر من ٧٥% من السكان، كأقليات. وتم التعامل مع التطلعات القومية الكوردية على أنها "انفصالية" *séparatistes* والمشروع الإسلامي لعلماء الشيعة على أنه "مؤامرة مذهبية للأوساط الفارسية المعادية للعروبة". ولذلك كان منطق الدولة القومية هو السائد، دولة قومية غير مكتملة منذ الأمة العربية التي شرعت ذلك، ولم يتم تأسيس أغلبية داخل حدود الدولة. معترف بها في القومية. المشروع. وهكذا، وضع إطار الدولة القومية سيناريوهات ثابتة أو الفاعلين، أولاً بريطانيا العظمى، القوة الهاشمية، الشيوعيون، القوميون، الكورد، الشيعة، تركيا وإيران، ثم بعد عام ١٩٥٨، القوى القومية والشيوعيين والكورد والحركة الإسلامية وإيران، للعب نفس الدور مراراً وتكراراً في لعبة توازن القوى بالتناوب وفقاً لتقدير التحالفات الفردية والبدء دائماً من جديد.

عدم وجود تماسك سياسي

وبالتالي فإن الافتقار إلى التماسك السياسي يظل السمة الأساسية للعراق. ولقد حدد كل تيار سياسي رئيس شرعيته خارج الحدود: فالحركة القومية العربية تسعى لشرعيتها في أمة عربية افتراضية، والحركة الكوردية في أمة كوردية افتراضية بنفس القدر، والحركة الإسلامية الشيعية في الأمة الإسلامية والشيوعيين، أي الدفاع عن الاتحاد السوفيتي. ولم يشهد العراق جبهة وطنية على غرار حزب الوفد في مصر، تمثل الأمة كلها. ولا يمكن لعراقي باشا أو مصطفى كامل أو سعد زغلول أن يفرضوا أنفسهم ليرمزوا إلى إرادة أمة بأكملها. وبالتأكيد، كانت هناك جبهات وطنية تحت الأرض في ظل النظام الهاشمي وفي ظل النظام البعثي الحالي، أو مرتبطة بالسلطة، لكنها كانت تحالفات مؤقتة وظرفية، لقوى لا تشترك في نفس المثل الوطنية. استخدمتها الحكومة لتوسيع جمهورها في الأوقات الصعبة، لكن

الائتلاف تفكك على الفور بمجرد أن شعرت الدولة بأنها الأقوى. وفي هذا الصدد، تعكس المعارضة العراقية أيضاً، في عدم قدرتها على التوحيد، هذا النقص في الاندماج الوطني.

وكل هذه الجبهات انتهت بالفشل. وقد حاولت السلطة مرتين، في ظل نظام قاسم ونظام البعث، توسيع قاعدتها السياسية من خلال ضم القوى الأخرى في البلاد. ومثلت جبهة الاتحاد الوطني، في عام ١٩٥٩، والتي جمعت بين الحزب الوطني الديمقراطي (PND) والاستقلال والحزب الشيوعي العراقي (PCI) والحزب الديمقراطي الكوردستاني (PDK)، والتي من المفترض أن تدعم إنجازات ثورة ١٩٥٨، التيارات السياسية الرئيسية في البلاد: شيوعيون، كورد، قوميون عرب، ديمقراطيون. لكنها سرعان ما انقسمت بين مؤيدي ومعارض قاسم حيث أصبحت الجبهة رهينة لهم. واستبعد منها الاستقلال والبعث. وعمل التوازن الذي حاول قاسم بين الكورد والحزب الشيوعي العراقي انتهى به الأمر بالغرق مع استئناف الحرب في كوردستان عام ١٩٦١، وابتداءً من عام ١٩٦٠ بقمع الحقوق الديمقراطية وقمع الحزب الشيوعي العراقي. المحاولة الثانية، في أعقاب انقلاب تموز ١٩٦٨، والتي شهدت وصول فريق حسن البكر / صدام حسين إلى السلطة، هدفت إلى تعزيز قاعدة النظام الذي ما زال يتعثر. وذهب ميثاق العمل الوطني الموقع في عام ١٩٧١ بين حزب البعث والحزب الشيوعي السوفيتي المؤيد للسوفييت، وفي شباط ١٩٧٢، من قبل الحزب الديمقراطي الكوردستاني في هذا الاتجاه. وقدم حزب PCI، المؤيد لنظام برلماني ديمقراطي وتحالف من القوى التقدمية في الحكومة، نفسه للعبة بشكل أفضل مع تقارب العراق البعثي مع الدول الاشتراكية (في شباط ١٩٧٢، معاهدة الصداقة السوفيتية العراقية) سمحت بهدنة وحتى، منذ عام ١٩٦٩، بالحوار مع البعث. وفي عام ١٩٧٢، دخل اثنان من الشيوعيين إلى الحكومة (الري ووزارة بدون محافظة). وفي عام ١٩٧٣، مهد الميثاق الوطني الطريق لتشكيل الجبهة الوطنية التقدمية. وبعد سحق محاولة الانقلاب التي قادها ناظم كزار في تموز ١٩٧٣، اتفق البعث والحزب الشيوعي الصيني على الانضمام معاً في مثل هذه الجبهة التي جمعت معاً، بالإضافة إلى البعث والحزب الشيوعي الأرثوذكسي، احتشد جزء من حزب PDK إلى السلطة، والتي ستصبح الحزب الثوري الكوردي. وكما تم تضمين بعض الناصريين والجماعات المسماة مستقلة في هذه الجبهة. ووعدهم البعث بتدمير قصر النهاية، وهو السجن المشؤوم الذي كان أيضاً مركزاً للتعذيب، ويمكن أن يظهر عضو الحزب الشيوعي العراقي، طريق الشعب، بشكل قانوني.

إلا أن اتفاقية الجزائر في ٦ آذار ١٩٧٥ مع شاه إيران وما ترتب عليها من انهيار الحركة الكوردية وتدفق عائدات النفط نتيجة ارتفاع أسعار النفط، كانت لتعديل بالنظر إلى الوضع وربط سعر التحالف مع الحزب الشيوعي الصيني نسبياً إلى حد كبير في عيون البعث. ومنذ عام ١٩٧٦، استؤنف القمع ضد الحزب الشيوعي الصيني على نطاق واسع. انتهى التحالف بين البعث والحزب الشيوعي الصيني في عام ١٩٧٨، عندما تم إعدام (٢١) جندياً بتهمة الدعاية الشيوعية في الجيش.

أما بالنسبة للكورد، فقد كانوا الطرف الآخر من المعادلة التي يتعين على السلطة حلها. وأجبرت الحرب في كردستان حزب البعث، منذ عام ١٩٦٩، على السعي لاتفاق مع حزب PDK. وفي ١١ آذار ١٩٧٠، نجح حزب البعث وحزب PDK في صياغة مشروع يوفر الحكم الذاتي لكوردستان. وقد تم تعديل الدستور حيث نص على أن "العراق يتكون من قوميتين، عربية وكوردية". وفي عام ١٩٧١، رفض حزب PDK بقيادة البارزاني اقتراح الميثاق الوطني، الذي حاول فيه البعث اجتذاب الحزب الشيوعي الكوردستاني، مقتنعاً بعدم ولاء السلطات. ومع محاولات تقسيم الحركة الكوردية، باستخدام عناصر كوردية معادية للبارزاني، والاعتداءات على البارزاني، والتعريب القسري لكركوك وخانقين، التي يعتبرها الكورد جزءاً لا يتجزأ من كردستان، واستمرار القمع والطرده. الآلاف من الكورد الشيعة لإيران سوف يتغلبون بسرعة على الثقة المحدودة في البعث. وفي عام ١٩٧٣، ترك الوزراء الكورد الحكومة واستبدلوا على الفور بأعضاء من حزب PDK احتشدوا إلى السلطة. مع حزب PDK، الحزب الثوري الكوردي، الذي تأسس في شباط ١٩٧٤ على يد عبيدالله البارزاني، أحد أبناء البارزاني وعزيز عقراوي وحكيم عقراوي، والموجود الآن داخل الجبهة التقدمية الوطنية إلى جانب قوة البعث التي نفذت الحكم الذاتي الكوردستاني. وإثر قانون آذار ١٩٧٤ استؤنفت الحرب بقوة لا مثيل لها في كردستان. واتفاق الجزائر، الذي حرم المقاومة الكوردية من قواعدها الخلفية ومصادرهما من العتاد العسكري، كان له أثر قبله. وقد أعاد الجيش العراقي السيطرة على كردستان بأكملها، مما دفع مئات الآلاف من الكورد إلى اللجوء إلى إيران.

وفي كلتا الحالتين، سعت الحكومة إلى تحييد القوى السياسية الرئيسية في البلاد، وهو الوقت اللازم لاستعادة توازن القوى الداخلي لصالحها. وسمحت سياسة الجبهات له بتوسيع قاعدته السياسية دون إبطاء عملية استيلاء البعث على الدولة، قبل أن يتمكن من استئناف القمع. ومرة أخرى، فإن السيناريو بين الكورد والشيوعيين والسلطة أتى ثماره للأخير.

وفي المعارضة السرية، لم يكن على الجبهات أن تخشى رد فعل عنيف من القوة التي اكتشفوها. الأولى، في عام ١٩٣٦، كانت الجمعية الشعبية الإصلاحية، التي جمعت بين الحزب الشيوعي الصيني والأهالي، التي يمكن أن تدعي أن لديها رؤية سياسية مشتركة، ربما كانت الأكثر تماسكاً.

وفي عام ١٩٥٢، مستوحاة من الثورة المصرية، ولدت جبهة وطنية مع حزب الاستقلال والحزب الديمقراطي الوطني والحزب الشيوعي الإيطالي، ضد سياسة نوري سعيد الموالية لبريطانيا، من أجل احترام الحقوق الديمقراطية والانتخابات الحرة. وبعد القمع الأخير للأحزاب في ظل النظام الهاشمي، في عام ١٩٥٧، نظمت المعارضة كلها نفسها في جبهة الاتحاد الوطني السرية التي جمعت بين الحزب الوطني الديمقراطي، والاستقلال، والحزب الشيوعي العراقي، والبعث، والناصرين وحزب PDK. وبدافع من العداء المشترك لميثاق بغداد والتدخل الثلاثي في مصر، كان تحالفاً واسعاً للغاية وغير متسق،

قدم مزيجاً من مطالب كل من الأطراف لصالح الاستقلال الوطني، والإصلاحات الاجتماعية، والإصلاح الزراعي والحريات الديمقراطية. ومن المفارقات، أنه تم تشكيل لجنة الضباط الأحرار خارج الجبهة، والتي فاجأ انقلابها عام ١٩٥٨ جميع أحزاب المعارضة. رمزياً، كان الجيش، وليس الأحزاب، هو مصدر التغيير.

بعد أكثر من عشرين عاماً بقليل، في ظل النظام البعثي الثاني، وجدت المعارضة طريق التحالفات السرية للنظام الملكي. في تشرين الثاني ١٩٨٠، عندما اندلعت الحرب ضد إيران الثورية للتو، ولدت الجبهة الوطنية والديمقراطية الوطنية (FDPN) في دمشق. والقوميون العرب والشيوعيون والكورد جزء منها. ونجد هناك الحزب العربي الاشتراكي (الحزب الناصري الذي أسسه فؤاد الركابي والذي انشق عن الحركة العربية الاشتراكية)، والحركة العربية الاشتراكية، والبعث الموالي لسوريا والحزب الشيوعي الإيطالي، والحركة الاشتراكية العربية، والحركة الاشتراكية العربية، والأخيرة لفترة قصيرة.

أما بالنسبة للحركة الكوردية، فإن تمثيلها من قبل الحزب الديمقراطي الكوردستاني أو الاتحاد الوطني الكوردستاني، موضع خلاف. فتدعو الجبهة إلى الإطاحة بالنظام من خلال الكفاح المسلح وتشكيل ائتلاف حكومي وطني وديمقراطي. ومع ذلك، أدى عداة الأحزاب القومية العربية لحزب PDK لحليف إيران، مسعود البارزاني، إلى أزمة كبيرة داخل الجبهة. وفي الواقع، تدعم الحركات القومية العربية الاتحاد الوطني الكوردستاني بقيادة جلال الطالباني ضد حزب PDK، الذي يحظى بدعم الحزب الشيوعي الكوردستاني. ويعلق PCI مشاركته في FDPN. ومبادراته، تحالف آخر، الجبهة الديمقراطية الوطنية (FDP)، الذي تأسس في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٨١، وهو يجمع بين الحزب الشيوعي الكوردستاني وحزب PDK والحزب الاشتراكي الكوردستاني. وهكذا يبدو أن هناك انقساماً قد نشأ بين الحركات القومية العربية من جهة، والحركات القومية العربية المتحالفة من جهة أخرى، الحركة الكوردية في البارزاني. وفي تشرين الثاني ١٩٨٤، انضم الحزب الاشتراكي العربي وبعض المنظمات الكوردية إلى الجبهة الجديدة. وهاجم الاتحاد الوطني الكوردستاني، المستبعد من التحالف، قواعد الحزب الديمقراطي الكوردستاني في كوردستان عام ١٩٨٣، حيث لجأت معظم قوات المقاومة المسلحة للنظام. ومن عام ١٩٨٦ إلى عام ١٩٣٨ "خطأ في التسجيل في النص الأصلي. المترجم"، سجل الحزب الديمقراطي الحر نجاحات عسكرية كبيرة، لا سيما من خلال احتلال عدة مدن في كوردستان.

أدى تفاقم الحرب في كوردستان إلى توحيد صفوف المقاتلين الكورد: وفي نيسان ١٩٨٧، تم إنشاء قواعد الجبهة الموحدة لكوردستان العراق. وللمرة الأولى، سنى جنباً إلى جنب حزب البارزاني الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني للطالباني، بالإضافة إلى ثلاثة أحزاب كوردية أخرى، حزب الشعب الديمقراطي الكوردستاني، والحزب الاشتراكي الكوردي، والحزب الاشتراكي الكوردستاني. المقاتلون

الكورد من الحزب الشيوعي الكوردستاني، المهندس الرئيسي للمصالحة الكوردية، ينضمون أيضاً إلى التحالف الكوردي الجديد.

وفي كانون الأول ١٩٨٦، فشلت محاولة جمع كل المعارضين في مؤتمر في طهران في إقامة تعاون حقيقي بين القوى العلمانية والحركة الإسلامية الشيعية. لم يكن حتى غزو الكويت في أيلول ١٩٩٠، حيث تجمعت جميع قوى المعارضة - الكورد والشيوعيين والإسلاميين والقوميين والديمقراطيين - في دمشق ووضعت برنامج عمل مشترك للإطاحة بنظام صدام حسين وتشكيله. حكومة ائتلافية في المنفى. كل قوى المعارضة تؤيد الآن جبهة واسعة، والصعوبة الوحيدة تكمن في موقع القوى الإسلامية التي تحجم عن الجلوس إلى جانب حركات علمانية معينة.

ويستمر الانقسام السياسي للمجتمع العراقي في التأثير على السياسة الداخلية. عدم الاستقرار السياسي المزمن، وهو سمة من سمات السلطات التي كانت موجودة في فترة الملكية وما بعد الثورة، يتوافق مع عدم التجانس الشديد للمعارضة بسبب عدم وجود حد أدنى من التكامل الوطني. ولم يغير استقرار السلطة مع النظام البعثي الثاني هذا الوضع. وكدولة قومية، فشل العراق في التطور إلى مجتمع متماسك، حيث يتكون مجتمعه من مجتمعات كانت معادية بشدة، في معظمها، لظهور كيان سياسي عراقي.

الجيش العمود الفقري للدولة وأساس كل الأنظمة العراقية المتعاقبة

تم إنشاء الجيش بشكل فعال في ٦ حزيران ١٩٢١، بعد إعلان حكومة عربية، ويبدو أن الجيش هو الأداة الأساسية للدفاع عن استدامة دولة كانت قاعدتها ضيقة بشكل فريد. ومن الناحية الرمزية، كان وزير الدفاع أول من تم تعيينه في الحكومة العربية. وكانت مسألة تكملة الجيش البريطاني في مهمة الحفاظ على نظام داخلي يصعب تحقيقه.

ويكاد يكون من الطبيعي أن يكون الضباط الشرفيون السابقون هم من شكل العمود الفقري لها، حيث كان جعفر العسكري وزيراً للدفاع وصهره. ونوري سعيد قائداً عاماً. والسنة من بغداد أو من الشمال، وكان الضباط الشرفيون الذين قاتلوا الجيش العثماني إلى جانب البريطانيين، يشكلون النخبة العسكرية للبلاد: بالإضافة إلى جعفر العسكري ونوري سعيد، محمود السنوي، وكان كل من جمال بابان، وعلي جودت الأيوبي، وجمال المدفع، وياسين الهاشمي هم الأبطال الأساسيون، دون احتساب العديد من الوزراء والمسؤولين في النظام الهاشمي. وسيستمر الجيش البريطاني والجيش (المكونان بشكل أساسي من الآشوريين) في لعب دور مهيمن إلى جانب الضباط الشرفيين.

وكان الجيش هو المحور الذي بُنيت حوله الدولة، وبقي القوة المركزية التي لا يمكن أن يحدث فيها أي تغيير سياسي في العراق. في الوقت نفسه، من الضروري وجود قوة دعم للقوى القائمة، ولكن أيضاً في بعض الأحيان لقوة معارضة بسبب مهمتها الأساسية، الدفاع عن الدولة القومية.

إن انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦، وهو أول تدخل للجيش في الحياة السياسية، حيث اضطرت جماعة الإصلاحيين والليبراليين إلى التحالف مع الجنود الفاشيين لتغيير النظام، خير دليل على ذلك، حزب الأهالي Ahâli، الذي يئس من سياسات ياسين الهاشمي، السياسي الفاسد الذي وصل إلى السلطة من خلال استخدام العنف القبلي، لم يجد بديلاً سوى الدخول في تحالف مع الجيش. وبذلك، سمح أحوال لحكمت سليمان، بتعاطف معن مع النازيين والكماليين، بالاستيلاء على السلطة ضد ياسين الهاشم، السياسي الموالي لبريطانيا. وأصبح كامل جادرجي، زعيم جماعة الأهالي، وزيراً للاقتصاد في حكومة حكمت سليمان في عام ١٩٣٦. ولم يقاوم التحالف غير الطبيعي بين الانقلابيين العسكريين والمجموعة الإصلاحية والليبرالية لفترة طويلة. استقال كامل شادرتشي في عام ١٩٣٧. وبعد فترة وجيزة اعتقل حكمت سليمان وحظر أحوالي. أليست هذه هي العلامة الملموسة واليائسة أن لا شيء يمكن أن يتغير في البلاد بدون الجيش؟

وبين عامي ١٩٣٦ و ١٩٤١، تبعت ما لا يقل عن سبعة انقلابات عسكرية. أسفرت حركة الضباط الأحرار، التي تشكلت عام ١٩٥٢ على النموذج المصري من مجموعة من الضباط من الطبقات الوسطى الحضرية، المؤيدين المتحمسين للقضية القومية، عن سقوط النظام الملكي عام ١٩٥٨. انقلاب الدولة في شباط ١٩٦٣ في تشرين الثاني ١٩٦٣، كما حدث في تموز ١٩٦٨، والذي شهد تغيرات في النظام، كرس تفوق الجيش في الحياة السياسية العراقية.

فكيف نستغرب إذن أن الجيش كان هدفاً للأحزاب والتيارات السياسية الرئيسية؟ سواء كان العهد، أو حزب وطني، أو التيارات القومية العربية المختلفة، أو الشيوعيين أو الحركة الإسلامية، فهموا جميعاً أن هذا هو مفتاح أي بديل حقيقي.

لقد كان الحزب الشيوعي الصيني أول حزب حاول تثبيت نفسه في الجيش: يعود تاريخ الخلية الشيوعية الأولى داخل المؤسسة العسكرية إلى عام ١٩٣١. وقد زاد النفوذ الشيوعي داخل الجيش بشكل ملحوظ، لا سيما في الخمسينيات. وبعد ثورة ١٩٥٨، كان أحد اهتمامات قاسم هو للحد من النفوذ الهائل الذي اكتسبته PCI بين الضباط وكذلك في القوات. وكان من المفترض أن يؤدي الانقلاب العسكري عام ١٩٦٣ إلى وقف مفاجئ للعمل الشيوعي في الجيش. ثم طرد حزب البعث الحزب الشيوعي الصيني منه: وفي أيار ١٩٧٨، تم إعدام (٢١) جندياً بتهمة الرغبة في إنشاء خلايا شيوعية في الثكنات.

وكما حاولت الحركة الإسلامية الشيعية الحصول على موطن قدم في الجيش. مثل حجة الإسلام عارف البصري، وجد العديد من النشطاء الدينيين الشيعة في الستينيات أنفسهم في مواجهة النفوذ الشيوعي في المدارس العسكرية. وسيأتي القمع قبل أن تتمكن الحركة الدينية من جني ثمار عملها الخالد. اعتباراً من عام ١٩٦٩، دخل "البعث" للقوات المسلحة حيز التنفيذ في عام ١٩٧٤. من خلال الرغبة في جعلهم جيشاً إيديولوجياً (جيش العقادي)، هدفت الحكومة إلى مصادرة البعث للأداة الوحيدة الفعالة.. للتغيير، الحصن النهائي للدولة القومية. وتتوج العملية بسن قوانين تعاقب بالإعدام على أي محاولة للنشاط السياسي من قبل أطراف أخرى داخل المؤسسة العسكرية.

هل كان الجيش بوتقة ينصهر فيها كيان وطني؟ لقد كانت مهمته الأولى قمع الحركات المعادية للدولة القومية. ولذلك كانت المهمة قمعاً داخلياً. وكانت المهمة هائلة بالنظر إلى حجم وتصميم المجتمعات التي رفضت الدولة الجديدة، وكانت أبعد من قوتها. وكما أن الجيش البريطاني هو الذي أعاد، في الملاذ الأخير، الدور الحاسم خلال كل الفترة الملكية، حتى لو استطاعت القوات المسلحة أن تنقلب مؤقتاً على مبدعيها، كما حدث في عام ١٩٤١، أثناء انقلاب رشيد الكيلاني. وكانت أولى مآثر الأسلحة التي قام بها الجيش العراقي ضد القبائل الشيعية عام ١٩٢٣ و ضد الكورد عام ١٩٢٤. لكن سحق الآشوريين في آب ١٩٣٣ كان بمثابة معمودية النار الحقيقية. وبسبب المجازر الممنهجة، لم تتعاف الجالية الآشورية واختفت عملياً من البلاد. وعندها تم إعلان التجنيد الذي لا يحظى بشعبية خاصة. وفي الجنوب، كانت الثورات القبلية الشيعية تتبع بعضها البعض في أعوام ١٩٣٣ و ١٩٣٥ و ١٩٣٦ و ١٩٣٧، وقمعت جميعها بدماء. في ذلك الوقت كان دور اليزيديين في أكتوبر ١٩٣٥، دمر رتل من الدبابات بدعم من الطيران جبل السندجار والشيخان. وفي هذه الأثناء، لم يسلم أنصار البارزاني، الذين خلفوا الشيخ محمود على رأس الحركة الكوردية. شن الجيش بمساعدة سلاح الجو الملكي حملات إجرامية ضد المناطق الشمالية من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٣٣، وهي تواريخ أهم الانتفاضات، ثم بانتظام حتى عام ١٩٤٧.

وكما تم استخدام الجيش ضد المعارضة المعادية لبريطانيا: في عام ١٩٤٨، في عام ١٩٥٢، في عام ١٩٥٤، في عام ١٩٥٦، عندما قمعت وحدات خاصة بشكل دموي المظاهرات المعادية للتدخل الثلاثي ضد مصر. ولم تغير الإطاحة بالنظام الملكي أي شيء في هذا الشأن. وفي عام ١٩٦٣، دعم الجيش الحرس الوطني في مطاردة مروعة للقوات المناهضة للبعث، والتي قتلت أكثر من عشرة آلاف شخص في شهر واحد، بينهم آلاف الشيوعيين. واستؤنفت الحرب في كوردستان من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٧٥، ثم من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٨٨. وفي عام ١٩٨٤، استخدم الجيش العراقي أسلحة كيميائية ضد الإيرانيين، وهو سلاح كان وقتها يوجهه ضد الكورد وضد الفارين من الأهوار في الجنوب.

وتمت إضافة مهمة أخرى أكثر إفادة إلى مهمته الناقدة للشرطة الداخلية. إن كل الأنظمة العراقية المتعاقبة لديها الطموح لجعل الجيش قوة تسمح للدولة العراقية بتولي قيادة معينة في العالم العربي. وكانت المناسبة الأولى المهمة هي الحرب في فلسطين، ١٩٤٨-١٩٤٩، مما زاد من بريق الجيش العراقي الذي أقنع نفسه بفعالته. ولكن كانت هناك أيضاً مشاريع نقابية مختلفة لم تكن فيها القوة العسكرية غير ضرورية. وكان فيصل أول من ركز جهوده على توحيد الهلال العربي الخصب. هذه السياسة اتخذها الغازي، الذي اقترح اتحاد سوريا الكبرى مع العراق مع الكويت، وكذلك من قبل رجل النظام الملكي القوي نوري السعيد. والواقع أن الكويت كانت الهدف الآخر للحماسة الوحدوية لقادة بغداد. وفي وقت مبكر من عام ١٩٣٦، كان العراق يطمح في جزيرتي وربة وبوبيان وكذلك كل الكويت. دفعته طموحات الملك غازي الشخصية لتولي قيادة العالم العربي إلى اختيار المخططات التوسعية تحت ستار العروبة.

وقبل وقت قصير من وفاته، أمر الغازي قواته باحتلال الكويت. بعد الحكم على القضية التي بدأت بشكل سيء، تمكن نوري سعيد من ثني الملك، لكنه عمل بنفسه وراء الكواليس لتحقيق إعادة توحيد الكويت وحتى البحرين مع العراق. وفي عام ١٩٣٧، أصبح اثنان من رؤساء الوزراء السابقين، توفيق السويدي وناجي شوكت. من دعاة ضم الكويت لكنهما قوبلا بالرفض البريطاني. ومن قاسم إلى صدام حسين سيبقى الحلم العراقي بضم الكويت. وقد سمحت مثل هذه المشاريع للدولة العراقية بخلق انحراف عن ضعف شرعيتها، والأمل في الهروب من قاعدة الأقلية الموجودة داخل حدودها مع تأكيد قوتها الإقليمية.

كانت الحرب التي دامت ثماني سنوات ضد إيران بالتأكيد أوسع مشاركة للجيش على الإطلاق. وكانت الدوافع هي ضبط الأمن الداخلي، أي كسر إعادة إحياء الحركة الدينية الشيعية، والرغبة في التوسع والسلطة. وتسببت الحرب في اضطراب شامل في ميزان القوى، ودفعت الجيش العراقي إلى رتبة الجيش الأول في المنطقة. وبالنسبة لبعض المحللين، كانت الحرب أول اختبار حقيقي ناجح للبلاد لإمكانية استمرارها كدولة قومية. وكان من الممكن أن يحول العراق من بلد بدون قاعدة وطنية إلى مجتمع وطني حازم بشكل متزايد. وهكذا تطرح قضية الشيعة الذين كانوا سيضعون شعورهم القومي على تطلعاتهم الدينية. والشيء نفسه، مع ذلك، يعترف بأن الكورد لا يشاركون في تعزيز هذا الشعور القومي. لكنهم لا يترددون في التأكيد: "لأول مرة منذ وفاة فيصل عام ١٩٣٣، يبدو أن النظام العراقي لديه القدرة على تقديم مساهمة تاريخية في توطيد الدولة العراقية"^(١).

(١) أكسلجارد (فريدريك و.) ، "عراق جديد؟ حرب الخليج وانعكاساتها على سياسة الولايات المتحدة" ، أوراق واشنطن ١٣٣ ، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ، واشنطن العاصمة، ١٩٨٨ ، ص. ٥٧.

Pierre-Jean Luizard: l'improbable démocratie en Irak : le piège de l'État-nation, journals.openedition.org

ويجب موازنة مثل هذا التحليل مقابل صورة العراقيين للحرب. هل جربوها ملحمة وطنية أم على العكس من ذلك مصيبة حقيقية؟ هل خلط الشيعة فعلاً "قادسية" صدام بالجهاد الذي يشنه العرب المسلمون ضد الفرس المشركين؟ أم أنهم لم يتصرفوا بالأحرى من دون خيار آخر، محاصرين من قبل الدولة القومية التي أصبحوا، بطريقة ما، رهائن؟ شيء واحد مؤكد: لقد الحرب عززت القوة الشخصية لرجل واحد، صدام حسين.

القوة الوحيدة القادرة على إحداث تغيير سياسي، كان من المنطقي أن يريد البعث أن يفرض حقاً حصرياً على الجيش. وبالإضافة إلى حملة البعثيين، كانت عملية موازنة صعبة بين المدنيين والجنود. فقد كان عدد العسكريين بشكل طبيعي بين أعضاء مجلس قيادة الثورة (CCR) الناتج عن انقلاب ١٩٦٣ وكذلك عام ١٩٦٨. وتبنى النظام الثاني سياسة مشتركة لتعزيز الجيش، لا سيما من خلال الاستثناءات. زيادة الميزانية العسكرية، والتطهير المستمر. وتم طرد الضباط الأكثر قدرة وشعبية، أولئك الذين ربما تم إغراءهم بدور سياسي، بشكل منهجي عندما لم يتم القضاء عليهم جسدياً. من بين جميع الأفراد العسكريين في مجلس الدفاع عن حقوق الإنسان في عام ١٩٦٨، لم يبق سوى اللواء سعدون غيدان، قائد اللواء المدرع للحرس الجمهوري ووزير الداخلية حتى عام ١٩٧٤، حتى لو فقد وظائفه منذ ذلك الحين ليصبح، من بين آخرين، وزير الاتصالات.

بادئ ذي بدء، تم طرد الضباط غير البعثيين. في آب ١٩٦٨، قام العقيدان الوطنيان عبدالرزاق نايف رئيس جهاز الأمن العسكري، وإبراهيم عبدالرزاق داود رئيس الحرس الجمهوري. الذين شاركوا في انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ إلى جانب أحمد حسن البكر على عبدالرحمن عارف، تم اعتقالهما ونفيهما. وبحلول عام ١٩٧٤، تم القضاء على معظم الضباط البعثيين في مركز الحقوق المدنية. وفي عام ١٩٧٨، يمكننا القول أن ميزان القوى بين الجنود والمدنيين داخل مركز الحقوق المدنية كان إلى حد كبير لصالح المدنيين، حيث تم استبعاد جميع الجنود. فقط أحمد حسن البكر هو الذي سمح بتوهم مشاركة الجيش في أعلى سلطات البلاد.

لذلك كان للمدنيين الحرية في بدء حملتهم لتقسيم الجيش. فحردان التكريتي، قائد القوات الجوية، الذي جمع بين منصب رئيس الوزراء خلف نايف ووزير الدفاع خلف داود، طُرد من مركز الحقوق المدنية في عام ١٩٧٠ واغتيل في الكويت في ٣٠ آذار ١٩٧١. ومعاد لاتفاق مع الكورد، ومن قبل المدنيين، ولا سيما من قبل صدام حسين بدعم من البكر، أطلق حردان التكريتي، الذي أزعج شعبيته المتزايدة داخل الجيش، موجة جديدة من التطهير. واللواء صالح مهدي عمّاش، بعثي منذ عام ١٩٥٢، "ضابط حر" سابق، وزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء بعد انقلاب عام ١٩٦٨، طُرد من مركز الحقوق المدنية في أيلول ١٩٧١. ومثل حردان التكريتي، كان قد عارض اتفاقية مع الكورد ودعا إليه المدنيين. ومع ذلك، كانت لديه فرص أكبر، منذ عام ١٩٧١ كان راضياً عن إرساله سفيراً في موسكو.

أما اللواء حماد شهاب تكريتي قائد ثكنة بغداد ومنظم انقلاب ٣٠ تموز ١٩٦٨ ضد جماعة نايف داود ووزير الدفاع من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٣، فقد كان من بين ضحايا محاولة الانقلاب. ودولة حزيران ١٩٧٣ نظّمها العقيد ناظم كزار ضد أحمد حسن البكر. وسيحافظ الأخير على خيال مشاركة العسكريين في السلطة حتى تقاعده القسري عام ١٩٧٧ واستبداله بعدنان خيرالله في الدفاع، ثم استقالته عام ١٩٧٩ ووفاته في تموز ١٩٨٣. وبياطحة أحمد حسن آل خليفة - كان بكر آخر ممثل للجيش في المستويات العالية للسلطة التي كانت في طريقها إلى الزوال. وزير الدفاع الجديد، وهو جندي وابن عم وصهر صدام حسين تزوج من شقيقته ساجدة وصهر أحمد حسن البكر، تحطمت طائرته الهليكوبتر في أيار ١٩٨٩ في حادث غامض. أما سعدون شاكر، رئيس الأجهزة الأمنية ووزير الداخلية حتى عام ١٩٨٧، فقد أُقيل بسبب انعدام الأمن الذي ساد بغداد في ذلك العام والذي كان مسئولاً عنه. وفي ١٠ أيلول ١٩٩٠، تقاعد سعدون شاكر - رسمياً لأسباب صحية - وتم إقصاؤه من مدونة الحقوق المدنية: من الآن فصاعداً، لن يكون هناك أي جنود داخل أعلى سلطة في الدولة.

واستمرت عمليات التطهير هذه في ضرب كل من يعارض سياسات البعث دون تمييز، وكذلك البعثيين أنفسهم، منتقدي صدام حسين أو خصومه الذين نجحوا في فرض سلطة شخصية شبه مطلقة من خلال "خط المدنيين". وبدأت سياسة الفراغ، وهي سمة مهمة للنظام الحالي، مع الجيش. وإن التكريتيين وليس التكريتيين هم الضحايا، حتى لو كان الانتماء إلى عشيرة صدام حسين وعداً، ولكن ليس دائماً، بإنقاذ حياته في حالة الفصل.

وعلى عكس النظام السوري الذي استولى فيه الجيش على حزب البعث، فإن المدنيين هم من يتولون زمام الأمور في العراق. وعلى رأس هؤلاء. صدام حسين، الذي أصبح نفوذه حاسماً قبل ١٩٧٥. والشائعات المتعلقة بتورطه في محاولة الانقلاب التي قام بها ناظم كزار، عندما كان نائباً للرئيس فقط، أكسبته بعض اللحظات الصعبة بعد ١٩٧٣. واستغل رحلة الرئيس أحمد حسن البكر إلى الاتحاد السوفيتي. وترك الانقلاب الفاشل بعض المناطق الرمادية، لكن من الواضح أنه كان موجهاً ضد الجيش وممثلهم الرئيس البكر في السلطة. وطمست المسارات حول المسؤوليات الحقيقية للحدث، وبفضل عشيرته التي نشأت في تكريت، والتي لها اليد العليا على الأمن الداخلي والخارجي، سينجح صدام حسين في دحر كل محاولات القضاء عليه. وعلى الرغم من أنه لم يتقدم في الرتب العسكرية، إلا أنه تمت ترقيته إلى رتبة لواء عام ١٩٧٦. وحاول انقلاباً بعد توليه الرئاسة في ١٧ تموز ١٩٧٩ ليحل محل أحمد حسن البكر، ورد صدام حسين بإعدام (٢١) ضابطاً. وأكثر من أي وقت مضى، سيكون الجيش الآن تحت المراقبة الدقيقة.

لكن الحرب على إيران ستفشل سياسة تهميش الجيش. ففي بداية الحرب، كانت هذه إحدى نقاط الضعف الرئيسة في العراق: الجيش الإيديولوجي حيث يتم تعيين المسؤولين عن طاعتهم للبعث

وولاءهم لصدام حسين أكثر من طاعتهم لمهاراتهم، لا يتألق الجيش العراقي. ومبادرة ضباطها. لكن منذ عام ١٩٨٦، بعد خسارة الفاو، سمح صدام حسين للجيش بقدر أكبر من الاستقلال الذاتي، مما أعطى الجيش فرصة جديدة للحياة. والنتائج، في ساحة المعركة، ستكون مقنعة. وفي الوقت نفسه، لم يتردد النظام في تخصيص كل موارد البلاد لبرنامج أسلحة مدمر. إنها. حسين كامل حسن المجيد، صهر صدام وزير الصناعة والتسلح، الذي توقعه كثيرون ليكون وزير الدفاع المقبل، الذي أشرف على اقتناء الجيش لأحدث المعدات وتنظيمه على المستوى الدولي. وشبكة الشركات المسؤولة عن توفير ذلك. وفي عام ١٩٨٥، كان العراق أكبر مشتر للأسلحة في العالم بميزانية عسكرية قدرها مليار دولار شهرياً.

ولا شيء مكلف جداً لتطوير المجمع الصناعي العسكري العراقي. ويتفاجأ المانحون الغربيون برؤية أن العراق مستعد دائماً لدفع روبي على المسمار مقابل أحدث نظام أسلحة فعال، بينما تبلغ ديونه عشرات المليارات من الدولارات. وحتى عام ١٩٥٨، كانت بريطانيا العظمى هي المورد الأول، ثم منذ عام ١٩٥٨، كانت الاتحاد السوفيتي. وفي السبعينيات، احتلت فرنسا المرتبة الثانية في توريد الأسلحة للعراق. وبلغت مبيعات الأسلحة الفرنسية لبغداد خلال الحرب مع إيران أكثر من ٥,٦ مليار دولار يضاف إليها ٤,٧ مليار دولار من المعدات المدنية. وهكذا توفر فرنسا أكثر المعدات تطوراً للجيش العراقي طائرات ميراج وطائرات هليكوبتر جازيل وسوبر فريلون وألويت وبوما ودبابات AMX وعربات بانهارد المدرعة، ولكن قبل كل شيء الصواريخ ستشكل الجزء الأكبر من المبيعات الفرنسية، ميلان ورولان أو إكسوسيت.

ومثل هذه السياسة الطموحة ترضي الضباط وتعوضهم جزئياً عن رؤيتهم أنفسهم محرومين من دور سياسي اعتاد بعض مديريه التنفيذيين على رؤيته لآعباً. وأظهرت الحرب وجود براغماتية كبيرة بين القادة العراقيين، سواء كانوا سياسيين أو عسكريين. ويبدو أن المرونة الكبيرة في العلاقات بين الجنود والمدنيين جعلت من الممكن إخلاء التوترات الأكثر تهديداً. كما يبدو أن المعارضة بين السياسيين والعسكريين قد تم حلها، في الوقت الحالي، من خلال سياسة قمع التسلسل الهرمي العسكري وتقسيم الجيش، إضافة إلى الحوار المستمر مع القادة العسكريين وسياسة الشراء المنهجي للمواد. وبما في ذلك الجيش هو المستفيد الأول. وخلال الأوقات الصعبة، بعد الهزائم على الجبهة، في عام ١٩٨٢ أو ١٩٨٦، كان على صدام حسين أن يواجه انتقاداً جديداً، غالباً من الجيش. ولكنه نجح في قلب الوضع لصالحه، من خلال التلاعب بالبنى البعثية من أجل وضع رجاله هناك والاتصال بقيادة الجيش لضمان دعمهم. ويمكن إعطاء تعهدات حسن النية. والأخ غير الشقيق لصدام حسين. برزان إبراهيم تكريت، رئيس الاستخبارات السياسية، الذي أغضب الجيش بوحشية عشوائية، أعفي من منصبه عام ١٩٨٣ ليتم تعيينه بعد ثلاث سنوات في جنيف لدى الأمم المتحدة حيث مثل العراق في هيئة الأمم المتحدة

لحقوق الإنسان. وبعد الاختفاء المفاجئ لعدنان خيرالله، ها هو عبدالجبار شنشل، وهو جندي غير سياسي، عُيِّنَ رئيساً لأركان القوات المسلحة ووزيراً للدفاع.

ومع ذلك، فقد استمرت عمليات التطهير بالطريقة الستالينية: فالجيش المسئول عن الهزائم أُقيل وأُعدم، لكن أولئك الذين حققوا انتصارات في ساحة المعركة كانوا كذلك خائفين من رؤيتهم كمنافسين محتملين. ومن بين الخاسرين، اختفى اللواء عدنان توفيق الذي أُخلى مهران في تموز ١٩٨٦، وكذلك اللواء شوكت عزيز الحديثي المسئول عن هزيمة الفاو. ومن بين المنتصرين، اختفى اللواء منير عبد الرشيد، بطل الجيش الحقيقي الذي برز بعد استعادة الفاو عام ١٩٨٨، فجأة.

بالإضافة إلى ذلك، تم إعدام عدة مئات من الضباط بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٩، وخاصة بعد الهزائم، في عام ١٩٨٢ و عام ١٩٨٦. إنها بالتالي مسألة توازن غير مستقر بشكل كبير. والدليل أنه في عام ١٩٨٢، بعد هزيمة خرمشهر، ارتفعت الأصوات في أوساط العسكريين لاستبدال صدام بأحمد حسن البكر. وهذا المسن والمريض، سيموت في العام التالي. ونتيجة لسياسة الفراغ التي نفذتها الحكومة بدت الوحيدة القادرة على تشكيل بديل.

هل صاغ الجيش صورة جديدة كمدافع عن الوطن ضد خطر خارجي بعد أن تخصص في أعمال القمع والانقلاب الداخلي؟

للمرة الأولى في تاريخ العراق، يجادل البعض بأن الجيش لم يعد يستخدم كأداة حاسمة للتغيير السياسي الداخلي ولكن للدفاع عن الأمة، كانت ستكتسب الاحترام والتقدير. والادعاء نفسه بأنه كلما طالت الحرب، قل احتمال عودة الجيش إلى أفاعيله الشيطانية القديمة في التدخل في السياسة. بعبارة أخرى، كان النظام البعثي والسلطة الشخصية لصدام حسين ستجعل من الممكن إعطاء الجيش مهمة أكثر توافقاً، إن لم يكن مع المطالب الديمقراطية، فعلى الأقل مع مطالب الدولة القومية المستقرة. ومع ذلك، فإن سياسة القضاء على كل أشكال التعبير عن الذات من المجتمع قد تجعل الجيش مرة أخرى الملاذ الوحيد الممكن للمعارضة. وفي الواقع، تتفق جميع تيارات المعارضة العراقية في التأكيد على أن النظام الحالي لا يمكن أن يسقط إلا من خلال حركة عسكرية جديدة.

الجزور الحقيقية للديمقراطية في العراق في مواجهة سياسة الفراغ الحالية

دولة قومية تُفرض بالقوة على بلد تسكنه مجتمعات ذات أغلبية مسلمة ... أين توجد في كل هذه الأفكار الديمقراطية أو على الأقل التعبير الديمقراطي عن التطلعات المحلية؟

إنه الجدل الدستوري، الذي أثاره علماء الشيعة في المدن المقدسة بين عامي ١٩٠٦ و ١٩١١، والذي كان أول ظهور لضمير سياسي حقيقي في ولايات بلاد ما بين النهرين العثمانية. وعلاوة على ذلك، وجد حزب مشروطة، المؤيد للدستور، في أعظم المجتهد المدافعين عنه حماسة. من النجف إلى كربلاء، تولى المرجع الرئيسي قيادة الحركة، مستنكراً استبداد شاه بلاد فارس وسلطان الخليفة في اسطنبول باعتباره

سبباً لانتهيار العالم الإسلامي في مواجهة قهر أوربا. صدرت فتاوى تجعل من إقامة نظام دستوري واجباً دينياً. وهكذا أصبحت النجف منارة للأفكار الليبرالية في الإمبراطورية العثمانية. هناك، أكثر بكثير مما كان عليه الحال في الأحزاب السياسية العثمانية الأولى التي ازدهرت بعد الثورة التركية الشابة عام ١٩٠٨ والتي كانت زبائن فقط، يجب العثور على الجذور الحقيقية للحركة الديمقراطية في العراق. وقد أنهى الغزو البريطاني، الذي عارضه الجهاد بقيادة المجتهدين الشيعة، قرابة ثلاثة عشر قرناً من الحكم الإسلامي. وغرق البريطانيون في الأوهام الديمقراطية، فقاموا، في نهاية غزوهم، بالتشاور مع السكان حول رغباتهم في مستقبل البلاد. قاطع الكورد استفتاء ١٩١٨-١٩١٩ إلى حد كبير، ثم تعرضوا لقصف بريطاني مكثف. سيقول السير أرنولد ويلسون، الممثل البريطاني الأول في بغداد، والذي لا يشتهه في تعاطفه مع فكرة استقلال كردستان، إن "الكورد لا يريدون العودة إلى الحكومة التركية ولا أن يوضعوا تحت سيطرة الحكومة التركية. الحكومة العراقية"، وأن "في جنوب كردستان، كان أربعة من بين خمسة أشخاص يؤيدون خطة الشيخ محمود لإقامة كردستان مستقلة".

إلى جانب الثورات المتأصلة في مجتمعهم القبلي، اعترف الكورد بحق العثمانيين في حكمهم باسم الولاء الديني للباب العالي. في سياق جديد يتسم بتأكيد العامل الوطني، لن يعترفوا بهذا الحق للعرب. وأما الشيعة، فقد عبروا عن أنفسهم من خلال الالتماسات، المازباتة الشهيرة، التي ظهر منها أنهم يريدون للعراق أن يمتد "من شمال الموصل إلى الخليج العربي بحكومة عربية إسلامية برئاسة حكومة عربية إسلامية". ملك عربي مسلم الذي يمكن أن يكون من أبناء الشريف حسين بشرط أن تكون سلطته مقيدة بمجلس. وكان تعبير "الحكومة العربية الإسلامية" هو التعبير الذي طرحه علماء الشيعة. وأشار إلى نظام سياسي تحكمه مباشرة الشريعة وآراء المجتهد. من المفترض أن هذا كان نظاماً مشابهاً للنظام الساري في بلاد فارس بعد الثورة الدستورية عام ١٥٠٦، مع وجود عدد ثابت من المجتهد في البرلمان لفحص التوافق الإسلامي للقوانين التي تم تمريرها. وقد كررت العرائض التي وجهها المندوبون (المندوبون) إلى السلطات البريطانية في عام ١٩٢٠ الشعار نفسه، وأصرت على رفض أي تبعية لقوة أجنبية. وكان البريطانيون يستعدون لمنحهم تفويضاً على البلاد من عصبة الأمم. وكانت ثورة ١٩٢٠، التي قادها المجتهد من المدن المقدسة، رد الشيعة على الانتداب. كانت أكبر انتفاضات مسلحة كان على الاستعمار الأوروبي مواجهتها في المنطقة. والمدافعين الأقوياء عن استقلال بلاد الإسلام، قاد علماء الشيعة مباشرة القتال في ساحات القتال إلى جانب زعماء القبائل.

وبعد هزيمتهم عسكرياً بقوة السلاح البريطاني، تم دمج الشيعة والكورد في منطقتي الدولة القومية. وانهارت المظاهر الأولى للتعبير الديمقراطي المذكور أعلاه مع الحملات العسكرية المتعاقبة التي نفذت باسم الدفاع عن الدولة القومية، دون أن يكون للفكرة الديمقراطية الوقت الكافي لكسب موطن قدم في بلاد ما بين النهرين.

كان الحزب الوطني العراقي أول حزب تحدث على وجه التحديد عن الديمقراطية، وقد تأسس عام ١٩٢٢ وقاده فيما بعد جعفر أبو التيمن والشيخ أحمد داود. وكان هذان الزعيمان من الحركة الوطنية في بغداد يرمزان إلى الوحدة بين الشيعة والسنة عشية ثورة ١٩٢٠. وأثناء الانتفاضة، وجدا ملاذاً في المدن الشيعية المقدسة وشاركا في الحكومة الثورية الإسلامية المؤقتة. واستقر هناك تحت سلطة المجتهد. ومع حزب النهضة، الذي أسسه في نفس الوقت أمين جادرجي، كانوا أحزاب المعارضة الحقيقية الوحيدة في عشرينيات القرن الماضي، وكل الأحزاب الأخرى كانت زبائن فقط. ومع ذلك، لم يكن لدى أي من هذين الحزبين تصور واضح للديمقراطية. وكان عدم وجود حد أدنى من الإجماع حول إطار الدولة المفروض على البلاد من سمات هذه اللحظة. في الواقع، كان المجتمع يتألف من مجتمعات استمرت في معاداة ظهور كيان سياسي عراقي كدولة قومية. وبدا أنه عالق بين ما يجب أن يسمى إرهاب الدولة القومية وتطلعات المجتمع المختلفة، من الصعب على حركة تدعي أنها ديمقراطية أن تشق طريقها.

ومع ذلك، فإن مثل هذه الحركة سوف تتجلى في العراق من الثلاثينيات حتى نهاية الخمسينيات، وإن كان ذلك بطريقة ثانوية للغاية. كانت الجماعة الإصلاحية والليبرالية الإصلاحية والحزب الوطني الديمقراطي يمثلان حركة ديمقراطية حقيقية، وهذا في قبول الغرب للمصطلح، أي طرحوا قيماً ربطتهم مباشرة بالفكر الليبرالي الأوروبي. لم يكن أحالي حزباً بالمعنى الدقيق للكلمة، بل كان تجمعاً، في عام ١٩٣١، من اثني عشر مثقفاً، درس بعضهم في الخارج. وكان هذا هو الحال مع كامل جادرجي، كما هو الحال مع يوسف عزالدين وعبدالفتاح إبراهيم ومحمد حديد. ووافق الأهالي على الحاجة إلى إصلاحات ليبرالية بروح الثورة الفرنسية وكانوا يؤيدون احترام الحقوق السياسية والفردية للمواطن. وجريدتهم، "الأهالي"، أعطت اسم "الشعبوية" (شعبية) لنظريات الجماعة. وقد أصدرها عبدالفتاح إبراهيم في مجلدين. وأشاد بالوطنية التي يعارضها القومية التي "تاريخها مليء بالدماء والطغيان والنفاق". وكانوا معادين من حيث المبدأ للفكرة القومية، التي اعتبروها مصدراً للإقصاء والشمولية، وكان الأهالي مستعربين بشكل معتدل. لم يكن نادي المثني القومي مخطئاً، فسرعان ما تحول من منافس للأهالي إلى منتقد مريز لمفاهيمه. أدرك أهاليز خطأهم بسرعة بعد عقد التحالف مع الانقلابيين العسكريين في عام ١٩٣٦.

وأوضحت التجربة بشكل درامي غياب منفذ ديمقراطي في إطار الدولة الذي كان العراق. وعلاوة على ذلك، لطالما دعم الأهالي شكلاً من أشكال البرلمانية الأوروبية والفردية، والذي كان من الصعب تحقيقه في البلاد في ذلك الوقت. ولم يتم تأسيسه إلا قليلاً، وتمثل تطلعات البرجوازية العراقية الليبرالية، واستطاعت المجموعة أن تجعل صوتها مسموعاً بفضل المشاهير من قادتها، بمن فيهم كامل جادرجي.

وتم تشكيل الحزب الوطني الديمقراطي، الذي تأسس عام ١٩٤٧ تحت سلطة كامل جادرجي، حول يسار الوسط للأهالي السابقين. تطور الحزب الديمقراطي الوطني بعد عام ١٩٥٠ نحو الاشتراكية الإصلاحية. وفي أعقاب الثورة المناهضة للملكية، أعرب المكتب الوطني الفلسطيني عن وجهات نظر تتوافق مع سياسة قاسم. كان معظم الوزراء آنذاك أعضاء في هذا الحزب. ومع ذلك، فإن الحزب الديمقراطي الوطني، المؤيد لنظام ديمقراطي برلماني، لم يسمح لنفسه بأن تشمل السلطة. إلى جانب الحزب الشيوعي الكوردستاني وحزب PDK، طالب باحترام الحقوق الديمقراطية التي وعد بها قاسم ودائمًا ما يتم تأجيلها إلى اليوم التالي. لم يتم إضفاء الشرعية النهائية على بعض الأحزاب، بما في ذلك الحزب الديمقراطي الوطني حتى عام ١٩٦٠. ومع ذلك، استمر الحزب الديمقراطي الوطني في تولي الميول الشخصية لسلطة قاسم في الوقت الذي شجب فيه البعث والاستقلال، الأعداء اللدودين للزعيم العراقي، كقوى شمولية. ولصالح الوحدة العربية على مراحل، أصر على ضرورة احتفاظ العراق باستقلاله. وعندما أصبحت الطبيعة الدكتاتورية لسياسة قاسم أكثر وضوحًا، استقال كمال شادرتشي من الحزب الديمقراطي الوطني في عام ١٩٦٠. لذلك كان ينوي الاحتجاج على افتقار النظام للديمقراطية واستخدام حزبه كضمان ديمقراطي في وقت كان قاسم يقوم بقمع الشيوعيين.. والكورد. تم حظر "الأهالي"، جهاز الحزب الديمقراطي الوطني، في عام ١٩٦١. واختفى الحزب الديمقراطي الوطني وصحيفته نهائيًا في تموز ١٩٦٢. وأدى موت الحزب إلى نهاية أنشطة الحركة الديمقراطية في العراق.

ربما تكون شخصية كامل الجادرجي، الذي ظل اسمه مرتبطًا بمبادئ الديمقراطية على ضفاف نهري دجلة والفرات، هي التي أعطت الصدى اللازم لحركة العميد للسياسيين العراقيين، البطيريك الحقيقي للبيرالية، وأحد أغناهم من ملاك الأراضي في العراق، وكان كامل جادرجي من عائلة مشهورة في بغداد. فأبوه رأفت الجادرجي وأخوه رائف الجادرجي، كان رؤساء بلديات بغداد تحت حكم العثمانيين. وقدم كامل الجادرجي الدعم لسياسة قاسم الخارجية. ودعمًا لرغبته في الاستقلال عن الغرب والشرق، مع تفضيل موسكو على الرغم من كل شيء، وافق على المسافة التي يحتفظ بها الزعيم عن الوحدة العربية. لكنه أدانها في سياستها المحلية المناهضة للديمقراطية، ودافع بلا كلل عن احترام الحريات الفردية. وعندما أرسل قاسم الجادرجي إلى عبدالناصر، أعلن العراقي الليبرالي حينها أن الاتحاد لن يتم "قبل إقامة الأنظمة الديمقراطية في البلدين". في الواقع، لن يتوقف أبدًا عن التأكيد على أن غياب الديمقراطية هو العقبة الرئيسية أمام الوحدة العربية. وندد شادرتشي بالقمع الذي يمارس ضد الشيوعيين، وهو الجزء الذي يمنح في الحياة السياسية للجيش "مصدر الدكتاتورية". ودعا إلى إقامة مؤسسات ديمقراطية وإعادة تنشيط الجبهة الوطنية في العهد الهاشمي. وفي الوقت نفسه دافع عن حقوق الكورد باقتراح أن نبدأ بتطبيق الضمانات التي نص عليها الدستور المؤقت بخصوصهم. وفي مساره السياسي، المخلص للمبادئ التي لن ينكرها، رأى كامل الجادرجي طريقه يتقاطع مع طريق

جعفر أبو التيمن في عدة مناسبات. وكان الأخير قد انضم إلى الأهالي في عام ١٩٣٢. ومن أصول وتقاليد مختلفة، أحدهما ينتمي إلى الطبقة الوسطى العليا السنية المستنيرة، والآخر من عائلة متدينة من التجار الشيعة، حيث وجد الرجلان نفسيهما في مجال المفاهيم الليبرالية.

وبين أنصار بريطانيا العظمى (نور السعيد) والجنود الفاشيين المناهضين لبريطانيا (حكمت سليمان) أو الساحر المتدرب من القومية المتعصبة (سامي شوكت، مؤسس حزب البعث)، كان للحركة الديمقراطية مكان ضئيل. وفي ظل النظام الملكي. وفي عام ١٩٥٨، لم تكن الثورة المناهضة للملكية سوى انقلاب عسكري سرعان ما بدد الآمال في عملية ديمقراطية.

واليوم هم وريثة سامي شوكت في السلطة. ونتيجة الانقلاب، مثل جميع الأنظمة العراقية السابقة، انخرط النظام الحالي في سياسة الفراغ، وضرب بلا رحمة جميع أشكال التعبير السياسي المستقل، ولكن أيضاً مؤيديه في منطق التصفية المتتالية التي تهدف إلى ضمان عدة أهداف: هيمنة حزب البعث على الجيش، وهيمنة عشيرة التكريت على الحزب كأساس للسلطة الشخصية لصادم حسين.

ولقد رأينا كيف، من بين أعضاء مجلس حقوق الإنسان الذين هم تقريباً جنود بعثيون أو ينتمون إلى الجماعة القومية نايف داود، فإن سعدون غيدان فقط هو الذي سيبقى على قيد الحياة سياسياً. وسيتم اغتيال عبدالرزاق نايف وإبراهيم داود في لندن عام ١٩٧٩. وتم القضاء على غير البعثيين في عام ١٩٦٨، بحيث كان أعضاء المجلس الخمسة عشر في عام ١٩٦٩ من البعثيين. وسيتم إعدام الضباط البعثيين مثل حردان التكريتي، وسيعزل الآخرون. وتعاون صدام حسين وأحمد حسن البكر بعد ذلك لمنع الجيش من السيطرة على النظام عبر البعث حتى، في ١٥ تشرين الأول ١٩٧٧، حيث رأى أحمد حسن البكر نفسه مطروداً من حقيبة الدفاع لصالح عدنان خير الله. واتبعت عمليات التطهير بعضها بعضاً، وليس ضد الجيش حصراً.

وفي عام ١٩٧٧، تم استبعاد عزت مصطفى، عضو مدني في مجلس حقوق الطفل منذ عام ١٩٦٩، وحسن جاسم من القيادة الإقليمية لحزب البعث، إثر اشتباكات دامية مع الحركة الدينية في كربلاء في شباط من العام نفسه. ولم يكن خصوم صدام حسين المحتملين موجودين فقط بين الجيش. وكما وقع القمع على المدنيين البعثيين المهمين. حيث كان عبد الخالق الأسمر أشهر ضحاياه.

وفي عام ١٩٧٩، بحجة محاولة الانقلاب التي أعقبت توليه الرئاسة، أعدم صدام حسين عبد الخالق السامرائي مع وزير التخطيط عدنان حمداني، و (٢١) ضابطاً. وعضو القيادة الإقليمية لحزب البعث من عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٧٣، والقيادة الوطنية لحزب البعث وكذلك في مجلس النواب من عام ١٩٦٩ إلى عام ١٩٧٣، وكان عبد الخالق السامرائي منظرًا للجناح اليساري لحزب البعث، على الأرجح. والأكثر شعبية بين جميع القادة البعثيين. ولقد اتخذ موقفاً إيجابياً في تحقيق الاتفاق مع الكورد وكان مثل عفلق من أنصار حرب العصابات في فلسطين. وفي تموز ١٩٧٣، كان صدام حسين قد سجن عبد الخالق السامرائي

مدى الحياة، بدعوى تورطه في مؤامرة ناظم كزار، مدير الأمن، الذي كان مقره قصر النهاية سيئ السمعة. ونجح صدام حسين نفسه في طمس الخطوط حول دوره الدقيق في هذه الأحداث. ولكنهم سمحوا له بالتخلص من منافس محتمل بهذه الطريقة. وفي الوقت نفسه، بعد استقالة أحمد حسن البكر، لم يعد هناك منافس في الوقت الحالي. ومع ذلك استمرت عمليات التطهير.

ففي عام ١٩٨٢، تم إعدام وزير الصحة رياض إبراهيم بتهمة تغطية استيراد أدوية مغشوشة. والواقع أن الوزير دعا إلى الإطاحة بصدام بعد هزيمة خرمشهر ودعا إلى إنهاء الحرب. وأدت الإطاحة بنعيم حداد عام ١٩٨٦ إلى وضع حد لنشاط أهم شخصية شيعية في الحكومة. واختفى المتحدث باسم الجمعية الوطنية وعضو لجنة الحقوق المدنية، وربما تم إعدامه مع (٤٠) ضابطا. ويقال إنه انتقد إدارة الحرب بالقوة. وأثارت القطيعة التي حدثت منذ عام ١٩٨٣ مع برزان إبراهيم التكريتي، في العام نفسه، رياح تمرد التكريتيين ضد صدام من تكريت، حيث تم نفيه، وحاول برزان تكريتي تدريب العشيرة ضد رئيس الدولة قبل إرساله إلى جنيف، موضوع تساهل غير عادي. أدى اختفاء عدنان خيرالله في مايو ١٩٨٩ وتقاعد سعدون شاكر، الذي لم يتم استبداله في مجلس حقوق الإنسان في أيلول ١٩٩٠، إلى وضع حد مؤقت لقائمة طويلة من المفقودين والمطرودين.

وفي الأوقات الصعبة، كما رأينا، يتلاعب صدام حسين بهياكل السلطة: مجلس قيادة الثورة والقيادة الوطنية وقيادة البعث الإقليمية. وهكذا، فإنه في حزيران ١٩٨٢، نظم على عجل، المؤتمر الإقليمي التاسع للحزب. وفي الواقع، لم يقتصر الأمر على انسحاب القوات العراقية في محافظة خوزستان الإيرانية، بل كان القتال يدور الآن على الأراضي العراقية. فتمت تصفية سبعة من أعضاء القيادة الإقليمية واستبدالهم برجال صدام حسين، ومن بينهم عدد من الشيعة.

وفي عام ١٩٨٦، سمح مؤتمر حزب البعث "الاستثنائي" *extraordinaire* بطرد العديد من الشخصيات الأخرى. فتهميش نعيم حداد قد أضر بشكل خطير بمحاولة السلطة ربط بعض الشيعة بسياستها. واليوم، الشيعي الوحيد الذي له وظيفة مهمة هو سعدون حمادي. وقد ولد في كربلاء عام ١٩٣٠، وهو ابن خياط، وتخرج في الاقتصاد الزراعي من جامعة في ويسكونسن. وأصبح وزيراً للإصلاح الزراعي في عهد النظام البعثي الأول، ثم ترأس الصحيفة البعثية الجمهورية. فوزير البترول من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٤، ثم وزير الخارجية قبل طارق عزيز، وهو الذي حل محل نعيم حداد في مجلس النواب في عام ١٩٨٦ وكذلك على رأس مجلس الأمة. ويشغل سعدون حمادي حالياً منصب نائب رئيس الوزراء.

تظل عشيرة تكريت حقيقة سياسية لدرجة أنه يمكننا القول إنها هي التي سمحت لصدام حسين بإحباط كل المؤامرات التي دبرت ضده. ودائماً في المناصب الرئيسية في الجيش والأجهزة الأمنية، لا شيء يمكن أن يفلت منه. ومن المؤكد أن الطبيعة الشخصية لسلطة صدام حسين قوضت إلى حد ما التضامن العائلي، خاصة عندما كان التكريت هم ضحايا التطهير. وعلاوة على ذلك، فإن انهيار التوازن بين الفرع

الأم لعائلة صدام حسين، الطفح، وفرع الأب، المجد، يمكن أن يكون له عواقب وخيمة. وعلى الرغم من عمليات الإقالة والاختفاء (حردان تكريتي، حماد شهاب تكريتي، أحمد حسن البكر، برزان تكريتي وعدنان خيرالله)، لا يزال هناك عدد كبير من أفراد العشيرة في أعلى مناصب السلطة.

و من بين هؤلاء، يُنسب إلى حسين كامل حسن المجيد، صهر صدام حسين، وزير الصناعة والأسلحة، طموحات مهمة داخل النظام. وكان علي حسن المجيد، ابن عم صدام، قد خلف برزان تكريتي على رأس الأجهزة الأمنية قبل أن يصبح وزيراً لـ "سلطة الحكم الذاتي لكوردستان". وكان هو الذي أطلق سياسة الأرض المحروقة والترحيل الجماعي في كوردستان بهدف خلق مناطق خالية من السكان على طول الحدود التركية والإيرانية. وفي ١٦ أيلول ١٩٩٠، تم تعيينه "محافظة لإقليم العراق في الكويت". ويعمل شقيقان غير شقيقين لصدام حسين في الأمن الداخلي والخارجي، بينما يعمل التكريتي الآخر، فاضل البراق التكريتي، مستشار الرئيس لشئون المخابرات. ويجب أن نضيف إلى التكريتين أولئك الذين يمكن تأهيلهم ليكونوا رفقاء صدام حسين والمخلصين تماماً له: طارق عزيز للشئون الخارجية، لطيف نصيف جاسم للثقافة، سعدون حمادي، نائب رئيس الوزراء، طه ياسين رمضان، النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء، وعزت إبراهيم، نائب رئيس مجلس حقوق الإنسان. حيث ترك لهؤلاء لاحتلال صدارة المشهد السياسي، بدلاً من التكريت الذين طُلب منهم، بمقياس وهمي من التقدير، التخلي عن اسم عائلة واضح للغاية. ستة أعضاء من مجلس حقوق الإنسان، بالإضافة إلى ذلك فإن صدام حسين هم اليوم رفاقه.

وشجع الرئيس العراقي بعض الإجراءات المحدودة لإضفاء الطابع المؤسسي السياسي. ولم تكن مسألة إضفاء الطابع الديمقراطي، ولكن إضفاء الشرعية على سلطتها. صدر إعلان دستوري في عام ١٩٦٨. وصدر الدستور الحالي في تموز ١٩٧٠ من قبل مجلس حقوق الطفل. وهو مؤقت وتم تعديله في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٧.

ومنذ عام ١٩٧٧، وبسبب قلقه من عودة الحركة الدينية الشيعية، حاول البعث اجتذاب بعض الشيعة إلى جانبه. يهدف دستور الجمعية الوطنية إلى تزويد الشيعة بإطار يهدف إلى نقل بعض مطالبهم. وفي حزيران ١٩٨٠، أجرى العراق أول انتخابات وطنية له منذ ثورة ١٩٥٨. وانتخب أول مجلس وطني لمدة أربع سنوات. وكان يتألف من ٤٠٪ من الشيعة وكان المتحدث باسمها نالم حداد شيعياً. وبعد ذلك سيتم تخصيص هذه الوظيفة للشيعة: سعدون حمادي واليوم سعد مهدي صالح. وتم انتخاب المجلس الثاني في تشرين الأول ١٩٨٤، لكن كان من الواضح أن استقلاليته تم تقليصها بشكل أكبر، وأنه سيكون أداة إضافية للتعبئة لصالح النظام.

ولم تخفّف اللعبة بين الجنود المدنيين، الشيعة والكورد، بقيادة النظام الحالي، من القمع أو سياسة الفراغ حول صدام حسين. وعبادة الشخصية التي أعيدت إليه والمخابرات أيدت فكرة أنه الحصن

الوحيد والمدافع المحتمل عن الدولة القومية المولودة عام ١٩٢٠، مثل فيصل الذي يدعي اليوم أنه ميراث. وركزت الحرب كل القوة في يديه وعززت الاقتناع بأنه لا بديل عن سلطته دون تعريض وجود هذه الدولة للخطر. وفي طقس يأخذ التقليد البدوي والمخيلة الفاشية لعبادة الزعيم، وقع جميع أعضاء الجمعية الوطنية في عام ١٩٨٢ على وثيقة الولاء لصدام حسين بدمائهم. ومع ذلك، فإن تحديد الدولة القومية بشخص واحد يزيد من إضعافها، حيث يكشف عن شرعيتها الضعيفة.

ومع ذلك، كان لدى النظام سلاح سياسي هائل تحت تصرفه. لقد كان لاستخدام ريع النفط تأثير معجزة اقتصادية حقيقية، وقليل من الأنظمة يمكنها التباهي بامتلاك مثل هذه الوسائل تحت تصرفها. وزاد إنتاج النفط بشكل كبير بين عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٥، عندما تم تأمين شركة نفط العراق. وكان عام ١٩٧٣ العام المحوري الذي شهد ارتفاع عائدات النفط. وفي عام ١٩٨٠، كانت عائدات العراق النفطية الرئيسية (٢١,٣) مليار دولار، أي أكثر من مائة مرة من عام ١٩٦٨. ويقدر احتياطي العراق بنحو (٧,٢٦) مليار طن.

ثبت أن توزيع ريع النفط سلاح فعال في يد النظام. وظهر العديد من مشاريع التنمية الصناعية في مناطق شيعية مهملة تقليدياً. وانتشرت فوائد الطفرة النفطية إلى أكثر الفئات النائية في البلاد والتي شهدت تحولاً سريعاً، ولا يخلو من الحسابات السياسية الواضحة فيما يتعلق بتحديد الأولويات وتركيزها. بالإضافة إلى ذلك، يتم تقديم العديد من المشاريع على أنها "هدايا شخصية cadeaux personnels" من الرئيس يوزعها بسخاء عندما يسافر عبر المحافظات. إن سياسة التنمية الطموحة هذه، التي لن يتم قطعها خلال ثماني سنوات من الحرب، مكلفة، ولكن بهذا الثمن يمكن شراء السلام الداخلي النسبي. ويضاف إلى هذه النفقات، الفلكية، من التسلح.

لقد عاش النظام بما هو أبعد من إمكانياته. فقد ارتفع الدين الخارجي من (٢,٥) مليار دولار في عام ١٩٨٠ إلى (٦٥) مليار دولار في عام ١٩٨٥ وإلى (٨٠) مليار دولار في عام ١٩٨٧، وهو ما يبدو وكأنه اندفاع حقيقي. وإن التكريم الذي يدفع للجيش والسكان، يمكن القول إن مقدار الدين يتناسب عكسياً مع شرعية السلطة، وهنا، لم يؤيد ريع النفط الديمقراطية.

افتتاح محدود وسريع الزوال

بعد عامين من انتهاء الحرب، أين حركة التحرر التي أطلقتها السلطات؟ بدت نهاية الحرب ضد إيران وكأنها تدق ساعة الانفتاح على النظام. وربما كان لابد من إعطاء العراقيين الانطباع بأن الحرب، بعد كل شيء، استُخدمت لشيء ما. ذهب الخطاب الجديد المؤيد للإصلاحات الليبرالية أيضاً في اتجاه تقوية السلطة، بحثاً دائماً عن الشرعية، حتى لو كانت سياسة الفراغ التي مارسها يمكن أن تطمأنه بشأن التهديدات الداخلية المحتملة. بدأ الخطاب الرسمي يغني بمزايا التعددية وحق التعبير وحتى التعددية

الحزبية. ووعد بدستور جديد لعام ١٩٩٠ يضمن حرية الصحافة وحق المواطنين في التعبير. بشكل ملموس، تم اتخاذ تدابير مختلفة. في ١٧ كانون الثاني ١٩٩٠، أجاز مرسوم صادر عن رئيس الدولة السفر إلى الخارج دون حد للعدد، مع إمكانية ترك (٧٠٠) دولار في السنة ولكل شخص. وأثار الإعلان انفجاراً في الفرع على عكس بغداد لفترة طويلة في دولة قومية أصبحت دولة سجون. وفي ١٠ آذار ١٩٩٠، صدر عفو عام شمل لأول مرة مسعود البارزاني وجمال الطالباي. ولكن في مجال الاقتصاد قبل كل شيء، أعقب الخطاب الذي يشيد بالسوق، وهو تعبير عن حركة قديمة بالفعل، أكثر التغييرات جذرية.

وفي السبعينيات، كانت الاحتمالات التي أتاحها ربيع النفط المتنامي هي التي ألهمت القوة البعثية لتبني سياسة التحرير الاقتصادي. فبحلول عام ١٩٨٠، اختفت الإشارات إلى الاشتراكية عملياً من الخطاب البعثية. ف"الاشتراكية لا تعني التوزيع العادل للثروة بين الفقراء المعدمين والأغنياء الذين يستغلونهم، فهذه صيغة جامدة للغاية". وأعلن صدام لجمهور مسرور بهذا التعريف الجديد أن الاشتراكية هي وسيلة لرفع الإنتاجية وتحسينها. وكانت مثل هذه السياسة إيذاناً ببدء عصر عمليات شراء الأعمال بنظام تسليم المفتاح من الموردين الغربيين بموجب عقود ضخمة مع شركات خاصة أجنبية.

خلال الحرب، ناشدت الدولة البعثية القطاع الخاص المحلي من خلال حوافز للاستثمار في جميع قطاعات الاقتصاد باستثناء استخراج النفط. ولكن قبل كل شيء، يختار النظام تنفيذ برنامج واسع لخصخصة المؤسسات العامة في جميع قطاعات الاقتصاد تقريباً. وفي نهاية عام ١٩٨٨ أكد صدام حسين هذه السياسة بإعفاء الاستثمارات الصناعية من الضرائب لمدة عشر سنوات داعياً إلى المنافسة.

وبدأت الحركة في عام ١٩٨٥، واكتسبت زخماً في عام ١٩٨٧ ببيع (٤٧) شركة مؤمنة للقطاع الخاص. وفي عام ١٩٨٨، أزالته الحكومة تدريجياً ضوابط الأسعار على منتجات القطاع الخاص. وتسارعت الخصخصة في عام ١٩٨٨ مع الوعد بأن البنوك والتمويل سيكونان القطاع المخصص التالي. وفي كانون الأول ١٩٨٨، تم طرح (٧٠) شركة صغيرة للبيع في قطاعات الأغذية والمنسوجات والبناء. وفي عام ١٩٨٩، سمح قانون CCR للشركات الأجنبية بالتأسيس في العراق وتوقيع العقود مع وكلاء محليين دون المرور عبر الحكومة، مما تسبب في زيادة الواردات من الولايات المتحدة. أصبح هؤلاء الشركاء التجاريين الأول للعراق. ومع ذلك، لم يكن هناك فك ارتباط كامل للدولة. كان من المقرر إصلاح الأسعار الزراعية مرة أخرى بعد لحظة من التردد.

وترافق هذا التحرر الاقتصادي بعد الحرب بخطاب يشيد بالتعددية، فهل يعني أن السلطات مصممة على ترك مساحة كافية للمناورة لبعض الفاعلين الاجتماعيين وحتى السياسيين؟ وفي الواقع، كان التحرير يهدف أولاً وقبل كل شيء إلى تعزيز النظام، سياسياً واقتصادياً، حيث كانت القوى التي يُرجح مشاركتها في عملية الانفتاح معطلة في السابق. وعلى الصعيد السياسي، حددت الحكومة أن الافتتاح لم يكن موجهاً لمن "خان الدولة": فقد تم استبعاد الشيوعيين والكورد والإسلاميين الشيعة

والقوميين المناهضين للبعث. ومن مصادر رسمية، كان هناك حديث عن "إعادة تنشيط" الحزب الديمقراطي الوطني أو حتى الاستقلال وكذلك مشاركة "قوى وطنية جديدة". وبعد أن خرج النظام متماسكاً بفضل الحرب، كان عليه الاستعداد لمواجهة السلام. ومع ذلك، فإننا لن نعرف أبداً وجه ما تم تقديمه على أنه "بريسترويكا" بعثية، فقد وضع غزو الكويت حداً لأي احتمال للتحرير. والدستور الجديد، التعددية، احترام حق التعبير، اختفى كل شيء فجأة من الخطاب مع دخول الدبابات إلى الإمارة الجنوبية الغنية، فيما عادت القيود القديمة التي تعود إلى فترة الحرب إلى الظهور. سيكون أمام العراقيين ستة أشهر فقط لتذوق متعة السفر إلى الخارج.

واقتصادياً، المستفيدون الوحيدون من الانفتاح العراقي دوائر مرتبطة مباشرة بالسلطة. فقد تم استخدام طفرة البناء لأول مرة لإثراء رجال الأعمال البعثيين. والوسطاء مع الشركات الأجنبية مرتبطون أيضاً بالسلطة. فخيرالله طلفاح، عم وأب بالتبني لصادق حسين، الملقب بـ "السيد خمسة بالمائة"، استغل الوضع، مثل جميع أفراد عشيرة التكريتي، للقيام بأعمال تجارية مربحة وجمع ثروة كبيرة. ويبدو أن صادق حسين نفسه ابتعد عن هذه الحركة مفضلاً تشجيع الفساد بين أقاربه من أجل وضعهم تحت رحمته بشكل أفضل. وكانت الشركات الصغيرة هي أول ضحايا حركة الانفتاح، والتي انخفض عددها بشكل حاد في الثمانينيات، مما حرم طبقة رجال الأعمال الصغيرة من أي وسيلة للرد على الملياردير البعثيين.

أما بالنسبة للحركة العمالية، فلم يعد لديها وسيلة للمقاومة منذ فترة طويلة قبل الحرب. وبحلول نهاية السبعينيات، كان حزب البعث قد اخترق المؤسسات العمالية بالكامل. وتم تفكيك النقابات، التي كانت محور التنافس بين الشيوعيين والقوميين، بعد ثورة ١٩٥٨، وإخضاعها للأجهزة المحلية للحزب الحاكم. وبشكل عام، فقدت المنظمات المهنية كل استقلاليتها وتم تهميشها.

وفي عام ١٩٨٧ تم حل النقابات التابعة للدولة بحجة اعتبار أعضائها موظفين مدنيين، بينما في حركة النهوض بالقطاع الخاص تم إعطاء الضوء الأخضر لإنشاء أقسام نقابية في الشركات الخاصة. فكك العراق اليوم عملياً قطاعه العام من خلال خصخصة المشاريع الزراعية والتجارية والصناعية الخفيفة وعن طريق استقطاب العديد من الاستثمارات الأجنبية. ودليل على أن التحرير الاقتصادي قد لا يسير جنباً إلى جنب مع الديمقراطية.

المعارضة: جدول إعادة تشكيل المجال السياسي

وفي ظل هذا الافتقار إلى الآفاق الديمقراطية، ما هو البديل الذي يمكن للمعارضة أن تقدمه؟ هذا أولاً وقبل كل شيء في صورة البلد، أي أنه من الصعب إيجاد إجماع حقيقي حول فكرة وطنية. بعد تقليصه إلى العمل السري، فإنه يدعو، مع كل الاتجاهات مجتمعة، إلى الكفاح المسلح للإطاحة بالنظام.

الحركة الشيوعية

الحزب الشيوعي الصيني، من بين جميع القوى السياسية، هو الوحيد الذي يمكن أن يدعي أنه كان حزباً جماهيرياً حقيقياً. ربما لم يميز أي تيار آخر البلد بأسره بهذه الطريقة القوية، بخصوصية تجاوز الانقسامات المجتمعية. وفي أوجها، في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، كانت تدين بنجاحها للطريقة التي استطاعت من خلالها ربط القضية الوطنية ومسألة الإصلاحات الاجتماعية. وكان الحزب الشيوعي آنذاك أقوى حزب شيوعي في المنطقة. وأدى انقلاب عام ١٩٦٣، بمذابحه المناهضة للشيوعية، إلى وقف تصاعد لا يقاوم حتى الآن. ثم جاء زمن الأزمات والانقسامات الداخلية. ومثل العديد من القوى السياسية في العراق، انقسم الحزب الشيوعي العراقي إلى قسمين بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧. وفي ١٧ أيلول ١٩٦٧، كان جناح الأقلية معادياً للانحياز مع السياسة السوفيتية، وهو اتجاه قاده بعد ذلك الفيلي الكوردي في بغداد، عزيز الحاج مفصلاً عن جناح الأغلبية الموالية للسوفييت بقيادة عزيز محمد، وهو كوردي سني من السليمانية. وأخذت القيادة العامة للحزب الشيوعي الصيني، وهو الاسم الذي تبناه المناهضون للسوفييت، مقاتلي الفرات الأوسط ومدينة الثورة، وجميعهم من الشيعة، بالإضافة إلى العديد من العمال المقاتلين من بغداد. رافضاً لأي مسار إصلاحى، ندد بسياسة التحالف مع البعث أو مع أي قوة قومية أخرى، تلك الجبهات الوطنية الشهيرة التي لم تتوقف موسكو عن نشرها لمؤيديها في العالم الثالث، والتي يجب الاعتراف بأنها لم تسفر فقط. في المذابح المتتالية للمسلحين الشيوعيين. ولمثل هذه السياسة، عارض الكفاح المسلح حتى سقوط النظام. ودون انتظار، نظمت القيادة العامة للحزب الشيوعي الصيني تمرداً مسلحاً للفلاحين في منطقة الناصرية. ومن حزيران إلى آب ١٩٦٨، حاول التمرد أن ينتشر، ولكن لم يتم إعداده بشكل كاف، سحقه أخيراً بالدم من قبل القوات العسكرية البعثية. وفي كانون الثاني ١٩٦٩، قام بتنظيم مغاوير مسلحة مناهضة للبعثيين في بغداد نفسها. واعتقل عزيز الحاج وسجن في "قصر النهاية". وبعد تعرضه للتعذيب، أعلن على شاشات التلفزيون عن حشده لحزب البعث، وطلب من أنصاره إلقاء أسلحتهم. وكان انشقاق أمينها العام بمثابة ضربة قاسية للقيادة العامة للحزب الشيوعي الصيني. ومع ذلك فقد حاول التعافي بعد عام تحت قيادة شيعي من الفرات الأوسط، إبراهيم علاوي.

والحزب الشيوعي الأرثوذكسي، الذي أطلق على نفسه من الآن فصاعداً اسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الدولي، سمح لنفسه من جانبه أن يغري مرة أخرى بالتحالف مع القوى القومية. وكان دائماً مؤيداً لجبهة حكومية من القوى التقدمية في إطار نظام ديمقراطي برلماني، ورغم مرارة التجارب السابقة، فقد استجاب لتطورات البعث التي نتجت عن انضمامه إلى الجبهة الوطنية التقدمية. ومع ذلك، واصلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوردستاني الدفاع عن مطالب الحركة

الكوردية، ولا سيما حزب PDK من البارزاني، منددة بمحاولات السلطات استخدام جماعة جلال الطالباني المنشقة. ودعم حزب الشعب الديمقراطي، على الرغم من كونه أكثر أهمية، سيكون اختيار جناح الأقلية في الحزب الشيوعي الباكستاني. والمحاولة الجديدة للتحالف مع البعث كانت ستنتهي بالدم. وحالما أفلتت يد السلطة بعد انهيار الحركة الكوردية، انقلبت على الشيوعيين. وفي عام ١٩٧٨، اضطر أكثر من (٣٠٠٠) شيوعي إلى الفرار من العراق. وفي العام التالي، تم حظر طريق الشعب وذهب الحزب الشيوعي الصيني تحت الأرض.

ومن بين جميع الأطراف العراقية، كان الحزب الشيوعي العراقي هو الوحيد الذي استنكر رسمياً "العدوان العراقي على إيران الثورية". وحتى عندما تدور الحرب على الأراضي العراقية، فإن الحزب الشيوعي العراقي سوف يدعو إيران إلى "سلام عادل" مع الإصرار على أن هذا "لا يعفي النظام العراقي من جريمة شن الحرب". وفي عام ١٩٨١، تبنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني بدورها الكفاح المسلح كوسيلة للإطاحة بالنظام. وعنى القمع أنه في عام ١٩٨٤ اضطر معظم الشيوعيين إلى اللجوء إلى الخارج أو في مناطق كوردستان التي يسيطر عليها المتمردون.

وفي تشرين الثاني ١٩٨٥، عقد الحزب الشيوعي الصيني سراً مؤتمره الرابع في كوردستان. وبهذه المناسبة، أعاد النظر في سياسته في السبعينيات، وسياسة الجبهات الوطنية، ولا سيما سياسة التحالف مع حزب البعث. وإذا تم رفض الحزب الأخير بشكل قاطع باعتباره "قوة معادية للديمقراطية"، فإن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الدولي ظلت مع ذلك تؤيد "تحالف القوى الديمقراطية والتقدمية". وعلاوة على ذلك، منذ عام ١٩٨١، تحالف الحزب الشيوعي الكوردستاني مع حزب PDK داخل الجبهة الديمقراطية الوطنية، ثم انضمت إليه حركات كوردية وقومية عربية أخرى. في شباط ١٩٨٧، بعد المصالحة بين البارزاني وجلال الطالباني، تمت المصالحة بين الحزب الشيوعي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني ودعا إلى جبهة واسعة من جميع القوى الديمقراطية في العراق. وأصبحت هذه الدعوة حقيقة واقعة في كوردستان. والجبهة الموحدة لكوردستان، التي تأسست عام ١٩٨٧ وضمت كل الحركات الكوردية، انضمت للحزب الشيوعي العراقي. وأنهات نهاية الحرب، التي تزامنت مع استعادة الجيش لكوردستان، آخر احتمال للمقاتلين الشيوعيين للعمل من داخل الدولة نفسها. وكان الكثير منهم من الذين انضموا بعد ذلك إلى المجموعة الطويلة من المنفيين في أوروبا.

ومن ناحية أخرى، يجب أن نتذكر أن الحزب الشيوعي العراقي تأثر بحركة التراجع العام في نفوذ اليسار العربي، وهو ما يتوافق مع صعود الحركة الدينية. وبطبيعة الحال، فإن نسبة الشيوعيين السابقين بين المسلحين الإسلاميين الشيعة أقل في العراق منها، على سبيل المثال، في لبنان، حيث تم تفكيك الحركة الدينية قبل أن تتطور. ومع ذلك، شهدت PCI نزيهاً كبيراً في أعضائها؛ من بين عوامل هذا التراجع في التأثير، يجب أن نذكر حقيقة أن PCI عانى أيضاً من الوصول الهائل لسكان الريف غير

المسيحين إلى المدن، وكذلك من سلتيك المهاجرون غير العراقيين والنساء في سوق العمل العراقي. وهذه الطبقة العاملة الجديدة الأكثر ضعفاً لم تسمح للحركة الشيوعية باستعادة جذورها في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، ولا بد من إضافة أن السيطرة التقدمية للسلطة البعثية على النقابات انتهت بتهميشها بالكامل. وكما يتوافق تراجع نفوذ الحزب الشيوعي العراقي مع تراجع الحركة العمالية العراقية. وأخيراً، وجه تطور الوضع الدولي ضربة قاسية للحزب الشيوعي الصيني. ومع المسار الجديد للسياسة السوفيتية، فقد الشيوعيون العراقيون مرجعياتهم الأيديولوجية. إن "البيريسترويكا"، التي كرست انتصاراً واضحاً للإمبريالية والانسحاب السوفيتي من المنطقة، لم تثير إثارة المناضلين. يشعر الكثير من الناس اليوم ببريجنيف أكثر من قلقهم من مشاكل إعادة هيكلة الإمبراطورية السوفيتية. وتزامنت الأزمة الشديدة للحركة الشيوعية مع صعود مواقف الهوية داخلها: العرب والكورد يعرفون أنفسهم الآن مثلهم مثل العراقيين. وإن إمكانية رؤية ظهور PCI عربي و PCI كوردي، إضافة إلى حقيقة أن العديد من المسلحين محبطين اليوم، يقلل من تأثير الحركة التي لم تكن منذ فترة طويلة الأقوى من العراق. ومن علامات العصر أن الحزب الشيوعي الصيني، الذي دعم قاسم في عام ١٩٦١ في مشروعه في الكويت، داعياً إلى عدم الاعتراف باستقلال الإمارة وشجب إنزال القوات البريطانية في الكويت باعتباره "تدخل استعماري"، يدين اليوم بـ(صوت واحد)، ضم العراق للكويت وانتشار القوات الأمريكية في الخليج.

الحركة الكوردية

وعانت هذه الحركة كثيراً من توقف الأعمال العدائية بين العراق وإيران. فبعد أن تحرر الجيش العراقي من الجبهة الإيرانية، انطلق في عام ١٩٨٨ لاستعادة الدولة الكوردية، ولم يتراجع بأي وسيلة. وظلت مشاهد تعرض السكان للغازات في حلبجة شهادة على بربرية الدولة الشمولية. ومع ذلك، وعلى الرغم من الانتكاسات الخطيرة واختفاء المناطق التي يسيطر عليها البيشمركة، لم يكن هناك انهيار للحركة يضاها ما حدث في عام ١٩٧٥. فمن ناحية، لم يكن الاعتماد على طهران كلياً، كما كان الحال في زمن الشاه. ومن ناحية أخرى، لم تكن الجمهورية الإسلامية حلفاءها العراقيين رغم فك ارتباطها العسكري.

والحديث عن الحركة الكوردية اليوم هو أولاً وقبل كل شيء ذكر منظمين: الحزب الديمقراطي الكوردستاني بقيادة ورثة البارزاني، والاتحاد الوطني الكوردستاني بقيادة جلال الطالباني. ويقصد من أسباب الانقسام أن تكون سياسية. لطالما دعا الاتحاد الوطني الكوردستاني، بقيادة جلال الطالباني، إلى اليسار، ماركسياً أم لا، والاشتراكية، في محاولة لاحتلال مكان الحزب الشيوعي الكوردستاني في كوردستان، ومن هنا تاريخ العداء الطويل بين التشكيلتين. وفي مواجهة حزب PDK "القومي

والبرجوازي" المتهم بإعادة إنتاج الهياكل الأكثر تخلفاً في المجتمع الكوردي، كان الاتحاد الوطني الكوردستاني ينوي ادعاء خصوصية التقدمية الكوردية. في الواقع، كانت شخصية مصطفى البارزاني على وجه الخصوص هي العامل المحدد للانقسام. بالكاد يمكن قبول جاذبيته وطريقته الاستبدادية في قيادة الحركة الكوردية من قبل الجميع، في بلد اعتاد علاوة على ذلك على الخلافات القبلية.

يريد الحزب الديمقراطي الكوردستاني - القيادة المؤقتة بقيادة مسعود البارزاني أن يكون وريث مصطفى البارزاني لحزب PDK. وعندما مات الأخير، أعلن الشقيقان إدريس ومسعود أنهما مصممان على مواصلة كفاح والدهما. ولكنهما وعدا أنفسهما بعدم ارتكاب الأخطاء نفسها: موقف استبدادي من حزب PDK، والاعتماد الكامل على إيران في العمليات العسكرية، والرغبة في التوصل إلى اتفاق مع السلطات في بغداد. وبعد أن قُتل إدريس البارزاني في معركة ضد الجيش العراقي، سقطت على عاتق مسعود البارزاني لإعادة بناء الحزب الديمقراطي الكوردستاني.

وفي الواقع، يجب أن نعود إلى النتائج المأساوية لاتفاقية الجزائر الموقعة عام ١٩٧٥ بين بغداد وشاه إيران. فقد اضطرت الحركة الكوردية، التي حُرمت فجأة من أي إمداد بالسلاح، إلى التراجع في وجه هجوم الجيش العراقي الذي أراد أن يزيل الذل من طرده، منذ أكثر من عشر سنوات، من مناطق واسعة من الدولة الكوردية. ولذلك لم يكن هناك تساهل في الانتظار. واضطر أكثر من (٢٧٥٠٠٠) كوردي إلى اللجوء إلى إيران هرباً من تقدم الجنود في بغداد. ومن عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٧٨، تم ترحيل (٣٥٠) ألف كوردي من المنطقة الحدودية وحرقت (٧٠٠) قرية. ثم خلقت الصدمة آثاراً عميقة في الذكريات الكوردية. ومن الآن فصاعداً، سيظهر القادة الكورد عدم ثقة متزايداً في الغرب، المتهم بخيانة الشعب الكوردي مرة أخرى، وسوف يعدون بالاعتماد فقط على قواتهم الخاصة.

وفي عام ١٩٧٩، عاد حزب PDK إلى الكفاح المسلح الفعال. ومنذ بداية الحرب بين العراق وإيران، وعلى الرغم من تجربة الماضي، أعاد اكتشاف تحالفه الإيراني القديم، وأقنع نفسه بأن الجمهورية الإسلامية ليست الشاه على الإطلاق. وسينمو التعاون بين إيران وحزب PDK، إلى درجة أنه اعتباراً من عام ١٩٨٣، سيعمل الحزب الديمقراطي الكوردستاني بالتنسيق الكامل مع قوات الجمهورية الإسلامية. وهكذا فإنه في تموز ١٩٨٣، استولت القوات البارزانية على حاج عمران بدعم من الإيرانيين. وفي عام ١٩٨٦، حقق البيشمركة العديد من النجاحات العسكرية، بحيث سيطروا على المنطقة الواقعة على طول الحدود مع تركيا. وبدافع القلق من التعاون الناشئ بين حزب PDK والمتمردين الكورد في تركيا، فضلاً عن التهديدات التي يتعرض لها خط الأنابيب لتصدير النفط من كركوك إلى البحر الأبيض المتوسط عبر الأراضي التركية، دخل الجيش التركي كوردستان العراق لعمليات بحث ضد الكورد. وسيعتمد العراق، غير القادر على مواصلة الضغط في الشمال، بشكل متزايد على أنقرة لمواجهة التمرد.

وفي عام ١٩٨٨، وجد حزب PDK نفسه إلى جانب جميع القوات الكوردية الأخرى، بما في ذلك التنظيم الكوردستاني المنافس، الاتحاد الوطني الكوردستاني، داخل الجبهة المتحدة لكوردستان العراق. سيكون PCI، حليف PDK مدى الحياة، جزءاً منه أيضاً. بعد وقف إطلاق النار، دفع حزب PDK ثمناً باهظاً لاستعادة الجيش العراقي لكوردستان. ومع نفي عشرات الآلاف من البارزانيين في تركيا، هرباً من خطر الغازات السامة المستخدمة بالفعل في حلبجة، فقد فقدت إحدى قواعدهما الاجتماعية الرئيسية داخل البلاد. ومنذ ذلك الحين أعيد تنظيم صفوفه من إيران حيث أقام معسكرات تدريب بالقرب من الحدود. ويدعي حزب PDK أنه يقاتل من أجل إقامة نظام ديمقراطي في العراق، ويقبل حق الكورد في تقرير المصير. وأنه يؤيد استقلال كوردستان في إطار دولة عراقية ديمقراطية، ومن الواضح أن الحكم الذاتي مختلف تماماً عن ذلك الذي تصوره بغداد والذي هو، في نظر حزب PDK، مجرد محاكاة. بالإضافة إلى مدى الصلاحيات الممنوحة لإقليم الحكم الذاتي والضمانات الديمقراطية، فإن مسألة مناطق النفط في كركوك وموصل وخانقين، التي تعتبر أجزاء لا يتجزأ من كوردستان، كانت نقاط الانقسام الرئيسية بين الكورد والبعث. .

ونشأت الحركة الكوردية الأخرى، الاتحاد الوطني الكوردستاني، من الانقسام، في عام ١٩٧٠، لأقلية من حزب PDK مكونة من عناصر كوردية معادية للبارزاني. ثم دعم البعث هذه الأقلية. وفي عام ١٩٧٥، أصبح الاتحاد الوطني الكوردستاني، وهو نفسه مقسم إلى ثلاثة تيارات، ماركسي واشتراكي وليبرالي. بعد انهيار الحزب الديمقراطي الكوردستاني عام ١٩٧٥، أعلن الاتحاد الوطني الكوردستاني عن قيادة الحركة الكوردية. وبعد عدة سنوات من المنفى في سوريا، تولى جلال الطالباني، الذي كان موقفه يتأرجح دائماً بين المعارضة والتعاون مع بغداد، الاتجاه. وعلى عكس حزب PDK، رفض الاتحاد الوطني الكوردستاني أي تحالف مع إيران، التي تتعارض سياستها الدينية مع خياراتها العلمانية والتقدمية المعلنة. لهذا السبب، في المفاوضات التي كانت تتبلور بين حركات المعارضة المختلفة، كان الاتحاد الوطني الكوردستاني مدعوماً من قبل الأحزاب القومية العربية ضد حزب PDK. ووجد إلى جانبه حليفه الدائم، جهاز الكمبيوتر). وفي عام ١٩٨٢، بدأت المفاوضات بين الطالباني والبعث، وكانوا سعداء للغاية بعدم قدرتهم على تقسيم الحركة الكوردية. ساعدت العلاقات الطيبة بين الطالباني وحزب PDK الإيراني لقاسموا في التقارب مع القوة العراقية. وفي تشرين الثاني ١٩٨٣، وافق الطالباني على هدنة من أجل التفاوض على مشروع الحكم الذاتي الكوردستاني مع بغداد. في غضون ذلك، لم يتردد الاتحاد الوطني الكوردستاني في مهاجمة قاعدة للحزب الشيوعي، حليف حزب PDK، في كوردستان. استمرت المفاوضات مع حزب البعث جزءاً من عام ١٩٨٤ حتى علمنا بوقوع قطيعة بين الطرفين. واقتناعاً منه بنقص صدق السلطة، عاد الاتحاد الوطني الكوردستاني إلى الكفاح المسلح. منذ ذلك الحين، كان الطريق مفتوحاً للتقارب مع حزب PDK، الذي تفضله إيران.

وفي كانون الأول ١٩٨٦، تم الاتفاق على المصالحة بين الحركتين الكورديتين العراقيتين في مؤتمر في طهران. تجلت قوات البشمركة التابعة للاتحاد الوطني الكوردستاني على الفور في هجماتها على المنشآت النفطية في كركوك. وتحت ضغط الأحداث واتباع نموذج الحزب الديمقراطي الكوردستاني، انتهى الأمر بالاتحاد الوطني الكوردستاني بقبول ما رفضه دائماً: تنسيق أعماله العسكرية مع عمليات الجيش الإيراني. وفي شباط ١٩٨٧، قرر الاتحاد الوطني الكوردستاني والحزب الشيوعي الكوردستاني وضع حد لشجارهما الطويل، ليجدا أنفسهم، بعد عام، إلى جانب الحزب الديمقراطي الكوردستاني في جبهة كوردية موحدة. لقد كان هجوماً مشتركاً من قبل الاتحاد الوطني الكوردستاني والقوات الإيرانية في شباط ١٩٨٧ أدى إلى الاستيلاء على حلبجة. وفي ١٦ آذار ١٩٨٨، وضع قصف المدينة بالأسلحة الكيماوية نهاية مأساوية للعمل العسكري للاتحاد الوطني الكوردستاني في المنطقة، بينما لجأ جلال الطالباني إلى دمشق.

ومن دمشق يعمل جلال الطالباني حالياً على تشكيل جبهة موحدة لجميع المعارضة العراقية والعربية والكوردية والعلمانية والدينية. والحزبية، مثل حزب PDK، لحق الشعب الكوردي في تقرير المصير، يربطه الاتحاد الوطني الكوردستاني بالحاجة إلى إصلاحات اجتماعية عميقة، باسم الاشتراكية التي تركها جانباً إلى حد ما في خطابه في الآونة الأخيرة. وتطور الاتحاد الوطني الكوردستاني منذ وجوده بين مواقف متطرفة، تراوحت بين قبول قانون الحكم الذاتي لكوردستان في إطار العراق إلى الرغبة التي عبر عنها مؤخراً الطالباني في تفكيك أوصال العراق واستقلال كوردستان.

ويبدو أن الوحدة المعاد اكتشافها للحركة الكوردية، والتي كرستها المصالحة بين حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني منذ عام ١٩٨٦، لم تتعرض للتهديد، حيث استخلصت الحركتان الرئيسيتان دروساً مماثلة من الماضي القريب. وتغلّب تعاون الحركتين على المحنة التي تشكلت بانتهاء الاشتباك العسكري الإيراني وعودة الجيش العراقي إلى كوردستان، وتجلّى الاتجاه نحو الوحدة مرة أخرى مع دستور الجبهة المتحدة الكوردستانية، التي انضم إليها تدريجياً معظم المنظمات الكوردية الأخرى. وهكذا، انضم الحزب الاشتراكي الكوردستاني واتحاد الماركسيين اللينينيين الكوردستاني، المقربين من الاتحاد الوطني الكوردستاني، إلى الجبهة الموحدة لكوردستان العراق في أيار ١٩٨٨. وكان هذا هو الحال أيضاً بالنسبة للحزب الاشتراكي الكوردي والحزب الديمقراطي العراقي. شعب كوردستان. فقط الحزب الثوري الكوردي، وهو حزب PDK السابق انضم إلى حزب البعث، الذي تأسس في شباط ١٩٧٤ من قبل عبيد الله البارزاني، أحد أبناء البارزاني، وأعضاء سابقين في حزب PDK، وهو اليوم داخل الجبهة الوطنية التقدمية. وإلى جانب البعث. ومعه تطبق السلطات الحكم الذاتي لكوردستان في آذار ١٩٧٤، حيث يحاول حزب PDK والاتحاد الوطني الكوردستاني، اللذان يشكلان أهم قوة عسكرية للمعارضة العراقية، أن يشكلوا اليوم جبهة لجميع التيارات المعارضة.

الحركة الإسلامية الشيعية

ويعود صعود الحركة الدينية في العراق إلى نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، وبعد صمت طويل دام قرابة أربعين عاماً، قرر الحجة وآيات الله مرة أخرى التحول إلى السياسة. ومنذ هزيمة الحركة الإسلامية أمام الجيش البريطاني عام ١٩١٤ ثم عام ١٩٢٠، ونفي المجتهد الأكبر عام ١٩٢٣، اكتسبت نهاية عبور الصحراء قيمة رمزية. ومع الحركة الكوردية، كان أبطال النضال ضد الدولة القومية هم من عادوا إلى الساحة السياسية. ومثل أشباح الماضي، بدأ هؤلاء العلماء الشيعة الجدد يطالبون بصوت عال وواضح بتراث أسلافهم، أولئك الذين شككوا في شرعية الدولة القومية من أصولها. بمجرد هزيمة الحركة الدينية، كتب التاريخ من قبل آخرين: أعضاء الإدارة الاستعمارية البريطانية، والقوميين أو الماركسيين، وجميعهم من أنصار الدولة القومية. وكان التحدي أكبر، حيث إنه من خلال طرح تراثها التاريخي الخاص، كشفت الحركة الدينية التي ولدت من جديد جزءاً أساسياً من تاريخ العراق، والذي أخفته جميع الأنظمة المتعاقبة، الهاشمية أو القومية، وساعد في ذلك من قبل المؤرخين في خدمة الجديد. حالة.

إلا أن عودة علماء الشيعة إلى الساحة السياسية تمت في ظل ظروف تختلف جذرياً عن تلك التي كانت سائدة في بداية القرن. في المقام الأول، ضعف المجتمع القبلي في الريف الشيعي، الذي كان آنذاك القاعدة الاجتماعية لآيات الله العظمى، إلى حد كبير، بسبب نزوح جماعي مكثف من الريف. ونتيجة لذلك، كان من الطبيعي أن تتطور ادعاءات العلماء، على الأقل بالنسبة لجزء منهم. كان تولي السلطة مباشرة شعار رجل دين شيعي متشدد تحول إلى إسلامي. كما كانت الإسلاموية تتويجاً لعملية طويلة داخل الشيعة الإثنا عشرية، والتي منحت علماء الشيعة، لعدة قرون، قوة أكبر من أي وقت مضى.

وكان التحدي الشيعي في الوسط الشيعي هو الذي دفع العلماء للخروج من صمتهم في نهاية الخمسينيات. ثم أصبح تأثير الحزب الشيعي في الوسط الشيعي لدرجة أن أبناء العلماء أنفسهم لم يعودوا متاحين. من الماركسية اللينينية. ورد الفعل هذا، الذي بدأ في المدن المقدسة، تألف أولاً وقبل كل شيء في حركة لإعادة أسلمة المجتمع. آية الله محسن الحاكم، أعظم المجتهد في ذلك الوقت، كان البادئ، بمساعدة حضانة العلماء الشباب، بمن فيهم محمد باقر الصدر.

وبمجرد وصول فريق صدام / الباكر إلى السلطة في عام ١٩٦٨، أدى تراجع الحزب الشيعي العراقي إلى ظهور البعث باعتباره العدو الرئيس للإسلام كما يفهمه هذا الجيل الجديد من العلماء. وتدهورت العلاقات مع المتدينين بسرعة. احتجاجاً على سوء معاملة النظام للعلماء، غادر آية الله محسن الحكيم النجف متوجهاً إلى بغداد. وزاد اعتقال السيد مهدي الحاكم ابن المرجع من حدة التوتر.

وفي عام ١٩٧٠، كانت وفاة آية الله محسن الحكيم مناسبة لاستعراض القوة للحركة الدينية: أكثر من مليون مؤمن ثم أخذوا مرة أخرى كلمات أوامر دينية معادية لحزب البعث. وبالتالي، فإن العناد في المواجهة مع البعث كان على وشك أن يتعجل. وفي عام ١٩٧٢، بعد الاحتجاجات، قُبض على آية الله محمد باقر الصدر لأول مرة، لكن سرعان ما أُطلق سراحه بعد أعمال شغب في مدينة الثورة، أكبر حي شيعي في بغداد. وفي عام ١٩٧٤ كانت مواكب العشيّة مناسبة لمظاهرات عنيفة. وتم القبض على العديد من المتدينين. وتم إعدام خمسة من أعضاء حزب الدعوة، من بينهم حجة الإسلام عارف البصري، الممثل الشخصي لآية الله محمد باقر الصدر. وفي شباط ١٩٧٧، في جو متفجر تفاقم بسبب هبوط مياه نهر الفرات بسبب أعمال التطوير في المنبع في سوريا، اندلع تمرد حقيقي في كربلاء: اعتقالات جديدة، وإعدام ثمانية رجال دين شيعيين. وفي عام ١٩٧٩، طردت بغداد آية الله الشيرازي، المقرب من حزب الدعوة، وكذلك الشيخ غلام رضا رضواني، إلى إيران. وفي العام نفسه، أعلن آية الله محمد باقر الصدر علناً أنه يؤيد نظرية ولاية الفقيه التي أعلنها الخميني. وفي عام ١٩٨٠، تم طرد (١٦٠٠٠) شخص من أصل إيراني، بما في ذلك العديد من المتدينين، من البلاد. في ٩ نيسان ١٩٨٠ تم إعدام آية الله محمد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى. ولأول مرة في تاريخ البلاد، تخاطر السلطات بالقضاء الجسدي على المجتهد، وهو شخصية مقدسة في نظر الشيعة. ووفقاً لحزب الدعوة، فقد تم إعدام (٥٠٠) متدين في الفترة من ١٩٧٤ إلى ١٩٨٠. وفي عام ١٩٨٣، كانت عائلة الراحل آية الله الحكيم ضحية القمع: تم اعتقال (١٠٠) من أفراد العشيّة وإعدام (٧) منهم. وفي العام نفسه تم إعدام أكثر من (٣٠٠) شيعي بتهمة التعاطف مع الحركة الدينية. وفي عام ١٩٨٥، تم إعدام (١٠) أفراد آخرين من عائلة الحاكم بدورهم. وقد رافق هذا القمع ضد علماء الشيعة تهجير عشرات الآلاف من الشيعة، في موجات متتالية، في ربيع وصيف عام ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٣، بحجة أنهم ليسوا عراقيين بالفعل. وفي المجموع، تم نفي أكثر من (٢٠٠,٠٠٠) عراقي إلى إيران. وبدأت الحرب مع إيران وكأنها تطيل الحرب الداخلية الوحشية في العراق. وعلى المحك في الحرب، ولكن بسبب الاشتباك بين الدولتين، لم يكن أمام الحركة الدينية أي بديل آخر سوى انتظار انتصار افتراضي للجمهورية الإسلامية. ووجد وقف إطلاق النار حركة دينية أهلكت بسبب حملات القمع المتتالية وانحصر رجال الدين الشيعة في البلد نفسه، في أبسط صورته.

ومن المسلم به أن رجال الدين الشيعة في العراق لم يتبنوا نظرية ولاية الفقيه، لكن القمع وقع على الهرم الديني بأكمله، وهرب عدد قليل من العلماء منه، وهم أولئك الذين مثل آية الله خوي كانوا محاصرين بالأسوار. وفي صمت تام.

لقد كان الشيعة الذين تم اقتلاعهم من المدن الكبرى، وسكان المدن الجدد في الغالب، هم أساس الحركة الإسلامية، أكثر من أولئك الذين ينتمون إلى الريف الجنوبي، المنغمسين في الثقافة البدوية التقليدية.

وحاليا، تقدم الحركة الدينية نفسها على أنها كوكبة من المنظمات، كل منها مدعوم من طهران من قبل رجل دين عراقي منفي. والأهم هو بالتأكيد حزب الدعوة. ومن المحتمل أن يكون هذا الحزب قد قطع آية الله محسن الحكيم في النجف عام ١٩٦٨، وكان يؤيد استراتيجية على مراحل، لصالح إعادة أسلمة المجتمع قبل الانتقال إلى العمل السياسي المباشر والكفاح المسلح. ومع ذلك، فقد تجلّى في وقت لاحق من خلال الأعمال المسلحة ضد النظام، بما في ذلك الهجمات ضد قادة البعث. وقادتها محمد مهدي الأصافي الناطق الرسمي باسم الحزب السيد كاظم الحائري، علي محمد الكيراني، حامد مهاجر، مهدي الخالصي، مهدي علي أكبر الشراعي، مرتضى العلي. العسكريون جميعهم متدينون. المهاجر والخالصي من أصل عربي عراقي، والكراني من أصل لبناني، والآخرين من أصل إيراني. وهي أكثر الأحزاب الإسلامية الشيعية عراقية. وحزب الدعوة في الحقيقة غير واثق من قيادة إيرانية خالصة. ولذا فإن بعض قادتها. مثل مرتضى العسكري، لا تقبل بولاية الفقيه وقد دعمت شريعة مداري ضد الخميني. وفي عام ١٩٨٠، على عكس المنظمات الإسلامية الأخرى، أعلن حزب الدعوة نفسه لصالح تحالف واسع مع أحزاب المعارضة العلمانية، وهو الخيار المنصوص عليه في "بيان التفاهم المتبادل". وتوضح هذه الاختلافات في التقدير أنه في نهاية عام ١٩٨٢، علق الحزب مشاركته في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في المنفى بطهران. ومن بين كل التنظيمات الإسلامية الشيعية. حزب الدعوة هو الوحيد الذي أكد أنه سيحترم نتيجة الانتخابات الحرة في العراق، حتى لو كان ذلك، كما هو مرجح، لا يتوافق مع رغباته.

وقد قبلت جميع المنظمات الأخرى قيادة الخميني، وبالتالي فهي جميعاً من أنصار ولاية الفقيه. ومن أهمها، جمعية العلماء المقاتلين، جماعة العلماء المجاهدين، التي أسسها عام ١٩٨١ محمد باقر الحاكم، أحد أبناء آية الله محسن الحكيم، المنفي الآن في البلاد. طهران. ومنظمة العمل الإسلامي، التي تأسست عام ١٩٨٢ في كربلاء على يد السيد محمد تقى مدرسي، ابن شقيق آية الله محمد الشيرازي، والمستول عن محاولة الهجوم على طارق عزيز في الجامعة المستنصرية عام ١٩٨٠ وعمليات عديدة في قلب بغداد. وهذا التنظيم لا يعترف بالحاجة إلى تحالف مع قوى المعارضة العلمانية. وتنظيم آخر، هو حركة المجاهدين، التي ظهرت في بغداد عام ١٩٧٩، يرأسها السيد عبدالعزيز الحكيم، أصغر أبناء محسن الحكيم الباقين على قيد الحياة. ويرأس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، الذي تأسس في ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٢ برئاسة محمد باقر الحكيم، الحركة الإسلامية الشيعية العراقية بأكملها.

وظلت المعارضة الدينية بمعزل عن محاولات إعادة تجميع صفوفها من قبل الكورد والشيعيين والقوميين العرب. ولم يحسم التعايش بين المعارضة الدينية والعلمانية في الجبهة نفسها رغم التشجيع السوري والإيراني في هذا الاتجاه. ولكن بفضل الأحداث في الكويت، أطلق كل من محمد باقر الحكيم ومحمد تقى المدرسي دعوات للتحضير لسقوط صدام حسين، ويعملان على تشكيل جبهة واسعة مع قوى المعارضة الأخرى في المنفى.

وتثار أسئلة عديدة لهذه الحركة الإسلامية الشيعية: مشكلة العلاقات مع إيران. والاختيار بين، من ناحية، الذهاب بمفرده لإنشاء نظام إسلامي تحكمه ولاية الفقيه في العراق، ومن ناحية أخرى، المشاركة في تحالف وطني مع القوى الأخرى في إطار إقامة حكومة ائتلافية ديمقراطية. وتم سحق الحركة الإسلامية قبل أن تتمكن من الحصول على موطئ قدم عسكرياً في البلاد. وهذا هو سبب تحوله إلى الإرهاب، ووضع كل آماله في انتصار عسكري للجمهورية الإسلامية. وبالتالي، فهي لا تملك القدرة العسكرية للجهة الوطنية الديمقراطية أو الجبهة الكوردستانية المتحدة، وهما الوحيدتان اللتان تمتلكان قوة عسكرية فاعلة. هذه كلها عناصر يجب على القادة الدينيين أخذها في الاعتبار.

الحركة القومية العربية

واجهت الحركة القومية العربية، الأقل قوة من بين التيارات المعارضة العراقية، تحدياً هائلاً. لقد فرض البعث، في الواقع، احتكاره على المشهد القومي، واختزل مجال مناورة التيارات الأخرى إلى جلد حزن. ولقد ثبت أن القضاء على الحركات القومية العربية أسهل بكثير من المحاولات غير المجدية للإطاحة بالحركة الكوردية أو الحزب الشيوعي الكوردستاني. وانقسمت وتضررت بشدة بسبب الصراعات الداخلية التي طالت الحركة القومية العربية ككل بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، وافتقرت إلى القاعدة الشعبية التي تجعلها قادرة على مقاومة القمع.

ولم تعد العديد من المنظمات موجودة على الورق، وهي مجرد مجموعات تتمحور حول القادة الوطنيين السابقين الموجودين الآن في المنفى. واضطر معظم المسلحين للانضمام إلى حزب البعث، فيما لجأ ما تبقى من القوميين والناصرين إلى سوريا وليبيا. وأعدم آخرون، مثل فؤاد الركابي، أحد مؤسسي حزب البعث في العراق. وبحلول عام ١٩٧١، توقفت الأحزاب القومية عملياً عن الوجود. وحقيقة أنه الشخص الوحيد الذي يتحدث نيابة عن الدولة القومية، والتي لا ترغب أي قوة غربية في إنهاءها، تعطي مع ذلك لهذا التيار سلطة معينة. وقد يستمر هذا الاتجاه أيضاً في التمتع ببعض الدعم على مدار العام، وغالباً ما يتم ذكره أثناء الانقلاب

واليوم، في هذا السديم، نجد بعثيين معارضين، مؤيدين لسوريا أم لا، وناصرين وقوميين مشبوهين إلى حد ما بالليبرالية بالنسبة للبعض، والماركسية بالنسبة للآخرين. وأهم الحركات القومية العربية غير البعثية هي الحركة الاشتراكية العربية. وهذا الانقسام إلى قسمين بعد الانقلاب البعثي عام ١٩٦٨، بين فصيل مؤيد للجمهورية العربية المتحدة وآخر، ماركسي لينيني، مؤيد للكفاح المسلح ضد البعث. وفي شباط ١٩٦٩ نشرت الحركة العربية الاشتراكية بياناً مشتركاً مع الحزب الشيوعي العراقي ضد القمع. الحزب العربي الاشتراكي، المنشق عن الحركة الاشتراكية العربية، هو حزب ناصري أسسه فؤاد الركابي. وأشهر الشيعة الذين انضموا إلى القضية القومية العربية، وهو زعيم سابق لحزب البعث تحول إلى الناصرية،

وقتل فؤاد الركابي في سجنه في بعقوبة في تشرين الثاني ١٩٧١. وفي تشرين الثاني ١٩٨٤، انضم الحزب الاشتراكي العربي إلى الجبهة الوطنية الديمقراطية التي تأسست بمبادرة من الشيوعيين. وبين الناصريين، برز وريثة الحركة القومية العربية بالدعم الذي قدموه للحركة الكوردية بعد عام ١٩٦٨. أما الأحزاب الأخرى فهي مجموعات صغيرة فقط. وتشمل هذه المؤيدين لسوريا حزب البعث (القيادة الإقليمية العراقية)، وحزب العمال الثوري، وحزب الوحدة الاشتراكية، والرابطة الوطنية وتجمع الاشتراكيين الوطنيين. كما يستمر بعض القوميين في المطالبة بحزب الاستقلال، وهو نوع من حزب البعث الأولي الذي أسسه محمد مهدي كبة عام ١٩٤٣ والذي اختفى في عام ١٩٥٩. وفي عام ١٩٨٣، جمع المؤتمر بين حركات المعارضة القومية العربية في طرابلس، ولكن تم إثبات ذلك. غير قادر على اتخاذ القرارات.

ويبقى أن نتساءل ما إذا كان هناك اليوم في العراق معارضة ديمقراطية، أي معارضة تدعي القيم الليبرالية المستوحاة من الغرب. لقول الحقيقة، يتم اختزالها في عدد قليل من الشخصيات في المنفى. وفوق كل شيء، هو يفتقر إلى قائد يتمتع بكاريزما شخصية كامليل جادرتشي.

فمنذ مجيء النظام البعثي، كان هناك إجماع معارضة علمانية على الاتحاد في جبهة واسعة. وجمعت الجبهة الديمقراطية والوطنية والوطنية، التي تأسست في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٠ في دمشق، القوى الرئيسة للمعارضة العربية والكوردية، التي انضم إليها الحزب الشيوعي العراقي. وقد احتك هذا الأخير بحزب PDK والقوميين العرب والحزب الاشتراكي العربي والحركة العربية الاشتراكية وكذلك البعث الموالي لسوريا. وأرادت الجبهة، المؤيدة لإسقاط النظام من خلال الكفاح المسلح، أن تكون ائتلافا وطنيا شعاره "الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكوردستان".

وقد أدى انقسام الحركة الكوردية إلى ظهور جبهة جديدة، الجبهة الوطنية الديمقراطية، التي تأسست في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٨١ بمبادرة من الحزب الشيوعي الكوردستاني، حليف حزب PDK. انضم الحزب الاشتراكي العربي في تشرين الثاني ١٩٨٤، وكذلك من قبل بعض المنظمات الكوردية، وسجل الحزب الديمقراطي الحر نجاحات عسكرية كبيرة في ١٩٨٦ و ١٩٨٧ و ١٩٨٨، مع الاحتلال المؤقت لمدين في كوردستان. وهي اليوم القوة العسكرية الأولى للمعارضة، إذا استثنينا الجيش العراقي الذي يزن عليه الكثير من المجهول. وبعد اتصالات متعددة دون مستقبل، يبدو أن المعارضة العلمانية والمعارضة الدينية تتفقان الآن على تحالف واسع من جميع التيارات المعارضة بهدف تشكيل حكومة وطنية وديمقراطية في المنفى، وهو ما يبدو تنازلاً رئيساً. وللحركة الدينية (ومع ذلك، كان حزب الدعوة يدعو إلى مثل هذا البديل لعدة سنوات).

ومنذ مجيء النظام البعثي الثاني حدثت تغيرات في ميزان القوى داخل المعارضة. سيكون من الضروري أن نراقب بعناية من الذي سيستفيد من تراجع تأثير التراث الثقافي غير المادي. وبدأ سباق سريع بين الحركات العلمانية والإسلاميين لاحتلال المكانة التي تستحقها، لا سيما في أوساط الشريحة الأكثر اقتلاعاً من المجتمع

الشيوعي. وحتى الآن، أظهر الشيوعيون الذين انفصلوا عن الأحزاب أنهم أقل حساسية تجاه صفارات الإنذار الإسلامية من نداءات العلمانيين أو الوطنيين أو الديمقراطيين. ومع ذلك، فإن أولئك الذين يراهنون على الجيش العراقي و "الضباط الوطنيين" أكثر بكثير من أولئك الذين يراهنون على معارضة غير متناسقة.

ما شروط التحول الديمقراطي في العراق؟

وبفرضها على فسيفساء من المجتمعات، أودت الدولة القومية بالفعل بحياة العديد من الأشخاص. مجتمعات بأكملها، عرقية أو دينية، تم التضحية بها من أجل شمولتها. وكان هذا هو الحال مع الآشوريين واليهود والفرس والكورد الفيليين. وقد تم ترحيل هؤلاء لأنهم ليسوا "عراقيين حقيقيين". وصلنا اليوم إلى وضع تنص فيه المادة (٢٠٠) من قانون العقوبات العراقي على عقوبة الإعدام على الأنشطة التالية: إخفاء الانتماء السياسي السابق لأعضاء حزب البعث؛ الانضمام إلى حزب البعث مع الحفاظ على الاتصال بأي حزب أو منظمة سياسية أخرى؛ ترك حزب البعث للانضمام إلى حزب سياسي آخر. "وإقناع عضو في حزب البعث بترك حزب البعث". فغياب الديمقراطية هو دليل على عدم قدرة الدولة القومية العراقية على قبول أي تنوع مهما كان، تحت طائلة التشكيك الفوري بطبيعته. وأمام مثل هذه الصورة يمكن طرح السؤال: ما هي شروط عملية الديمقراطية في العراق؟

الشرط الأول هو وجود إطار معترف به ومقبول من قبل جميع الفئات الاجتماعية، يمكن من خلاله صياغة إجماع ديمقراطي. ومع ذلك، هذا الإطار غير موجود. وتستمر القوى السياسية الرئيسية في البلاد، والتي لا يمكن تصنيف أي منها على أنها حركة ديمقراطية، بعد سبعين عاماً على تأسيس الدولة، لتجد شرعيتها في نموذج مثالي يقع خارج الحدود. ومن الواضح أن ظاهرة المجتمع هي التي لا تزال سائدة. بالتأكيد ليس لبنان. كان للتيارات السياسية العراقية جمهور "وطني": الكمبيوتر الشخصي والبعث والجيش ليسوا مجرد شاشات للتعبير المجتمعي. ولا يوجد نظام طائفي في العراق. وذلك لأن الطوائف الرئيسية في البلاد ليست أقليات تتحرك في منطقة صغيرة متشابكة مع بعضها بعضاً، مع ماضٍ مشترك وتقاليد مماثلة، كما هو الحال في الجبال اللبنانية. مهما كان الشعور بالانتماء للمجتمع، فإن الفلاح الماروني لديه شيء مشترك مع جاره الشيوعي. وما هو القاسم المشترك بين كورد بوتان والفلاحين الشيعة في جنوب العراق؟ فالمجتمعان الكوردي والشيوعي، اللذان تعاملهما الدولة كأقليات، يدركان أنهما يعيشان زواجاً قسرياً داخل حدود وإطاراً لم يقبلوه، تحت قيادة سلطة ذات طابع عربي سني واضح.

أما التيارات السياسية العراقية "الوطنية" فهي لا تعكس أي كيان عراقي ولا تساعد على الاندماج الوطني. ولأنها دون أن تكون ذات طابع طائفي، كانت تمثل دائماً، وفقاً للفترات، تطلعات مثل هذا المجتمع أو ذاك. وهكذا فإن الشيوعيين، الذين كانوا أول من قام بالتجنيد في العراق على أسس سياسية حقيقية ولم يعودوا على أساس العملاء، انجذبوا بشكل واضح إلى الأقليات أو المجتمعات ذات الأولوية التي تعامل على

هذا النحو: الأرمن والآشور الكلدانيون والكورد الفيليون واليهود والكورد والشيعة الفارسيون. لعبت على التوالي داخل PCI دوراً أكبر بكثير من أهميتها العددية الحقيقية في الدولة. بالطبع، هذا لم يمنع الحزب الشيوعي من التعريب السريع لنفسه. ولكن في بداية الخمسينيات، شهدنا دخول الكورد حيز التنفيذ في أعلى سلطات الحزب. ليس من المبالغة القول إن الحزب الشيوعي العراقي كان يدور حول محور كوردي. وأظهرت أحداث كركوك (تموز ١٩٥٩) بوضوح انزلاق الحركة نحو مواجهة عرقية بين الكورد والتركمان.

أظهرت المذابح الحقيقية التي قادها الكورد الشيوعيون ضد التركمان أن الحزب الشيوعي الصيني غير قادر على مقاومة ضغط المجتمع. وفي أوج قوتها، في الخمسينيات وأوائل الستينيات، نما الحزب الشيوعي الصيني إلى حزب يغلب عليه الشيعة. وخلال انقلاب عام ١٩٦٣، كانت جميع الأحياء التي قاومت الميليشيات البعثية، بلا استثناء، أحياء شيعية. وكان ذلك الوقت الذي شن فيه القوميون العرب هجوماً على الأحياء الشعبية في بغداد بصرخات: "لا شيعة ولا شيوعي ولا شرقي!" هم سكان الريف الشيعي الشرقي لنهر دجلة ويشكلون الجزء الأكبر من السكان، ثم المحرومين، من المناطق الشيعية الجديدة في بغداد. وظهر البعث، الذي كان لديه في البداية تجنيد متعدد الطوائف، مع استثناء واضح للكورد، بعد انقلاب عام ١٩٦٣، كحزب طائفي قوي. منذ عام ١٩٦٣، انهار التمثيل الشيعي داخل الحزب إلى حد الظهور وكأنه طلاق حقيقي. وصعود التكريت داخل الحزب لم يخفف، بل على العكس من ذلك، من هذا الوضع. أما بالنسبة للجيش، فقد ورث عن أصله البريطاني الشريفي هيكلًا يكون الضباط فيه من السنة (العرب في الغالب أو الكورد) وقواته شيعية. بالتأكيد، في جميع الحالات المذكورة، يبدو أن التضامن الإقليمي فوق كل شيء يلعب دوراً أكثر من ردود الفعل المجتمعية الواعية. ولكن النتيجة تبقى كما هي. يتضح استمرار انقسام المجتمع العراقي من خلال تصاعد مواقف الهوية داخل هذه القوى السياسية "الوطنية": فقد تماهى البعث مع العرب السنة، والحزب الشيوعي مع الشيعة، واليوم يوجد اتجاه PCI عربي و PCI كوردي. أما الدولة فهي الأولى المعنية بمنطق المجتمع: اليوم الطبيعة المذهبية للسلطة العراقية صمت لا يقبل الجدل. ولأنه يدرك ذلك بالتحديد، قررت القوة السنية والعربية الحالية تشكيل مجلس وطني لجذب أصوات شيعية قليلة.

وبالتالي، فإنه في غياب الإجماع الوطني، من الصعب أن توجد حركة ديمقراطية أو حتى أن تترسخ لعبة ديمقراطية. أغلق فخ الدولة القومية، الذي رفضه ٧٥٪ من السكان في أصوله، على السكان المحتجزين كرهائن. وتحظر الدولة القومية العربية، بشموليتها، أي عملية ديمقراطية، بل إنها تلعب ضد أي إمكانية لتوحيد المجتمعات المختلفة بشكل دائم.

في أوروبا، تم بناء الدولة القومية بالتأكيد بقوة السلاح، ولكن أيضاً من خلال التكامل الوطني التقدمي حول جوهر مركزي، مدعوماً في ذلك بالقوة التكاملية للطبقة البرجوازية الفاتحة. ولكن في العراق، وبغض النظر عن حقيقة أن الدولة القومية كانت مفروضة من قبل القوات الأوروبية، فإن ميزان القوى بين المجتمعات المختلفة يحظر مثل هذه العملية. لا يزال التقسيم المجتمعي المكون من ثلاث كتل، والذي أثير في الولايات

الثلاث لبلاد الرافدين العثماني، مهيمناً دون أي قوة تبدو قادرة على توحيدها. ربما يمكن للشيعنة والكورد والعرب السنة الاتفاق على الحدود الحالية للدولة العراقية إذا تم التشكيك في طبيعتها كدولة قومية. هل يمكن أن نحلم بدولة عراقية لم تعد تستبعد بل تضم سكاناً غنيين بالتنوع؟ الآن، ما هو البديل، بخلاف العملية الديمقراطية، الذي يمكن أن يغير طبيعة هذه الدولة من خلال مراعاة الماضي وتطلعات كل من المجتمعات؟

فرانسواز بري: العراق: في أرض المرّحلين

في الأرض غير المستقرة، يستحيل التعامل مع المقيمين عليها، وهم في وضعية استقرار، وضعية تفاعل مجتمعية، بصورة سوية، وللعراق مقام بالغ الأثر في هذا المضمار الساخن بأحداثه، والعنيف بسرديات وقائعه.

إن النظر في "أرض المرّحلين" نظر في المرّحلين الذين يبحثون عن أرض تستقر بهم، كما لو أنهم ينتقلون من سفينة نوح لأخرى، وقد طال بهم الانتظار، دون رؤية الحمامة المرتقبة. ذلك ما يحفظ للمقال جدواه ومغزاه: في عام ٢٠٠٥ كان العراق خامس دولة في العالم من حيث عدد النازحين داخلياً^(١).... وعلى عكس ما تم الإعلان عنه، لم تتسبب حرب عام ٢٠٠٣ في تدفق أعداد كبيرة من العراق، ولا عمليات نزوح كبيرة داخل البلاد.

وتقدر المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أنه على الرغم من تعليمات الحكومة والوكالات الدولية المسؤولة عن القضية، فقد عاد أكثر من (٢٥٣) ألف عراقي إلى بلادهم بين عامي ٢٠٠٣ و ٢٠٠٥، وهو ما يشكل إحدى أهم حركات العودة إلى الوطن. على الكوكب^(٢).... وبالتالي، فإن الصعوبات الاقتصادية والأمنية لم تمنع العودة، ولا سيما من البلدان المجاورة حيث كانت الظروف المعيشية للاجئين غير مستقرة بشكل خاص. ومع ذلك، لا يزال هناك (١,٥) مليون منفي، معظمهم في الأردن وسوريا ولبنان.

النفي سلاح البعث الأعلى:

(١) بعد السودان وكولومبيا وجمهورية الكونغو الديمقراطية وأوغندا.

(٢) المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، الاتجاهات العالمية للاجئين لعام ٢٠٠٤: نظرة عامة على السكان اللاجئين، والوافدين الجدد، والحلول الدائمة، وطالبي اللجوء، وعديمي الجنسية وغيرهم من الأشخاص الذين تعنى بهم المفوضية، جنيف، ١٧ حزيران ٢٠٠٥:

كان حزب البعث هو الذي أضعف الطابع المؤسسي على التهجير القسري للسكان عندما تولى السلطة أخيراً في عام ١٩٦٨، وهو تاريخ تم اعتماده منطقياً من قبل هيئة المطالبات العقارية العراقية (IPCC)، التي تم إنشاؤها في كانون الثاني ٢٠٠٤، كنقطة انطلاق تاريخية لظاهرة المصادرة. كانت الهجرات القسرية في كل مرة تهدف إلى تعويض الضعف الديموغرافي للأقلية العربية السنية مقابل الأغلبية العربية الشيعية، والتي تمثل ما بين ٦٠٪ و ٦٥٪ من السكان. ولقد كانت مسألة استيعاب السكان في الهوية العربية المدافعة عنها، وحظر أي شكل من أشكال الحكم الذاتي الإقليمي وقمع وتشجيت الجماعات المشتبه في عدم دعمها للنظام، وتسارعت هذه السياسة خلال كل نزاع دولي. تم الطرد بطريقة منهجية وسريعة، إذا لزم الأمر من خلال حملات عسكرية شديدة العنف: الحظر، واستخدام الأسلحة التقليدية أو غير التقليدية في القضاء على السكان، والإعدامات الجماعية، والنقل إلى معسكرات الاعتقال. على العكس من ذلك، ترافقت مع سياسة هجرة العمال العرب السنة، الذين حصلوا على امتيازات مالية وسكنية. مليون مهاجر، معظمهم من المصريين، تم توظيفهم في العراق، على سبيل المثال^(١).

الإبادة العرقية الأولى: الكورد الفيليون

كان الكورد الفيليون، وهم من السكان الشيعة، يقيمون على طول الحدود مع إيران، لكنهم كانوا متواجدين أيضاً في بلدات الكوت والعمارة وبغداد^(٢). وظلوا عديمي الجنسية^(٣) على الرغم من امتثالهم للالتزامات المتعلقة بالمواطنة (الخدمة العسكرية)، فقد تم طردهم إلى إيران على مرحلتين: بالآلاف في ١٩٦٩-١٩٧١ (مع اعتبار الشيعة الإيرانيين، مثل طلاب علم اللاهوت في حوزة النجف^(٤) وبشكل أعم شيعة المدن المقدسة الأخرى)؛ في ربيع عام ١٩٨٠، أي بعد أقل من عام من استيلاء صدام حسين على السلطة المطلقة وقبل بضعة أشهر من اندلاع الحرب مع إيران، إلى جانب عشرات الآلاف من العرب

(١) جرى طرد ما يقدر بنحو (٦٠٠٠٠٠) منهم بسبب دعم مصر للتحالف المناهض للعراق عام ١٩٩١. وقد وفّر النظام لهؤلاء المصريين، حوالي (١٠٠٠٠٠) فلسطيني وسوداني، و (٤٠٠٠) سوري (استقروا في السنوات ١٩٦٠-١٩٧٠) من المباني التي تخص المرحلين.

(٢) على سبيل المثال، في حي عقد الأكراد، "حي الأكراد" (أفضل موانئ العاصمة)، المعروف بالاشتباكات أثناء الانقلاب البعثي الأول ضد عبدالكريم قاسم، عام ١٩٦٣. وكان من بين الفيليين كوادر من الحزب الديمقراطي الكوردستاني، الذي عمل المسلحون فيه كقاعدة خلفية، من الحزب الشيوعي العراقي والمعارضة الإسلامية الشيعية.

(٣) حافظ الدستور العراقي الأول، في عام ١٩٢٤، على التمييز العثماني بين قانون المواطن الأصيل، "التبعية أو الارتباط العثماني"، والنظام الأساسي (ب) للارتباط الإيراني، والذي اختار العديد من الفيليين والشيعة لا يرغبون في عدم الخدمة في جيش السلطان.

(٤) الحوزة هي مجموعة من المراكز التعليمية.

الشيعة وغيرهم من العراقيين "من أصل فارسي" التي كان النظام فيها رأى عملاء "الطابور الخامس"، أي (٢٠٠,٠٠٠) شخص^(١) هذه المرحلة الثانية تبدأ في بغداد والبصرة والعمارة.

تعريب الشمال والوسط:

لم يخالف صدام قط سياسة التعريب، بما في ذلك في نفس اللحظة التي مرر فيها مع كورد الحزب الديمقراطي الكوردستاني (PDK) اتفاقية الحكم الذاتي في ١١ مارس ١٩٧٠. ونُفذت العملية في نهاية الستينيات^(٢)... وقبل كل شيء نتج عن تقسيم إقليمي.

وكانت محافظة كركوك السابقة مقسمة إلى قسمين: محافظة التأميم بما فيها مدينة كركوك الصحيحة والمناطق ذات الكثافة السكانية العربية الكبيرة من جهة. من ناحية أخرى، محافظة صلاح الدين الجديدة وعاصمتها تكريت وتشمل منطقة دوز التي يسكنها الكورد والتركماني؛ تم إلحاق مديرتي جمجمال وكالار Kalar بمحافظة السليمانية.

أعطى تشكيل محافظة دهوك محافظة نينوى (الموصل) أغلبية عربية، والآشور الكلدان^(٣)... والتركماني (الذين يتحدثون اللغة التركية)، ظلوا حاضرين بقوة.

وتم تخصيص مناطق خانقين وكفري لمحافظة ديالى.

وإلى الجنوب، تم تقليص محافظة كربلاء لصالح محافظة الأنبار.

كان التعريب هو التركيز بشكل خاص على المنطقة الواقعة على طول الحدود مع إيران وتركيا وسوريا، ومن خانقين إلى سنجار.

وفي السبعينيات وخاصة الثمانينيات، تم توجيه مئات الآلاف من البدو من هضبة الجزيرة شبه الصحراوية، جنوب غرب الموصل، أو من محافظة صلاح الدين، المنتمين لعشائر سنية موالية للنظام، نحو الأراضي. من التعريب حيث كلفوا بالاعتناء بآبار النفط. وهكذا أقيمت الحديدي في منطقة شيخان ١٩٧٤-١٩٧٥، والشمر في محافظة كركوك. وتؤكد الدراسات الاستقصائية التي أجريت في عام ٢٠٠٣ الطبيعة المخططة والمنهجية لعمليات نقل السكان هذه^(٤)، من ١٩٥٧ إلى ١٩٧٧، في مدينة

(١) وبذلك تم تجريد (٨٠٠) تاجر من أوراقهم وطردهم إلى إيران. وثلت التجار الرئيسيين المسجلين في غرفة تجارة بغداد عام ١٩٨٠ كانوا من الفيلبي. انظر مطبعة العراق، ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٤.

(٢) بدأ التعريب في وقت مبكر في أماكن أخرى، على سبيل المثال في وقت مبكر من عام ١٩٣٦ في الحويجة.

(٣) يضم الآشوريون الكلدانيون، من ناحية، أقلية من التقليد النسطوري، ومن ناحية أخرى، أغلبية احتشدت للكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

(٤) ينظر هيومن رايتس ووتش، ادعاءات في الصراع، عكس التطهير العرقي في شمال العراق، المجلد ١٦، رقم ٤، نيويورك، آب ٢٠٠٤.

كركوك نفسها، ارتفع عدد السكان الكورد والتركمان على التوالي من ٤٨,٣% و ٢١,٤% إلى ٣٧,٥٣% و ١٦,٣١%، والسكان العرب من ٢٨,٢% إلى ٤٤,٤١%^(٥).

وتم تطهير مئات القرى. كما تم تنظيم مصادرة مئات الآلاف من الأشخاص بموجب سلسلة كاملة من القوانين والمراسيم الصادرة عن مجلس قيادة الثورة: تم إبطال أو مصادرة سندات الملكية السارية في ظل الإمبراطورية العثمانية، وفي كثير من الأحيان بدون تعويض، والبضائع وبالتالي فإن ممتلكات الدولة مؤجرة للسكان العرب لتشجيعهم مالياً على بنائها. ونزح السكان الكورد في خانقين وكفري ومندلي في محافظة ديالى داخل المحافظة نفسها أو نحو السليمانية، واستبدلتهم عائلات عربية.

وبعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، استمرت استراتيجية التعريب هذه على طول خط وقف إطلاق النار، المعروف باسم "الخط الأخضر"، مما حد من المناطق الكوردية، التي تتمتع الآن بحماية دولية، وقد أفلت من النظام.

وفي عام ٢٠٠١، صدر المرسوم رقم (١٩٩) الذي أنشأ "تصحيح الجنسية" لصالح الأصول العربية. أولئك الذين لم يرغبوا في الخضوع^(١)... وتم طردهم إلى منطقة الحكم الذاتي الكوردية. واضطر كورد كركوك إلى الفرار إلى السليمانية وأربيل. وترك التركمان كركوك وتلغفر لأربيل وتركيا. وإجمالاً، ورد أنه تم بعد ذلك ترحيل أكثر من (١٠٠٠٠٠) شخص إلى "الخط الأخضر".

وفي الوقت نفسه، عاد الآشور الكلدانيون الذين نزحوا من المناطق الجبلية إلى بغداد والموصل والبصرة في الأعوام ١٩٧٠-١٩٨٠ هرباً من الظروف المعيشية السيئة وانعدام الأمن السائد في هذه المدن، إلى محافظات دهوك. وأربيل.

الصراعات العسكرية الداخلية / الخارجية وإعادة التكوين العرقي للعراق:

وبعد توقيع إيران والعراق، في ٦ آذار ١٩٧٥، على اتفاقيات الجزائر، التي نصت على تطوير منطقة أمنية من ٥ إلى ٣٠ كيلومتراً على طول الحدود التركية العراقية والإيرانية العراقية، فر (٢٥٠) ألف كوردي في الاتجاه. إيران؛ ونزح (٢٠٠) ألف آخرين إلى الوسط والجنوب في محافظات الأنبار والقادسية ودي قار وميسان والمثنى. أدى تدمير عدة مئات من القرى الكوردية وحوالي ستين قرية آشورية - كلدانية إلى إخلاء المنطقة الحدودية بالكامل من سكانها. كانت هذه تحركات سكانية ضخمة

(٥) نوري الطالباي، تهجير الكورد والأقليات في منطقة كركوك، المؤتمر الدولي للاجئين والمهجرين العراقيين، باريس، تموز ٢٠٠٢، منطقة كركوك (بالعربية)، بغداد، الطبعة الثانية، بدون محرر، ١٩٩٩.

(١) رافق هذا الالتزام بالانضمام إلى حزب البعث والانخراط في تشكيل شبه عسكري هو "جيش القدس".

تم الإعلان عنها في الصحف العراقية كإجراء شرعي من وجهة نظر الثورة والمصالح العليا للأمة^(٢). اكتملت العملية في ١٩٨٣-١٩٨٤.

وإبان حرب الخليج الأولى، التي حرضت إيران ضد العراق من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٨، تم إفراغ المناطق الحدودية بشكل أساسي. في الجنوب، أصبحت المستنقعات حول دي قار وميسان والبصرة قضية استراتيجية، وأدى غزو إيران لها إلى إجلاء سكانها. في محافظتي واسط ودي قار، وخصوصاً ميسان والبصرة، اضطر عشرات الآلاف من الأشخاص إلى مغادرة منازلهم بسبب الأعمال العدائية، وأيضاً لأن النظام اشتبه في عدم استيلائهم عليها.

وفي عام ٢٠٠٥، كان ما يقرب من (٨٠,٠٠٠)^(١) شخص من مناطق شط العرب وأبو الخصيب والفاو لا يزالون يعيشون في المخيمات أو المباني العامة. و (١٢) ألف أسرة كانت تنتظر عودتها النهائية إلى محافظة ميسان. وهكذا تم تسجيل النازحين من الحرب مع إيران في كربلاء والنجف وبابل.

الإبادة العرقية الثانية: الأنفال

بعد أربعة أشهر من إحصاء تشرين الأول ١٩٨٧، بدأت "حملة الأنفال"، على شكل ثماني هجمات عسكرية في كردستان العراق، عوقبت بالتحالف والتعاون مع العدو الإيراني؛ وانتهى الأمر بتدمير بلديتين هامتين، حلبجة عام ١٩٨٨، قصفت بالأسلحة الكيميائية، وقلادزة في العام التالي^(٣) والنتيجة: ما لا يقل عن (١٠٠٠٠٠) في عداد المفقودين، وتدمير (٢٠٠٠) قرية وعشرات البلدات والمراكز الإدارية. وأكملت الأنفال إفراغ المناطق الجبلية في محافظات دهوك وأربيل وكركوك من سكانها.

وفي عام ٢٠٠٠، نزع ما يقدر بـ(٨٠٥٥٠٠) شخص في المحافظات الثلاث شمال العراق^(٣)... ولا يزال أكثر من نصفهم يعيشون في مخيمات أقامها النظام في السبعينيات والثمانينيات.

وبعد وقف إطلاق النار التاريخي في ٢٨ شباط ١٩٩١، نهاية حرب الخليج الثانية، كانت خمس عشرة محافظة من أصل ثمانية عشر محافظة عراقية في حالة تمرد. ولكن الحلفاء، رغم أنهم دعوا العراقيين إلى الانتفاضة، سمحوا للحرس الجمهوري وطائرات الهليكوبتر التابعة لصدام بتنفيذ حملة قمع رهيبية في الدولة الشيعية والقيام بتدخل لا هوادة فيه في كردستان. وتسبب هذا الأخير في نزوح

(٢) ينظر إفريم عيسى يوسف، تاريخ بلاد ما بين النهرين (١٨٣٠-١٩٧٦)، باريس، لو هارماتان، ٢٠٠٤، ص ٢٢٣.

(١) غلوبال إيدبروجيكت، العراق: انعدام الأمن ونقص المأوى يؤديان إلى تفاقم أزمة النزوح الداخلي، جنيف،

<www.internal-displacement.

org/ 8025708F004CE90B(httpEnvelopes) 0E47C4678D13EC27802570C00056B6F7 ?OpenDocument

>, 11 juillet 2005, p. 3.

(٢) ميدل إيست ووتش، الإبادة الجماعية في العراق، حملة الأنفال ضد الكورد، باريس، كارتالا، ٢٠٠٣.

(٣) عاد اللاجئين أو نزحوا بسبب القتال بين الكورد.

مليونى كوردي إلى تركيا وإيران. والجماهير التي ستعود إلى الشمال بعد تبني مجلس الأمن الدولي في ٥ نيسان ١٩٩١ للقرار رقم (٦٨٨) الذي ينص على حماية الشيعة في الجنوب والكورد في الشمال والشروع في عملية "توفير الراحة".

هذه العودة الضخمة، من ناحية أخرى، أجبرت المليشيات الكوردية^(٤) على التحرك...والذي دفعها النظام لمطاردة مقاتلي الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني والذين شاركوا في تدمير القرى: (٨٠٠٠) عائلة معظمها من عقرة وتسمى "القلاع" - نسبة إلى معسكرات الجيش حيث تم نصبها - غادرت إلى الموصل^(١)، بدأت القبائل العربية التي وصلت مع عملية التعريب بالانسحاب بالفعل من منطقة الحكم الذاتي: وهكذا، التقى الفهد، الأصل من الكوت في الجنوب، في خانقين عام ١٩٩٧، بعد (٢٢) عاماً أمضاها. في محافظة السليمانية.

الإبادة العرقية الثالثة: المستنقعات:

تم اعتبار تجفيف الأهوار في الأربعينيات من القرن الماضي ثم مرة أخرى في السبعينيات، وقد تقرر تجفيف الأهوار في عام ١٩٨٤ أثناء الحرب العراقية الإيرانية وتم تسهيله من خلال بناء السدود، خاصة في تركيا وسوريا. رسالة من مدير أمن محافظة أربيل بتاريخ ٣٠ كانون الثاني ١٩٨٩ وعثر عليها خلال انتفاضة ١٩٩١ تؤكد وجود خطة شاملة.

تم تنظيم أقدم سكان الأهوار، المدين، في عشرات القبائل: البو محمد، بني لام، أبو صالح، بني إسعاد، بني هاشم، الجوييري، الشميش، الموسى، الرحمة، إلخ. اعتبرهم النظام، على قدم المساواة مع جميع سكان الجنوب، مقربين سياسياً ودينياً وعرقياً من إيران. وتم الاشتباه في قيامهم بحماية الفارين من الجيش والعناصر المعادية^(٢). وإن تدخل من (٥٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠) رجل من كتائب بدر، تم تدريبهم من قبل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق (ASRII) بقيادة محمد باقر الحكيم، ومقره في إيران، سيؤدي إلى طرد المدين، الذي قدمه جريدة الثورة في نيسان ١٩٩١ كـ "قرود" أجنبية على العراق^(٣): دمرت (٧٠) قرية بين كانون الأول ١٩٩١ وتشرين الأول ١٩٩٢، وإجلاء (٥٠) ألف شخص من محيط الجبايش باتجاه الناصرية، لقي نفس المصير. حيث بلغ عدد سكان بلدات ميمونة وسلام وعادل، وأهوار محافظة ميسان إلى قلعة صالح، وأخيراً أهوار حمر والعمارة. ستستمر العملية في ١٩٩٣-١٩٩٤. لقد نزح عرب الأهوار لأكثر من اثنتي عشرة مرة داخل أراضيهم وخارجها، وأصبحوا اليوم من بين

(٤) "قيادة كتائب الدفاع الوطني" للجيش العراقي. "جاش" (bourricots) بلغة شعبية.

(١) في عام ٢٠٠٣، سيعيد أتباع صدام جميع صفوفهم بنفس الطريقة في محافظات نينوى والأنبار وصلاح الدين.
(٢) ينظر كريستوفر ميتشل، "الاعتداء على الأهوار"، في بيتر كلارك، شون ماجي، الأهوار العراقية. دراسة إنسانية وبيئية، لندن، مؤسسة عمار الخيرية الدولية، ٢٠٠١، ص ٤٢-٦٩.

(٣) المصدر نفسه.

أفقر السكان في العراق. وقدرت هذه الأقلية بين الشيعة عام ١٩٥٠ بنحو (٤٠٠ ألف أو ٥٠٠) ألف نسمة معظمهم من المزارعين. لقد انخفض عددهم إلى (٢٥٠,٠٠٠) في أوائل التسعينيات و (٨٣,٠٠٠) في عام ٢٠٠٣^(٤).

تدابير مؤسسية لصالح السكان النازحين أو اللاجئين:

في نهاية آب ٢٠٠٣، بعد التوترات بين العرب والكرود في كركوك وبغداد، تم إنشاء وزارة للمغتربين والمهجرين^(٥)؛ الحكومة المؤقتة ذات السيادة المعنية في ٢٨ حزيران ٢٠٠٤ ستضم هيئة تعمل مع الأمم المتحدة وقوة المهام ٨ الخاصة بالعراق. في ٨ آذار ٢٠٠٤، حددت المادة ٥٨ من قانون التحول الإداري (LAT) أن الحكومة والهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، التي أنشئت في كانون الثاني من العام نفسه، ستصلح "الظلم الناجم عن ممارسات النظام القديم التي تغير الطابع الديموغرافي". مناطق معينة "عمليات الترحيل والطردهم والتهجير القسري؛ يشترط القانون أيضًا، وفقًا للمادة ١٠ من النظام الأساسي للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، أن يتم ضمان إعادة التوطين "في المحافظة التي يأتون منها" للأشخاص الذين تم إدخالهم "مؤخرًا" إلى المناطق، مع تعويض عقاري عندما تكون العودة غير ممكنة.

موقف السلطات والأحزاب السياسية منذ نهاية النظام القديم

ومع بداية سقوط النظام، تسببت عودة اللاجئين والنازحين في اضطرابات، لا سيما في الأحياء العربية. ومن دون الاستهانة بالعودة العنيفة للمهجرين، من الواضح أن الأحزاب الكوردية كانت قد أعدت لإعادة استثمار المناطق المعربة من خلال الترويج، خاصة خلال الترويج، خاصة خلال عام ٢٠٠٣، للعودة برفقة البشمركة [المقاتلين] في جميع المناطق في عام ١٩٦١^(٦). والواقع أن القادة الكورد يطالبون بأن نعود قبل أي إحصاء إلى ما كان عليه قبل التعريب^(٧).... وهذه هي الملاحظات على "المصادرة الخطيرة" التي صاغها عجيل غازي الياور، أول من شغل، منذ ١ حزيران ٢٠٠٤، مهام الرئيس المؤقت. إنهم من الرئيس العراقي المستقبلي جلال الطالباني: "يجب أن نلغي التطهير العرقي لصدام حسين. وأراد المفاوضات الكورد من LAT دسترة مؤقتة لعودة النازحين، داعمين طلبهم. ولصالح الاستقلال. ومن هنا جاءت التوترات الشديدة بالفعل في مجلس الحكم الانتقالي في ١٣ تموز ٢٠٠٣^(٨).

(٤) ينظر إيمانيكلسون، "الدمار والإبادة الجماعية في مستنقعات جنوب العراق"، في كريس كوتشيرا (محرر)، الكتاب الأسود لصدام حسين، باريس، منشورات Oh ٢٠٠٥، ص ٢٧٩-٢٩٦.

(٥) تم تحديد مسؤولياتها بموجب لائحة سلطة الائتلاف المؤقتة رقم ٥٠، والتي دخلت حيز التنفيذ في ١١ كانون الثاني ٢٠٠٤. (١) ينظر، هيومن رايتس ووتش، مرجع مذكور سابقًا، ص ٥٨.

(٢) ينظر، ديكستر فيلكنيز، "القادة الكورد العراقيون يقاومون بينما تضغط الولايات المتحدة عليهم لتخفيف مطالبهم"، نيويورك تايمز، ٢١ شباط ٢٠٠٤.

(٣) يراجع راجيف شاندراسيكاران، "الكورد يرفضون الأجزاء الرئيسة من دستور العراق المقترح"، واشنطن بوست، ٢١ شباط ٢٠٠٤. كان الأعضاء الأكراد الخمسة في المجلس الانتقالي للحكومة في ١٣ تموز ٢٠٠٣ قد اقترحوا بالفعل خطة فيدرالية للإقليم الكوردي بما في ذلك كركوك وكذلك المناطق التي تم تعريبها وضمها إلى محافظات أخرى.

سيتم دمج هذا المطلب في المادة ٥٨ من I.A.T، ولكن دون تعديل الحدود الإقليمية، التي أعيدت صياغتها في السبعينيات، يجادل معارضو إعادة ربط الأجزاء المبتورة من الإقليم بأنه من المستحيل تصحيح الخطوط في كل مكان.

بعد ذلك، تتحقق حكومة إقليم كردستان من صحة المنطقة الكوردية التي كانت تدار قبل آذار ٢٠٠٣، مع المناطق الواقعة إلى الشمال والغرب من "الخط الأخضر"^(٤)... "القديم". سيصادق البرلمان الكوردي على الاتفاقية في بداية آب ٢٠٠٥ بينما يطالب مجدداً بضمان عودة النازحين الكورد^(٥)... وذلك لأن نتائج انتخابات كانون الثاني ٢٠٠٥ أظهرت أن الأحزاب الكوردية، باستثناء محافظة كركوك، لم تحصل على الأغلبية^(٦)، لذلك وجد القادة الكورد أنفسهم عالقين بين ضغط السكان المنفصلين عن محافظة كركوك في ١٩٧٥-١٩٧٦ والحقائق الموضوعية.

فقبل أسبوعين فقط من استفتاء تشرين الأول ٢٠٠٥، اندلعت أزمة بين التحالف الكوردستاني (حزب PDK، والاتحاد الوطني الكوردستاني، والاتحاد الإسلامي الكوردستاني) ورئيس الوزراء الشيعي إبراهيم الجعفري، وتميزت بتسليم مذكرة تنتقد احتكار السلطة من قبل أخيراً على حساب الرئيس طالباني وعدم تطبيق المادة ٥٨ من الاتفاق، تعرض الناطق باسم الاتحاد الوطني الكوردستاني آزاد جندياني على الفور لانتقادات من قبل حزب الدعوة الشيعي لمطالبته باستقالة رئيس الحكومة. سوف يستغرق الأمر وساطة حتى يتم التغلب على النزاع. ومع ذلك، نشر الجعفري مقالاً في صحيفة التايمز أكد فيه على عروبة العراق ولم يذكر دولة فيدرالية^(٧)....

(٤) اقتراح لمجلس الحكم بشأن الفيدرالية لكوردستان العراق "١٩ شباط ٢٠٠٤. هذا خلافاً لما حصل عندما أقر البرلمان الكوردي في أربيل المسودة الأولى للدستور. منذ آب ٢٠٠٣، كان سكان دوز الكورد والتركمانيان - أو: طوز خورماتو - يتجهون إلى توجيه التماساتهم ليس إلى تكريت، الرئيس الذي كانت مدينتهم مرتبطة به، ولكن إلى كركوك، كما كان الحال قبل عام ١٩٧٠؛ في محافظة الموصل، أراد سكان الاقضية الشمالية والضفة اليسرى لنهر دجلة الارتباط بأقضية دهوك وكركوك. يراجع ميشيل روبين، CPA، R.I.P. الولايات المتحدة تسلم العراق للعراقيين "

National Review Online, <www. nationalreview. com/ rubin/rubin200406280850.asp>, 28 juin 2004.

(٥) ينظر كيرك سمبل، "الكورد يتعهدون بعدم تقديم تنازلات في المحادثات السياسية في العراق"، نيويورك تايمز، ٧ آب ٢٠٠٥.
(٦) كركوك: الكورد ٥٩,٦٧٪؛ التركمانيان ١٦,٥٢٪. ديالي: التحالف العراقي الموحد ٤٣,٢١٪. الكورد ١٧,٤٤٪. صلاح الدين: التحالف العراقي الموحد ٢١,٥٣٪. الكورد ١٣,٦٤٪.

(٧) ينظر إبراهيم الجعفري، "خطة مارشال جديدة للعراق"، تايمز أونلاين

<www. timesonline.co.uk/article/0,,1072-1670492,00.html>, 27 juin 2005.

مسألة كركوك:

مثل اتفاقية LAT القدامى قبلها، يحيل دستور ١٥ تشرين الأول ٢٠٠٥ مسألة المناطق الخلفية إلى الهيئة التشريعية المقبلة، والموعد النهائي للتسوية النهائية الذي تم تحديده في ٣١ كانون الأول ٢٠٠٧^(٣).... تم التخطيط لإجراء إحصاء قبل انتخابات كانون الثاني ٢٠٠٥، لكن سيتم تأجيله عدة مرات بسبب الخلافات داخل الحكومة والصعوبات في إعادة توطين اللاجئين. وأراد مسئولو الحزب الديمقراطي الكوردستاني، مثل المتحدث باسم الشؤون الخارجية، سافين دزايي، ومسئولون من الاتحاد الوطني الكوردستاني مثل فؤاد معصوم، إجراء التعداد بعد عودة النازحين ورحيل أولئك الذين تم تنصيبهم للسيطرة على كركوك. كان من الواضح أنها كانت مسألة تعزيز المطالبات على أرض تعتبر تاريخياً كوردية^(٤).

وتحظى كركوك بأهمية خاصة منذ عام ١٩٢٥، منذ أن جاء ضم ولاية الموصل إلى العراق بوعد بالحكم الذاتي: يجب أن يكون المسئولون كورديا وستظل اللغة الرسمية هي الكوردية. وقد قال مصطفى البارزاني في أوائل السبعينيات: "حتى لو لم يعد هناك كوردي في كركوك، فإن المنطقة ستبقى كوردية. لم أعد أرغب في تسمية نفسي البارزانياً إذا تخلت عن كركوك"^(٥)... وستبقى المنطقة حجرة عثرة دائم بين الحكومات العراقية المتعاقبة والزعماء الكورد. وهكذا، فإن خرق اتفاقيات الحكم الذاتي لعام ١٩٧٠، كنتيجة لسياسة التعريب، والعمليات القمعية المميتة للسكان بشكل خاص. وفي ١٩٨٤-١٩٨٥، انهارت المحادثات بين صدام حسين والاتحاد الوطني الكوردستاني برئاسة جلال الطالباني بسبب معارضة السابق دمج منطقتي كركوك وخانقين في كوردستان. وفي عام ١٩٩١، انتهت انتفاضة كركوك بمذبحة للمتمردين الذين لم يتمكنوا من الوصول إلى الحدود التركية أو الإيرانية.

وبالنسبة للمسئولين الكورد الحاليين، لا تزال كركوك جزءاً تاريخياً وجغرافياً من كوردستان العراق، ولا يزالون مقتنعين بأن المدينة ستصبح عاصمتها^(٦)، مع الاعتراف مسبقاً بحقوق التركمان والآشور الكلدان والعرب. ومن المنطقة. فقد طالب الحزب الديمقراطي الكوردستاني، على سبيل المثال، أمام المجلس الوطني العراقي في تموز / يوليو ٢٠٠٥ بإعادة النظر في حدود المنطقة الكوردية لتشمل كركوك وبلدتي بدرة وجسان جنوب شرقي بغداد. وتقدر كاريش روزباني، المسئولة عن ملف إعادة التوطين

(٣) أما المفاوضات العرب، على العكس من ذلك، فقد أرادوا تأخيراً لمدة عشر أو عشرين عاماً. وتنص المادة ١١٦ من الدستور الجديد على إمكانية أن يطلب إقليم أو أكثر، تشكيل إقليم بشرط مزدوج أن يأتي الطلب من ثلثي أعضاء مجلس المحافظة أو عشر الناخبين ويخضع للاستفتاء.

(٤) "الكورد يكررون مطالبهم بشأن مركز النفط المتنازع عليه في كركوك"، وكالة فرانس برس، ١٨ شباط ٢٠٠٤.

(٥) كريس كوتشيرا، كوردستان العراق: كركوك، الرهانات

<www.chriskutschera.com/kirkouk_enjeux.htm>, 23 décembre 2003.

(٦) ينظر المرجع نفسه، "كوردستان العراق: بعد الانتخابات، التحديات الكوردية"، نوفيل أوبزيرفاتور، رقم ٢٠١٩، <www.chris-kutschera.com.Kurdistan_elections.htm>, 7 avr. 2005

والتعويض التابع للاتحاد الوطني الكوردستاني، عدد الكورد المطرودين من المدينة بـ(٢٥٠) ألفاً، وتعتبر غالبية المستوطنين العرب بعثيين سابقين^(٢).

ويرفض القوميون العرب من جانبهم التنازلات: العراق أمة عربية والكورد فقط في كركوك. وذلك لأن المفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين تعرب عن قلقها من أن ترى السلطات المحلية الكوردية تعيد توزيع الأراضي وتشجع الناس على المطالبة بالامتلاكات المصادرة دون ضمان ظروف معيشية مناسبة للعائدين أو "المستعربين" الذين أجبروا على المغادرة.

ووفقاً للتركيمن وممثلهم، سونجول تشابوك، كانت المدينة بالكامل تركمانية قبل أن يجلب البريطانيون العمالة لتلبية احتياجات صناعة النفط في الأربعينيات، ولم يحدث خطر اندلاع حرب أهلية. ولا ينبغي معاملة مجموعة عرقية أو دينية أخرى على قدم المساواة مع الآخرين^(٣). علاوة على ذلك، فإن تركيا، التي تشعر بالقلق بالفعل بشأن المكانة الممنوحة للكورد في العراق، تدعم على أي حال الجبهة التركمانية العراقية، وهي فرع من مجموعة عرقية ذات صلة؛ وكان الجيش التركي قد أعلن حتى قبل تدخل الأمريكيين في العراق أن دخول الكورد إلى المدينة سيؤدي إلى تحرك من جانبهم^(٤).

وبمجرد وصول آلاف العائلات إلى محافظة كركوك، تم تشكيل اللجان المكلفة بعكس التطهير العرقي وتنفيذ المادة ٥٨ من قانون التحول الإداري، سيستمر الوضع وسرعان ما يتحول إلى انفجار. عدة آلاف من الكورد، الذين لم يعودوا يؤمنون بالمفاوضات بين قادتهم والحكومة العراقية، يهددون باستعادة ممتلكاتهم بأنفسهم إذا لم يتم تطبيق القانون. مع الاعتراف باستحالة طرد آلاف المسؤولين العرب العاملين في قطاعي الصحة والتعليم، قدر الكورد في أيلول ٢٠٠٥ بـ(٨٤١١٣)، أو ثلث المستوطنين فقط، عدد الأشخاص الذين غادروا المدينة إلى الجنوب^(٥).

وعلى العكس من ذلك، إذا اعتُبر الوافدون الجماعيون شرعيين من وجهة نظر النازحين، فلن يؤدي ذلك إلا إلى ردود فعل عنيفة، بما في ذلك اغتيال بعض المسؤولين. ويشتهر في أن الكورد أرسلوا أشخاصاً

(٢) ينظر جورج باكر، "الحرب العراقية القادمة: ما هو كفاح كركوك لعكس إشارات التطهير العرقي لصدام بالنسبة لمستقبل العراق"، نيويورك، ٤ أكتوبر ٢٠٠٤.

<www.newyorker.com/fact/content/?041004fa_fact>, 4 oct. 2004.

(٣) «ممثل الجبهة التركمانية يقول حساب التركيمن بثلاثة ملايين في كركوك!»، al-Hayat, KurdistanObserver.com, <[http://kurdistanobserver.servehttp.com/Oct/4-10-5-turk men-says-3millions-in-kirkuk.htm](http://kurdistanobserver.servehttp.com/Oct/4-10-5-turk%20men-says-3millions-in-kirkuk.htm)>, 4 oct. 2005; «Iraqi Turkmen leader says civil war possible», Reuters, Daily Times, <www.dailytimes.com.pk/default.asp?page=story_25-2-2004_pg4_3>, 25 févr. 2004.

(٤) ينظر، توم هوندي، "المجموعات تتنافس للسيطرة على المدينة الغنية بالنفط: التوترات العرقية بين الكورد والعرب والتركيمن تنفجر على السطح في كركوك"، منبر شيكاغو

<www.chicagotribune.com>, 1er févr. 2004.

(٥) "٨٤١١٣ مستوطناً عربياً عادوا إلى منازلهم الأصلية"

TheKurdistani.com, <www.thekurdistani.com/news/index.php?option=com_content&task=view&id=851&Itemid=2>, 30 sept. 2005.

ليسوا من كركوك، وحتى بعض الكورد الأتراك الذين لجأوا سابقاً إلى مخيم مخمور، إلى المنطقة "الكوردية". والعرب الشيعة المقربون من الإمام الراديكالي الشاب مقتدى الصدر الذين اتهموا الكورد بالردة ودفعوهم للفرار من مدن مثل سامراء إلى كركوك أو السليمانية، يحظون بدعم التركمان والشيعة ويرفضون مغادرة المدينة. قاموا بتخزين الأسلحة في المساجد^(٢). بعد انتخابات كانون الثاني ٢٠٠٥، هاجم ممثل الجبهة التركمانية في الولايات المتحدة، أورهان كيتين، "الجماعات الإرهابية الكوردية" التي تسيطر على وسط المدينة والإدارات^(٣).

ومع تزايد توتر الوضع، تم تشكيل لجنة تطبيع بموافقة الحكومة والرئاسة والقوات متعددة الجنسيات وممثلي الكورد. وكان على رأسها حميد مجيد موسى سكرتير الحزب الشيوعي العراقي الذي يؤيد فكرة الاستفتاء بعد رحيل العرب المزروع في إطار سياسة التعريب (على عكس من جاء من هناك). وقال إن ترك السؤال دون إجابة سيخاطر بحدوث انفجار في العملية الجارية. لكن من الصعب عليه أن ينجز مهمته، لأن العرب في المقام الأول الشيخ حسين الجبوري الذي يقود التجمع العربي، مثل التركمان، يتهمونه بالوقوف إلى جانب الكورد ومعادتهم لقضية. .

عبدالرحمن مصطفى فتاح، محافظ كركوك، يدعمه نوري الطالباني عضو البرلمان الكوردي، يأسف هو الآخر على قلة الإرادة في المناصب العليا^(٤). ... والأسوأ من ذلك أننا نميل أحياناً إلى المواجهة المفتوحة، مثلما طلب رئيس الوزراء إبراهيم الجعفري في ٦ حزيران ٢٠٠٥، خلال رحلة إلى تركيا، إقالة (٣٠٠٠) مسئول كوردي، بينهم (١٣٧) ضابط شرطة: تدخل الرئيس الطالباني على الفور في المجلس الوطني، لرفع هذا الإجراء^(٥). . . .

وحتى لو كان مسعود البارزاني وكذلك جلال الطالباني المسؤولين الكورديان، ما زالوا يؤكدان في تموز ٢٠٠٥، خلال مؤتمر صحفي عقد في دوكان، في كوردستان العراق، وجود اتفاق على هذا الملف بين الائتلاف العراقي الموحد (الشيوعي) والحزب. التحالف الكوردستاني، افتراضاً أن على الحكومة اتخاذ إجراءات لتطبيق المادة ٥٨ من لاتفاقية مناهضة التعذيب قبل الاستفتاء على الدستور. وأصر مسعود البارزاني عليها في تشرين الثاني ٢٠٠٥: الحكومة لم تف بالتزاماتها بشأن كركوك بينما أبدى الكورد مرونة

(٢) ينظر جورج باكر، مرجع مذكور سابقاً .

(٣) الجبهة التركمانية: "فقدنا كركوك"، مجلة الأسبوعية التركية.

<www. turkishweekly. net/ news. php ? id= 15104>, 15 juil. 2005.

(٤) "سياسيون وأكاديميون يطالبون بتنفيذ القانون العراقي المؤقت لإدارة الدولة"، المنذر .

<www. almenhdhar. com/ english_6453/ news. asp>, 26 sept. 2005.

(٥) إيفاد ١٠ حزيران ٢٠٠٥، <www. بوكميديا. كوم>. كما يعارض عمار الحكيم، عضو المجلس الأعلى للشورة الإسلامية في العراق (ASRII)، الشيعي، بحسب صحيفة الوطن، ضم كركوك إلى المنطقة الكوردية. المرجع نفسه، ٨ حزيران ٢٠٠٥.

كبيرة حتى تنجح العملية الدستورية^(٢)، وهذا بينما المادة ١٢٠ من الدستور تتعارض مع لم تعد تحظر أحكام لاتفاقية كركوك إنشاء منطقة حكم ذاتي، فهذه المنطقة لديها بموجب المواد ١١٢ إلى ١١٦، هيئة التدريس تتحد مع المحافظات الأخرى، بعد الاستفتاء، لتشكيل إقليم، وأن المادة ١٣٦ تعطي صراحة سكان كركوك. المدينة إمكانية تقرير مستقبلهم عن طريق الاستفتاء.

وهذه نقطة عقدية من وجهة نظر (إعادة) البناء الوطني لأنها مرتبطة بتخصيص وتقاسم العمليات النفطية: يقال إن منطقة كركوك بها احتياطات تزيد عن (١٠) مليارات برميل^(٣). و (١٠٨) من الدستور يعهد بإدارة النفط الخام والغاز إلى الحكومة المركزية (التي يسيطر عليها الشيعة)، بالتشاور مع المحافظات المعنية؛ لكنها تستهدف بدقة أكثر المواقع العاملة، وكأن الاحتياطات من جهة، والودائع التي سيتم إعادة تأهيلها من جهة أخرى، ستكون موضوع معاملات بين الحكومة والأقاليم أو المحافظات. لذلك يتم إعطاء الأفضلية للكورد، في كركوك، ضد الشيعة الذين خدموا بالفعل على نطاق واسع^(٤).

الناش حول استعادة الجنسية العراقية وحق تصويت المنفيين:

في تموز ٢٠٠٣، أعاد الحاكم المدني للعراق بول بريمر الجنسية إلى العراقيين الذين طردهم النظام القديم، وأكدت المادة ١١ من قانون الجنسية اللاحق هذا القرار لكل من حرموا منه لأسباب سياسية أو دينية أو عرقية. وتُلغى قوانين الجنسية التي يعود تاريخها إلى عام ١٩٢٤، والقوانين والمراسيم الصادرة منذ عام ١٩٦٣ من قبل مجلس قيادة الثورة. وتعترف المادة ١٨ من الدستور بالحق في الجنسية العراقية لأطفال الشتات وتسمح بازدياد الجنسية، بينما تحظر المادة ٤٢ النفي القسري. وطالبت الأحزاب الشيعية، بصوت آية الله السيستاني على وجه الخصوص، وكذلك الأحزاب الكردية، بالسماح للمغتربين بالتصويت في انتخابات ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥، وهو ما رفضه السنة،

(٢) يراجع كاريل مورفي، خالد صفار، "الجمعية العراقية تحدد موعداً جديداً لاختيار القادة - الشيعة مرة أخرى، الكورد يوقعون اتفاقاً مبدئياً"، واشنطن بوست، ٢٧ آذار ٢٠٠٥؛ "الكورد يجب أن يكونوا قادرين على العودة إلى كركوك الآن: رئيس العراق"

AFP, <www. puk. org/ web/ htm/ news/ news/ news050703.html>, 2 juil. 2003.

(٣) ينظر، عدنان حسين، "بارزاني: سنركز على قضايا الديمقراطية وكركوك في العراق"، الشرق الأوسط.

Peyamaazadi.com, <www. peyemaazadi. com/ modules. php ? name= News&file=article&sid=536>, 9 nov. 2005

(٤) جلال الطالباني لم يكن معارضاً للسيطرة الفيدرالية على النفط مقابل التطبيع. ينظر كاثلين ريدولفو، "الكورد يتخذون موقفاً متشدداً من الدستور العراقي"، راديو أوربا الحرة

<www. rferl. org/ reports/ iraq-report/ 2005/ 08/ 26-120805. asp>, 8 août 2005.

معتبرين أن وزنهم الانتخابي سوف ينخفض. ومع ذلك، كان على المغتربين فقط تقديم وثيقة صادرة عن خدمات دولة أو وكالة دولية من أجل التصويت.

لكن عودة العديد من المنفيين تأتي في مواجهة حملات تشويه، وإقصاء خاصة من جانب السنة. لذلك اقترحت الحركة الوطنية المتحدة، التي ينتمي إليها الشيعة الإيرانيون، أن يُطلب من المرشحين الرئاسيين إثبات أن والديهم مواطنون عراقيون وفقاً للقوانين القديمة المعمول بها، أعضاء من AS-RII وجناحها المسلح، كتائب بدر، المعينين في مناصب رئيسة في محافظات واسط والمانثي والبصرة وميسان، وهم متهمون بالتواطؤ مع إيران.

بالمقابل، يعتقد المسؤولون الشيعة مثل مقتدى الصدر أن المنفيين يمثلون مصالح قوى أجنبية، وأن الجنسية المزدوجة مع إسرائيل أو دولة مسيحية، من شأنها تقويض الهوية العربية الإسلامية للبلاد. وعلى العكس من ذلك، فإن الحركة الديمقراطية الآشورية تطالب بعودة اللاجئين من قبل عام ١٩٦٣ - أول انقلاب لحزب البعث، التاريخ الذي اختارته الحكومة العراقية^(١) - حتى يتمكن الآلاف من الآشوريين الكلدان، ممن فروا من العراق بعد مجازر سيميل عام ١٩٣٣.

وأخيراً، تجدر الإشارة إلى أن الفقرة ٥ من المادة ١٨ من الدستور الذي اعتمده مجلس النواب العراقي في آب ٢٠٠٥، تنص على أنه لا يمكن إسناد الجنسية، لغرض تعديل التوازن الديموغرافي للبلد^(٢).

(١) عتقد البعض أنه كان من الممكن اختيار عام ١٩٦٣ من أجل منع اليهود من التقدم بطلب للحصول على الجنسية العراقية، الأمر الذي كان سيمكن من اختيار تاريخ سابق.

(*)Françoise Brié: Irak : au pays des déportés, Dans Outre-Terre 2006/1 (no 14)

محمد صلاح هلاي: القضية الكردية أمام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان

في مقاله المعنون أعلاه، بدوره، يضعنا الباحث محمد صلاح هلاي في صورة الحدث التاريخي، بمقدار ما يجعل الحدث الأيلولي، وهو في مرتقاه الكردي أكثر قرباً من ذاكرة المكان الذي يشغلنا جميعاً.

في المجال القانوني، وفي المجال التاريخي بالتوازي مع ما هو سياسي، يتشكل تاريخ من نوع آخر. إنه تاريخ القوة الضاربة، والتي لا ينتبه إليها، كما تستحق، لرؤية مفارقات القضية وكيفية تصريفها هنا وهناك.

إن القيمة التاريخية لمقال منقول كغيره عن الفرنسية، شهادة قانونية، استقصائية لمعرفة المزيد مما هو خفي تاريخياً: يخضع الشعب الكردي لعدة سيادات وبالتالي يخضع لعدة دول لأن كوردستان مجزأة.

تسمي الأمة الكردية نفسها أمة بدون دولة على أرض تمتد على شكل هلال بمساحة مماثلة لتلك الموجودة في فرنسا، أي ما يزيد قليلاً عن ٥٣٠,٠٠٠ كيلومتر مربع تقابل منطقة تمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى الفارسي. يبدأ الخليج من شرق تركيا، ويمتد على المناطق الشمالية من العراق الحالي ويمتد على الحدود الإيرانية إلى شواطئ الخليج^(١)....

وقد تعرض الكورد في تركيا للاضطهاد، خاصة في نهاية الإمبراطورية العثمانية عام ١٩٢٣ حتى يومنا هذا وبدرجات متفاوتة.

وسيؤدي مجيء نظام عسكري وعلماني بعد الحرب العظمى، في ظل حكم والد الأمة التركية (أتاتورك)، إلى قمع رهيب، عقب تمرد الكورد، من خلال حالات إعدام (في أسوأ الأحوال) وحظر (في أحسن الأحوال). واللغة الكردية ممنوعة الآن، مما يجبر هذه الأقلية على تنظيم نفسها ثقافياً.

وقد ورد بلسان كايمك وداد Kaymak Wedad; أن الأمة الكردية محكوم عليها بالإبادة. وبالتالي "لم يعد الاستيعاب عملياً. وكان لابد أيضاً من إبادة الكورد، الذين، علاوة على ذلك، يختلفون عن الأرمن دينياً فقط"^(٢).... وعندما استرجعنا الأحداث الماضية علمنا بمصير الأرمن ...

وهكذا، فإن الممثل التركي في مؤتمر لوزان، عصمت إينونو، لم يتوقف أبداً عن التقليل من شأن حالة الكورد من خلال التأكيد على أن "الكورد لا يختلفون بأي شكل عن الأتراك، بينما يتحدثون لغات مختلفة، فإن هذين الشعبين يشكلان كتلة واحدة. من وجهة نظر العرق والإيمان والأخلاق"^(٣)....

(١) ينظر، ش. موري- بوا، الكورد، الموسوعة الشاملة، صص ٢١-١.

(٢) و. كايمك، دقة التاريخ الكردي من العصور القديمة حتى يومنا هذا، منشورات. ايجي، ١٩٩٦، ص ١٧٨.

(٣) أ. و. غونجيز، تغريب تركيا، باريس، هارماتان، ١٩٨٥، ص ١٢٦.

ولم يكن هذا الموقف موقف القوى المنتصرة التي اعترفت ضمناً في القسم ٣ من معاهدة لوزان بالأقلية الكوردية وحققها في التحدث بلغتها، بما في ذلك في المحكمة.

إن تفسير السلطات التركية لوضع الأقلية يمكن أن يتوافق فقط مع الأقليات غير المسلمة، أي اليونانيين والأرمن، لأنهم ليسوا مسلمين.

علاوة على ذلك، فإنه في اللغة الإدارية، سيشار إلى كورد تركيا من الآن فصاعداً وفقاً لأتاتورك على أنهم أتراك الجبل. إنهم ملزمون بالتحدث باللغة التركية واستخدام الأبجدية الرسمية، التي أنشئت عام ١٩٢٨ بموجب القانون ١٣٥٣، الذي يمنعهم من تبني الأسماء الأولى الكوردية بسبب بعض الأحرف (Q و W و X) غير الواردة في هذه الأبجدية الجديدة والتي ستفعل ذلك. أدى، بعد أقل من قرن بقليل، إلى صدور حكم من المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان^(١)، يعترف بالدولة التركية بهامش تقدير في هذه المسألة. ومن ناحية أخرى، فإن تركيا مدانة لرفضها تصحيح هجاء الاسم الأول "جوسيل" (تركي) إلى "جوسيل" Gösel (كوردي) دون أي سند قانوني حقيقي، والمشتكي من "التتريك"^(٢)....

هناك عنصر إضافي يخاطر بالتأثير على القضية الكوردية سياسياً بسبب طلب تركيا الانضمام إلى عضوية المجموعات الأوروبية، التي أصبحت الآن الاتحاد الأوروبي. وتجدر الإشارة إلى أن تركيا جزء من مجلس أوربا وقد انضمت إليه بالفعل في وقت مبكر جداً (عام ١٩٤٩). وهي من الدول الموقعة على الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان في ٤ تشرين الثاني ١٩٥٠، والتي سيتم التصديق عليها في ١٨ أيار ١٩٥٤.

ويمنح الانضمام إلى مجلس أوربا والتصديق على الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان نوعاً من براءة اختراع للديمقراطية، وغرفة انتظار تؤدي إلى الاتحاد الأوروبي.

وكانت تركيا قد بدأت عملية الارتباط مع الجماعات الأوروبية منذ عام ١٩٥٩ وتأتي ثمارها في عام ١٩٦٣.

لوضع كل الفرص إلى جانبها، على الرغم من حالة التمرد الداخلية، اعترفت تركيا في ٢٨ كانون الثاني ١٩٨٧ بالحق في الالتماس الفردي وبعد ذلك بقليل بالولاية القضائية الإجبارية للمحكمة. وهذه الخطوات عفا عليها الزمن الآن بسبب البروتوكول ١١ لعام ١٩٩٨، تعديل الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان.

وفي الوقت نفسه، ومنذ عام ١٩٨٤، في مواجهة الانتفاضة الكوردية بقيادة حزب العمال الكوردستاني، المصنف على أنه منظمة إرهابية، وزعيمها أوجلان، المعروف باسم آبو، ستعزز تركيا

(١) المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان CEDH، كمال تاسكين وآخرون. تركيا، ٢٠١٠/٢٢/٢. الطلبات رقم ٠٤/٣٧٠٢٨، ٠٤/٤٣٦٨، ٠٤/٤٥٣٧٦، ٠٥/١٢٨٨١، ٠٥/٢٨٦٩٧ و ٠٥/٤٥٦٠٩. المحكمة لم تجد انتهاكات للمواد ٨ و ١٤.

(٢) المحكمة الأوروبية...، غوسيل أرداغوز، تركيا، بتاريخ ٢١ تشرين الأول ٢٠٠٨، طلب رقم ٠٢/٣٧٤٨٣.

ترسانتها التشريعية بينما تشن حرب حقيقية على الارهابيين في نظر البعض..المقاتلين الكورد في نظر آخرين résistants Kurdes pour les autres

ستستخدم تركيا السلاح القضائي ضد الثوار الكورد وضد الأتراك الذين يدعمونهم، والمحامين والصحفيين والنواب... ومع ذلك، فإن حقيقة قبولها، وحق الاستئناف الفردي واختصاص محكمة ستراسبورغ، سوف تحولت إلى ارتداد قضائي، حيث ستكون تركيا موضوع العديد من الإدانات التي ستزداد، من بضع مئات من الطلبات في عام ١٩٩١ إلى الآلاف. ففي عام ٢٠١٣، تم تسجيل (٩١٩٨) طلباً من قبل المحكمة، التي رفضت (٩٠٠٨)، وأصدرت (١٢٤) حكماً، وجد (١١٨) منها انتهاكاً واحداً على الأقل.

بالطبع كل هذه القضايا لا تتعلق بالمسألة الكوردية ولكن نصفها على الأقل وتذكر المحكمة "أن عدداً كبيراً من الطلبات ضد تركيا تتعلق بالحق في حرية التجمع أو استخدام القوة المفرطة من قبل الشرطة أثناء المظاهرات معلقة حالياً". وبالنظر إلى الجانب المنهجي للمشكلة، فإنه يدعو السلطات التركية إلى تبني، بموجب التزاماتها بموجب المادة ٤٦ من الاتفاقية، تدابير عامة تهدف إلى ضمان عدم تكرار الانتهاكات المماثلة^(١).

كيف تعرف هذه الانتهاكات؟ أولاً، الحقائق المبلّغ عنها تهم الكورد عبر أسمائهم، إنما هناك قبل كل شيء مؤشر واحد، وهو التدخل في العملية القضائية لمنظمة غير حكومية تابعة لمشاريع حقوق الإنسان الكوردية، ومقرها لندن.

وبالتالي، فإن لجوء كورد تركيا إلى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان كان نتيجة لإضفاء الطابع القضائي على نزاع سياسي، وهذا هو الهدف الذي يسعى إليه المتقدمون الكورد، مما أدى إلى سيطرة سياسية ضرورية على المسائل القضائية من قبل الرأي العام ومن خلال المؤسسات الأوروبية.

أ - محاولة تقنين صراع سياسي

تعطي تركيا، مثل أي دولة، الأولوية لحماية النظام العام والأمن القومي، مما يضر أحياناً بالحريات الفردية وبالتالي ينتهك الحقوق المنصوص عليها في الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان (المواد ٢ و ٣ و ٤) التي تندرج في إطار القانون الصارم. جوهر الاتفاقية، الحقوق اللازمة ضد التعسف (المادتان ٥ و ٦) والحقوق المشروطة (المواد ٨ و ٩ و ١٠ و ١١).

وتتمثل استراتيجية الكورد، المدعومة من قبل مختلف الجمعيات والمنظمات غير الحكومية، غير القادرين على تأكيد حقهم في تركيا في مواجهة عدالة تعتبر متحيزة، في إخراج النزاع القانوني عن طريق الإحالة إلى (ICCPR) والأوروبي. (المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان) الهيئات^(٢). وإن استخدام

(١) المحكمة الأوروبية... الحكم الصادر في ٢٣-٧-٢٠١٣، Izic، تركيا.

(٢) بيرتراند وإي. ريجوني، "الأتراك والكورد والقبارصة أمام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان: تحدي قانوني للمسائل السياسية" دراسات دولية، أيلول ٢٠٠٠، ص. ٤١٣ وما بعد.

المنتديات الدولية سيعطي مزيداً من الوضوح للكورد الذين تعتبرهم هجمات حزب العمال الكوردستاني إرهابيين بالنسبة للبعض ومقاومة للبعض الآخر^(١).

١- تضاعف علاجات الأقلية الكوردية ضد تركيا

يمكن مقارنة تعدد النداءات من قبل كورد الأتراك^(٢) ضد تركيا بتكاثر الطعون من قبل القبارصة ضد تركيا نفسها بسبب استحالة الوصول إلى ممتلكاتهم في الأراضي المحتلة لشمال قبرص وتركيا. استمتع بها.

ومع ذلك، فإن الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان لا تهدف إلى حماية الأقليات على هذا النحو لأن محكمة ستراسبورغ تحكمها بشكل ملموس وليس مجرد. وعلاوة على ذلك، أثناء الأعمال التحضيرية المتعلقة بالاتفاقية المقبلة لحماية الحقوق والحريات الأساسية في عام ١٩٤٩، لم تعتمد الجمعية الاستشارية لمجلس أوربا المقترحات الرامية إلى تضمين الاتفاقية مسألة حماية الأقليات^(٣). تم البت في قضية الأقليات هذه أيضاً في وقت مبكر من قبل المفوضية الأوروبية لحقوق الإنسان، والتي أعلنت عدم قبول طلب من أقلية لابون *la minorité Lapone*^(٤).

ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن المحكمة أكدت دائماً أن الاتفاقية هي أداة حية يجب تفسيرها في ضوء الظروف الحالية. هذه صياغة كلاسيكية للمحكمة وفقاً للسوابق القضائية المستقرة^(٥). وهذه هي الحجة التي قدمتها تركيا بالضبط لتبرير استخدام بند عدم التقيد في المادة ١٥ من الاتفاقية من خلال مطالبة المحكمة بتفسيرها في ضوء عناصر جديدة، مثل مكافحة الإرهاب. سترفض كل من اللجنة والمحكمة حجج تركيا.

قامت تركيا، وفقاً لالتزاماتها بموجب الاتفاقية والنظام الأساسي لمجلس أوربا، بإبلاغ لجنة الوزراء من خلال الأمين العام بأنها تحتج بالمادة ١٥ على النحو التالي: "تتعرض جمهورية تركيا لتهديدات لأمنها القومي في جنوب شرق الأناضول، والتي ازداد حجمها وشدتها في الأشهر الأخيرة إلى درجة تشكل تهديداً لحياة الأمة بالمعنى المقصود في المادة ١٥. وفي عام ١٩٨٩ قُتل (١٣٦) مدنياً و (١٥٣) من أفراد قوات الأمن إثر أعمال إرهابية كان مرتكبوها ينطلقون أحياناً من قواعد أجنبية".

(١) ريجوني، "من عملية الهوية الكوردية إلى بسط السيادة التركية"، دفاثر دراسية حول شرق المتوسط والعالم التركي الإيراني، عدد ٣٠، كانون الأول، ٢٠٠٠، ص. ٢١١.

(٢) ينظر، محكمة أموهان قبلان، في تركيا في ٢٠١٢، ٢٠٠٣، ٢٠١٢، وجدت المحكمة انتهاكاً للمادة ٦ الفقرة ١ ويطلب إجراء الحكم التجريبي لجميع القضايا المتعلقة بنفس القضية العامة لطول الإجراءات القضائية ويطلب من تركيا تصحيح هذا الأمر و ٢٣٧٣ طلباً معلقاً اعتباراً من ٣١ كانون الأول ٢٠١١ وجميع الطلبات المقدمة قبل ٢٢ أيلول، التاريخ المفترض للائتمثال لمتطلبات الاتفاقية.

(٣) مقال مقترح بقلم هيرمود كانونج، ٣٠ آب، ١٩٤٩، الأعمال التحضيرية، ١٩٧٥، المجلد ١، ص. ١٨٠-١٨٢.

(٤) غ.س، الترويج، تشرين الأول ١٩٨٣، رقم ١١/٩٢٧٨، ٨١، و ٨١/٩٤١٥.

(٥) ف. تيرير- رويوم، المملكة المتحدة ٢٥ نيسان ١٩٧٨، رقم ٧٢/٥٨٥٦. سويرنغ- رويوم، المملكة المتحدة، ٧ تموز ١٩٨٩، رقم ٨٧/١٤٠٣٨.

وزعمت السلطات التركية أن الأمن القومي مهدد بشكل رئيس في المحافظات^(٦).
 وسيسمح هذا الوضع للسلطات التركية، في عام ١٩٩٠، بزيادة السلطات التقديرية لرئيس المحكمة العليا، تطبيقاً للمرسومين بقوانين ٤٢٤ و ٤٢٥ على أساس المادة ١٢١ من الدستور.
 وقد توقعت تركيا من خلال إبداء تحفظات جوهرية عند إعلان قبولها لحق التماس فردي، ثم الولاية الإجبارية للمحكمة، من أجل الحد من نطاق التزامها المعياري. وهكذا وجدت المفوضية الأوروبية لحقوق الإنسان مخالفة للاتفاقية الإعلان التفسيري لتركيا المرفق بقبولها في ٢٨ كانون الثاني ١٩٨٧ لحق تقديم التماس فردي^(١)... والذي قيد، من حيث الموقع (على الأراضي التركية فقط، عدم دمج شمال قبرص) والاختصاص الموضوعي فيما يتعلق بالنظام التأديبي للقوات المسلحة، ستبطل المحكمة هذه القيود دون إبطال إعلان القبول^(٢).
 وبالنسبة للمحكمة، لا يمكن للمرء أن يختبئ وراء حق عدم التقيد بانتهاك النواة الصلبة للاتفاقية، ولا سيما المادة ٣، وهي قيمة أساسية للمجتمعات الديمقراطية.
 ولن تأخذ تركيا علماً بهذه السوابق القضائية^(٣) حتى عام ٢٠٠٢ عندما ترفع حالة الطوارئ في الجنوب الشرقي. بالإضافة إلى ذلك، في مواجهة حالات الاختفاء المقلقة والاستفادة من السوابق القضائية لمحكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان، تؤكد محكمة ستراسبورغ على التزام تركيا الإيجابي باتخاذ تدابير فعالة لمعالجة خطر الاختفاء^(٤)... أو خطر الاحتجاز التعسفي، أو الاحتجاز غير المعترف به لفرد^(٥)، لا سيما في مسائل الحجز لدى الشرطة. انتهى الأمر بالمحكمة إلى عدم الثقة في السجلات الرسمية بشأن هذه المسألة، وبالتالي تعديل نظام الحجز من خلال توفير الضمانات التي ستنتهي بفرنسا، علاوة على ذلك، إلى تبنيها.
 وإن استئناف الكورد الأتراك أمام محكمة ستراسبورغ سيكون له تأثير كبير على تكوين المحاكم بسبب وجود قضاة عسكريين. لا يمكن الطمأنة على وجود جنود في محكمة لمحاكمة المدنيين، لا سيما فيما يتعلق بشرط الحياد. وتعتبر المحكمة أن المدني الذي يحاكمه الجنود، حتى في محاكم أمن الدولة الأقلية، يمكن أن يثير مخاوف بشأن الحياد بصورة مشروعة^(٦).

(٦) الأماكن المذكورة: الأزيغ، بينغول، تونجلي، وان، دياربكر، باتمان... أي جزء كبير من جنوب شرق الأناضول.
 (١) زانغي، "إعلان تركيا المتعلق بالمادة ٢٥ من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان"، RGDIP، ١٩٨٩، ص. ٦٩.
 (٢) ف.كريسوستوموس. تركيا في ١١ كانون الثاني ١٩٩١، لوازيدوف. تركيا من ٢٣،٠٣،١٩٩٥ ومن ١٨،١٢،١٩٩٦، غرفة كبيرة .
 (٣) ينظر. المحكمة الأوروبية... دمر، تركيا في ٢٣ - ٩ - ١٩٩٨، وقضية أكسوي. تركيا من ١٨/١٢/١٩٩٦.
 (٤) ج.بينزيمارا-هازان، "الاختفاء القسري للأشخاص وحماية الحق في السلامة: منهجية محكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان"، م تريم، عدد ٤٧، تموز ٢٠٠١، ص. ٧٧٣-٨٠٤. ٧. تيمورتاش، تركيا من ١٣-٦/٢٠٠٠.
 (٥) إشر-كورت، تركيا في ٢٥-٥، ١٩٩٨، وساكيجه، تركيا من ٨-٧/١٩٩٩.
 (٦) جیده- إنكال، ١٩٩٨، ٦-٩، ص ٧٢.

وستجبر سلسلة من الإدانات تركيا على تغيير تركيبة المحاكم من خلال إلغاء وجود القضاة العسكريين، حتى في الأقلية. سيسمح هذا التعديل بقانون ١٨,٠٦,١٩٩٩ بمحاكمة الزعيم الكوردي أوجلان من قبل قضاة مدنيين^(٧) وسيتم استبدال محاكم أمن الدولة في عام ٢٠٠٤ بمحاكم جنائيات. وقد ارتكبت السلطات التركية أسوأ الفظائع بين عامي ١٩٨٧ و ٢٠٠٠، أي وقت اشتداد النضال من قبل حزب العمال الكوردستاني والهجمات التي وصفت بالإرهابيين. ستكون أعمال التعذيب بحق السجناء الكورد موضوع إدانات عديدة بموجب المادة ٣ من الاتفاقية^(٨)....

صحيح أن القانون التركي لمثل هذه الأفعال ينص على فرض غرامات على مرتكبي التعذيب قبل عام ٢٠٠٣. وذلك عام محوري حيث ستغير تركيا استراتيجيتها.

في سجل مختلف تمامًا، ستتاح للمحكمة الفرصة لوضع قانون خاص بالكورد فيما يتعلق بظروف الاحتجاز، والمحاكمة العادلة، أثناء النظر في الطعون المختلفة للزعيم الكوردي. إن إلقاء القبض على السيد أوجلان وحكم الإعدام المحتمل عليه سيعطي المحكمة الفرصة للحكم في عقوبة الإعدام، على الرغم من أنه تم النص عليها منذ عام ١٩٥٠ في المادة ٢ من الاتفاقية، ولكن يبدو أن ممارسات الدول والبروتوكولات المختلفة ترسيخ نوع من العرف الإقليمي الذي يستبعد مثل هذه العقوبة^(٩).

ب- قضية أوجلان: قضية عقوبة الإعدام وظروف التوقيف

أصدرت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان حكماً في الدائرة في ١٨ آذار ٢٠١٤ في قضية أوجلان ضد تركيا، وهو حكم أصبح نهائياً في ١٣ تشرين الأول ٢٠١٤^(١٠). ودون إحالة القضية إلى الغرفة الكبرى من قبل أي من الطرفين، مما ينذر بنوع من الطعن السياسي والقضائي، خاصة وأن هذا هو الحكم الثاني بعد الحكم الصادر في ١٢ أيار ٢٠٠٥ من قبل الغرفة الكبرى^(١١).

وكان مؤيدو السيد أوجلان ينتظرون بفارغ الصبر حكم الدائرة الكبرى في ذلك الوقت على أمل إدانة الدولة التركية بالمعنى السياسي للمصطلح.

الحجة الأولى التي قدمها الزعيم الكوردي تتعلق باعتقاله من قبل قوات الأمن الكينية والتركية ونقله من كينيا إلى تركيا. وقد رفضت المحكمة هذه الحجج على أساس عدم تعارض هذه الوسائل مع "استخدامات القانون

(٧) ينظر أدناه.

(٨) إشر-أكسوي، تركيا في ٨-١٢/١٩٩٦ وعن أعمال العنف الجنسي، أيدين. تركيا من ٢٥-٩/١٩٩٧.

(٩) ج.ف.فلوس، "القانون الدولي العام في السوابق القضائية للمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان" في القانون الدولي وحقوق الإنسان والولاية القضائية الدولية، برويلان، ٢٠٠٤، ص. ٨٢.

(١٠) أوجلان، تركيا في ١٣,١٠,٢٠١٤، المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان.

(١١) أوجلان، تركيا بتاريخ ١٢-٥/٢٠٠٥، CEDH.GC.

الدولي"^(٥) من خلال التذرع بالسوابق القضائية المتعلقة بقضية إيش سانشير راميريز، المعروفة باسم "كارلوس"، التي سلمتها السلطات السودانية إلى المصالح الفرنسية .. بدون اتفاقية تسليم المجرمين أو قضية ألتمان "باري"^(٦).
الحجة الثانية التي قبلتها المحكمة تتعلق بالحياد الموضوعي لمحكمة أمن الدولة بسبب حضور قاض عسكري في بداية المحاكمة. وكانت قد أدانت تركيا بالفعل في حكم إنكال، محدداً "أن مقدم الطلب يمكن أن يكون لديه شكوك شرعية بشأن استقلال وحياد محكمة أمن الدولة، بسبب وجود قاضيين مدنيين إلى جانب قاضيين مدنيين، قاضي تحقيق عسكري"^(٧)، ولكن كانت المحكمة منقسمة تماماً حول هذه النقطة^(٨).
ومع ذلك، قام إنكال Incal بتعديل الدستور ثم تشريعاته بحيث يقتصر حضور القضاة المدنيين على محاكم أمن الدولة.

وأصبح التعديل ساري المفعول في ١٨ حزيران ١٩٩٩ بأثر فوري، ومن هنا تم استبدال القاضي العسكري في بداية محاكمة أوجلان.

علاوة على ذلك، تهنئ تركيا على السرعة من قبل القضاة المعارضين الذين سيقدرون رد فعل الدول الأعضاء بالسرعة والفعالية بعد صدور حكم بالإدانة، كما كان الحال في قضية إنكال.
ولا ينبغي لهذا أن يحجب حقيقة أن حكم الإعدام عقب محاكمة غير عادلة يشكل انتهاكاً للمادة ٣ من الاتفاقية.

يعتقد القاضي غارليكي أنه كان ينبغي للمحكمة أن تتبع المنطق في إعلان أن عقوبة الإعدام تتعارض مع المادة ٣؛ في الواقع، ينبغي تعديل المادة ٢ من الاتفاقية، التي تجيز في صياغتها لعام ١٩٤٩ عقوبة الإعدام إذا صدرت عن محكمة مستقلة ومحايدة على الرغم من الوجود اللاحق للبروتوكولين ٦ و ١٣ لإلغاء عقوبة الإعدام في زمن السلم وفي زمن الحرب، لكن العديد من الدول لم تصدق، ولا سيما الأخيرة.

(٥) قضت المحكمة بأنه "فيما يتعلق بالعلاقات في مسائل تسليم المجرمين بين دولة طرف ودولة ليست طرفاً في الاتفاقية، فإن المعايير التي وضعتها معاهدة تسليم المجرمين، أو في حالة عدم وجود مثل هذه المعاهدة، فإن التعاون بين الدول المعنية هي أيضاً: من بين العناصر ذات الصلة لإثبات شرعية الاعتقال المطعون عليه لاحقاً أمامها. لا يشكل تسليم الهارب الناتج عن التعاون بين الدول، في حد ذاته، انتهاكاً لشرعية الاعتقال، وبالتالي لا يمثل مشكلة من وجهة نظر المادة ٥"، الفقرة ٨٧.

(٦) ألتمان. فرنسا، رقم ٨٣/١٠٦٨٩. قرار اللجنة في ٤ تموز ١٩٨٤، ٣٧.

(٧) المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، محاكمة إنكال، تركيا ٩ حزيران ١٩٩٨.

(٨) ينظر، الآراء المخالفة في حكم الدائرة الكبرى لأوجلان، لقضاة المحكمة: وايلدهابر، غوستا، غافليش، تورمين، غازليجي، وبوريجو بوريجو، الذين "يختلفون مع المحكمة ومع الفقرة ١١٦ من الحكم، حيث يكون مقدم الطلب مؤهلاً كمدني. ووجهت إليه اتهامات بالتحريض على جرائم إرهابية خطيرة أدت إلى سقوط آلاف القتلى. يمكنك أن تطلق عليه لقب أمير حرب، وهذا يضع في الاعتبار حقيقة أنه في بداية محاكمته مثل أمام محكمة كان أحد الأعضاء الثلاثة فيها جندياً. يعني النظام القائم على التبعية التعاون المخلص بين ولاية قضائية فوق وطنية مثل محكمتنا والدول التي انضمت إلى النظام (...) إن فرض معايير عالية للغاية ودفعت نظرية المظهر حتى الآن هو وصمة عار خطيرة على التعاون بين الدول والمحكمة".

ومن المسلم به أن المحكمة تستخدم وتسيء استخدام نظرية المثول، ولكن يجب التذكير بأن المدعي قد وجد من قبل محكمة الأمن مذنباً بارتكاب أعمال إرهابية وحكم عليه بالإعدام في حزيران ١٩٩٩. وسوف تذهب تركيا إلى أبعد من ذلك. أن المحكمة الأوروبية لحقوق من قبل إلغاء عقوبة الإعدام في زمن السلم وخُففت العقوبة إلى عقوبة "مشددة" مدى الحياة دون التمكن من الاستفادة يوماً ما من الإفراج المشروط لأن قانون العقوبات التركي الجديد قد شدد العقوبة وهذا بأثر رجعي بالنسبة لأعمال الإرهاب^(١)، وهو ما يفتح الباب أمام استئناف جديد لمحكمة ستراسبورغ، في ضوء الاجتهاد القضائي للمحكمة المذكورة^(٢)....

وبالفعل، فإن حكم الغرفة الصادر في ١٨ آذار ٢٠١٤، والذي أصبح نهائياً، هو حكم متوازن، أي سياسي تماماً، حيث يتم تبني العديد من الحلول بأغلبية ضيقة^(٣) باستثناء مسألة الحكم غير القابل للاختزال. والتي تعتبرها المحكمة معاملة غير إنسانية.

ويشكل هذا الحكم والحجج الواردة فيه نوعاً من التقييم لمسألة احتجاز مقدم الطلب في الحبس الانفرادي، وفي جزيرة اجتاحها الرياح وغالباً ما يتعذر الوصول إليها من قبل الأسرة التي لا تستطيع ممارسة حق الزيارة بانتظام^(٤)، مع العلم أن مقدم الطلب في عزلة تامة.

وباعتراف الجميع، لاحظت المحكمة أن الظروف المادية للسيد أوجلان قد تم تخفيفها إلى حد كبير، بناءً على تقارير اللجنة الأوروبية لمنع التعذيب، التي تشير إلى التحسينات على وجه الخصوص بسبب تشييد مبنى جديد في هذه الجزيرة.

٢- سيطرة الرأي العام والمؤسسات الأوروبية سياسياً على أوضاع الكورد في تركيا

تواجه تركيا تمرداً تصفه بالإرهابي حيث يطالب المتمردون الكورد بحق الشعوب في تقرير المصير. وأصبح الوضع اليوم أكثر تعقيداً بكثير بسبب فشل الجارين العراقيين والسوريين، مع خطر زعزعة

(١) في تشرين الأول ٢٠٠١، تم تعديل المادة ٣٨ من الدستور. من الآن فصاعداً، لا يمكن النطق بعقوبة الإعدام إلا في أوقات الحرب أو الخطر الوشيك أو في حالة الأعمال الإرهابية، ومن هنا جاء القانون رقم ٤٧٧١ المنشور في الجريدة الرسمية في ٩ آب ٢٠٠٢. قررت الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا إلغاء عقوبة الإعدام في زمن السلم.

(٢) لا تستبعد المحكمة إمكانية أن تنص تشريعات دولة عضو على عقوبة بالسجن، لكن يجب أن يحتفظ المحتجز ببعض الأمل في الإفراج عنه. إيشر- فينتر، المملكة المتحدة، GC، ٩ تموز ٢٠١٣.

(٣) قضت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان بأربعة أصوات مقابل ٣ أنه كان هناك انتهاك للمادة فيما يتعلق بظروف الاحتجاز حتى ١٧ تشرين الثاني ٢٠٠٩، بأربعة أصوات مقابل ثلاثة لأنه لم يكن هناك انتهاك للمادة ٨ من ناحية أخرى، أجمعت المحكمة، (هل يمكن أن تفعل غير ذلك؟)، لإدانة تركيا لانتهاكها المادة ٣ بسبب عقوبة السجن المؤبد دون إمكانية الإفراج المشروط.

(٤) التقارير المتاحة على الموقع الإلكتروني لمجلس أوروبا CPT، ١٩٩٩، و ٢٠٠٧ و ٢٠١٠ مع الملاحظات، تنص المادة ٢٥ من القانون رقم ٥٢٧٥ بشأن تنفيذ الأحكام والتدابير الوقائية بتاريخ ١٣/١٢/٢٠٠٤ على أنه يمكن لمقدم الطلب استقبال زيارات عائلية في كل مرة. أسبوعين و لمدة ساعة واحدة، أي ٢٥ زيارة في السنة، بينما كان العدد الفعلي ١٤ في ٢٠٠٥، و ١٣ في ٢٠٠٦، و ٧ في ٢٠٠٧.

استقرار المنطقة، وإجبار تركيا على تعزيز حدودها، لكن بعض المنتقدين يستنكرون لعبة معينة من أجل تجنب دستور كوردستان العزيزة على الشاعر الجزيري Kurdistan chère au poète Djaziri^(٥).

أ- من التمييز ضد الكورد من قبل تركيا إلى حماية الأقليات من قبل المحكمة

يتم تنظيم مسألة الأقلية الكوردية وحرية التعبير في تركيا بشكل صارم، في انتهاك دائم ومتكرر للمادتين ١٠ و ١٤ من الاتفاقية، في ظل الأحكام العديدة للمحكمة بسبب الملاحقات القضائية المستمرة للصحفيين والأحزاب. تعتبر غير موالية للحكومة^(٦).....

يحمي الدستور التركي في مواده من ٢٥ إلى ٣٢ حرية التعبير من حيث المبدأ، لكن هناك قيوداً عديدة تجعل هذا الحق حقاً مشروطاً بصرامة، لا سيما أنه كان ممنوعاً التعبير عن الذات علناً بلغة يحظرها القانون، وهي اللغة الكوردية بوضوح. ينتهك حقوق الأقليات.

سيتم رفع هذا الحظر في عام ٢٠٠١، لكن كان من المتوقع أن تكون المطبوعات باللغة التركية فقط. في المجال السمعي البصري، من الممكن استخدام لغات أخرى غير التركية ولكن بحدود ٤٥ دقيقة في اليوم أو ٤ ساعات في الأسبوع، ولكن هناك استرخاء والمزيد والمزيد من القنوات.

ستعمل المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان أحياناً على مساعدة السلطات التركية، عندما تحد من الحق في حرية التعبير، بما في ذلك عندما يتعلق الأمر بالسياسيين. يتضح هذا من خلال حكم زانا الشهير الذي تعتبره ذلك "إن الدعم المقدم لحزب العمال الكوردستاني، الذي وصفه رئيس بلدية ديار بكر، أهم مدينة في جنوب شرق تركيا، بأنه "حركة تحرير وطني"، في مقابلة نشرت في صحيفة يومية وطنية كبرى، لن يؤدي إلا إلى تفاقم الوضع المتفجر بالفعل في المنطقة"^(٧)..

وبالتالي، فإن رد فعل السلطات التركية يلبي حاجة اجتماعية ملحة وبالتالي لم يتم العثور على انتهاك للمادة (١٠).

وسيقود الوضع الخلافي La situation conflictuelle في كوردستان التركية المحكمة إلى إصدار أحكام تتماشى مع حجج السلطات التركية، من خلال اعتبار أن المعارضين الكورد يلقون خطاب الكراهية وأن تدخل الدولة كان له هدف مشروع^(٨)....

(٥) محمد جزيري ، ١٥٧٠-١٦٤٠ ، مؤلف ديوان (مجموعة أبيات) وأشهرها "أنا وردة من جنة بوثنان ، أنا شعلة ليالي كوردستان".
(٦) المحكمة الأوروبية... ، الحزب الاشتراكي وآخرون. تركيا، ٢٥-١٩٩٨/٥. حزب الحرية والديمقراطية (أوزديب) ج. تركيا من ٨-١٢/١٩٩٩
غرفة كبيرة يازار. كاراتا. أكسوي وحزب العمل الشعبي . تركيا، هدير- دمير، تركيا من ٤-١٢/٢٠١٠.

(٧) المحكمة الأوروبية... ، مهدي زانا ، تركيا ٢٥-١١/١٩٩٧ ، ص ٦٠.
(٨) بعد دخول البروتوكول رقم ١١ حيز التنفيذ في ١ تشرين الثاني ١٩٩٨ ، ووفقاً للمادة ٥ الفقرة ٥ من البروتوكول المذكور ، عهد بفحص القضية إلى الدائرة الكبرى للمحكمة. قرر رئيس المحكمة م.ل. وإيلدهابر، من أجل حسن إقامة العدل ، إنشاء غرفة كبرى واحدة للنظر في هذه القضية واثنتي عشرة قضية أخرى تركيا ، وهي: كاراتاش. تركيا (طلب رقم ٩٤/٢٣١٦٨) أرسلان ، تركيا (رقم ٩٤/٢٣٤٢٢) ، بولات، تركيا (رقم ٩٤/٢٣٥٠٠) ، سيلان. تركيا (رقم ٩٤/٢٣٥٠٦) أوكجو أوغلو. تركيا (رقم ٩٤/٢٤٢٤٦) جيرجير ، تركيا (رقم ٩٤/٢٤٩١٩) أودوغدو وإينس ضد. تركيا (رقم ٩٤/٢٥٠٦٧ و ٩٤/٢٥٠٦٨) باشكيا وأوكو أوغلو، تركيا (رقم ٩٤/٢٣٥٣٦ و

حكم زانا الثاني^(٢). ستمنح المحكمة الفرصة لإدانة تركيا هذه المرة لانتهاكها المادة ١٠ من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان. أدين المدعي العام السابق لديار بكر في غيابه من قبل المحاكم التركية لإدلائه بتصريحات أمام اللجنة الفرعية لحقوق الإنسان في البرلمان الأوروبي، والتي اعتبرها المدعي العام في محكمة أمن الدولة في أنقرة انتهاكاً. من المادة ٨ الفقرة ١ من القانون رقم ٣٧١٣ بشأن مكافحة الإرهاب. تحسن وضع الكورد كثيراً مقارنة بسنوات الرصاص والقتل والاختفاء والتعذيب المنسوب، وفقاً لعدة أحكام صادرة عن محكمة ستراسبورغ، لصالح السلطات التركية التي تعرضت قوات شرطتها أيضاً لهجمات قاتلة من الكورد. مقاومة^(٤) ..

علاوة على ذلك، تعرض الكورد في تركيا للتمييز الذي لاحظته واستنكرته مؤسسات مجلس أوربا، ولا سيما من قبل المفوضية الأوروبية لمناهضة العنصرية (ECRI)^(١)، من قبل برلمان الاتحاد الأوروبي وكذلك من قبل منظمة العفو الدولية.

ومن حيث المبدأ، لا تهدف الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان إلى حماية الأقليات في حد ذاتها، لكن بعض قضاة المحكمة ليس لديهم كلمات قاسية كافية، ولا سيما القاضي بونيلو الذي يعلن في رأيه المخالف جزئياً: "قد يخلص الشخص العادي الذي يراقب سجلات المحكمة إلى أن أوربا الديمقراطية ظلت على مدى أكثر من نصف قرن خالية من أي شكوك بالعنصرية أو التعصب أو كره الأجانب. وإن أوربا المنعكسة في الاجتهاد القضائي للمحكمة هي ملاذ مثالي للأخوة العرقية، حيث تندمج الشعوب من مختلف الأصول دون أي توتر أو عدم ثقة أو تردد. هذه الحالة فقط تغذي هذا الوهم.

لقد اعترفت المحكمة مراراً وتكراراً بأن أفراد الأقليات الضعيفة قد قُتلوا أو تعرضوا لمعاملة مروعة تتعارض مع المادة ٣؛ ولكن ليس مرة شعرت أن هذه الحقائق مرتبطة بخصوصياتهم العرقية. يتعرض الكورد والسود والمسلمون والغجر وغيرهم للقتل أو التعذيب أو الشلل مراراً وتكراراً، لكن المحكمة لا يمكن أن تقتنع بأن عرقهم أو لونهم أو جنسيتهم أو موطنهم الأصلي له علاقة بذلك. تصيب المصائب أحياناً الأقليات المحرومة، ولكن فقط بسبب الصدفة الميمونة"^(٣).

لا يمكن انتقاد المحكمة لتفاديها الحكم في قضية الأقليات بشكل مجردة لأن لديها إمكانية الحكم في القضايا التمييزية من خلال التطبيق المشترك لانتهاك حق وارد في الاتفاقية من جهة. ومن جهة

٩٤/٢٤٤٠٨، سوريير - أوزدمير، تركيا (رقم ٩٤/٢٣٩٢٧ و ٩٤/٢٤٢٧٧) سوريك، تركيا (رقم ٢) (رقم ٩٤/٢٤١٢٢) سوريك، تركيا (رقم ٣) (رقم ٩٤/٢٤٧٣٥) وسوريك تركيا (رقم ٤) (رقم ٩٤/٢٤٧٦٢).

(٣) المحكمة الأوروبية...، مهدي زانا، تركيا (٢) بتاريخ ٦ نيسان ٢٠٠٤.

(٤) المصدر نفسه...، كايا، تركيا ١٩ شباط ١٩٩٨.

(١) ينظر أدناه.

(٢) المحكمة الأوروبية...، أنغيلوفا بلغاريا في ١٣ حزيران ٢٠٠٢.

أخرى، وتجدر الإشارة إلى أن حماية الأقليات ولغاتهم مشمولة في المواثيق الدولية الأخرى التي لم تنضم إليها تركيا والمؤسسات الأوروبية والعالمية.

وحاولت محكمة ستراسبورغ فتح الاتفاقية على قضايا الأقليات عندما كانت الغرفة الكبرى، في ضوء رفض السلطات البريطانية منح عائلة عجزية تصريح تطوير أرض يسمح لها بالعيش في كرفان على الأرض التي تمتلكها، مع التنصل من السوابق القضائية السابقة^(٣) والاعتبار أن حياة القافلة هي جزء لا يتجزأ من هوية العجز Pidentité tzigane^(٤) لمقدم الطلب لأن هذا جزء من تقليد السفر الطويل الذي تتبعه هذه الأقلية وحكمت على ذلك الإجراءات المتخذة ضد السيدة تشامان "تؤثر أيضًا على قدرتها على الاحتفاظ بهويتها العجزية وأن تعيش حياة خاصة وعائلية وفقًا لهذا التقليد"^(٥).

بناء عليه، تفرض المادة ٨ التزامًا إيجابيًا على الدول الأطراف لتمكين العجز من اتباع أسلوب حياتهم. تتذرع العديد من الطلبات المقدمة من الكورد الأتراك بالمادة ١٤، مما يجبر المحكمة على إعادة النظر في موقفها التقليدي في هذه الشروط "لا تستبعد الغرفة الكبرى إمكانية دعوة الحكومة المدعى عليها، في بعض حالات التمييز المزعوم، إلى دحض شكوى غير موثقة من التمييز (نوع من عكس عبء الإثبات)، وإذا لم تفعل ذلك، فإنها تبحث عن انتهاك مادي للمادة ١٤"^(٦)....

ومع ذلك، يجب تخفيف هذا الأمر لأن المحكمة تواجه صعوبة كبيرة في الاعتراف بالوضع العام للكورد. القاضي مولاروني لا يسيء معاملة القضية الكوردية فيما يتعلق بالأقليات الأخرى ويؤكد في رأيه المخالف أنه في مواجهة جميع طلباته المماثلة التي أدت إلى إدانات المادتين ٢ و ٣ من الاتفاقية، "المحكمة ينبغي على الأقل، [في رأيي]، اعتبار أنه من الممكن أيضًا ظهور مشكلة خطيرة من وجهة نظر

(٣) المصدر نفسه... باكلي، المملكة المتحدة ٢٥ أيلول ١٩٩٦.

(٤) رأى القاضي بيتيتي، في حكم باكلي هذا، هذه إشكالية فيما يتعلق بالأقليات بقوله (وهي حالة سيدينها القاضي بونيلو بشدة في حكم أنغيلوفا أعلاه)، "لم أصوت بأغلبية أعضاء المحكمة. لأنني أعتبر ذلك في في هذه الحالة تم انتهاك المادتين ٨ و ١٤ من الاتفاقية (المادة ٨، المادة ١٤). قبل تحليل الأسباب التي دفعتني إلى هذا الرأي، يجب أن أقدم تفكيراً عاماً. هذه هي المرة الأولى التي تنظر فيها المحكمة في مشكلة تتعلق بمجتمع العجز و "الرحل". تتحمل أوروبا مسئولية خاصة تجاههم. خلال الحرب العالمية الثانية، أخفت الدول الإبادة الجماعية التي تعرض لها العجز. بعد الحرب، استمر هذا الإخفاء المباشر أو غير المباشر (حتى للتعويضات). في جميع أنحاء أوروبا وداخل الدول الأعضاء في مجلس أوروبا، كانت الأقلية العجزية بشكل عام هدفًا للتمييز والرفض والإقصاء، ولم يتم الاعتراف بثقافتها والحياة الاجتماعية التي تدعيها. في الشرق، العودة إلى الديمقراطية لم تخدمه جيدًا. هل يمكن للاتفاقية الأوروبية معالجة هذا الوضع؟ يجب أن تكون الإجابة بالإيجاب، لأن رسالة الاتفاقية هي ضمان حماية الحقوق الأساسية دون تمييز، من خلال التزام إيجابي للدول. هل سمحت الحالة الحالية بتقديم أول طلب إيجابي؟ كان هذا هو السؤال الذي طرحته قضية باكلي للمحكمة".

(١) بينوا روهمر، "محكمة ستراسبورغ وحماية وحماية مصالح الأقلية: خطوة حاسمة إلى الأمام من حيث المبادئ"، RTDH، ٢٠٠١، ص. ٩٩٩ إلى ١٠١٥.

(٢) س.بوديت، "مبدأ عدم التمييز في الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان والأقلية العجزية" في أوروبا للحريات، ٢٠٠١. المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، سلمان، تركيا ٢٧ حزيران ٢٠٠٠.

المادة ١٤^(٣). و سيقدم الملاحظات نفسها في قضية ديزمان^(٤) ويقول إنه لا يفهم الاختلاف في المعاملة مقارنة بحكم ناتشوا ضد بلغاريا.

وتتوخى محكمة ستراسبورغ الحذر أو الحذر عندما يتعلق الأمر بالقضايا الكوردية، وذلك لتلافي إضفاء الصبغة القضائية على نزاع سياسي، وتركيا تخضع للمراقبة من قبل لجنة وزراء مجلس أوروبا في إطار مهمتها المتعلقة بحسن تنفيذ أحكام المحكمة. يمكن لدور الاتحاد الأوروبي أن يشارك في حل النزاع بالنظر إلى طلب تركيا الانضمام.

ب- تركيا تحت المراقبة الخيرية

تركيا عضو في المنظمات الدولية سواء كانت أوروبية أو دولية. في مسائل الديمقراطية، فهي تتوافق مع المعيار المشترك في أكثر الدول ديمقراطية دون أن تفلت، مع ذلك، من انتقادات شديدة ومبررة بشدة، بالنظر إلى الانتهاكات التي خلصت إليها المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان.

وتتولى الرصد لجنة الوزراء، التي تدرج مهمتها بموجب الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، والمفوضية الأوروبية لمناهضة العنصرية والتعصب (ECRI) ولجنة منع حقوق الإنسان. التعذيب دون احتساب مؤسسات الاتحاد الأوروبي والمنظمات غير الحكومية مثل منظمة العفو الدولية.

تتحقق لجنة الوزراء، في إطار مهمتها المتمثلة في مراقبة التنفيذ السليم للأحكام، وتلاحظ أن السلطات التركية تمارس نوعاً من عدم فعالية الإجراءات الوطنية للتحقيق في مزاعم الانتهاكات التي ارتكبتها قوات الأمن الوطني بعد المحاكمة أحكام.

ومن المسلم به أن السلطات تعلن أنها تعمل على تحسين التشريع، وهو متساهل للغاية فيما يتعلق بمحاكمة مسؤولي الدولة الذين يمارسون التعذيب بعد إدانتهم، من خلال تعديل، على سبيل المثال، قانون العقوبات^(١) وإدخال قانون جديد الفقرة فيه. ”المادة ٩٤ من أجل إزالة قانون التقادم المتعلق بجريمة التعذيب، بحيث لا يتم إنهاء الإجراءات الجنائية، وعلاوة على ذلك، بالإضافة إلى أحكام المادة ٣١١ المتعلقة بإعادة فتح الإجراءات، تتماشى المبادرة مع المحكمة، لأن المادة ١٧٢ الجديدة من قانون الإجراءات الجنائية تسمح بإعادة فتح التحقيقات عندما تجد المحكمة أن التحقيقات التي تم الشروع فيها غير فعالة، بحيث يمكن إعادة النظر في شكاوى المتقدمين. خدمات المدعي العام^(٢).”

(٣) المحكمة الأوروبية... كاكو، وكيشمير، تركيا في ٣١-٥/٢٠٠٥.

(٤) المحكمة الأوروبية...ديزمان، تركيا في ٢٠-١٢/٢٠٠٥.

(١) التقرير السنوي السابع للجنة الوزراء ٢٠١٣ بشأن قضية بائي وآخرين. تركيا اعتباراً من ٣ أيلول وخاضعة للمراقبة المستمرة. القانون رقم ٦٤٥٩.

(٢) CM.TUR / Bati وقضايا أخرى مماثلة، الحكم النهائي في ٠٣ أيلول ٢٠٠٤. CM.TUR ديميريل وآخرون، قضايا مماثلة، الحكم النهائي في ٢٨ نيسان ٢٠٠٣.

تمتد المراقبة المستمرة من قبل لجنة الوزراء إلى العديد من المجالات، الاحتجاز السابق للمحاكمة، وحرية التعبير بما في ذلك القضايا القديمة ولكن الرمزية^(٣).

وتجري لجنة الوزراء تحقيقات وتنصح السلطات التركية بتعديل التشريعات الخاصة بحرية التجمع أو استخدام الغاز المسيل للدموع من قبل أفراد قوات الأمن، لإعادة النظر في حظر المادة ٤٢ التي تحظر تدريس اللغات الأم غير التركية في المدارس إلا في تطبيق المعاهدات الدولية.

والسلطات التركية ليست غير حساسة للانتقاد ولكنها ليست رد الفعل الكافي، لذلك لاحظت لجنة الوزراء، في قضية أويا أتمان في ٥ آذار ٢٠٠٧، رد فعل الحكومة التركية التي اتخذت تدابير للحد من ذلك. الاستخدام المفرط للقوة من قبل الشرطة أثناء المظاهرات.

على الرغم من هذه الإجراءات، تنظر المحكمة في قضايا جديدة تثبت وجود انتهاك، فضلاً عن عدم وجود سبل انتصاف فعالة.

ويحدث أحياناً أن تشعر لجنة الوزراء بالرضا عن الإجراءات التي اتخذتها السلطات التركية كما في قضية أوجلان الأولى بينما تلفت انتباه السلطات التركية إلى ظروف اعتقال زعيم حزب العمال الكوردستاني الذي اعتبره حزب العمال الكوردستاني منظمة إرهابية. الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وتركيا.

ومن الصعب تلخيص مراقبة لجنة الوزراء وكثرة النتائج والتوصيات الموجهة إلى السلطات التركية في أعقاب أحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، تليها تعديلات دستورية، وتعديلات تشريعية للقوانين. الإرهابيين بإلغاء المادة ٨^(٤) من القوانين المتعلقة بالصحافة وحرية التعبير.

ويشهد التقرير الأخير للجنة الوزراء^(٥) على الجهود التي تبذلها تركيا للامتثال لأحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، ولكن يجب على هذه الدولة تكثيف الإصلاحات الأساسية في سيادة القانون.

وتتقدم المؤسسات الأوروبية، سواء كان مجلس أوربا أو الاتحاد الأوروبي، في خطوة فيما يتعلق بإجراءات تركيا اللاحقة للمراقبة. اعتبرت تقارير الجمعية البرلمانية لمجلس أوربا والبرلمان الأوروبي، التي نُشرت في نيسان ٢٠١٣، أنه قد تم إحراز تقدم حقيقي فيما يتعلق بقرار لجنة الوزراء ١٣٨٠ لعام ٢٠٠٤، وأنه قد تم تجسيد العديد من النقاط، التعديلات الدستورية وإجراء إصلاحات في العدالة^(٦).

(٣) الملحق ١ بالقرار المؤقت RESDH (٢٠٠٤) ٤٨، الأحكام المتعلقة بانتهاكات الحق في حرية التعبير في انتظار إشراف لجنة الوزراء على تنفيذها.

(٤) قانون رقم ٤٩٢٨ تاريخ ١٩ تموز ٢٠٠٣.

(٥) CM / Del / Dec (٢٠٠٤) ١٢٠١، ٦ حزيران ٢٠١٤.

(٦) السيدة دوريه، مقررة لجنة احترام اللتزامات والالتزامات من قبل الدول الأعضاء في مجلس أوربا. مناقشة PACE في ٢٣ نيسان ٢٠١٣ تركيا.

والبرلمانات الأوروبية لها نفس المسار عندما يتعلق الأمر بتركيا، خاصة عندما يتعلق الأمر بحماية الصحفيين^(٣).

ويلاحظ المقرر ويعطي إفراغاً لتركيا بشأن الاعتراف بالمسألة الكوردية ورفع حالة الطوارئ في المحافظات الجنوبية الشرقية، وتعليم اللغة الكوردية واستخدامها خلال الحملات الانتخابية وفي المحاكم.

خلاصة

تتم مراقبة تركيا من قبل المؤسسات الأوروبية كجزء من حوار ما بعد المراقبة ولم تعد جزءاً من إجراءات المراقبة. إن التطور نحو المزيد من الديمقراطية والحقوق هو قيم أساسية حقيقية لمجلس أوروبا.

وقد أعادت تركيا تحديد دور الجيش في الحياة المدنية، وإنشاء حق الاستئناف أمام المحكمة الدستورية، لكن تركيا لا تجيب دائماً على الأسئلة المتعلقة بالحرية الدينية، حتى لو بدت الأقلية الكوردية معترفاً بها؛ لا شيء يمكن ضمانه لأن المقاومة من كلا الجانبين لا تزال قوية^(٤).

مشهد سريع وبطيء معاً:

في هذا المقطع المنشور في موقع فرنسي، ثمة ما لفت نظري، لأنشغل بمحتواه، وحقّزني على نقله. ولعل سبب قاعه البحثي والتاريخي، يشدد على حديثه، والحقيقة المرتسمة في نهايته: في العراق، منذ عام ١٩٢٢، اعترفت الحكومة بحق الكورد في تشكيل حكومة داخل الحدود العراقية. وحصل العراق على استقلاله الاسمي عام ١٩٣١، ولكن لم تتخلص هذه الدولة من الهيمنة الإنجليزية حتى ثورة ١٩٥٨. وفي عام ١٩٤٣ نشهد تمرداً منظماً للكورد بسبب عدم الوفاء بالوعود. وفي عام ١٩٤٥، ذهب جزء كبير منهم إلى إيران خلال جمهورية موباد. وعرفت ثورة ١٩٥٨ العراق بأنه بلد شعبيين عربي وكوردي. وفي ذلك الوقت، عاد مصطفى

(٣) وفقاً للجمعية البرلمانية لمجلس أوروبا ومفوضها لحقوق الإنسان، جهة السيد هاماربيرغ، تظل تركيا البلد الذي يسجن فيه عدد كبير جداً من الصحفيين أو يحاكمون بتهمة الإرهاب أو إهانتهم، فيما يتعلق بالمؤسسات.

(٤) Mohamed Salah Helali: La question Kurde devant la Cour européenne des droits de l'Homme, Dans Civitas Europa 2015/1 (N° 34)

وكاتب المقال محاضر أول في جامعة لورين-فرنسا

البارزاني من الاتحاد السوفيتي. وفي عام ١٩٦٨، جعل الكورد أنفسهم مستقلين داخل الجمهورية. ومن عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٨، أدى صراع الكورد إلى سقوط أربعة أنظمة قبل أن يتولى تيار البعث الحالي السلطة. وفي عام ١٩٧٠، تم توقيع اتفاق سلام وتعهدت الحكومة بمنح الحكم الذاتي لجميع المناطق ذات الأغلبية الكوردية بعد التعداد السكاني. ولم يتم التعداد السكاني ابداً (كان حاسماً لمنطقة كركوك النفطية). وسيتم تخصيص منطقة حكم ذاتي لهم من جانب واحد وبدون سلطة حقيقية.

وفي عام ١٩٧٤، استؤنفت الحرب تحت زخم الزعيم الكاريزمي القديم مصطفى البارزاني، بدعم من إيران، ولكن في عام ١٩٧٥، وقعت إيران والعراق على اتفاق الجزائر، واختارت حركة البارزاني الاستسلام. ومنذ تلك اللحظة، تبنى العراق سياسة التعريب في نفط كوردستان والمناطق الحدودية. ونزح حوالي مائة ألف كوردي إلى الجنوب أو إلى منطقة "الحكم الذاتي". وفي عام ١٩٧٦، أعلن صدام حسين عن برنامج جديد سيطبق حتى الحرب العراقية الإيرانية. وأكثر من ٢٠ كم على الحدود، أي ٣ أضعاف مساحة لبنان، سيتم تجريف القرى، وسد المصادر، وإتلاف المحاصيل. وسيتم تدمير (١٥٠٠) قرية. وسينتشر الكورد في مجموعات صغيرة في القرى العربية أو يتجمعون بأعداد كبيرة في "قرى استراتيجية"، هي معسكرات اعتقال حقيقية^(*).

الطيب عبدالسلام عمارة: المسألة الكوردية وسياسة الدول العربية:

تحت هذا العنوان، يتسلسل تاريخ كوردي شائك، وهو يخضع لتجاذبات، ورهانات. وأثقلها: سياسة. في النص المنشور بالفرنسية، أكثر من رواية توثيقية لزمان ومكان كورديين، يخضعان لأكثر من مراقبة. وفي كل متغير على الأرض، هناك بالمقابل، ما يشبه الموج البحري، ناحية التحرك السياسي، ضمن أروقة الجامعة العربية، كما هي تسميتها، والتي تتكلم بألسنتها السياسية، وتتماشى مع سياسات دول الجوار، وحتى خارجاً.

وهذا يجعلنا، إن أردنا معرفة شجاعة الحقيقة "أكثر تفهماً لما يكون عليه وضع الكورد من تمزق وتفجع: تمثل المسألة الكوردية تحدياً كبيراً للقانون الدولي ومنطقة الشرق الأوسط، لأنه منذ ظهور هذه المسألة بعد تفكك الإمبراطورية العثمانية^(١)، شهدنا مطالبات متزايدة بالحكم الذاتي لهذا الشعب وحقوقه، داخل المجتمع الدولي ودول المنطقة التي تؤويهم. وبعد معاهدة لوزان عام ١٩٢٣، تفرق

(*) LE KURDISTAN (1987) www.ben-vautier.com

(١) ينظر، غ. أندرسون، معايير تغيير الدولة الكوردية بين بروكسل وأنقرة وبغداد "دراسات كوردية عدد ٨ أيلول ٢٠٠٦، ص ١٤.

الكورد عبثاً في عدة دول وفقدوا فرصة تشكيل دولتهم التي وعد بها البريطانيون بعد الحرب العالمية الأولى^(٢).

وبعد استقلال الدول العربية التي تضم أقليات كوردية مثل العراق وسوريا ولبنان، حاول حكام هذه الدول دمج الكورد في المجتمع العربي. لكن مع إيقاظ الشعوب وانتشار فكرة حقوق الإنسان ثار الكورد في العراق وتركيا وسوريا وإيران.

ولقد دعم القادة العرب مثل عبد الرحمن عزام، السكرتير الأول لجامعة الدول العربية والزعيم المصري جمال عبدالناصر، القضايا الكوردية بشكل واضح. وطالب هؤلاء القادة بتعزيز الصداقة بين الكورد والعرب في إطار التعايش السلمي. ولقد أثاروا حقوق الكورد وشرعية قضيتهم التاريخية^(٣). غير أن زعماء عرب آخرين كانوا مترددين في التعليق على القضية لأنهم يخشون عواقب سلبية على وحدة أراضي دولهم وعلى العالم العربي. وهذا الخوف يعبر عن قلق من جهة وخلاف من جهة أخرى بين الدول العربية حول معالجة القضية الكوردية. وهو موقف اتخذ بعداً آخر منذ إنشاء الأمم المتحدة وتوقيع المعاهدات الخاصة بالأقليات. وبالفعل، كان القادة العرب حذرين للغاية حيال المفاهيم القانونية الجديدة التي تبناها المجتمع الدولي في هذا المجال. من هذه الاعتبارات، يمكن طرح سؤالين. والسؤال الأول هو لماذا معظم القادة العرب الذين طالبوا بجدية بتقوية الصداقة بين الكورد والعرب، بينما تحدثوا في نفس الوقت عن حقوق الكورد وشرعية قضيتهم التاريخية، مترددون في التسوية النهائية لهذه القضية التي نتج عنها نزاعات طويلة الأمد.

والثاني هو معرفة سبب تقدم بعض الحلول التي يتبناها العرب لحل القضية الكوردية أكثر من تلك المختارة في تركيا وإيران. الإجابة على هذه الأسئلة، التي تشكل إشكالية موضوعنا، ستتخذ بعدين مختلفين؛ الأول سياسي والثاني قانوني.

- الرد السياسي على القضية الكوردية بين القادة العرب وجامعة الدول العربية

صرح المفكر العربي وأحد قادة حزب البعث السيد جمال الأتاسي في عام ١٩٨٥: "إن المسألة القومية الكوردية من أهم القضايا القومية وأكثرها رسوخاً في المنطقة"، من وجهة نظره، "إن فتح ملفها بدعوة صحيحة للقوى السياسية العربية للحوار حول هذه الأسئلة (...) مرتبط بالضرورة بقضية القومية العربية نفسها، وكذلك بقضايا وحدة الدول"^(١).

(٢) دعت معاهدة سيفر الموقعة عام ١٩٢٠ بين دول الحلفاء والسلطان العثماني إلى إنشاء دولة كوردية مستقلة وفقاً لموادها ٦٢-٦٣. مقتبس في أعمال ن. انتصار، كوردستان والاستقلال الذاتي، بولدر، لندن، ١٩٩٢، ص ٥١.

(٣) ج. الأتاسي، "المسألة الكوردية هي أيضاً قضية عربية"، مقدمة لعمل أ. موندرا، المسألة الكوردية، ١٩٨٥ (http://hem.bredband.net/cdpps/s233.htm)، بالعربية.

(١) ج. الأتاسي، مرجع مذكور سابقاً.

يعبر هذا الرسم التوضيحي السياسي عن توجه عام للوسط الثقافي العربي، المرتبط بالتيارات القومية والناصرية، لاعتبار المسألة الكوردية عنصراً أساسياً في اندماج المجتمعات المختلفة التي تعيش معاً في العالم العربي بسبب الروابط التاريخية والاجتماعية. التي توحدتهم. السياسيون العرب الذين ينتمون إلى هذه الخلفية لا يمكنهم إلا أن يتبنوا سياسة لصالح هذا الهدف.

على العكس من ذلك، هناك ما يسمى بالتيار التقليدي داخل العالم العربي الذي يوازن هذه البيئة من خلال تبني سياسة محافظة تجاه الكورد. معالجة هذه القضية ليست من أولوياتها.

ولهذا السبب بالتأكيد لا يمكن للمرء أن يجد موقفاً واضحاً لجميع الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية، لأن قادتها يتجنبون أي نزاع حول هذه القضية. من الآن فصاعداً، تم تجاهل المسألة الكوردية تقريباً من قبل الرابطة. ويفضل أعضاؤها ترك معالجة هذه المسألة للدول المعنية وبحسب وضعها الداخلي. تفضل الجامعة اعتبارها شأناً داخلياً لدولها الأعضاء. وهذا يعكس الخلافات المستمرة بين القادة العرب حول هذه القضية ويفسر الموقف الحذر لجامعة الدول العربية.

أ- موقف القادة العرب من القضية الكوردية

على الرغم من المصير والمصالح المشتركة التي توحدتها، إلا أن الدول العربية لا تزال في صراع دائم، سواء على صعيد العلاقات الثنائية أو العلاقات داخل الجامعة.

ويعود هذا الاختلاف بالدرجة الأولى إلى واقع الأنظمة السياسية العربية التي غالباً ما تتميز بغياب ديمقراطية حقيقية تقوم على المساواة بين المواطنين واحترام حقوقهم الأساسية^(٢).

ثانياً، بعض الحكام العرب مهووسون بشكل خاص بوحدة وسلامة أراضي دولهم، ويشدد الخلاف الأيديولوجي بين هؤلاء الحكام.

لكن بحسب تصريحات هؤلاء القادة، هناك مواقف متشابهة من جانب مؤيدي التيار القومي. ففي البداية، كان قادة حزب البعث مقتنعين بأن المسألة الكوردية، كما رأينا، هي مسألة تتعلق بشكل أساسي بالمسألة العربية. وهذا التيار، بمعاملته مع الجنسيات الأخرى ومع حركات التحرر لشعوب العالم، يرفض أيضاً الشوفينية والتعصب وعدم التسامح والتمييز بين جميع الأمم، ويعول أكثر من أجل مستقبل آمن، على آفاق بناء حديثة وحيوية. دولة قومية ديمقراطية. في هذا الصدد، في عام ١٩٥٧، خلال مؤتمر حركات التحرير الوطني لدول البحر الأبيض المتوسط الذي عقد في أثينا، قام وفد كوردي بالاتصال بالمشاركين في المؤتمر ووزع منشوراً يدين القمع والاضطهاد الذي عانى منه الشعب

(٢) كما يشرح ل. أدّي: تتمثل البيوتوبيا العربية، في شكلها التقليدي أو القومي أو الإسلامي، في تطبيع الاجتماعي وفي قمع الاختلافات السياسية من خلال رفض إنشاء مؤسسات تمثيلية تنظم هذه الاختلافات، في "التعددية السياسية والاستبداد في المنطقة العربية". العالم، النهج الأنثروبولوجي للأنظمة السياسية في الدول العربية"، (<http://www.institut-gouvernance.org>)، آذار ٢٠١٣.

الكوردي في العديد من البلدان. ورداً على هذا السؤال تحدث الأستاذ ميشيل عفلق الأمين العام ومؤسس حزب البعث في كلمة ألقاها خلال هذا المؤتمر بشكل خاص عن المعاناة التي تعيشها الأمة العربية: "هذه الأمة التي عانت من القهر والاستعمار. لا يمكن أن تقبل بنفسها اضطهاد الجنسيات الأخرى التي تعيش على شواطئها أو ضمن حدودها"^(١).

بهذه الكلمات، يدعم مؤسس حزب البعث بشكل كبير الشعب الكوردي في هدفه المتمثل في التمتع بحقوقه المشروعة. هذا الموقف من أنصار حزب البعث ملتزم بمبدأ احترام حق كل الأمم في أن تؤسس وطنها مع الاحترام الواجب لحقوق الشعوب الأخرى.

وعلى الرغم من هذا الموقف الواضح لمؤسس حزب البعث، إلا أن هناك أعضاء بداخله يرون المسألة الكوردية من وجهة نظر أخرى. وسيتم تحليل هذا الاختلاف بين البعثيين لاحقاً في ممارسة بعض أنصار هذا الحزب عندما وصلوا إلى السلطة. سنقوم بتحليل النماذج المختلفة لمعالجة هذا السؤال من قبل سياسيي حزب البعث الذين يقودون بعض الدول العربية. وبالفعل، فقد أيد رئيس حزب البعث العراقي (بدعم من بعض البعثيين السوريين) فكرة الحكم الذاتي للكورد، خاصة بعد قرار مؤتمره الوطني الحادي عشر (دمشق - ١٩٧١). ومع ذلك، كان حزب البعث في العراق قد تبنى بالفعل فكرة اللامركزية في عام ١٩٦٣، ووصل لاحقاً إلى إضفاء الطابع الرسمي على الإعلان الصادر في ١١ آذار ١٩٧٠، للحكم الذاتي. بل إنها تبنت قانوناً بشأن استقلالية الحكم في عام ١٩٧٤، والذي، رغم حدوده ونواقصه، شكل خطوة إلى الأمام، في الوقت المناسب، لا سيما أنه كفله دستور ١٦ تموز ١٩٧٠^(٢).

وبالنسبة للتيارات العربية الأخرى، هناك بعض الخلافات بين الأطراف التي تتكون منها هذه التيارات. من جانبه، تبنى الحزب الشيوعي العربي والماركسي فكرة الحكم الذاتي للكورد عام ١٩٥٦. وفي مؤتمره الثاني، عام ١٩٧٠، أكد الحزب على حق تقرير المصير لجميع الأمم، كبيرها وصغيرها، و الحق في التحرر من نير القهر القومي وإنشاء كيان وطني مستقل عن الأمة الموحدة يتحدث عن الأمة الكوردية المجزأة. وتجدر الإشارة إلى أن الحزب قد تبنى شعار الفيدرالية منذ عام ١٩٩١، وهو ما أكده مؤتمره الخامس الذي عقد في نوفمبر ١٩٩٣^(٣).

(١) نقلاً عن ج. الأتاسي، مرجع مذكور سابقاً، ص ٧.

(٢) عبدالحسين، "العراق والفيدرالية، ملف كوردستان"، مجلة المعلومات (المعلومات)، المركز العربي للمعلومات، عدد (٤٠)، آذار ٢٠٠٧ (باللغة العربية). راجع الكاتب نفسه: "المسألة الكوردية بين الإدارة والتقسيم"، في <http://www.achr.eu/art149.htm> موقع المفوضية العربية لحقوق الإنسان.

(٣) موقف الحزب الشيوعي العربي متقدم جداً في التعامل مع القضية الكوردية. وقدمت تضحيات كبيرة دفاعاً عن حقوق الشعب الكوردي وساهمت دولياً في توضيح القضية الكوردية. خامساً "برنامج الحزب الشيوعي العراقي ونظامه الداخلي. المؤتمر الوطني الثاني، أيلول ١٩٧٠، بيروت، في مجلة النداء ١٩٧٠، ص ٩٩-١٠٣. ينظر أيضاً، وثيقة المؤتمر الوطني الرابع للحزب، ١٠-١٥ تشرين الثاني ١٩٨٥، ص ٢٩٥-٢٩٨ وفي تشرين الثاني ١٩٩٣ (باللغة العربية).

أما بالنسبة للحركة الإسلامية في العراق، فإن أول حزب إسلامي قبل فكرة الحكم الذاتي الحقيقي كان حزب الدعوة الإسلامية. وقد تم التعبير عن هذا الموقف بشكل ملموس في برنامجها الذي نشر في آذار ١٩٩٢، وفي المسودة التي قدمها السيد محمد باقر الحكيم، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، والتي تم تقديمها في أوائل عام ١٩٩٢ للإشارة إلى الحكم الذاتي. أما بالنسبة للحزب الإسلامي العراقي والجهة العراقية والقوى الأخرى، فحتى لو تحدثوا عن خصوصية المسألة الكوردية، فإنهم لم يذهبوا إلى حد دعم الفيدرالية الكوردية صراحة، وعارضوا بشدة فكرة الفيدرالية لوسط وجنوب العراق واعتبارها مرحلة تقسيم^(١).

وقد اتخذت الحركات الاشتراكية العربية منذ البداية موقفاً متميزاً من الحركة الكوردية من خلال دعمها لفكرة الحكم الذاتي على أساس حق تقرير المصير. وقد تمت صياغة هذا الموقف بشكل جيد في مؤتمرهم الذي عقد في عام ١٩٦٨. قبل الحزب الاشتراكي وبعض الشخصيات والتنظيم الناصري بشكل واضح فكرة الحكم الذاتي مما أدى فيما بعد إلى صياغة الفكرة. الفيدرالية بدرجات متفاوتة^(٢).

بالنسبة للرئيس جمال عبدالناصر، منذ عودة القضية الكوردية إلى المستوى الإقليمي، كان المدافع الأول عن هذا المنصب. قال والد القومية العربية، في مقابلة مع مراسل لوموند في كانون الأول ١٩٦٣، إن الشعب الكوردي، شقيق الشعوب العربية، له الحق مثل الشعوب الأخرى في ممارسة استقلاليتها. أعلن معارضته للحرب كطريقة لحل القضية الكوردية وفي الوقت نفسه أظهر رفضه لفصل كوردستان عن العراق^(٣).

وفي الواقع، فإن عبدالناصر كان دائماً منفتحاً على القضايا الوطنية. وقد عبر بوضوح عن قلقه بشأن القضية الكوردية منذ عام ١٩٥٩، مصراً على الأخوة العربية الكوردية وضرورة إزالة جميع أسباب الصراع بين الشعبين. بل إنه دعم مشاريع المصالحة في العراق، فكان في طليعة القادة القوميين العرب الذين شددوا على مبدأ حق الشعب الكوردي في نيل حقوقه الوطنية. وفي هذا الصدد، أعرب عبدالناصر عن قلقه من عدم بقاء العراق متماسكاً وموحداً، وقد سعى إلى ضمان بقاء العلاقات بين العرب والكورد سلمية. وعلى الرغم من كل العراقيل التي أعاقت هذا التطور، إلا أنه ظل على نفس

(١) ينظر: الإعلان والبرنامج السياسي لحزب الدعوة الإسلامية، لندن، آذار ١٩٩٢، ص ٥٦-٥٨، وكذلك قانون الأقاليم الذي تم تعديله من قبل البرلمان العراقي عام ٢٠٠٦. خامساً: "البرلمان العراقي يتبنى الفيدرالية بدون السنة"، لوموند، ٢٠٠٦/١٠/١٠، <http://www.lemonde.fr / Middle East / article / 2006/10/12 / the-Iraqi-Parliament>. اعتمد- (Federalism-without the-Sunnis_822670_3218.html # wJdBr4195haJrKGe.99).

(٢) ينظر، ع. شعبان، عاصفة في أرض الشمس (ترجم إلى الفرنسية بقلم بابان)، بيروت، دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٤، ص ٢٢٢-٢٦٤. ينظر نص وكذلك الدستور العراقي المؤقت الصادر في ١٦ تموز ١٩٧٠، "المكتبة الرقمية للمواد القانونية والسياسية"، في الدفاع والاستراتيجية، المجلة الإلكترونية لمركز الأمن الأوروبي.

(٣) خليل علف، "عبدالناصر والكورد"، الحوار الحضاري، عدد (٢١٩٢)، ٢٠٠٠/٢/١٦، (بالعربية).

الجانب في دعم الشعب الكوردي. في هذا الصدد، خلال توقيع اتفاقية السلام المبرمة بين الكورد وحزب البعث العراقي في ١١ آذار ١٩٧٠، على أساس الاعتراف بمبدأ وجود الأمة الكوردية والحق في التمتع بالحكم الذاتي أو الاستقلال الإداري في كوردستان العراق، أيد عبدالناصر بقوة هذه الاتفاقية ومحتواها^(١).

وهذا الموقف من التيار القومي العربي عبر عنه قادة حزب البعث في الفرعين السوري والعراقي. فبالنسبة لحزب البعث العراقي، اعترف الرئيس صدام حسين في مناسبات مختلفة بحق الشعب الكوردي في الحكم الذاتي. وذهب أبعد من ذلك بالحديث عن ادعاء آخر للشعب الكوردي. ولهذا، فإنه في عام ١٩٨٨ خلال اجتماع وزاري، أوضح: "على مستوى تفكيري، إذا كانت الأمة العربية في وضع مستقر، يمكن للمرء أن يسأل المسألة الكوردية ويبحث عما إذا كان الكورد يريدون دولة كوردية. يجب دراسة كل حالة حسب الوضع السياسي في المجتمع العربي. والكورد مثل الشعوب الأخرى. إذا كان الرجل يكره الوضع الذي يمر به، فلا يوجد قانون يلزمه بقبولها"^(٢).

بالنسبة لحزب البعث السوري، نلاحظ أن موقف القادة السياسيين لهذه الدولة من المسألة الكوردية غير واضح. ولا يوجد إعلان عن الأسد الأب أو الابن يطالب بالحكم الذاتي أو الاستقلال. ولا توجد وثيقة رسمية تعبر عن مثل هذا الموقف. حيث يعتبر القادة السوريون الكورد كمواطنين عرب وسوريين ويفشلون في الاعتراف بهويتهم المميزة.

إن إيديولوجية حزب البعث تؤكد أنه لا يوجد شعب آخر يعيش في العالم العربي غير الأمة العربية وكل سكان العالم العربي يعتبرون عرباً. والأقليات الموجودة في كل مكان هنا وهناك لها حقوق المواطنة والكورد السوريون هم عرب سوريون^(٣).

يذكر الدستور السوري بصيغته المختلفة أن كل المواطنين السوريين هم عرب.

لكن بشار الأسد، في تصريح متلفز عام ٢٠٠٤، أوضح لأول مرة موقف النظام السوري من المسألة الكوردية. ومن ثم ذكر أن "الشعب الكوردي يشكل جزءاً من المجتمع السوري، وأن وضع الكورد الذين حرّموا من جنسيتهم سيحل"^(٤). وبحسب هذا المنطق يرى الرئيس أن القومية الكوردية جزء من القومية العربية في سوريا^(٥). ومع ذلك، فقد اتخذ بعض أعضاء حزب البعث السوري موقفاً مؤيداً

(١) خليل علف، المصدر السابق.

(٢) أ. الياسري، شبكة البصرة، ٢٠١٢/١١.

(٣) أ. سيدا، "سياقات وطبيعة موقف حزب البعث من المسألة الكوردية"، الحوار الحضاري (بالعربية)، عدد (١١٦٥)، ٢٠٠٥/٠٤/١٢.

(٤) ينظر، ص. بدر الدين، "تصريحات الرئيس الأسد على الكورد ومعانيها وأهدافها" (بالعربية)، Revue de Asharqalarbi، ((http://asharqalarabi.org.uk/paper /s-akhbar-z-sh1.htm ,23/5/2004).

(٥) المصدر نفسه.

للحكم الذاتي للشعب الكوردي. وهذا هو حال جمال الأتاسي، على سبيل المثال، العضو المؤسس لهذا الحزب الذي ذكرناه سابقاً^(٦).

وبالنسبة للقادة العرب الذين يدعمون العروبة، يلاحظ المرء مواقف متنوعة. فبالنسبة للقذافي، استحوذت المسألة الكوردية على جزء كبير من اهتمامه. وقد أعرب القذافي مراراً وتكراراً عن دعمه للقضية الكوردية ودعا إلى دعمها. وقد أثار الرأي العام العربي والعالمي للتعاطف مع هذه القضية العادلة. ويقدم له الكورد أمة ممزقة ومضطهدة يجب أن تعيش على قدم المساواة مع أعضاء الأمم المتحدة الآخرين^(٧). وهكذا أعلن: أنا شخصياً وبغض النظر عن وضعهم سواء في العراق أو إيران أو تركيا أو دول أخرى، وأنا أتحدث في هذا الوقت ليس كسياسي، ولكن من الناحية النظرية، من حيث العدالة، من الناحية الفكرية، فأنا أحترم جميع الدول، كبيرة كانت أم صغيرة، وأعتقد أنكم جميعاً ستوافقونني، مع احترام كل الجماعات البشرية، على حقيقة أن الأمة الكوردية هي حقاً أمة^(٨).

هذا الموقف المتميز للقذافي يمثل للكورد نجاحاً وميزة متقدمة في قضيتهم على طريق الحل. ولكننا نلاحظ أن تصريحات هؤلاء القادة لم تتحقق. فبالنسبة للقذافي، يمكن تفسير موقفه بثلاثة أنواع من التفسير. يمكن العثور على التفسير الأول في مفهومه عن القومية لأنه يؤمن بأن لكل أمة الحق في تكوين دولتها الخاصة. وينعكس التفسير الثاني في حقيقة أن القذافي معترف به كممثل دولي يساعد بشكل كبير حركات التحرر الوطني في جميع أنحاء العالم منذ توليه السلطة. والتفسير الثالث قد يكون أن القذافي يستخدم هذا السؤال كابتزاز لإفشال سياسات صدام حسين الذي كان خصمه، رغم أن القذافي نفى مراراً هذا الادعاء. ويعتقد بعض المختصين، في الواقع، أن المسألة الكوردية هي أداة تستخدمها عدة قوى وفاعلين سياسيين لتحقيق أهداف معينة^(٩).

لذلك يمكننا أن نرى بوضوح أن الخلافات بين التيارات العربية حول المسألة الكوردية قد أثرت بالفعل على إستراتيجية وسياسة المنطقة في معالجة القضية الكوردية. ويبدو هذا التأثير واضحاً في موقف جامعة الدول العربية.

(٦) ج. الأتاسي، "المسألة الكوردية هي أيضاً مسألة عربية"، مرجع مذكور سابقاً.
(٧) أ. أ. صابر، القذافي والمسألة الكوردية، مطبعة ملقا، القاهرة، ١٩٩٢، (بالعربية).
(٨) نقلاً عن ب. جوسين <http://www.wata.cc/forums/showthread.php?65991>. ينظر أيضاً ب. حسين، "رؤية معمر القذافي حول المسألة الكوردية"، موقع المركز الدولي للمتترجمين والمتخصصين في اللغة العربية، <http://www.wata.cc/forums/showthread.php?65991>.
(٩) س. حسين، المسألة الكوردية، متطلبات الخبرة، (باللغة العربية)، الجزيرة نت، ٢٣/٥/٢٠٠٦، <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/33651bd2-21ab-4bb9-bacf-1c283e3ba1c3>.

ب- موقف جامعة الدول العربية من القضية الكوردية

تأسست جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ بهدف رئيس هو تحقيق وحدة الأمة العربية واستقلال الأراضي العربية المحتلة^(٤). وهي منظمة للتعاون وتنسيق المصالح المشتركة للدول الأعضاء^(٥)... وعندما ولدت هذه المنظمة، كان الوضع في كوردستان العراق مضطرباً سياسياً وعسكرياً للغاية. وبالفعل، فإن الثورة الكوردية في كوردستان العراق بقيادة الزعيم الكوردي مصطفى البارزاني، والتي بدأت في آب ١٩٤٥، تعرضت للقمع الشديد، رغم أن البارزاني أعلن أن "ثورته ليست ضد الشعب العراقي" وأكد أن "نضاله كان بالأساس ضد الاستعمار البريطاني وعملائه في العراق، وكذلك ضد أولئك الذين يستغلون ثروات الشعب العراقي من خلال النيل من سيادته وكرامته"^(٦).

وعلى الرغم من هذا البيان الذي يتماشى مع أهداف المنظمة، إلا أن الرابطة لم تصدر أي رد فعل على هذه الأحداث. نظرا للدور المهم الذي يلعبه العراق وسوريا في العصبية، كونهما من الدول المؤسسة لهذا التنظيم، فإن الأزمة الكوردية والصدام بين الجيش العراقي والمتمردين الكورد لم يعرضوا أبداً على أجهزة العصبية، سواء خلال الفترة الملكية (١٩٣٠-١٩٥٨) أو خلال الفترة الجمهورية (١٩٥٨-٢٠٠٣). وذلك لأن الجامعة تمتنع عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء على النحو المنصوص عليه في نظامها الأساسي (المادة ٨). لم تلعب الجامعة أي دور في معظم النزاعات العربية الداخلية. وقد اقتصرته جهوده في التسوية السلمية للنزاعات بالوسائل الدبلوماسية أو القانونية على النزاعات بين الدول الأعضاء^(٧). وهذا تفسير عدم تدخل الجامعة في الصراعات الداخلية مثل دارفور وكوردستان. كما أنها لم تتدخل في الصراع الذي نشب في عمان في محافظة ظفر خلال الستينيات والسبعينيات^(٨).

ويمكن للجامعة أن تتدخل فقط في النزاع في وضعين. الأول هو حقيقة تدويل النزاعات الداخلية. ولهذا تدخلت في الصراع في دارفور بعد أن بدأ مجلس الأمن الدولي يهتم بالموضوع. يرتبط تدخلها في ليبيا بتدويل هذا الصراع الداخلي بعد أن اتخذت القضية بعداً دولياً وفرض مجلس الأمن الدولي عقوبات على ليبيا بموجب القرار. وتنتهك المادة ٨ من نظامها الأساسي. تنص هذه المادة على أن "كل عضو في العصبية يحترم النظام السياسي القائم في كل دولة ويعتبره حقاً أولياً له، ويتعهد بعدم اتخاذ أي إجراء لتغيير هذا

(٤) ب. غالي، "أزمة جامعة الدول العربية"، الكتاب السنوي الفرنسي للقانون الدولي، ١٩٦٨، المجلد ١٤، ص ٨٧-١٣٧.

(٥) م. فلوري-ب. آغاتي، النظام الإقليمي العربي، المركز الوطني للبحث العلمي، باريس ١٩٨٩.

(٦) سليمان المحاميين، "تاريخ حركة التحرير الكوردية في العراق"، (بالعربية)، فيجن ميديا كرونوبورغ، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٢٧.

(٧) ف. ج. الأويابيا، جامعة الدول العربية وتسوية الخلافات بين العرب، جامعة نايف، الرياض، ٢٠١٠.

(٨) ينظر، ن. غاراباشي، "المنظمات الدولية والإقليمية والثورات العربية"، الجيوسراتيجيات، عدد (٣٢)، الربع الثالث، ٢٠١١،

النظام"^(٤).... وقد تدخلت الجامعة وبعض الدول العربية في ليبيا وسوريا متجاهلة أحكام ميثاق جامعة الدول العربية الذي يدعو إلى التسوية السلمية للخلافات وحظر التدخل العسكري.

وتتمثل الحالة الثانية في حقيقة أن العصبية تتدخل عندما تطلب الدولة المعنية تدخلها. في هذه الحالة يمكن الاستشهاد بالصراع اللبناني الداخلي^(٥)، حيث تدخلت الجامعة من خلال اتفاق الطائف المبرم تحت رعايتها وتحت إشراف السعودية. لكن الجامعة تظل صامتة بشأن القضية الكوردية والصراعات الأخرى. يمكن تفسير هذا الموقف لسببين. أولاً، تعتبر العصبية هذه الشعوب المتمردة أقليات. في حالة الكورد، فهم يعتبرون أقليات في سوريا والعراق. ويمكن أخذ ذلك من نظامها الأساسي والمادة ٢٧ من الميثاق العربي لحقوق الإنسان المتعلقة بحقوق الأقليات.

ثانياً، إنها منظمة تعاونية. لذلك، فإن العصبية ليست حرة في قراراتها لأن الدول هي التي تحدد ما إذا كان ينبغي التدخل. فمنذ عام ٢٠٠٣، بعد سقوط نظام صدام حسين، بدأت العصبية في معالجة هذه القضية. ويتميز هذا النهج برغبة الجامعة في دعوة العراق للاندماج في العصبية بعد انسحابها بعد غزو الحلفاء عام ١٩٩١. وفي هذه المرحلة، ولتحقيق هذا الهدف، دعا الأمين العام عامر موسى، أثناء زيارته للعراق عام ٢٠٠٤، الحكومة للمشاركة في أنشطة الرابطة. حتى أنه هنا نفسه على رؤية العراق ينعم برئيس كوردي^(٦).

لذلك يمكننا أن نرى تطور دور الجامعة في هذه القضية منذ سقوط نظام صدام حسين. هذه القضية، التي أهملها القادة السياسيون، وجدت أخيراً مكانها على أجندة الجامعة.

كما نلاحظ أن موقف الدول العربية من القضية الكوردية يغلب عليه الحرص على إبقاء الأراضي العراقية موحدة. وهذا الموقف، حتى لو لم يكن حاضراً من خلال أفعالهم في العصبية، واضح في أجهزة الأمم المتحدة. وفي هذا الصدد يمكن الاستشهاد بموقف الدول العربية في لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة. أثناء دراسة مشروع القرار المتعلق بحالة الطوارئ في الإقليم الكوردي، لم تصوت الدول العربية لصالح هذا القرار^(٧).... وبالإضافة إلى ذلك، لم تعترف الدول العربية بحكومة إقليم كوردستان العراق التي تم تشكيلها عام ١٩٩٢ بعد تدخل الحلفاء في العراق عام ١٩٩٠^(٨).

(٤) ينظر، (<http://oper.etublogs.usj.edu.lb/2012/05/19/>)، "تقييم أهداف الجامعة: التعاون السياسي من أجل حماية الاستقلال؛ حظر استخدام القوة؛ احترام السيادة".

(٥) ينظر، د. عبدالحق، "وسائل تسوية الخلافات في إطار جامعة الدول العربية"، مجلة الحوار الحضاري، عدد (١٤٣٥)، ١٩-١-٢٠٠٦، (باللغة العربية).

(٦) شدى العبيدي، "موقف جامعة الدول العربية من التغيرات السياسية في العراق الجديد"، دراسات إقليمية، عدد (٦)، ٢٠٠٥.

(٧) "الأمم المتحدة: وضع الكورد يعتبر غير عاجل" نشرة الاتصال والمعلومات، المعهد الكوردي بباريس، عدد (٤٠-٤١)، تموز-آب ١٩٨٨، ص ٢.

(٨) ب. بابان، "وضع كوردستان العراق"، مجلة كيبك للقانون الدولي، ٢٠٠٨، ص ٧١.

وهذا يدل على أن معظم الدول العربية قلقة للغاية بشأن الحفاظ على وحدة وأمن أعضاء هذه المنظمة. وما يؤكد هذه النتيجة ما جاء في تصريح نائب الأمين العام للشؤون السياسية بتاريخ ٢٠١٤/٩/٢ برفض التصريحات التي أدلى بها الرئيس مسعود البارزاني بشأن تنظيم استفتاء على استقلال إقليم كردستان. لا يسمح الدستور بالانفصال ولكنه يسمح بإنشاء مناطق. ودعا الكورد إلى الابتعاد عن فكرة الدولة الكوردية المحيطة بالعراق لأنه لا يوجد وضع في الوقت الحالي يسمح بمثل هذا الإنشاء^(٤).

إلا أن هذه المواقف قد تطورت بعد الأحداث التي هزت العراق في عام ٢٠٠٣ بشكل خاص والعالم العربي بشكل عام، اعتباراً من عام ٢٠١١. وستؤثر هذه الأحداث بشكل طفيف على المواقف السياسية والقانونية للجامعة وأعضائها.

ثانياً- الجوانب القانونية لمختلف مقترحات الدول العربية بشأن القضية الكوردية. المواقف السياسية المثيرة للجدل للقادة العرب تجاه القضية الكوردية تبررها أحياناً تفسيرات قانونية يثيرها هؤلاء السياسيون بشكل مباشر أو ضمني. وفي هذا الصدد، فإن التصريحات التي أدلى بها هؤلاء القادة بشأن هذه القضية تقترح حلولاً مؤسسية تبدو عملياً غير متوافقة مع ما يحدث على الأرض (أ). يمكن تفسير ذلك من خلال حقيقة أن العرب يبدو أنهم يتبنون مبدأ قانونياً محدداً لتكوين وتعزيز موقفهم (ب).

أ - الأشكال المؤسسية التي اقترحتها الدول العربية لحل القضية الكوردية

منذ ظهور المسألة الكوردية منذ عام ١٩٤٥، تاريخ بداية الحركة السياسية والعسكرية الكوردية في الأراضي العراقية والإيرانية، حاولت الدوائر السياسية العربية في العراق وسوريا ومصر توالي مأسسة هذه المسألة وتكييفها مع الهدف القومي العربي.

ومن العديد من الوثائق السياسية والقانونية، مثل المواثيق الوطنية، والدساتير، والاتفاقيات الوطنية والدولية، يمكننا في كثير من الأحيان إيجاد حلول تعبر عن الفكر السياسي واستراتيجية القادة العرب التي يقبلها الكورد أحياناً ويتم صياغتها وفقاً للأوضاع على الأرض والوضع الإقليمي والدولي.

وقد تبع تكييف هذه الأدوات السياسية والقانونية التسلسل الزمني لتطور وضع الكورد ومطالبهم على المستويين الإقليمي والدولي. وإذا تم التخطيط لشكل اللامركزية الإدارية بالتناوب من قبل بعض الأحزاب السياسية وبعض القادة، (١) سرعان ما ظهر شكل الحكم الذاتي، الذي طالب به الكورد وقبلة العراقيون في عام ١٩٥٨، (٢) للوصول أخيراً إلى مطالبة أوسع، أي الفيدرالية التي عبرت جزئياً عن واقع وطني وحل متكيف لحل مشاكل مختلفة.

(٤) أخبار سومرية (http://www.alsumaria.tv/news).

١ - اللامركزية، شكل مؤقت

اللامركزية هي شكل سياسي وإداري مهم يتم من خلاله تفويض سلطات معينة لمقاطعات الولايات. تتكون اللامركزية من تقاسم السلطة بين الدولة والكيانات الإدارية المستقلة، والتي تسمى السلطات الإقليمية أو المحلية^(١). ومن خلال هذا التعريف، نرى من جهة، أن بعض الدول تستخدمه لحل المشاكل الإدارية ومن جهة أخرى يستخدمه البعض كوسيلة لحل المشاكل السياسية والصراعات المجتمعية. وضمن هذا الإطار استجابت الجمهورية العراقية الأولى التي هزتها ثورة الكورد لمطالب هذا الشعب. واعترف الدستور المؤقت الأول لهذه الجمهورية، في مادته الثالثة، بهوية الكورد كجماعة متميزة^(٢). ولتطبيق هذا المبدأ، في عام ١٩٦٣، بدأ المشير عبدالسلام عارف المفاوضات مع الحركة الكوردية. اعترف المجلس الثوري بالحقوق القومية للشعب الكوردي لكن النظام الجديد اقتصر على إطلاق فكرة اللامركزية^(٣).

وشكل اللامركزية، الذي لم يتم تحديده بعناية من قبل هؤلاء القادة، دفع الكورد إلى مواصلة تمردهم. ولم يكن ذلك حتى عام ١٩٦٦، عندما أعلن عبدالرحمن البزاز "البرنامج الحكومي للاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكوردي". فوجد في هذا البرنامج المادة ٢، والتي تحدد نوعاً من اللامركزية الإدارية الواسعة؛ "الحكومة مستعدة لإعطاء هذه الحقيقة المطلقة وجوداً فعالاً من خلال القانون استعداداً للمحافظة، على أساس الصحة العامة، والقضايا البلدية والمحلية وغيرها من القضايا التي تقع في مصير المحافظة"^(٤).... وأثار هذا القرار الشجاع الكثير من الخلافات بين البعثيين، وخاصة السوريين. وذهبوا أبعد من ذلك باتهامه بخيانة القضية العربية. ففشل هذا البرنامج واستؤنف الصراع. والوعد، الذي تم التعبير عنه في الدستور والبرنامج المؤقت للسيد البزاز، أجهضه القوميون المتطرفون الذين رأوا في هذا التطور تهديداً للوحدة العربية وسلامة الدول. ومن الواضح أن هذا التشدد في الموقف أدى إلى تفاقم وضع الكورد، الذين فضلوا حمل السلاح مرة أخرى. وبعد ذلك بعامين، أعلن حكام البعث الجدد، البكر وصادم حسين، رسمياً تنفيذ برنامج السيد البزاز، ولكن بشكل آخر، وهو قانون الحكم الذاتي.

(١) هذا هو تعريف لاروس المأخوذ من قانون اللامركزية لعام ١٩٨١.

(٢) ج. تيجل غورغاس، "القومية العربية في مواجهة التحدي الكوردي (١٩٥٨-١٩٧٥)", الكانتارا، مجلة الثقافات العربية والمتوسطة، عدد (٨٨)، تموز، ٢٠١٣، ص ٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٤) ج. بوزارسلان، "اتفاقية وقف إطلاق النار المؤرخة في ٢٩ حزيران ١٩٦٦، حول برنامج الحكومة للاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكوردي"، دراسات كوردية، عدد (١٠١)، ٢٠٠٤/٧/٦.

٢- شكل الحكم الذاتي حل غير مؤكد

إن الحكم الذاتي للكورد في إطار دولة موحدة هو بطبيعة الحال مطالبة مجتمعية. ومن خلال مراعاة الروابط الدينية والاجتماعية والتاريخية، ركز الكورد مطلبهم بشكل أكبر على الاستقلال الإداري. صاغ مصطفى البارزاني في عام ١٩٦١ المطلب الكوردي على النحو التالي: "ديمقراطية للعراق وحكم ذاتي للكورد"^(٢). وبناءً على هذا المطلب، استجاب القادة الجدد لحزب البعث العراقي الذين تم تنصيبهم في السلطة عام ١٩٦٨ (حسن البكر وصادق حسين) بسرعة لهذه المطالب بإعلان حقوق الشعب الكوردي. وتمت ترجمة هذا الإعلان لأول مرة إلى المادة ٥ من الدستور المؤقت الصادر في ١٦-٧-١٩٧٠: "أ- العراق جزء من الأمة العربية، ب- يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيسيتين: العربية والكوردية، ج- يعترف هذا الدستور بالحقوق القومية للشعب الكوردي والحقوق المشروعة لجميع الأقليات في إطار الوحدة العراقية"^(٣).

بناءً عليه، أكد إعلان الحكومة الصادر في ١١ آذار ١٩٧٠ والخطاب المتلفز لأحمد حسن البكر على هذا الموقف. ولا يتحدث هذا الإعلان بشكل مباشر عن الحكم الذاتي، ولكنه يسعى إلى توسيع اللامركزية. وفي الواقع، بموجب المادة ١٠، عهد الإعلان إلى الدستور النهائي بمهمة تقرير الحكم الذاتي، وحدد فترة ٤ سنوات لتنفيذه^(٤). وأدى الفشل في التنفيذ الفعال لإعلان عام ١٩٧٠ وتردد الزعيم الكوردي مصطفى البارزاني إلى جر البلاد إلى ركود وتفاقم الصراع. ورداً على هذا الوضع، شرعت الحكومة العراقية في تطبيق شكل الحكم الذاتي المنصوص عليه في قانون ١٩٧٤ لوقف الصدام مع الكورد في الشمال. وهذا يمثل أداة حقيقية لإنهاء هذا الصراع. وما يؤكد استعداد القيادة العراقية لحل هذا الصراع هو إصرار الرئيس العراقي أحمد حسن البكر نفسه على قراءة الإعلان والقانون على التلفزيون العراقي^(٥).

وقد واجه تطبيق هذا الحكم الذاتي العديد من الصعوبات، خاصة بعد وصول صدام حسين إلى السلطة. وتم تسجيل العديد من المواجهات والمذابح والاشتباكات بين المتمردين الكورد والجيش العراقي *Beaucoup de confrontations, de massacres et d'accrochages entre les rebelles kurdes et l'armée irakienne*. وجمدت الحرب مع إيران بقوة جميع المفاوضات، حيث تحالف الكورد مع إيران. وبعد حرب الخليج الثانية والتدخل الإنساني الدولي في شمال وجنوب العراق، تم تمديد الحكم الذاتي في كوردستان. وفي إطار قرار مجلس الأمن رقم ٦٩٩، أراد الحلفاء فتح الطريق أمام إنشاء منطقة كوردية بحكم الأمر الواقع، مع

(٢) س. عبدالحسين، نور على المسألة الكوردية، موقع التجديد العربي، ٢٠٠٤/٦/٤، (<http://www.arabrenewal.info>).

(٣) ينظر، المكتبة الرقمية للمواد القانونية والسياسية، الدفاع والاستراتيجية، المراجعة الإلكترونية للمرصد الأمني الأوروبي.

(٤) *Almogatel* Encyclopidia

((http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/Akrad/sec05.doc_cvt.htm#_ftnref1).

(٥) ينظر، "المسألة الكوردية" (http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/Akrad/sec05.doc_cvt.htm#_ftnref1).

الإدارة المدنية للمحافظات الثلاث - دهوك وأربيل والسليمانية - وهذا ما ترك المنطقة مستقلة تماماً^(٣). وتم قبول شكل الحكم الذاتي رسمياً بين معظم القادة العرب في العراق وأنصار القومية العربية. وبعد تطبيق الحكم الذاتي الممتد، ذهب كورد العراق إلى أبعد من ذلك لجعل إقليم كوردستان إقليماً شبه مستقل. وشرعوا في تعزيز استقلاليتهم من خلال تنظيم انتخابات تشريعية لإنشاء برلمان إقليمي. وحدث هذا في عام ١٩٩٢. وشكل هذا البرلمان حكومة وطنية في تموز ١٩٩٢، والتي تبنت من جانب واحد، في أكتوبر من نفس العام، إعلان الاتحاد الفيدرالي مع العراق^(٤). وتم دعم هذه الفيدرالية رسمياً ٢٠٠٥.

٣- شكل الفيدرالية حل محتمل

إذا تم تأكيد شكل الحكم الذاتي اليوم، وأصبحت الفيدرالية خياراً محتملاً، فإن درجة قبول هذا الشكل الأخير تعتمد على طبيعة الفاعلين: الأحزاب الكوردية أو الأحزاب والقادة العرب^(٥). وأول حزب سياسي قبل شكل الفيدرالية هو الحزب الاشتراكي، وكذلك بعض الأحزاب الناصرية، خاصة بعد عام ١٩٩٢. وقد اتفقت الأحزاب الإسلامية الشيعية عام ١٩٩٢ على الفيدرالية خلال مؤتمرات المعارضين، خاصة خلال مؤتمر سالادانت عام ١٩٩٢، لكن بدرجات متفاوتة^(٦). وقد تبنى الحزب الشيوعي العراقي منذ عام ١٩٩١ خيار الفيدرالية وأكدها في مؤتمره الخامس عام ١٩٩٣^(٧). ... واستخدمت الأحزاب الإسلامية مصطلحاً يسير جنباً إلى جنب مع النظرة الإسلامية للدولة، وهو مصطلح الولاية. وبعد احتلال العراق، اقترحت الأحزاب الإسلامية، بما في ذلك التحالف الوطني العراقي، فكرة الفيدرالية لجنوب العراق، وهو حل صاغه رسمياً الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥^(٨). ويثير هذا المطلب تردداً لدى الأحزاب العربية السنية، لا سيما حزب التحرير الإسلامي وجبهة الوفاق العراقي. وترى هذه الأحزاب في قبول الفيدرالية الخطوة الأولى نحو استقلال كوردستان، أو على الأقل نحو تهميش المحافظات السنية في عراق فيدرالي تهيمن عليه المحافظات الكوردية والشيعية الغنية بالنفط^(٩). وبعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣، وضعت سلطة الاحتلال القانون الأساسي لإدارة دولة العراق والذي ينص في مادته الثالثة على أن: "نظام الحكم في العراق جمهوري، فيدرالي، ديمقراطي وتعددي. وذلك وفق معطيات جغرافية وتاريخية وليس حسب الانتماء العرقي أو

(٢) ب. بابان، "النظام الأساسي لكوردستان العراق"، ٢٠٠٨/١/٢١، مجلة كيبك للقانون الدولي، ص ٦٧.

(٣) ب. بابان، المرجع نفسه، ص ٦٨.

(٤) ج. تيجيل غورغاس، المسألة الكوردية: الماضي والحاضر، هارماتان، ٢٠١٤، ص ٩٢-٩٣.

(٥) س. عبدالحسين، "أضواء على المسألة الكوردية"، مرجع مذكور سابقاً.

(٦) بالنسبة لـ ب.ج. لوزارد، يؤكد العرب السنة اختيار الحكم الذاتي كحل، طالما أن الاشتراكيين يدعمون حل الفيدرالية. "كورد العراق عليهم التزام بالحل"، في المؤتمر الدولي حول مستقبل العراق للكورد، ٢٠٠٢/٢٩/١١.

(٧) منتديات القانون العراقي (<http://wiki.dorar-aliraq.net/iraqilaws/law/19516.html>).

(٨) س. عبدالحسين، مرجع مذكور سابقاً.

الديني". وينص القانون على أن كوردستان ستدار في ظل نظام حكم ذاتي في الفترة الانتقالية. فنصت المادة ٤ على أن: "يحتفظ إقليم كوردستان بوضعه الحالي، فضلاً عن الحكومة المحلية المشكلة منذ ١٩ آذار ٢٠٠٣. كما تحافظ الحدود الإدارية للمحافظات الثمانية عشر على وضعها المحلي الحالي خلال الفترة الانتقالية"^(٣).

وبعد أشهر قليلة ، حدد الدستور العراقي الجديد العراق بأنه جمهورية ودولة فيدرالية ، وتمت الموافقة على هذا البند. ويمنح الدستور كوردستان مكانة خاصة في الصرح العراقي: "الدستور فور تطبيقه يعترف بإقليم كوردستان وسلطاته الحالية كإحدى مناطق الاتحاد"^(٤). وعلى الرغم من الاختلافات بين المكونات السياسية والدينية، فقد تبنت العراق الصيغة الفيدرالية لإخراج البلاد من هذا الصراع الذي طال أمده. وبعد عدة عقود من البكاء، "ينتقل الكورد من وضع الأقلية إلى وضع المجموعة الوطنية الثانية في العراق بفضل إدخال الفيدرالية في الدستور العراقي"^(٥).

ويبدو هذا التطور في وضع كوردستان العراق، والذي يعتبر فريداً مقارنة بالمناطق الأخرى من المستوطنات الكوردية ، وخاصة الجزء السوري، حاسماً على المستوى النظري، لكن من الناحية العملية، لم يتم حل الصراع مع الحكومة المركزية. وإن طبيعة الأدوات القانونية المستخدمة في مسألة كوردستان تعبر عن مثل هذا التناقض.

ب- الأدوات القانونية المطبقة في مسألة كوردستان

شكّلت مسألة التأهيل القانوني لمكانة الشعب الكوردي الأسس التي تركز عليها الحلول التي تتبناها الدول العربية. ومن خلال الأدوات المؤسسية التي درسناها، تردد العرب بشكل واضح في الاعتراف بالكورد كأمة منفصلة على الرغم من خطابهم والتزامهم. ومع ذلك، يمكنهم فقط الاعتراف بوضع الأقليات لهذا الشعب المشتت. وهذا مرتبط بمبدأ القانون الذي يعتبرونه الأداة القانونية التي سيتم من خلالها حل هذه المشكلة.

١- الكورد بين أمة وأقلية

في القانون الدولي، يتطلب تأهيل مثل هذه المجموعة التحقق من وضعها السياسي والاجتماعي. ومن ثم فإن هذا الوصف يعني ضمناً تحديد حقوق هذه المجموعة^(٦). ولهذا السبب يتردد القادة العرب، في خطاباتهم وأفعالهم، في وصف الكورد كأمة، يمكن أن تطالب أكثر باستقلالها إلى تكاليف حقوق الأمة العربية.

(٣) ج. تيجيل غورغاس، ٢٠١٤، مرجع مذكور سابقاً، ص ١١٧.

(٤) <http://foviaux.pagesperso-orange.fr/institution.htm>.

(٥) منتديات القانون العراقي (<http://wiki.dorar-aliraq.net/iraqilaws/law/19516.html>).

(٦) لتعريف الأقليات وتحديد وضعها، ينظر "حقوق الأقليات: المعايير الدولية والمبادئ التوجيهية لتنفيذها"، المفوضية العليا - الأمم المتحدة - حقوق الإنسان، نيويورك وجنيف، ٢٠١٠، ص ٢.

ويبدو أن العرب قد اعترفوا بالفعل بوضع الكورد كأقلية على النحو المنصوص عليه في معاهدة لوزان لعام ١٩٢٣. ويتزامن هذا التاريخ مع ظهور القومية العربية. وأراد العرب بمساعدة البريطانيين التخلص من الأتراك وإعلان دولة عربية مستقلة تشمل أراضي الحجاز والعراق والأردن وسوريا الكبرى تحت سلطة الملك فيصل ب في الحسين الأول^(١). وبعد تفكيك الإمبراطورية، استولى البريطانيون بسرعة على العراق وفلسطين والأردن. من ناحية أخرى، أصبحت سوريا مستعمرة فرنسية^(٢)... وألحقت معاهدة عام ١٩٢٥ بين الأتراك والبريطانيين ولاية الموصل، وهي منطقة يسكنها الكورد بشكل أساسي، بالعراق وفقاً لرغبات البريطانيين باعتمادها لصالح الكورد ضمانات وحقوق استقلال إداري، لكنهم ظلوا يعتبرون أقلية داخل العراق. وإطار الدولة العراقية الذي تم إنشاؤه عام ١٩٢١، لأن مشروع الاستقلال الذي نصت عليه معاهدة سيفر تم التخلي عنه تماماً^(٣)... ولم يتم الاعتراف بكورد سوريا كأقلية ذات حقوق خاصة سواء من قبل قوة الانتداب الفرنسية أو لاحقاً من قبل الأنظمة السورية المختلفة. وكان العراق تحت الانتداب البريطاني، مع ذلك، البلد الوحيد الذي اعترف بحقوق معينة للكورد ك "أقلية"^(٤).

وتغير وضع الكورد في العراق بشكل كبير منذ عام ١٩٥٨، عندما تم إنشاء أول جمهورية عراقية من قبل الوطنيين العرب العراقيين. ولقد اعترف العراقيون سياسياً بالكورد كأمة^(٥). ومع ذلك، فإن الوضع الممنوح للكورد السوريين لم يتغير. وعلى الرغم من وجود بعض التصريحات، من وقت لآخر، من قبل بعض القادة السوريين، بشأن الكورد كأمة، من الناحية العملية، لم يكن هناك أي تطور في هذا الشأن. وتتمثل استراتيجية الدول العربية في استخدام المسألة الكوردية كوسيلة لتنفيذ سياسة عربية تعرقل بشكل فعال تأثير القوى الإقليمية^(٦). وإذا كان العراق قد اعترف بوضع الأقلية للكورد حتى قبل عام ١٩٥٨، فإن ذلك كان في الواقع فقط لتأمين حدوده المهتدة بالثورات الكوردية والتوتر الإقليمي والعالمي. وبالفعل، فإن اعتراف القادة العراقيين والقوميين العرب بالكورد كأمة منذ الخمسينيات، يسير جنباً إلى جنب مع إيقاظ القومية العربية. وهذا في الواقع يرجع إلى حرص العرب على التعامل مع الأمتين الفارسية والتركية الصاعدة إقليمياً. يسعى العرب للتحالف مع الكورد لخلق منطقة انفصال بين الدول العربية وإيران وتركيا. وقدم صدام حسين دعماً محدوداً للحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني خلال الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨). وبالمثل، سمحت سوريا لحزب العمال الكوردستاني بالاستيطان على أراضيه قبل انقلاب ١٩٨٠، ثم في لبنان أثناء

(٢) س. لامهات، نظرة ثاقبة على حركة التحرر الكوردي في العراق، كرونبرغ للإعلام، ٢٠٠٥، ص ٨.

(٣) ج. تيجيل غورغاس، المسألة الكوردية: الماضي والحاضر، مرجع مذكور سابقاً، ص ٤٤.

(٤) ح. بوزارسلان، "الأقليات في تركيا" مجلة القوى، عدد (١١٥)، ٢٠٠٥، ص ١٠٥.

(٥) ج. تيجيل غورغاس، مرجع مذكور سابقاً، ص ٢٢.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) ح. بوزارسلان، المسألة الكوردية. الدول والأقليات في الشرق الأوسط، باريس، مطبعة العلوم الاجتماعية، ١٩٩٧.

الوجود السوري على الأراضي اللبنانية، من أجل فرض توزيع أكثر فائدة للمصادر المائية لنهر الفرات بين تركيا وسوريا^(١). وكان العرب خائفين من رؤية وطنهم مهدداً بقيام قوة جديدة دون أن يتمكنوا من السيطرة عليها. وهذا يفسر التناقض بين تصريحات القيادات العراقية من خلال التأكيد في الوقت نفسه في الدساتير والقوانين والاتفاقيات على الرغبة في مواجهة تحدي الوحدة العربية والاعتراف بالحقوق القومية للأشقاء الكورد والعروبة. ولا جدال فيه على الوطن العراقي^(٢). وهكذا فإن سياسة التعريب السورية للمنطقة الشمالية مصحوبة بإعلانات احترام الحقوق القومية للشعب الكوردي تؤكد هذه الملاحظة^(٣).... وباختصار، كما يقول جوردي جورجاس، "هناك بالفعل قومية كوردية. وهذا يعني، مجموعة عرقية معينة لها لغتها وثقافتها وتاريخها، (...) ومع ذلك، فمن غير الوارد الاعتراف بوطن أو أمة أو دولة كوردية"^(٤). وهذا الموقف المتمثل في عدم منح الكورد وضعاً واضحاً، والذي يسمح لهذه الهوية بالاستقلال، يتشكل ويؤطر بواسطة قاعدة من قواعد القانون الدولي التي يتذرع بها السياسيون العرب على نطاق واسع.

٢- الكورد ومبدأ تقرير المصير

تثير مسألة تقرير المصير مكانة الحق في الانفصال التي كانت مرتبطة سابقاً بالاستعمار. ومع اختفاء الاستعمار من عالمنا، تمر مسألة الانفصال دون أن يلاحظها أحد تقريباً في العلاقات الدولية^(٥). ونتيجة لذلك، لا يمكن أن يتطابق وضع الكورد مع تعريف الشعب المستعمر في ميثاق الأمم المتحدة. وبهذه الملاحظة تلتزم الدول العربية بمبدأ تقرير المصير من خلال اعتبار الحق في الاستقلال وسيلة لمعارضة سيادة هذه الدول.

وتعود أصول حق تقرير المصير إلى برنامج الرئيس ويلسون المكون من ١٤ نقطة^(٦).... وقضت المادة ٢٢ من معاهدة فرساي بأن بعض الشعوب الخاضعة للانتداب غير قادرة على تقرير المصير. ومع ذلك، فقد تطور هذا المبدأ جيداً عندما ارتبط بميثاق الأمم المتحدة بمبدأ حق الشعوب في تقرير المصير الذي تطور هو نفسه منذ عام ١٩٦٠، عندما صدر الإعلان رقم ١٥١٤ بشأن منح الاستقلال للمستعمرين. دول وشعوب^(٧).... وحتى عام ١٩٧٠، لم يكن بوسع المرء أن يتحدث عن الحق في تقرير

(١) ج. تيجيل غورغاس، "تركيا وإيران في اختبار التضامن الكوردي عبر الحدود"، في العالم التركي الإيراني المعني، معهد الدراسات العليا في جنيف - كارتالا، ٢٠٠٨، ص ٩٥-١٠٥.

(٢) ينظر، على سبيل المثال الدستور العراقي لعام ١٩٥٨ و ١٩٧٠ والإعلان العراقي لعام ١٩٧٠ المتعلق بالمسألة الكوردية والقوانين والتشريعات العراقية منذ ١٩٦٠-٢٠١١، (wiki.dorar-aliraq.net/iraqilaws/law/19516.html).

(٣) ج. تيجيل غورغاس، المسألة الكوردية، الماضي والحاضر، مرجع مذكور سابقاً، ص ٧٨.

(٤) المرجع نفسه، ص ٧٥.

(٥) ب.م. بوبيو، القانون الدولي العام، الطبعة الثامنة، باريس، دالوز، ٢٠٠٦، ص ١٤٨.

(٦) ج.م. أربور - ج. بارنت، القانون الدولي العام، الطبعة الثانية، Yvon Blais، Cowansville (Qc)، ٢٠٠٦، ص ٥٦.

(٧) ب. داير - أ. بيليت، القانون الدولي العام، الطبعة السابعة، باريس، LGDJ، 2002، ص ٥١٩.

المصير. ومع ذلك، فمن اللحظة التي تبدأ فيها الأراضي المستعمرة في تحرير نفسها يمكن للمرء أن يتحدث عن تقرير المصير الخارجي.

ويقصد بتقرير المصير الخارجي عدم ارتباط المنطقة التي تديرها قوة استعمارية^(٣) بتلك القوة^(٤).... وموجب قرار الأمم المتحدة رقم (١٥١٤)، يمكن فقط الاعتراف بالحق في تقرير المصير الخارجي للشعوب الخاضعة للقهر والسيطرة والاستغلال الأجنبي. ولكن الحق في تقرير المصير الداخلي هو نتيجة طبيعية للديمقراطية وحقوق الأقليات، مما يؤدي إلى الاستقلال السياسي والإداري. ومع ذلك، فإن القرارين رقم (١٥١٤) و (٢٦٢٥) يعقدان الأمور عندما يصرحان بذلك: "إن إنشاء دولة جديدة ومستقلة، أو الارتباط الحر أو الاندماج مع دولة مستقلة أو الحصول على أي وضع سياسي آخر يقرره الشعب بحرية، يشكل بالنسبة لهذا الشعب وسيلة ممارسة حقه في التصرف فيه - حتى".

يعرف ديليه وبيليه الانفصال بأنه "فصل جزء من أراضي دولة موجودة مسبقاً، مما يسمح لها بالوجود"^(٥)، وهذا يعني أن القانون الدولي لا يحظر الانفصال. وفي هذا الصدد، تعلن محكمة العدل الدولية في فتاها بشأن كوسوفو أن "إعلان استقلال كوسوفو لا ينتهك القانون الدولي". وتنص الفقرة ٥٦ من الفتوى الصادرة عن محكمة العدل الدولية على أنه "يمكن أن يكون فعلاً فعلاً - مثل إعلان الاستقلال من جانب واحد - لا ينتهك القانون الدولي، دون أن يشكل بالضرورة ممارسة لحق يمنحه هذا الأخير"^(٦). وبالرغم من ذلك، فإن الحق في الانفصال في كوسوفو لا يشكل سابقة.

ولهذا لا يمكن تطبيق حق الاستقلال على حالة الكورد، لأن مكانة الشعب المستعمر لا تنطبق في هذا الوضع. ويميز الميثاق في مادته ٧٧ نوعين من الأراضي الاستعمارية: الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي والأقاليم الخاضعة للوصاية. ولا فكرة منطقة الحكم الذاتي ولا فكرة منطقة الوصاية تنطبق على الوضع الكوردي^(٧). ويمثل الوضع في كوردستان العراق عقبة حقيقية أمام المطالبة بتقرير المصير الخارجي (الانفصال). وكوردستان العراق، التي تتمتع بوصول حقيقي إلى مثل هذه الحكومة، يمكنها فقط الحفاظ على وضع الحكم الذاتي. "إلى هذا الحد، لأن كورد العراق يتمتعون بهذا الحكم الذاتي، لا يمكن أن تظهر كوردستان مستقلة"^(٨). ولا تمنح الدول أقلية الحق في الانفصال، لأن هذا الإجراء يتطلب موافقة الدولة الأصلية^(٩). ومن هذه الملاحظة لا يقبل العراق ولا سوريا حل الانفصال. لأنه، كما كتب

(٣) المرجع نفسه.

(٤) ج.م. أربورج-بارنت، القانون الدولي العام، الطبعة الثانية. كوانسويل، إيفون بليز، ٢٠٠٦، ص ٥٦.

(٥) القانون الدولي العام، ٢٠٠٢، ص ٥٢١.

(٦) تقارير المحكمة، فتوى بشأن كوسوفو، ٢٠١٠، فقرة ٥٦.

(٧) ر. دينيكور- فوفي، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٨) المرجع السابق.

(٩) ث. كريستاكيس، الحق في تقرير المصير خارج حالات إنهاء الاستعمار، الوثائق الفرنسية، ١٩٩٩، ص ٥٧.

يلدز وبراو، "لا يمكن القول إن السؤال الكامل عن الحق في تقرير المصير الخارجي في سياق ما بعد الاستعمار قد تم حله، لأن حالة واحدة فقط، حالة كوسوفو، لا يمكن أن تكون كافية لإنشاء قاعدة عرفية. القانون الدولي"^(٣)، يعارض العراق بشدة استقلال كوردستان لأن الاستقلال الذاتي الداخلي الكبير والحقيقي يزيل أي حق مشروع في الانفصال.

وهكذا فإن النموذج الفيدرالي الذي ذكرناه ينشأ كحل قانوني للحفاظ على النزاعات العرقية وإقامة نظام ديمقراطي مستقر^(٤). والعراق هو أحدث حالة لإنشاء إطار فيدرالي داخل المجتمع الدولي لشعب يطالب بحقوقه^(٥).

كما أن رفض العراق، وكذلك الدول العربية الأخرى، للحل القائم على الاستقلال أو الانفصال، يبدو مبرراً بالعقبات التي تحول دون قبول مثل هذا الحل الذي يبدو أنه يتعارض مع القانون الدولي وأهداف المجتمع الدولي وأهدافه، والوضع الإقليمي.

أولاً، في ضوء نظرية الفعالية، سيكون الانفصال "أمراً واقعياً وليس قانوناً" *une affaire de faits et non de droit*^(٦)، وبالتالي فإن الانفصال "غير القانوني" *illégal* لن يكون قاتلاً لشعب منقسم بين أربع دول^(٧). ثم هناك معارضة قوية في العراق وتركيا وكذلك من المجتمع الدولي بما في ذلك الاتحاد الأوروبي. وتستخدم روسيا والصين حق النقض ضد مجلس الأمن لمنع مثل هذا التدفق لأقليتهما العرقية لإعلان استقلالهما. وكما تحذر هذه المعارضة من العواقب التي قد تنشأ في حالة الانفصال، مثل تقاسم الثروة والديون والميراث في حقوق الملكية والمعاهدات^(٨). وهذه العوامل يمكن أن تؤدي إلى صراع لا نهاية له. وأخيراً، هناك نقص في الإرادة الدولية للتعامل مع المشكلة الكوردية من خلال إقامة دولة مستقلة. ومسوغات الأمم المتحدة هي أن لديها التزامات تجاه الدول العربية. يمكن لهذه الدول أن تفسر مثل هذا الموقف على أنه اغتصاب للأراضي العربية أو إنشاء جيب كوردي. ويعتقد أيضاً أنه سيكون هناك انتقام شديد من الدول الأصلية^(٩).

وفي الواقع، فإنه من خلال تصريحات متعددة، طعن القادة العرب في استقلال الكورد. والعرب ملتزمون بتطبيق القاعدة الدولية التي تحكم الصراع الطائفي، أي تقرير المصير. ولقد صاغ ناصر موقفه بالفعل في عام ١٩٦٣ بإعلانه: "الاعتراف بحقوق الشعب الكوردي لا يعني قبول المرء بانفصال جزء من

(٣) ك. يلدز-س. برو، الصراع الكوردي: القانون الإنساني الدولي وآليات ما بعد الصراع، نيويورك، روتليدج، ٢٠١٠، ص ٢١٧.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٢٥.

(٥) يلدز-برو، مرجع مذكور سابقاً، ص ٧٨.

(٦) أ. بيليه، "آراء لجنة بادينتيير: نفس ثاني لتقرير مصير الشعوب"، ١٩٩٢، ٣ (١)، EJIL، ص ١٧٨-١٨٢.

(٧) ج. بونيكور-فوفي، مرجع مذكور سابقاً، ص ٦٢.

(٨) يلدز-برو، الحاشية ٧٤، ص ٢٢١.

(٩) س.إ. وايتيسيل، "الأزمة الكوردية: دراسة حادثة دولية"، JILP، ١٩٩٣، ص ٤٨٠-٤٧٦.

العراق^(٢). وأيدت الدول العربية الأعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية إلى حد كبير إعلان المنظمة الذي يدين الانفصال في القمة الأفريقية في الجزائر العاصمة عام ١٩٦٨ وقمة أديس أبابا عام ١٩٦٩^(٣). وفي عام ١٩٩٢، عندما بنى الكورد مطلبهم بالحكم الذاتي على حق الشعوب في تقرير المصير وأجروا انتخابات، طعنت الحكومة العراقية في هذا القرار واعتبرت هذا العمل غير قانوني^(٤). ولم تعترف الأردن ومصر والمملكة العربية السعودية بحكومة إقليم كردستان التي تم تشكيلها في عام ١٩٩٢ على الرغم من أن هذه الدول قد انخرطت مع الحلفاء ضد العراق^(٥).

خلاصة

تتبنى الدول العربية سياسة متغيرة تحاول تحقيق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها: إنها تتعلق بوحدة الدول العربية وسلامة أراضيها وإبداء إرادتها في احترام حقوق الشعب الكوردي لتأكيد هويته المتميزة. ومع تزايد الخلافات بين القوميين العرب المتشددين والقوميين المعتدلين والاحتكار الذي يتمتع به الفاعلون الإقليميون والدوليون، تظل القضية الكوردية بلا حل وتنتظر تسوية نهائية وقانونية. وخلال هذا الصراع بين السياسة والإيديولوجيا وتضارب المصالح، يجد هذا السؤال نفسه في مفترق طرق. وحتى بعد الأحداث التي هزت العالم العربي وألهمت المنطقة وعرضت استقرارها للخطر، تفاقم هذا المأزق بظهور تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) والدول المعنية وتركيا وإيران والعراق وسوريا لا ترى المسألة من قبل. الزاوية نفسها. ومع إحجام تركيا التي ترفض رفضاً قاطعاً المزاعم الكوردية، وصمّت إيران وتمزيق العراق وسوريا، يواجه الكورد اختباراً صعباً للغاية.

وهناك ثلاثة اقتراحات يمكن أن تساعد هؤلاء الأشخاص على الخروج من هذا المأزق:

الأول يقوم على ملاحظة أن حل القضية الكوردية مرتبط بإقامة دول ديمقراطية في المنطقة. ويمكن لدولة ديمقراطية فيدرالية في العراق ودولة ديمقراطية في سوريا أن تسهمان في حل مستقر. وإن كونفدرالية تجمع كل دول المنطقة، العراق وسوريا وتركيا وإيران وغيرها، ستكون الحل الأفضل للمنطقة للخروج من هذا الوضع الكارثي.

(٢) لوموند كانون الأول ١٩٦٣.

(٣) ل. ساندجون، علم اجتماع العلاقات الأفريقية، كارتالا، متاح في كتب Google.

(٤) ج. تيجيل غورغاس، المسألة الكوردية، ٢٠١٤، مرجع مذكور سابقاً، ص ٩٢.

(٥) س. عبد الحسين، أضواء على المسألة الكوردية، مرجع مذكور سابقاً.

ويوصى بشدة بتطبيق مبادئ القانون الدولي ذات الصلة. إن حق تقرير المصير موات للغاية لأن هذا المبدأ يمثل قاعدة سلام. وتقرير المصير أداة قانونية تسهم في الحل السلمي للنزاعات. ولكن حق الشعوب في تقرير المصير يمكن أن يؤدي بالأبطال إلى صراعات دموية. بما أن العالم العربي حالياً في حالة من الاضطراب والاضطراب، فإن حلول القضية الكوردية يجب أن تمر عبر تنسيق سياسات قوى المنطقة والتوفيق بين جميع أطراف الصراع وليس من خلال المطالبة باستقلال.

ملاحظة: "من عندي، إذاً سيستمر العنف: مع وجود نظام قوي، لا مجال للبحث في ذلك، ومع ضعفه، هناك مجال تكتيكي، فالعنف مؤجل ويعجل به، كالحالة الأولى، وهكذا.."

زكريا طه: المعارضة الكوردية ونظام البعث في سوريا: بين ديناميكيات الهوية واستراتيجيات التعاون

المقال موصول ببقية المجالات، رغم أن النشأة حديثة، ولكنها لا تنفصل عن نشآت تاريخية، كوردية، وصولاً إلى الحدث الأيلولي المعتر، والمحوري في الكتاب. إن البنية الثقافية المحكمة للمقال، والعمق البحثي فيه، وهو في منهجه الأقرب إلى ما هو أنثروبولوجي، تشكل إسهاماً فاعلاً في مخطط الكتاب هذا، وفي وهبه أكثر من بُعد حركي، دلالي، ومن ثم تعزيزي للقيمة الأثرية لكل مثار في تضاعفه.

ما أوسعها من ساحة، ساحة الحدث، وتلك حقيقة، لأنها أكثر من كونها محدودة. وناطقة بلسان شعب ضمناً.

في صيغة العنوان الكثير مما يحفز على النظر، وربط ما هو ما قائم، بما كان، وكيفية تفاعلها معاً: تعززت شكوك الحكومة السورية حول الأهداف الحقيقية للقومية الكوردية، التي ينظر إليها على أنها تهديد لهوية أراضي سوريا ووحدتها، في أعقاب الثورة الكوردية لمصطفى البارزاني عام ١٩٦١ في العراق. ونظرت القيادة السورية في مواجهة نزعة القومية الكوردية بتبني سياسة قسرية تجاه الكورد. ولا يخفي محمد حلب هلال، ضابط الأمن السياسي في منطقة الجزيرة، من خلال دراسة عن نفس المنطقة نفسها ٩، قلقه من الوحدة للقوميين الكورد. فهو يقترح حل المشكلة الكوردية من خلال إقامة توازن ديمغرافي بين العرب والكورد واختيار سياسة الاستيعاب بالتعريب. واستهدف الإحصاء الاستثنائي لعام ١٩٦٢ المتعلق بمحافظة الحسكة بشكل خاص السكان الكورد في الجزيرة. وهذا الإحصاء السكاني الذي كان الغرض الرسمي منه تحييد السكان الكورد، ممن هاجروا من تركيا بعد استقلال سوريا والذين كانوا سيستفيدون من قانون الإصلاحات الزراعية لعام ١٩٥٩، يحرم قرابة ١٢٠,٠٠٠١٠ كوردي من الجنسية السورية، لعدم وجود وثيقة الأحوال المدنية التي تثبت وجودهم في سوريا قبل عام ١٩٤٥

مخطط "الحزام العربي" الحزام العربي ، والذي يتمثل في توطين السكان العرب في منطقة تمتد على طول الحدود التركية بعرض ١٥ كم وطول ٣٥٠ كم، وفصل السكان الكورد في سوريا عن سكان تركيا والعراق ، والذي تم تطويره في عام ١٩٦٢، ولم يدخل حيز التنفيذ إلا مع وصول البعثيين المتطرفين إلى السلطة بعد انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ وتنفيذ سياسة الإصلاح الزراعي. وتشكل الجزيرة، وهي إحدى المناطق التي يتركز فيها عدد كبير من حيازات كبيرة من الأراضي، هدفاً مميزاً للبعثيين الجدد الذين يدعون صراحة أنهم اشتراكيون. وأدت سياسة مصادرة العقارات الكبيرة، في إطار "الحزام العربي"، إلى مصادرة ١٣٨,٨٥٣ هكتاراً كانت تستخدم لإنشاء "مزارع دولة نموذجية". فتم توزيعها في بداية السبعينيات، مع بناء السد على نهر الفرات، على العائلات العربية المعروفة باسم العمر "المغمورين"، والتي نشأت من محافظة الرقة ومن حلب التي غمرت قراها مياه بحيرة الأسد. ولكن، إذا أدت الإصلاحات الزراعية إلى مصادرة ٣٠ ألف كوردي، بين عامي ١٩٦٥ و ١٩٧٥، ١٤ دون "مع كل ما تم تنظيمه من عمليات ترحيل كما في العراق"، فإن إغراق أراضي الفلاحين العرب ١٦ أثناء ملء بحيرة الأسد يؤدي إلى تهجير ٦٠ ألف فلاح عربي. ووافق ٢٥ ألف فلاح، أو ثلث المغمورين، على الاستيطان بين عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٧ في ٤١ قرية نموذجية بنتها الدولة على الحدود التركية على طول الطريق بين عين الدوار ورأس العين في محافظة الحسكة، على الأراضي التي تم الاستيلاء عليها من كبار ملاك الأراضي الكورد خلال إصلاحات الأراضي. وإذا كان المشروع بالنسبة للحكومة جزء من سياسة الإصلاح الزراعي وتطوير البنية الاجتماعية لسكان أرياف الجزيرة، بالنسبة للكورد، فإنه يهدف إلى خلق توازن ديموغرافي بين العرب والكورد من أجل تعديل التركيبة السكانية للجزيرة. منطقة^(*).

جان دينيس موتون: المطلب القومي الكوردي ومبدأ تقرير المصير، في مجلة مواطن أوربا

أردت لهذا المقال أن يسهم في بناء الكتاب، يكون شريكاً فيه، رغم صغر مساحته، سوى أن العبرة بالمحتوى. إنها ظلال أخرى، للقضية عينها، وتصريح مقدر، بمدى إمكانية تقبل المزيد، لحظة النظر في جغرافيتها الواسعة، وتاريخها المتشعب .

يعلّمنا المقال بالكثير مما لا يراد سماعه. سوى أن الشعور بألم الصدمة، قد يوقظ الذاكرة، ويخرج المرء من حالة رقاد، أو غفلة مكانية، ومفارقة للروح النازفة، إلى حالة التيقظ، ومعاينة المصير الذي إليه أمره، والقيمة الفعلية لكل ذلك واقعاً: من المحتمل أن الكورد هم "أكبر مجتمع منفصل جغرافياً في العالم لم يحقق دولة"؛ وأن علاقة المطالبة القومية الكوردية بمبدأ تقرير المصير هي علاقة وحيدة. في

(*) Zakaria Taha: L'opposition kurde et le régime du Baath en Syrie : entre dynamique identitaire et stratégies de cooptation, halshs.archives-ouvertes.fr

نهاية الحرب العالمية الأولى، وبينما اتخذت مطالبة الشعب الكوردي تدريجياً شكل مطالبة وطنية، فإنها ستواجه مسودة أولى مبدأ تقرير المصير، والتي لن تنصفها (١). وبعد التقسيم القرني الدولي une division séculaire للشعب الكوردي بشكل رئيس إلى أربع دول (تركيا وإيران وسوريا والعراق)، يبدو أن الأحداث الجارية تشهد على إحياء حقيقي لمطلب وطني يمكن أن يساعد نجاحه النهائي في تغيير مبدأ الذات في المقابل. - تقرير نفسه (٢)

٢- مبدأ تقرير المصير وانبعث المطالبة القومية الكوردية

إذا كان التقسيم الإقليمي للشعب الكوردي قد أدى بالتالي إلى انهيار مطالبته الوطنية، فإن الأحداث الدولية ستسهل إحياء هذا الادعاء (أ). لذلك، من المشكوك فيه ما إذا كان احتمال استقلال كوردستان لا يمكن، في المقابل، أن يسهم في تطوير مبدأ تقرير المصير نفسه (ب).

أ - مطلب وطني متجدد

لهذا فإن انفصال الشعب الكوردي هو أصل هذا التطور السياسي المتميز الذي تحول في بعض الأحيان إلى منافسة صراع حقيقية. وإذا نظرنا إلى الفترة الماضية، فإن الصراعات في كوردستان العراق بين حزب PDK (الحزب الديمقراطي الكوردستاني) بقيادة السيد البارزاني والاتحاد الوطني الكوردستاني بزعامة جلال الطالباني، لم تنتج عنها فقط صراعات داخلية في كوردستان العراق (خاصة بين ١٩٩٤ و ١٩٩٨)، وإنما كذلك من خلال تحالفات إقليمية متباينة؛ ويتهم الحزب الديمقراطي الكوردستاني بالتقرب من تركيا بينما يتهم الاتحاد الوطني الكوردستاني بالاعتماد على إيران. وإذا ظهر حزب الاتحاد الديمقراطي (حزب الاتحاد الديمقراطي لسوريا) على أنه انبثاق سوري لحزب العمال الكوردستاني بقيادة أ. أوجلان، الزعيم التاريخي لكورد تركيا، فإن أنصار الجناح المتشدد يقود حزب العمال الكوردستاني حملة تشويه ضد السيد البارزاني، الذي يشعر بالقلق من رغبة حزب العمال الكوردستاني في عدم مغادرة معاقله العراقية.

وفي ظل هذه الظروف، سيكون مفهوماً أنه لا يمكن الحفاظ على المطالبة القومية الكوردية إلا في دولة واحدة، وهي العراق، بفضل سياق دولي ملائم. وفي الواقع، فإنه في العراق، سمح النظام البعثي بتشكيل منطقة حكم ذاتي بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٤، تحت زخم التمرد بقيادة الزعيم مصطفى البارزاني. وسيعترف الدستور العراقي لعام ١٩٧٤ بحقوق الشعب الكوردي، وسيُرسخ قانون الحكم الذاتي هذا الاعتراف بالهوية الجماعية، قبل أن ينتقل نظام صدام حسين إلى موجات متتالية من القمع. وكان آخرها عام ١٩٩١، وهو ما يتوافق مع الوقت المناسب لمحاولة ضم الكويت من قبل العراق ورد فعل المجتمع الدولي الذي أعقب ذلك. وبمجرد قبول صدام حسين لوقف إطلاق النار، عقب التدخل متعدد الجنسيات الذي أذن به مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، بمبادرة من فرنسا، اتخذ مجلس الأمن القرار ٦٨٨ الذي "يدين قمع السكان المدنيين العراقيين ويطالب العراق باحترام حقوق الإنسان

والحقوق السياسية لجميع المواطنين العراقيين"، ويدعو" الدول الأعضاء وجميع المنظمات الإنسانية للمشاركة في جهود المساعدة الإنسانية هذه". وبتفسيرها للتراخي على أنها تنص على "حق التدخل في الشؤون الداخلية لدولة ما"... وأنشأت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا مناطق أمنية zones de sécurité بحكم الأمر الواقع لحماية كورد العراق بغطاء جوي. وستسمح هذه الممارسة، على أساس هذا التفسير الإيجابي، بظهور كيان سياسي، كوردستان العراق، طالما أن عملاء بغداد سيغادرون، في ذلك الوقت، منطقة الاستيطان الكوردية في العراق. وتم تشكيل حكومة إقليمية بعد انتخابات نظمها تحالف من الحزبين الكورديين الرئيسيين (الاتحاد الوطني الكوردستاني والحزب الديمقراطي الكوردستاني)، واعتمد مجلس في تشرين الأول ١٩٩٢ "إعلان الوحدة الفيدرالي" الذي استند إلى حق الكورد في تقرير المصير

وهكذا ولدت منطقة فدرالية، جعل فك ارتباط الحكومة الفيدرالية وحماية المجتمع الدولي أقرب إلى حالة تقدمية من الاستقلال الفعلي. وفي حين أن التوترات الداخلية في كوردستان العراق، التي ذكرناها سابقاً، ستمنع تحقيق خطة الحكومة الكوردية لاعتماد الدستور، فإن التدخل الأمريكي الإنجليزي لعام ٢٠٠٣ سيكون له نتيجة السماح لعملية تأكيد المطالبة بالحكم الذاتي هذه بالاستمرار. أدى سقوط نظام صدام حسين، بعد هذا التدخل المخالف للقانون الدولي، بشكل خاص إلى تبني دستور جديد أنشأ، لصالح كوردستان، فيدرالية قوية للغاية. بالطبع، احتفظت الدولة الفيدرالية بسلطات سيادية مثل الدفاع الوطني والعملة والدبلوماسية. لكن في الوقت نفسه، أنشأت حكومة كوردستان العراق نوعاً من الدبلوماسية الموازية من خلال تمثيلات الحكومة الإقليمية، وقبل كل شيء احتفظت بمقاتليها (البيشمركة)، الذين أصبحوا حراس المنطقة.

وقد تكون نظرية "حساب الشرعية calcul de légitimité"، التي تدعو إلى تقييم حالة بحالة لشرعية حركة انفصالية، على أساس معيارين، مثيرة للاهتمام في محاولة رسم منظور حول هذا الموضوع. يدور المعيار الأول حول الصفات الجوهرية للمطالبة، أي حاجة الأشخاص المعنيين لإثبات أنهم يشكلون شعباً قادراً على تقرير المصير. يدور المعيار الثاني حول العواقب الخارجية للانفصال، أي عواقبه التخريبية أو على العكس من ذلك، استقرار الدول القائمة، والدول المعنية مباشرة (تلك الموجودة في المنطقة) وبشكل أعم للمجتمع الدولي.

وحقيقة أن حزب العمال الكوردستاني PKK، المرتبط بنضال الشعب الكوردي في سوريا، يُعتبر منظمة إرهابية من قبل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، يسهم في إثارة الشكوك حول الاعتراف المحتمل بكوردستان مستقلة، ليس فقط من قبل تركيا، وإنما أيضاً من القوى العظمى. ومع ذلك، فإن احتمال اعتراف محتمل بكوردستان مستقلة، على أساس منطقة الاستيطان الكوردية في العراق وسوريا، لم يعد بعيد المنال. ووصف الإعلان بأنه "تاريخي" من جانب الحكومة التركية وحزب العمال

الكوردستاني، والذي بموجبه يقترب اتفاق سلام، والذي ينص على أن الدستور الكوردي يذكر، إلى جانب الأتراك، الكورد على أنهم الشعب المؤسس لتركيا ومنحهم حقوقاً، حتى في وضع "إقليمي ووطني regional et national"، من شأنه أن يجعل من الممكن تصور حل الموقف من وجهة نظر مزدوجة.

أولاً، سيسمح لمطالبة الأقلية الكوردية في تركيا بمنحها الحقوق التي من شأنها أن ترسخ حقها في تقرير المصير الداخلي، وتستبعد أي تلميح للمطالبة بالانفصال كعلاج. وبعد ذلك، في سياق جيوسياسي حيث تبدو إعادة إعمار دولة عراقية وهمية أكثر فأكثر، فإن ذلك سيفتح أفقاً لإعادة استقرار المنطقة من خلال تحويل المطالبة بكوردستان مستقلة إلى "فعالية كاملة *effectivité menée à terme*"، إذا اعتبرت الدول ذلك. هو في النهاية أسوأ الحلول. كما أشارت كندال نيزان: "من الآن فصاعداً، في الوعي السياسي الغربي، هناك اعتراف بشرعية معينة للكورد بأن تكون لهم دولتهم".

وتبقى الحقيقة وهي أن الفعالية التي تكتمل على هذا النحو ستؤكد بقوة هذه الحركة لتوسيع حق الشعوب في تقرير المصير؛ وسيؤدي الاعتراف بمطالبة الدولة لصالح الكورد العراقيين والسوريين إلى تقريب هذا المبدأ من مفهوم ويلسون لمبدأ تقرير المصير. وحتى لو لم تفتح هذه الحركة حق الانفصال للشعوب التي يوحدتها انتماء إثني ثقافي، تظل الحقيقة أن أسس القانون الدولي هي التي ستستمر في التعديل من خلال مثل هذا التطور^(*).

ملاحظة: أوردت مقاطع من المقال ذي الصلة ببحثنا، ولهذا استبعدت الهوامش

(*) Jean-Denis Mouton: La revendication nationale kurde et le principe d'autodétermination, Dans Civitas Europa 2015/1 (N° 34)

سيرة ذاتية للمؤلف

إبراهيم محمود

باحث ومفكر كوردي سوري

مواليد قامشلو ١٩٥٦.

إجازة "بكالوريوس" في الفلسفة من كلية الآداب، قسم الفلسفة، جامعة دمشق/١٩٨١. التفرغ للدراسة والتأليف في مجالات فكرية وأدبية وتاريخية ونقدية مختلفة، بعد ممارسة التدريس في معاهد قامشلو لمدة عشرين سنة.

الآن لاجيء في إقليم كردستان، ويعمل في مركز بشكجي للأبحاث الانسانية في جامعة دهوك. مؤلفاته: نشر أكثر من مائتي كتاب، وأكثر من مائة كتاب بين مخطوط وتحت الطبع أو قيد النشر، في حقول نقدية: فكرية وتاريخية وأدبية مختلفة ويركز بصورة خاصة على الجانب الانتروبولوجي في دراساته، وفيما يخص الجسد، عدا مشاركاته في كتب جماعية، ومقدماته وشروحاته لكتب مترجمة عن الفرنسية (لجاء دريدا خصوصاً). مؤلفاته: الكتب الورقية:

- مغامرة المنطق البنيوي (البنيوية كما هي)، مركز الدراسات والأبحاث الاشتراكية في العالم العربي، دمشق/١٩٩١.
- صورة الأكراد عربياً بعد حرب الخليج، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ط١/١٩٩٢.
- الجنس في القرآن، شركة رياض الريس، لندن، ط١/١٩٩٤/٢/٢٠٠٠، ط٢، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٦.
- البنيوية وتجلياتها في الفكر العربي المعاصر، دار الينابيع، دمشق، ط١/١٩٩٤.
- الهجرة إلى الإسلام، دار الفكر، دمشق، ط١/١٩٩٥.
- الكورد في مهب التاريخ، كرد برس، بيروت، ط١/١٩٩٥.
- أمة وسحرة "البحث عن مسيلمة الكذاب وعبدالله بن سبأ في التاريخ"، شركة رياض الريس، لندن، ط١/١٩٩٦، ط٢، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٧.
- جغرافية الملذات "الجنس في الجنة"، شركة رياض الريس، بيروت، ط١/١٩٩٨، ط٢، الريس، بيروت، ١٩٩٨، ط٣، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٦.
- الفتنة المقدسة "عقلية التخاصم في الدولة العربية الاسلامية"، شركة رياض الريس، بيروت، ط١/١٩٩٩، ط٢، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٦.
- المتعة المحظورة "الشذوذ الجنسي في تاريخ العرب"، شركة رياض الريس، بيروت، ط١/٢٠٠٠، ط٢، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٧.
- إيقاعات مدينة "فصول من سيرة مدينة القامشلي"، دار الينابيع، دمشق ط١/٢٠٠٠.

- صدع النص وارتحالات المعنى، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط ٢٠٠٠/١.
- تقديس الشهوة "الرموز الفلكية في النص القرآني"، شركة رياض الريس، بيروت، ط ٢٠٠٠/١.
- أقنعة المجتمع الدماثية، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط ٢٠٠١/١.
- الحنين إلى الاستعمار، دار الينابيع، دمشق، ط ٢٠٠١ /١.
- جماليات الصمت "في أصل المخفي والمكبوت" مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط ٢٠٠٢/١.
- قراءة معاصرة في الإعجاز القرآني، دار الحوار، اللاذقية، ط ٢٠٠٢ /١.
- الشبق المحرم "أنطولوجيا النصوص الممنوعة"، شركة رياض الريس، بيروت، ط ٢٠٠٢/١، ط ٢، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٦.
- أرواح اليوم الثامن، دار الينابيع، دمشق، ط ٢٠٠٢/١.
- في الثقافة العربية المعاصرة "صراع الإحداثيات والمواقع"، دار الحوار، اللاذقية، ط ٢٠٠٣/١.
- صائد الوهم "الطبري في تفسيره"، دار كتابات، بيروت، ط ٢٠٠٣/١.
- الضلع الأعوج "المرأة وهويتها الجنسية الضائعة"، شركة رياض الريس، بيروت، ط ٢٠٠٤/١.
- وعي الذات الكوردية، الشركة العربية الأوربية، بيروت، ط ٢٠٠٤/١.
- نقد وحشي "رؤية لنص مختلف"، دار الحوار، اللاذقية، ط ٢٠٠٥/١.
- الموسيقى "عتبات المقدس والمدنس"، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط ٢٠٠٥/١.
- مجالس الورد والشوك "بين ذاكرة القرية وأرشف المدينة"، دار الينابيع، دمشق/٢٠٠٥.
- الباحثون عن ظلالهم "العبور إلى فيينا" دار الينابيع، دمشق، ط ٢٠٠٥/١.
- قتل الأب في الأدب "سليم بركات نموذجاً"، دار الينابيع، دمشق، ط ٢٠٠٧/١.
- النقد والرغبة في القول الفلسفي المعاصر، دار الحوار، اللاذقية، ط ٢٠٠٧/١.
- القبيلة الضائعة "الأكراد في الأدبيات العربية الإسلامية"، شركة رياض الريس، بيروت/٢٠٠٧.
- وإفما أجسادنا.. الخ "ديالكتيك الجسد والجليد"، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط ٢٠٠٧/١.
- أحدهم يتغزل بزوجتي "رواية"، دار الينابيع، دمشق، ط ٢٠٠٨/١.
- المنغولي أو مجهول الريح "رواية"، دار الينابيع، دمشق، ط ٢٠٠٩/١.
- الأنتى المهذورة "لعبة المتخيل الذكوري في صناعة الأنتى"، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط ٢٠٠٩/١.
- الجسد المخلوع بين هز البطن وهز البدن، شركة رياض الريس، بيروت، ط ٢٠٠٩/١.
- حدّثني البومة، قالت.. "مقاربة جمالية نصّية لكتاب غادة السمان"، دار الطليعة، بيروت، ط ٢٠٠٩، ١.
- جنازة المؤخرة "في مائة وواحد وعشرين نصاً"، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط ٢٠١٠/١.
- الصائد الخفي "جدل الصامت في حوارات نبيل سليمان"، دار الحوار، اللاذقية، ط ٢٠١٠/١.
- النص- الجسد- الهاوية "قراءات في ظلال المعاني"، دار تموز، دمشق، ط ٢٠١١/١.

- زئبق شهر يار "جماليات الجسد المحظور في الرواية النسوية العربية"، دار الحوار، اللاذقية، ط ٢٠١٢/١.
- قراءة في رواية يوم الدين، دار الجديد، بيروت، ط ٢٠١٢/١.
- نصوص أفستا وقراءة في النص الأفستاني، دار تموز، دمشق، ط ٢٠١٣/١.
- الإسلام: مدخل جنسي - دراسة- شركة رياض الريس- بيروت، ط ٢٠١٣/١.
- لا قمامة في هذه المدينة، عن اتحاد الأدباء الكورد - المركز العام أربيل، ط ٢٠١٣/١.
- سيرة المحلق أرضياً "دراسة في شعر جكرخوين"، الأكاديمية الكوردية - أربيل، ط ٢٠١٣/١.
- الجسد البغيض للمرأة- دراسة- دار الحوار- اللاذقية، ط ٢٠١٣/١.
- الحيوانات تستعيد ذاكرتها "قصص"، كلاويد، السليمانية، ط ٢٠١٣/١.
- الرجل الذي كان: شيركو بيكه س: الحياة والكتابة، الأكاديمية الكوردية/٢٠١٣.
- قتل الجياد الكوردية: عن محمد اوزون مجدداً "دراسة"، منشورات سردم، السليمانية، ٢٠١٥.
- علم جمال الجسد المغاير "دراسة"، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠١٥.
- أسئلة التأويل "دراسة"، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠١٥.
- بروق تتقاسم رأسي "سيرة فكرية"، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠١٥.
- الأكاديمي "هل هناك أكاديمي كوردي؟"، دراسة، دار تموز، دمشق، ٢٠١٥.
- معدّبو النور "في التصوف الكوردي"، دراسة، دار تموز، دمشق، ٢٠١٥.
- الإقليم خارج حدوده، مديرية الطباعة، دهوك، ٢٠١٥.
- اليد والقفاز "التنوير البحثي في كتابات الأستاذ الدكتور عبدالفتاح علي البوتاني": دراسة، أربيل، ٢٠١٦.
- طريدو التاريخ "الكورد في خضم حروب الآخرين"، مركز بشكجي للدراسات الإنسانية، دهوك، ٢٠١٦.
- تراجيديا الضحك، دراسة، دار الحوار، ط ١، ٢٠١٧.
- ظلال الوجه الآخر "دراسة في شخصية محمد كرد علي"، مركز بشكجي للدراسات الإنسانية، دهوك، ٢٠١٧.
- الدرع الواقى : اسماعيل بيشكجي وكتابة القضية الكوردية" دراسة في سلوك وفكر رجل في العاصفة"، مركز بشكجي للدراسات الإنسانية، دهوك، ٢٠١٧.
- الذئب الكوردي "دراسة في شخصية ضياء كوك آلب" دار سيريز، دهوك، ٢٠١٧.
- سطوح الهاوية "دراسة عن الكورد والفيس بوك"، الأكاديمية الكوردية، أربيل، ٢٠١٧.
- لا ليس لي لحية، دراسة في العلاقة بين محمد كرد علي والتصوف، دار تموز، دمشق، ط ١، ٢٠١٧.
- سرديات الحية "دراسة انتروبولوجية"، دار رؤية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٨.
- الجسد الدبق، دراسة، دار رؤية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٨.
- رهانات التهجين بين الجسد والثقافة، دراسة، دار الحوار، اللاذقية، ط ١، ٢٠١٨.
- نساء في لعبة الذكور، دراسة، دار تموز، دمشق، ط ١، ٢٠١٨.

- نزلاء اللغات الأخرى " سياحات كوردي في أوربا "، مركز بشكجي للدراسات الإنسانية، دهوك، ٢٠١٩ .
- الكورد وفوضى العولمة، مركز بشكجي للدراسات الإنسانية، دهوك، ٢٠١٩ .
- صورة الكورد في الصحافة الفرنسية، صحيفة " لوموند دبلوماتيك " نموذجاً، مركز بشكجي للدراسات الإنسانية، دهوك، ٢٠١٩ .
- العرب لا يحبون البصل " دراسة في متخيلات اللغة العربية " دار سطور، بغداد، ٢٠١٩ .
- ثلاثية شجرة قابيل، عن دار سطور، بغداد لعام ٢٠١٩: العراق " أم واحدة وأزواج كثيرون " - سوريا " العيش في ظل زوجة الأب " - كردستان " أرملة وأخوة أعداء " .
- ألف قطرة دم وقطرة " دراسة في الإبادة الجماعية "، مركز الأنفال، جامعة دهوك، ٢٠١٩ .
- منطلق طائر اللون " دراسة فنية في أعمال نصر ورور "، دار تموز، دمشق، ٢٠١٩ .
- النزول " إلى " الجبل " تعريف بالأدب الكردي، دار تموز، دمشق، ط١، ٢٠١٩ .
- جسد العاهرة " دراسة في نصوص السوأة المباحة "، دار سطور، بغداد، ط١، ٢٠٢٠ .
- أن نلبس سروالاً قصيراً " نصوص ما فوق الركبة " دراسة " دار سطور، بغداد، ط١، ٢٠٢٠ .
- الهارب إلى التاريخ " ابن خلدون ووعي المجهول " دراسة " دار أمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .
- أطياف الصابون: "فسحة الرغوة والجلد"، "دراسة في جماليات الصابون وملابساتها"، دار أمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .
- نحو قراءة معاصرة في إعجاز القرآن " دراسة " دارالأمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .
- الموت قبلاً " أوهام العيش المشترك "، مشروع دراسة، دار أمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .
- مرحباً أيها الموت وماذا بعد ؟ " عن جنون الهجرة والمتاجرين بأرواح المهاجرين "، دراسة، دار أمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .
- المؤلف بين الرأس والعصا " البحث عن الجزيرة "، دراسة، دار أمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .
- خصيان فلسفية " في مائة نص ونص " دراسة، دار تموز، دمشق، ط١، ٢٠٢٠ .
- الزعيم الكردي عليكي بطي : بطلاً تاريخياً، أسطورياً، وشعبياً، مجلّدان، دار الزمان، ٢٠٢٠ .
- البدرخانيون بوصفهم البدرخانيين، مركز بشكجي للدراسات الإنسانية، جامعة دهوك، دهوك، ٢٠٢١ .
- العالقون في الخندق المعلق "مدخل قبائلي إلى دراسة تاريخ كردستان" منشورات الأكاديمية الكردية، أربيل، ٢٠٢١ .
- أما عن قائمة مختاراته التي صدرت عن مركز بشكجي للدراسات الإنسانية - جامعة دهوك، فهي:
- الإصغاء بوصفه قضية ثقافية مدنية، كانون الثاني ٢٠١٣ .
- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي " حساب البعد الرابع "، حزيران، ٢٠١٣ .

- اسماعيل بشكجي : الذات المضاءة بالآخر، تموز ٢٠١٣.
- حول الملتقى الفكري لمجموعة من الكتاب والمثقفين الكورد السوريين، هوليير، ٢٠-٢١/٦-٢٠١٣، تموز ٢٠١٣.
- جمر في الرماد " حديث في المثل الشعبي الكوردي، تشرين الثاني، ٢٠١٣ .
- الإنسان وحدوده " كوردستان والحدود "، شباط ٢٠١٤ .
- هذه السياحة... هذه المدينة "مناسبة أربيل عاصمة السياحة العربية لعام ٢٠١٤"، آذار ٢٠١٤.
- الكتاب الكوردي " إشكالية علاقة الكوردي بلغته"، أيار ٢٠١٤ .
- الكورد في كتابات " عباس العزاوي " من الحساب إلى الهندسة، آب ٢٠١٤.
- عليكي به تي في التاريخ والفولكلور الكورديين، تشرين الثاني، ٢٠١٧ .
- موقع الجغرافيا في الفكر والأدب، شباط ٢٠١٨ .
- شفان برور: الأسطورة الحية " عبدالله انجكان، ترجمة وتقديم: ابراهيم محمود، نيسان ٢٠١٨ .
- ندوة حول: موقف الإعلام العربي من القضية الكوردية " بالاشتراك"، أيار ٢٠١٨ .
- وجهها المرأة: نماذج من كتابات برنار ليفي وأعماله عن الكورد، تموز ٢٠١٨ .

ترجمات:

- الحيوان الذي أنا عليه، لجاك دريدا، نصوص مختارة، ترجمة عن الفرنسية، دار تموز، دمشق، ٢٠٢٠ .
- الحيوان الذي أنا عليه، لجاك دريدا، نصوص مختارة، ترجمة عن الفرنسية، دار تموز، دمشق، ٢٠٢٠ .
- الأرشيف، الأثر، الفن، لجاك دريدا، الترجمة عن الفرنسية، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٠ .
- أصوات (مقابلات مع جاك دريدا)، الترجمة عن الفرنسية، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٠ .
- ديكة بمنقارين: عن الصراع بين أقطاب التحليل النفسي، الترجمة عن الفرنسية، دار أمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .
- مقاومات في التحليل النفسي، لجاك دريدا، الترجمة عن الفرنسية، دار الأمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .
- حدوس: البنية- الاختلاف- العمارة- الفصل العنصري، لجاك دريدا، الترجمة عن الفرنسية، دار الأمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .
- لاكان نفسه "سيرة حياة، ومقالات موازية و متممة" لفيليب سولرز، الترجمة عن الفرنسية، دار الأمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .
- ميثولوجيا النهايات " مقالات مترجمة حول الأدب والتحليل النفسي " الترجمة عن الفرنسية، دار الأمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .
- أطفال التحليل النفسي: " مقالات مترجمة عن الطفل من منظور التحليل النفسي " الترجمة عن الفرنسية، دار الأمل الجديدة، دمشق، ٢٠٢٠ .

- عليكي بطي في الوثائق العثمانية- التركية " إعداد مع تقديم " في أربع لغات: العثمانية، التركية، الكردية، والعربية، دار الزمان، ٢٠٢٠ .
 - الأعمال الشعرية لهوشنك بروكا، دار تموز، دمشق، ٢٠٢١ .
 - جاك دريدا: فرويد ومشهد الكتابة، دار الحوار، اللاذقية، ط١، ٢٠٢١ .
- أما عن كتاباته بالكوردية فقد صدر له ديوان شعر تحت عنوان
Weke çemekî ji dil derkeve-Şam-2005

الترجمات عن الكردية:

- أيام حسو الثلاثة ، رواية لالش قاسو ، ترجمة ورقية، زائد انترنتية منقحة .
 - الخراب، رواية لالش قاسو ، طبعة خاصة .
 - المتنور، رواية لالش قاسو، دمشق .
 - القيامة، رواية حسن مته، دمشق .
 - كردستان والحدود في القرن العشرين، دراسة لأصليخان يلدرم، مراجعة وتدقيق الأستاذ الدكتور: عبدالفتاح بوتاني، منشورات الأكاديمية الكردية ، أربيل، ٢٠١٦ .
 - أعمال للمفكر التركي اسماعيل بشكجي، عن طريق الكردية ، مع تقديم وتعليقات، وهي صادرة عن منشورات مركز بشكجي للدراسات الإنسانية، جامعة دهوك :
 - في مصافحة يد بيضاء " اسماعيل بشكجي كردولوجياً" مع ملحق، عن خليل خيالي، ٢٠١٧.
 - رسالة إلى اليونسكو ، ٢٠١٧ .
 - الكرد بين التاريخ والجغرافيا، ٢٠١٧ .
 - الكرد والدولة " اللغة، الهوية، القومية، الوطنية، م١، ٢٠١٧ .
 - الكرد والدولة " اللغة، الهوية، القومية، الوطنية، م٢، ٢٠١٧ .
 - إرهاب الدولة في الشرق الأوسط، ٢٠١٧ .
 - الكرد وهموم الكرد " مقالات حديثة مختارة " ٢٠١٨ .
 - انبعاث كردستان خيالية، ٢٠١٨ .
 - منهج العلم، ٢٠١٨ .
 - التوطين القسري للكرد، ٢٠١٨ .
 - مذبح الأرمين ١٩١٥، ٢٠١٨ .
- الكتب الالكترونية المنشورة على موقع أمازون العالمي، ولم تنشر في أي مكان، ولا نسخة ورقية لأي منها:

- في التاريخ: "إسلاميات" مقالتان - "الاستكراذ" دراسة في ثقافة أحادية"- سيرة ثقافية للنخلة- شركاء المصير الواحد: كما قرأت عن السريان كما تعرفت إليهم كما أعرفهم-الآخر الذي يغزونا: عن غزو عفرين: قبلها وما بعدها تركياً- السلام الاسود: يوميات السلام الهمجي: عن الغزو التركي لروجآفا بدأ من ٢٠١٩ /١٠/٩ - دواعشيات: نصوص للنظر- الآخر الذي يغزونا: عن غزو عفرين : قبلها وما بعدها تركياً.

- في تاريخ المرض: كورونا...كورنر " حوارية زمن طارئ" - يوميات الفيروس الأخير.
- عموميات: ألوان الطيف الفكري "مقالات"- شذر مذر "مقالات شاردة- عن الفراغ وما يليه" مقالات شاردة"- مجابهاث "هم حيث تقول نصوصهم"- مقالات قائمة بذاتها- نصوص الشهوة الآثمة " مقالات في المختلف "- نقديات " قراءات في كتب مختلفة "- هبة مقالات- فيسبوكيات إبراهيم محمود " مقالات مشاعة "- الطائر المائي: في الواقع الذي نقوله، في الكلام الذي يقولنا- تيارات صوتية : ملتقيات وجوه.

- فلسفيات : بخصوص الكائن " س ": دراسة حالة نفسية - في بعض أحوال جاك دريدا " مقالات "- في انتظار مثقف مختلف " أدوار المثقف المختلفة "- الممسوسون " عن الصوفية وهذياناتهم : دراستان "- الطفل والعاطفة والأدب " دراسة "- فكريات في انتظار اسمها " دراسة في التنوع "- انتهاكات موسيقية " نصوص غير منضبطة موسيقياً " - أطلال الموتى: في الذين رحلوا إلى الاختلاف- تداعيات مستقبلية " مقالات مفخخة "-حياة تتنفس سخطاً: نصوص لم تكتمل.

- نقد أدبي: جغرافيات متخيلة " تنظيم العالم في الشعر العربي "- إمضاءات سريعة على ديوان - أنفاس الشعراء، روائح الشعراء " مقالات في الشعر "- حنا مينه في الذكورة المطمئنة- شعريات " قراءة في نصوص شعرية" - شهوات مجنحة " في الفعل الروائي "- في الوجدان الشعري " حول تجربة شعرية نبطية "- منمنمات روائية " متابعات روائية "-تفكك العالم.. جنون النص: (دراسة خرائطية في روايتي) مدائن الأرجوان- جداريات الشام: منوما (لنبيل سليمان)-

- وجدانيات : معهم حيث هم- راحلون إلينا " عن الذين غادرونا بأجسادهم "- عزائيات " من غادرونا ولم يفارقونا - دوائر مستقيمة: شذرات من مفكرة جمالية التأمل- وجوه قامشلي التي لم تكنها " في زيارتي إليها صيف ٢٠١٩"-زاوية الورود في الروح: وجدانيات من نوع خاص جداً- الآخرون... معهم في ديارهم.

- كرديات: في التاريخ والسياسة: الثمار التي تنزف دماً " عن حدث ١٢ آذار ٢٠٠٤"- آذاريادا " مقالات آذارية "- العيش في قلب العاصفة " مقالات في الريح "- إمضاءات عراقية" مشهديات عراقية "- شنكال جرح والكردي الإيزيدي نرف " متابعات في الشأن الإيزيدي "- مبحثان في مأساة الإيزيدية- مدائح الكردي الشائنة " عن الكردي المأخوذ بغفلته "- هوامشيات كردية: بين التاريخ والمجتمع- لا

سمعاً ولا طاعة " كتابات تجديفية " - كرديانا " مقالات تمس الوعي القطيعي " - كتابات على النار - كتابات بالنار " مقالات على الطريق " - قبضيات الشارع الكردي " الهجرة إلى المدينة السعيدة " - كُردستان ليست لي: مكاشفات وكشوفات واكتشافات - من يقتل الحجل الكردي؟ " نقود في سير كُردية متهالكة " - أثريات التملق: نصوص وسلوكيات قيد التعرية - الطريق المعبد بالألم: وقائع ناطقة في الطريق الممتد بين دهبوك - قامشلو - وُضع اليد على الجرح " دراسات نقدية حول كتابات كردية في التاريخ والجغرافيا " - نزيف الجبل " كتابات عن استفتاء إقليم كوردستان العراق ٢٥ أيلول ٢٠١٧ وما يكون باسمه " -

- نقديات كردية: الحمى الاستعراضية للكاتب الكردي " دراسة " - الراعي والقطيع " هل يمكن مكاشفة الطاغية : دراسة مع نماذج بحثية " - الكتابة وحرفة الأيمان المغلظة " عن شنكال، عن حياة الإيزيدي المرافقة " - جسد بين أنثيين " حول ترجمة " ذاكرة الجسد " إلى الكردية " - في الحداثات الشعرية الكردية " مقدمات ونصوص ترجمة " - ما هو أبعد من الترجمة - مترجمنا جلجامش " حول تجربة ترجمة " - مرايا نازفة " قراءات في الرواية الكردية " - نحو وعي أوسع لموسيقى الشعر الكردي - في القصة الكردية المعاصرة " سردية البداية: دراسة " - النبع والمجرى " عن روابط الشعر الكردي: دراسة " - في القول الرجيم " حالة شعرية ساخنة في وطن مفتت " - كُرسيات " بكائيات نافرة " - نسيج الماء الحي " في متابعة نصوص أدبية كردية " - شعريات " قراءات في نصوص شعرية : دراسة " - الجهة الخامسة: حول كتابات الراحل رزو أوسي " دراسة " .

- شعر: أسفار الطيش الكردي - الرأس المدبب " نص طويل نسبياً " - املأ الفراغات الماضية - أنا المدعو : حيوانكم المطيع " نصوص طافية " - حيوانات حيوانات " نصوص الاتجاه المعاكس " - سيرة لحم " مجرد نص " - مجرد كتابة عطر - الكردي في ... الأخير امتحان الكردي إلى فراغاته: نصوص شعرية - هي سورة شنكال هذه المرة - ضوء يتجهج ليل حتى الثمالة " نصوص شعرية " - أهواء عند اللزوم " نصوص شعرية " - مدائح لا تشتهيها النفوس " شعر " - مرايا الكردي العمياء " نصوص شعرية " - أسوار الريح، تداعيات الورد " نصوص شعرية " - سيرة كردي سكوب بالألوان.

رواية:

قردة لاهية على شجرة صنوبر - كوكب الجنس الأصفر " رواية لم تكتمل/ولن تكتمل "

قصة:

قطة على السلم

ترجمات:

متواليات الامراض في التاريخ: مقالات منقولة عن الفرنسية، مع التقديم-مباهج الجسد المريض: تمثيل المرض في الكتابة..مقالات في المرض، مختارات منقولة عن الفرنسية، مع التقديم - إجازة في الحجر الصحي:

نصوص شعرية وثرية في المرض والصحة، مختارات منقولة عن الفرنسية، مع التقديم-ثالث المرض والأدب والفرن: مقالات مختارة عن الفرنسية، مع التقديم- "أجنحة النار" مقالات ونصوص مترجمة في الشعر عن الفرنسية - في ذمة كتاباتهم "الكرد في لعبة السياسات الصحفية": مقالات منقولة عن الفرنسية، مع التقديم.
سلسلة " نحو أمس دافىء:

الخطر المحمول: اقتباس وأقوال منقولة عن الفرنسية، مع التقديم .
لعبة الجنس: أقوال في الجنس بالسنه كتاب، سياسيين، علماء، وفنانين.مختارات منقولة عن الفرنسية، مع التقديم.

معزل المؤخرة: أقوال وأمثلة اختارها منقولة عن الفرنسية ، مع التقديم .
إن تكلمت الهدية: أقوال وأمثلة مختارة عن الفرنسية، مع التقديم.
بالإذن من الفيلم: كلمات مقتبسة من الأفلام، مختارات عن الفرنسية، مع التقديم .
ألسنة سالكة: أقوال لمشاهير الكتاب، مختارات منقولة عن الفرنسية، مع التقديم .
طرب الأمثال والمأثورات: حول الحياة، الموت، الحب، الحيوان، الخرا، الجهل....الخ مختارات منقولة عن الفرنسية، مع التقديم.

قبسات من أفواههم، أقوال من مشاهير السياسيين، مع التقديم .
الضحك الصادم : مختارات من أقوال الممثل الكوميدي الفرنسي الكبير كلوش ١٩٤٤-١٩٨٦ "

بالكرديّة :

Tirs bi xwe, û helbet, bilî wê: Helbest

Gotinên beravêtî: Helbest

Yek du: Gotar in ji xwe re

Av û nivîsandin

الترجمة عن الكردية:

أسفل الشلال: مختارات ترجمة مع تعليق من نصوص كردية.
ومن بين الأعمال التي يشتغل عليها ويحضرها للطبع " موسوعة الإبادة الجماعية " في ثمانية أجزاء.

